راحة العقل

للداعي أحمد حميد الدين الكرماني

تحقيق وتقديم

الدكتور مصطفى غالب

دار الأندلس

للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

الطبعة الثانية
١٩٨٣

جميع الحقوق محفوظة

دار الأندلس - بيروت، لبنان
هاتف: ٣١٧١٦٢ - ٣١٦٤٠١ - ص.ب: ١١٤٥٥٣ - تلكس ٢٣٦٨٣

فهرس

الموضوع	صفحة
فهرس الموضوعات	٣
مقدمة المحقق	١٣
مقدمة المؤلف	٨١

السور الأول

	في صدر الكتاب ، وبيان ما يجب بيانه على قارئه والعلة في ترتيب الأسوار ومشارعها على ما رتبت عليه .	٩٧
المشرع الاول :	فيما يجب من تهذيب النفس وتهيئتها للقبول وما يهذبها ويهيؤها قبل قراءة هذا الكتاب .	٩٩
المشرع الثاني :	فيما يجب الأخذ به من الاستظهار في قراءة الكتب الدينية ، وإتباع المعلمين ، وتعريف كتابنا هذا .	١٠٣
المشرع الثالث :	فيما يجب أن يقرأ قبل هذا الكتاب من الكتب ، ويجعله قبلة في المواظبة على تأمل ما فيه .	١٠٧
المشرع الرابع :	في الغرض المقصود في ترتيب أسوار هذا الكتاب بما نسوره من مشارعه على ما رتبت عليه .	١١١

صفحة	الموضوع	
١١٤	في بشارة من يقرأ كتابنا هـذا على سبيل الديانة من العابدين لله تعالى بالملة الحنيفية وعلى الترتيب المرتب في مسالك العبادة بالنجاة والنعيم في دار الأزل والبقاء .	المشرع الخامس :
١١٩	في بشارة من يقرأ كتابنا هذا لا على سبيل الديانة ولا على ترتيب العبادة ممن لا يرى العمل ويقصر في تقويم النفس بالعذاب الأليم الدائم الأبدي نعوذ بالله منه .	المشرع السادس :
١٢٣	فيما يحصل للنفس بقراءة هذا الكتاب واستيعاب ما فيه وتصوره من المنفعة في نيل الكمال .	المشرع السابع :
	السور الثاني	
١٢٧	في التوحيد والتقديس والتحميد والتمجيد الذي هو تاج العقول .	
١٢٩	في الله الذي لا إله إلا هو وبطلان كونه ليساً	المشرع الاول :
١٣١	في بطلان كونه تعالى أيساً .	المشرع الثاني :
١٣٥	في أنـه تعالى لا ينال بصفة مـن الصفات ، وأنه لا يجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاتـه عاقـل ، ولا يحس به محس .	المشرع الثالث :
١٣٩	في أنه تعالى لا صورة ، ولا مـادة ، ولا معه فيما هو ما يجري منه مجرى مادة يفعـل فيها فسبحانه وتعالى عن ذلك .	المشرع الرابع :

الموضوع		صفحة
المشرع الخامس :	في أنه تعالى لا ضد له ولا مثل .	١٤١
المشرع السادس :	في أنه لا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب عنه بما يليق به .	١٤٤
المشرع السابع :	في أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والإثبات ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى .	١٤٧

السور الثالث

	في القلم الذي هو الموجود الأول	١٥٥
المشرع الاول :	في إثبات المبدع الذي هو الموجود الأول وأن وجوده لا من ذاته وأنه علة تنتهي إليها الموجودات	١٥٧
المشرع الثاني :	في كون وجوده عن المتعالي سبحانه لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة بل على طريق الإبداع . وإن طلب الإحاطة بكيفية وجوده محال .	١٧١
المشرع الثالث :	في كونه عين الإبداع ، وعين المبدع ، وعين الوحدة ، وعين الواحد ، وإنه الموجود الأول الذي لا يتقدمه شيء ، ولا يسبقه في الوجود سواه .	١٧٦
المشرع الرابع :	في كونه كاملاً وإنه أزلي الآخر لا أزلي الأول وإنه لا يستحيل عما عليه وجد وأنه واحد لا مثيل له وإنه لا يعقل إلا ذاته فقط .	١٨١

الموضوع | صفحة

المشرع الخامس :	في ماهية جوهره ، وما الذي يلزمه من الصفات اللاحقة به ، وما الذي يلزم أن يكون حاملا مما اشتملت عليه ذاته ، وما الذي يكون محمولاً ، وإنه متوحد من جهة ومتكاثر من جهة أخرى .	١٨٦
المشرع السادس :	في أن مجده وبهاءه وجماله ومسرته بذاته أعظم من أن ينال بوصف ، وأنه ممتنع إحاطته بما هو خارج عنه الذي عنه وجوده ، وأنه مشتاق إلى ذلك ومتحير فيه ، وأنه الاسم الأعظم والمسمى الأعظم .	١٩٢
المشرع السابع :	في كونه هو المحرك الأول لجميع المتحركات وعلى أي سبيل يحرك ، وأنه العلة في وجود ما سواه . وأنه لا يحتاج في الفعل إلى غير ذاته ، وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته .	١٩٧
	السور الرابع	
	في الموجود عن الإبداع الذي هو المبدع الأول بالإنبعاث من القلم واللوح والمباديء الشريفة التي هي الحروف العلوية .	٢٠٥
المشرع الاول :	في كيفية الإنبعاث	٢٠٧
المشرع الثاني :	في المنبعث الأول الذي هو العقل الثاني ، المسمى في السنة الالهية بالقلم . وإثباته موجوداً ثانيا ، وإنه في الكمال كالأول ، وإنه لا جسم ولا في جسم ، وإن وجوده لا عن قصد أول .	٢١٢

الموضوع		صفحة
المشرع الثالث :	في المنبعث الثاني الأول القائم بالقوة الذي هو الهيولى المسمى في السنة الالهية باللوح . وأن وجوده عن المبدع الأول لا عن قصد أول ، وأنه لا يشبه الأول ، ولا ما يجمعه وإياه حكم الإنبعاث الأول وما السبب في ذلك ؟	٢٢١
المشرع الرابع :	في العلة التي لأجلها كان وجود ما وجد عن المبدع الأول الذي هو الموجود الأول لا من جنس واحد .	٢٣١
المشرع الخامس :	في الحروف العلوية التي هي المباديء الشريفة في عالم الإنبعاث الأول ، وعددها وما الذي وجد عن كل شيء منها .	٢٣٦
المشرع السادس :	في العلة التي عنها وجب وجود الحروف العلوية عن المبدع الأول والمنبعث الأول عقولاً سبعة مفارقة للأجسام .	٢٤٩
المشرع السابع :	في أن الموجودات عن الإبداع الذي هو المبدع الأول بالإنبعاث وجودها لا بزمان ، وإن كلها صور محضة إلا الهيولى فإنها هي واحدة من جهة وكثيرة من أخرى . وإنها لا تعقل إلا ذواتها ، وما تقدم عليها في الوجود .	٢٥٨
	السور الخامس	
	في الموجود عن المباديء الشريفة التي هي الحروف العلوية من الطبيعة وأجسامها العالية .	٢٦٧

صفحة	الموضوع	
المشرع الاول :	في ماهية الطبيعة ، وأنها بذاتها في عالم الجسم من جهة جوهرها شيء واحد ، ومن جهة أفعالها في موادها أشياء كثيرة .	٢٦٩
المشرع الثاني :	في أن للطبيعة نهايتين : نهاية أولة محيطة بما هي علة لها بها الوجود الأول الذي هو الكمال الأول ، ونهاية ثانية محاطة بما هي مفعولة لها بها الوجود الثاني الذي هو الكمال الثاني ، وأن محلها بين النهايتين ، وما هاتان النهايتان وما محلها ؟ وأن النهاية الثانية بما هي مركز عنه تتحرك المتحركات.	٢٧٦
المشرع الثالث :	في أن للطبيعة علماً ، وما ذلك العلم ؟ وإنها جامعة للفضائل بالجزء الذي هو نهايتها الثانية لها وأن لها الغنية والكمال باتصال بعضها ببعض .	٢٨٦
المشرع الرابع :	في الكرسي الذي هو الملك المقرب الذي هو المحرك المتحرك الأول بما هو محرك ، الذي هو الصورة المحركة لما هي فيه المسمى الفلك ، وسبب كونه محركاً ومتحركاً وأنه داخل الجسم . وما سبب كونه داخل الجسم ؟	٢٩٥
المشرع الخامس :	في العرش الذي هو المحرك المتحرك الأول بما هو متحرك الذي هو الفلك الأعلى ، وأنه جسم ومتحرك بما هو جسم وما يتلوه من الأجسام العالية وأعدادها الشريفة ، وأن الأفلاك ساكنة بكليتها ومتحركة بأجزائها .	٣٠٢

الموضوع **صفحة**

المشرع السادس : في أجسام الأفلاك وخصوصاً الفلك الأعلى ، وأنها أبسط أجسام دار الطبيعة ، وأنها محكمة لا تبيد ولا تستحيل عما هي عليه في جميع أحوالها ، ولا تقبل صورة غير ما هي لها . ٣٠٦

المشرع السابع : في أحوال الأجسام العالية وما يجري عليه أمرها في حركاتها وأقسامها وأفعالها التي هي الأسباب في وجود الموجودات الطبيعية . ٣١١

السور السادس

في الموجود عن الأجسام العالية من الأجسام السفلية وأحوالها . ٣١٩

المشرع الاول : في المادة الأولى التي عنها تكون الأجسام . ٣٢١

المشرع الثاني : في الأركان الأربعة ، وأحوالها وصورها الطبيعية الفاعلة ، وكيفية اتصال بعضها ببعض والفرق بينها وبين الأجسام العالية. ٣٢٨

المشرع الثالث : في حركات الأركان الأربعة . وأنها لا ثقل لها في مراكزها ولا لون ، وأنها هي الوسائط للأنفس في إدراك المحسوسات . ٣٤٨

المشرع الرابع : في الأركان الأربعة وأنها في ذواتها باقية وفي كميتها محفوظة لا تزيد ولا تنقص ، وأنها مستحيلة بأطرافها بعضها إلى بعض . ٣٥٧

	الموضوع	صفحة
المشرع الخامس :	في العلة الموجبة كثافة الأجسام وكثرة اجزائها	٣٦١
المشرع السادس :	في أن الأرض غير كرية وما علتها ، وما المستحق منها أن يكون مركزاً للجسم المحيط ، وما شكلها ؟ وأن الأجزاء الظاهرة منها للهواء لها حركة بها ينتقل ماء البحار ، وما تلك الحركة ؟ وأن منها ما ينعقد جبالاً شواهق وما علتها ؟	٣٦٨
المشرع السابع :	في أن الماء غير محيط بسطح الأرض ، وما علته ؟ وأن له زيادة ونقصاناً في البحر وما علته ؟ وأن صورة الظاهر منه للهواء صورة إنسان .	٣٧٩

السور السابع

	في الموجود عن الأجسام العالية والسفلية ناراً وهواءً وماءً وأرضاً من المواليد الثلاثة التي هي المعادن والنبات والحيوان .	٣٨٧
المشرع الاول :	في المادة الثانية التي عنها تكون المتولدات بما هو مزاج .	٣٨٩
المشرع الثاني :	في الموجودات في حيز الهواء من الآثار بما هو ممتزج وأحوالها .	٣٩٥
المشرع الثالث :	في المواليد الثلاثة التي هي المعادن والنبات والحيوان . وأولاً في المعادن بما هو جسم .	٤٠١

الموضوع		صفحة

المشرع الرابع :	في المعادن بما هي نفس طبيعية ، وأنها ذات أفعال وعلم ، وما ذلك العلم وما ذلك الفعل ؟	٤١٤
المشرع الخامس :	في النبات بما هو جسم وأنه أكثر تركيباً وأوفر آلة من المعادن .	٤١٧
المشرع السادس :	في النبات بما هو نفس نامية وكيفية وجودها ، وحالها مع جسمها وماهيتها ؟	٤٢٢
المشرع السابع :	في الحيوان بما هو جسم ، ومبدأ ظهوره وأنه أكثر تركيباً من النبات وأوفر آلة ، وأنه النهاية في الموجودات التي ليس وراءها موجود آخر .	٤٢٨
المشرع الثامن :	في الحيوان بما هو نفس حسية ووجودها وكيفية وجودها ووجود معارفها التي لها لحفظ جسمها وما حالتها في كمالها وقوتها وما مبدؤها ، وفي ماذا توافق نوع الإنسان وفي ماذا تخالفه .	٤٤٢
المشرع التاسع :	في نفس البشر بما هي حسية وما ماهيتها وما الأمور التي تحدث فيها وتتبعها في الوجود كالاً أولاً بها يكون اكتسابها الكمال الثاني وما علتها ، وما الغاية التي تبلغها في أفعالها .	٤٥١
المشرع العاشر :	في نفس البشر بما هي ناطقة ، وما حالها في هذه المرتبة ، وهل هي النفس الحسية بعينها فعلت مرتبتها ، أم للإنسان أنفس ثلاث نامية وحسية وناطقة على ما يقال ، وما هي ؟ أجوهر أم عرض ؟	٤٦٧

الموضوع	صفحة
المشرع الحادي عشر : في النفس الناطقة ، وما أفعالها ؟ وهل الأفعال تحصل في الوجود بمعاونة جسمها ومشاركته ، أم لها فعل تنفرد به من دون الجسم ؟ وما الفرق بين أفعالها ، وما الغاية التي تبلغها فيها ؟ وما كمالها الأول ؟ وما كمالها الثاني ؟ وما كيفية مصيرها عقلا تاماً باقياً ؟	٤٨٥
المشرع الثاني عشر : في النفس الناطقة بما هي باقية وما سببه ؟ وما الذي يكسبها البقاء والسعادة ؟ وما الذي يكسبها الهلاك والشقاوة ؟ وهل ذلك يكون لها من خارجها أم من جهة طبعها الذي منه وجودها ؟ وما الشقاوة ؟ وما السعادة ؟ وما موتها ؟ وما حياتها ؟	٤٩٦
المشرع الثالث عشر : في نفس البشر ، وما لها بعد انتقالها من الجزاء على اكتسابها ؟ وما البعث ؟ وما الحساب ؟ وما الثواب ؟ وما العقاب ؟ وما الجنة ؟ وما النار ؟ وكيف الحال في الجميع ؟	٥٠٥
المشرع الرابع عشر : في نفس البشر بما هي ناطقة مؤيدة من السماء وكيفية اتصالها بروح القدس ، ولم لم تكن الأنفس كلها مؤيدة في كل زمان ؟ وما الوحي الذي تؤيد به ، وكيف هو ، وكيف اتصاله بالنفس المبعوثة ؟ وهل اتصاله بها في حال كونها في رتبة الحسية أم في رتبة التخيل أم رتبة الناطقة ؟ وكم أقسامه ؟	٥٤٩

مقدمة
الطبعة الأولى

الإنسان بطبعه مفطور على الإبتكار والتطور ، ينهد دائماً إلى الخلق والإبداع ، ويتطلع بنهم وشوق إلى البحث عن الحقائق الكونية لمعرفة الأسرار والخفايا الكامنة وراء الأمور الغامضة ، والمشاكل المبهمة لإشباع غريزة التساؤل وحب المعرفة والطموح الفكري .

والإنسان منذ البدء ، شملت تأملاته ونظراته الكون والوجود والموجودات العلوية والسفلية ، ومظاهر الطبيعة والنظام الدقيق الذي يربط بين موجوداتها . وكان في كل عمل يقوم به واقعياً ، وكانت واقعيته في أن لا يؤمن بواقعية الواقع .!! لم تستهوه الكلمات ــ على جمالها ــ تلك المسطرة على سفر الكون ، فتعلم قراءة ما بين السطور . ولم يخفف من غلوائه ، مجهول ، مطلسم ، أو لغز مسحور ، فكان شعاره أن يحترق في ذاته ليستمد منها وقوداً أزلياً يدفع به صعداً إلى الأعلى ، فيتمثل الأمثل من خلال المثول ، ويتجسد المعنى من خلال التبصر بالشكل .!!

وفي حين يرتد البصر كليلاً ، وهو عاجز عن إختراق سجف الغيب ، ورصد اللآليء المكنوزة ، تراه يلوذ ببصيرته ويستعين بها عيناً لا يعيقها حاجز ، ولا تمنعها الأسوار والسدود .!!

ورقى الإنسان متجاوزاً السؤال : ما هذا ؟ إلى السؤال الأشد إحكاماً واستعصاء : لماذا ؟ وأخذ العقل ــ منذ ذاك ــ يفلسف ويعلل ويناقش . وعندها .. عندها فقط ، كان على الإنسان أن يتمثل خلقاً جديداً .!

لقد أدرك أن مفتاح الكنوز المرصودة ، وسفينة المعرفة الحقة ، هي النفوس الإنسانية عندما تلتقي بالضياء العقلي ، والنور السرمدي .. فاستلهمه

في كل أموره ، وتعبد له في شغف ووله شديدين ! تجاوز الأسباب إلى المسببات ، وتخطى المعلول إلى العلة ؛ وقاسى حرباً مريرة لم تنته بعد ، وهو كلما أحرز انتصاراً ، أو تقدم خطوة شعر بالحاجة الملحة إلى المزيد ، فاكتوى بلافح الشوق إلى المعرفة العقلية والحسية ، وتحلبت روحه المتعطشة لاغتراف المزيد ..

ومنذ البدء ، وإلى حيث لا تنتهي الحياة ، تبقى الحرب مستعرة بين الإنسان والحقيقة ، ويظل الإنسان جندياً مغواراً لا يعرف التراجع ، وملاحاً لا يعرف الهزيمة ..

وتمتد نشاطاته عبر الأكوان والموجودات ، ويحكم ربط الحلقات في سلسلة روحية علمانية يتخذها سلماً لعقله المتوثب ، وتضيق دائرة الكون أمام همته وطاقته الروحية الخلاقة المبدعة ، فيفيق – بعد كم من الزمن – على الحقيقة الراعبة : إعرف نفسك .!! هذا الجرم الصغير تنقلب الجبال أمامه أقزاماً ، وتختنق في أمواجه البحار والمحيطات ، وتتكثف في خطوها الأزمان ..!!

وينعطف الإنسان على نفسه التي أهملها أجيالاً مديدة ؛ فإذا بها الآفاق الشاسعة التي لا تحد ، وإذا بها العلة الأزلية الكبرى ، فيرتمي فرحاً على أعتابها المرمرية وهو يردد : سبحانك اللهم « لقد خلقت الإنسان في أحسن تقويم » .!!

وكان أن غاص في عالم النفس ، فتشعبت دروبه ، وتعددت وسائله بتعدد احتياجاته ؛ فإذا الطرق عديدة متعددة ، وتبقى الغاية واحدة وحيدة . ومع حصاد الزمن في موسم القطاف نقف على المذاهب المتغايرة ، والمدارس المتباينة ، والآراء المتشابكة ؛ وتستمر حركة العقل في تردد واهتزاز عنيف عاصف ، وهيهات هيهات أن تهب الحقيقة رأسها هدية على طبق من فضة !!

وليس في هذا مدعاة للتشاؤم ، فإن للإنسان البحاثة لغة لا تعرفها القواميس ، ولا تحصر حدودها الرموز والمصطلحات .. إنها اللغة التي قدت

من ضلوع الشمس ، ونسجت من أهداب الخلود ..

ومع دوامة الفكر الوثاب المتفاعل تشع شموس ، وتتلألأ كواكب ونجوم ، فمن كان إشعاعه اكتساباً غيبه الظلام الحالك ، ومن كان سديمياً في أنواره طغت عليه الشموس الإلهية السرمدية ؛ وتبقى للإنسان فضيلة الإقدام والكشف ؛ طالما أن بمقدوره أن يصير شمساً لا تغيب .! فمن أي هذه الشموس كان شيخنا الأجل حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني ؟

مما لا شك فيه أن كل عمل علمي بحاجة إلى إعادة النظر فيه على ضوء التطورات العلمية الحديثة لذلك كانت تعتلج في صدري منذ أن عرفت هذا السفر النفيس الخالد الذي تتجسد فيه شخصية الفكر الاسماعيلي بوضوح ، والذي رصع أسواره المعلم الأكبر عملاق فلاسفة الإسماعيلية – الكرماني – بالدرر الثمينة النادرة ، وزين مشارعه بالجواهر الفلسفية النفيسة ، والحكم التأويلية الباطنية الخالدة، التي تدل دلالة واضحة على ما كان يتمتع به من إلمام واسع بألوان العلوم المختلفة ، لاسيما ما كان منها عقلياً ، كما تشير بجلاء إلى رسوخ قدمه في الأصول والأحكام الإسماعيلية ، والعلوم الشرعية الإسلامية ، والمسالك التوحيدية ، والإشراقات العرفانية ؛ هذا بالإضافة إلى المهارة الفائقة والمعاني الرشيقة في زخرف الألفاظ العذبة ، والقدرة العجيبة التي تستمد طاقاتها الفلسفية ورموزها الباطنية والتأويلية من كنوز القرآن الكريم الخفية ، ومن الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت (ع) والمتناولة لأكثر ما يمس حياة الإنسان وتفكيره وعقائده ؛ ومن ذات تفكيره الشخصي الذي يتجاوب ومنطق التطور العقلي الحديث وحكمة الكتاب الكريم .

أقول تعتلج في صدري الرغبة الملحة لاعادة تحقيق هذا الكتاب ونشره ليوضع موضع التداول بين أيدي الباحثين المهتمين بالبحوث الفلسفية الإسلامية ولرأب ما لمسته من نقص في تكوين الأفكار الصحيحة عن الخفايا والأسرار الكامنة خلف بعض الرموز والمصطلحات التأويلية الإسماعيلية ، يقضي الواجب العلمي بأن يكشف الستار عنها ؛ ولكنني أحسست بأن الطريق

ضيق ، صعب المنعطفات ، وعر المسالك ، لأن كتاب (راحة العقل) من العلوم السرية التي لا يعرفها إلا الخواص من العلماء وكبار الدعاة الذين أوتوا بنصيب وافر من العلوم الفلسفية والعقائدية . لأنه وضع لفئة خاصة من الدعاة – المعروف أن العلوم الإسماعيلية لم تكن يوماً من الأيام مشاعاً بين الناس – يجب أن تتوفر فيهم الشروط العقلية لاستيعاب مضمونه ، وفك بواطن رموزه وإشاراته ؛ هذا بالإضافة إلى أن موضوعه من المواضيع العقلانية العرفانية الصعبة الدقيقة الخطيرة التي لا يفهمها إلا موحد صميمي تعمق في دراسة العقائد الباطنية التي يصعب على الجماهير استيعابها وسبر أغوارها ، لأنها أعلى من مستواهم الفكري .

باعتقادي أن مرد ذلك إلى أن هذه الألوان من العلوم العقلانية التوحيدية العرفانية تتطلب نضجاً فكرياً ومستوى معيناً من المعرفة .

هذه الحقائق ليست في حاجة إلى تحليل ومناقشة واستنتاج لأن المؤلف بالذات قد نصح من يرغب قراءة كتابه هذا بوجوب التلفت إلى كتب أخرى غيره تهيىء عقله لاستيعاب ما يجده من الحقائق والحلول العقلية الخالصة التي قوامها النظر المجرد ودعامتها الحجة المنطقية . كما أشار إلى أن من يستهين بهذه النصيحة ولا يعمل بها يظلم نفسه ، لأن قراءة « راحة العقل » لوحده من غير تلك الكتب الإسماعيلية التي سماها المؤلف « كالسم الزعاف الذي يؤدي إلى الهلاك وأليم العذاب » بينما يصبح مع تلك الكتب والتعمق بدراستها كالترياق يكسب الصحة وجميل الثواب .

ولا بد لنا من التنويه بفضل الدكتورين – محمد كامل حسين ، ومحمد مصطفى حلمي ، اللذين حققا الطبعة الأولى من هذا السفر بالرغم من أن معرفتها بخفايا الرموز والمصطلحات التأويلية والتوحيدية الإسماعيلية لم تصل بنظرنا إلى درجة كافية من الإحاطة والإستيعاب تسمح لهما بالكشف عن الحقائق الكامنة خلفها ، لأن ذلك يحتاج لرجال الدعوة المختصين بتفسير نصوصها ، وفك ما غمض من رموزها وإشاراتها .

لذلك نعذرها اذ جاءت مقدمتها مضطربة لا تعكس واقع العقائد العرفانية التوحيدية الإسماعيلية ولم تعط صورة صحيحة عنها .

ولا نقصد بذلك الإساءة اليها بل بالعكس إن وجهة نظرها – على علاتها – تستحق الإحترام والتقدير ؛ إنما رائدنا إجلاء بعض النقاط الهامة الغامضة التي خفيت عليها خدمة للعلم والحقيقة .

ونرى من واجبنا قبل أن نتناول الكتاب بالمناقشة والتحليل أنه لا بد إتماماً للفائدة من إعطاء القاريء فكرة جلية واضحة عن الدعوة الإسماعيلية وأصولها وأحكامها ومدارسها الفكرية ، وعن المحور الرئيسي الذي تدور عليه عقائدها .

الدعوة التوحيدية الاسماعيلية

مهما كثرت وتنوعت الأبحاث عن الدعوة التوحيدية الإسماعيلية فسيظل أمر الكشف عن حقيقة هذه الدعوة السرية الباطنية التي رجت العالم الإسلامي من الألغاز المستعصية التي يصعب حلها وتفسيرها .

ونستطيع أن نقول ونحن واثقون بأن آثار الدعوة العرفانية لإسماعيلية العلمية والتاريخية لم تدرس حتى الآن الدراسة الكافية ، وعقائدها لا يزال يكتنفها الغموض تغمرها التقية بأمواجها الصاخبة ، لأن الآثار والنصوص التي نقلت الينا حتى الآن لا تزال بالرغم من تقدم العلم والمعرفة مضطربة مبلبلة متناقضة ، تصبغها في الغالب صبغة خاصة من التحامل والتعصب الديني ؛ وتطبعها النزعات الشخصية والسياسية ، هذا بالإضافة إلى ضعف التحليل وتصور الإستنتاج المبني على الوهم والخيال . لذلك لا نجد بين الذين عالجوا الموضوعات الإسماعيلية من استطاع أن يوصلنا إلى الهدف العلمي الكامل والمعرفة التامة ؛ أو تمكن أن يدلنا على مفتاح كنوز الدعوة الثمينة ، وثرواتها الفكرية العظيمة ، وذخائرها الفلسفية الغالية التي طبعت العصور السالفة بطابع عميق من حياتها العقلية الراقية ، ونثرت حولها فيضاً من العلم والمعرفة .

وبنظرنا أن المؤرخين الذين كتبوا عـن الإسماعيلية في العصور السالفة محاولين تشويه سمعتها ، لو قدر لهم أن يعيشوا إلى هذا اليوم ويروا باعينهم آثار ومصنفات الإسماعيلية لتنصلوا مما ذهبوا إليه . ومهما يكن من أمر فلا بد من أن نعترف بأن أغلب الباحثين المعاصرين الذين خاضوا غمار الفكر الإسماعيلي الزاخر بالعلوم والمعارف قد نقلوا الينا كثيراً من الفصول والشذور الهامة ، ولاسيما عن العصر الفاطمي ، تختلف دقة وشمولاً . كما حاول البعض سبر أغوار الأصول والأحكام الإسماعيلية المستعصية للوصول إلى كنه الحقيقة المحتجبة وراء سجف الستر والتقية . ومن الإجحاف أن لا نقر لهؤلاء الباحثين جهودهم ومحاولاتهم التي تستحق التقدير والإعجاب .

إن أول من بحث في تاريخ الدعوة الإسماعيلية المؤرخ (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) المتوفى سنة ٣١١ هـ واقتصر بحثه على ذكر بعض المعلومات العقائدية التي زعم أنه وجدها في كتاب منسوب إلى القرامطة . وجاء بعده (غريب بن سعد القرطبي) المتوفي سنة ٣٨٠ هـ فوضع ذيلاً لكتاب الطبري استعرض فيه المعلومات التي أوردها الطبري ، وزاد عليها بحثاً عن قرامطة البحرين بزعامة أبي سعيد وأبي طاهر ، وأضاف بحثاً مفصلاً خاصاً بالدعوة الفاطمية في أفريقية ، وبالنصر النهائي لعبيد الله المهدي . ولكنه كان كالطبري سطحياً لم يحاول تحليل الروابط بين الحركتين الإسماعيلية والقرمطية .

ومن ثم طلع علينا (المسعودي) المتوفى سنة ٣٤٤ هـ في كتابيه التنبيه ومروج الذهب، بصفحات قليلة عـــن القرامطة يمكن القول انها أحدث من معلومات الطبري .

وزعم (ابن رزام) الذي عاش في أوائل القرن الرابع الهجري انه اطلع على مباديء الباطنية ونظام التأويل لديها ، وعرف مراتب التنشيء ، كما أدرك العلاقات بين القرامطة والفاطميين في أفريقية واليمن ، لكن بالرغم من كل هذه المزاعم فقد ظل بعيداً عن الحقيقة لاعتماده الكلي على الخيال والإستنتاج.

وعالج أعمال القرامطة الحربية المؤرخ (حمزة الأصفهاني) الذي عاش في القرن الرابع الهجري بـــدون أن يتعرض إلى مباديء دعوتهم الفلسفية

والعقائدية ، ولا إلى علاقتهم بغيرهم .

وجاء (الصابي) المتوفى سنة ٤٤٧ هـ ، ومسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ فكتبا بحوثاً طويلة في هذا الموضوع جاءت مخالفة للواقع والحقيقة وبعيدة تمام البعد عن البحث العلمي . ومن المؤرخين الذين نهجوا نهج ابن رزام (نظام الملك) و (ابن شداد) و (أبو الفداء) و (رشيد الدين) و (النويري) .

ويعتبر المؤرخ (المقريزي) في طليعة المؤرخين الذين أنصفوا الإسماعيلية فبحثوها بحثاً مستفيضاً على أسس صحيحة من التجرد والنزاهة . ووضع (أبو الحسن الأشعري) المتوفى سنة ٣٢١ هـ بعض النصوص المفصلة المفيدة . ومن المؤرخين المتعصبين الذين حاولوا تشويه سمعة الدعوة الإسماعيلية (أبو منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي) المتوفى سنة ٤٢٩ هـ . و (الشهرستاني) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ . و (جمال الدين بن الجوزي) المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . و (الغزالي) المتوفى سنة ٥٠٥ هـ .

وبالإضافة إلى كل هؤلاء نذكر (أبو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي) و (النجاسي) و (الطوسي) و (النوبختي) و (الأستربادي) و (ابن خلدون) و (السيوطي) و (ابن القلانسي) و (بن النديم) و (النيسابوري و (ابن خلكان) و (ابن الأثير) و (ابن حوقل) و (ثابت بن سنان) .

ولا شك عندي في ان ما ذهب اليه أغلب هؤلاء المؤرخين الذين عالجوا الإسماعيلية في العصور السالفة من مسلمين ومسيحيين إستناداً إلى معلومات خرافية نسبت اليهم لا تثبت أمام النقد العلمي الحديث .

فإذا قارنا ما دونه خصوم الإسماعيلية مع النصوص والكتب الإسماعيلية التي خرجت من كهوف التقية وجدنا ان كل ما نسبه اليها كتبة الأعصر السالفة يشوبه كدر الخصومة السياسية والدينية ، ولا يتفق مع الواقع والحقيقة خصوصاً ما قيل عن مناقبهم وسلوكهم الإجتماعي والخلقي .

والجدير بالملاحظة أن الخلفاء العباسيين اتخذوا من التهم التي تهدف إلى

تجريح الإسماعيلية والطعن في معتقداتها بدافع الصراع العنيف سلاحاً يشهرونه في كل مناسبة للنيل من الإسماعيلية وتشويه سمعتها في العالم الإسلامي .

لذلك لا نستغرب إذا وجدنا الناس على كر العصور يحكمون على الإسماعيلية بما جاء به اعداؤها الألداء .

ولا ننكر أن الصراع بين مختلف المذاهب في ذلك الحين ، بلغ من العنف والإحتدام شأوا بعيداً ، وكان لزاماً على كل فرقة أن تعمد إلى دحض الإتهامات التي يلصقها بها خصومها ، فتولد عن ذلك شحذ الفكر ، واستنشاط الهمم العلمية ، فكثر الجدل والمناظرات ، مما تسبب بايجاد ثروة علمية شغلت الفكر زمناً طويلاً ، وتمخض عنها العديد من النظريات الفلسفية التي لم يكن للعالم الإسلامي آنذاك سابق وعي لها .

ومما لا شك فيه ان الإسماعيلية كانت السباقة في هذا المضمار ، ويعود لها الفضل الأول في اقتحام ميادين الجدل والفلسفة ، وفتح مغاليق النفس البشرية إلى دنيا زاخرة بالمعرفة والكوامن الفلسفية ، فكانوا بحق رواد الفكر الإسلامي في عالم الفلسفة ، وحملة مشعل العلم زمناً طويلا ، وأصبحت الإسماعيلية مادة البحث لدى الفلاسفة والمؤرخين العالمين ، وكنزاً غنياً للأقلام ، ومادة وفيرة للكتاب حتى الآن .

وفي مطلع هذا القرن بذلت محاولات عديدة ، ونشرت حول الدعوة الإسماعيلية نصوص ومؤلفات كثيرة لا بد لنا من الإتيان على ذكر بعض العلماء والمستشرقين والباحثين المعاصرين الذين خاضوا في مجالات الإسماعيلية الزاخرة بالعلوم والمعارف محاولين الوصول إلى حقيقة هذه الدعوة .

تذكر النصوص العلمية الحديثة أن الكتابة عن الإسماعيلية بدأت بالفعل عندما نشر المستشرق الافرنسي (S , Guyard) بعض المقتطفات الإسماعيلية التي وجدها أثناء تنقيباته في مدينة مصياف السورية ، ونشرت بعض المجلات الروسية قطعة أو قطعتين وجدتا عند إسماعيلية آسيا الوسطى ، وعثر (E , Griffini) سنة ١٩٠٥ م على عدد من مصنفات الإسماعيلية في اليمن ، وأجمل بعضها في مقال عام . وقد تم خلال السنين التالية بفضل دوزي ،

وارنولد ، وسيلفستر دي ساسي ، ودي فريميري ، وبرنس مامور ، وموريس باريس ، وبروكلمن ، وشتروتمان ، ومينورسكي ، وبراون ، وبرناردلويس ، وكراوس ، وسترن ، وكوربان ، وماسينيون ، وحتي ، وهودكسن ، ومحمد كامل حسين ، وحسين همداني ، وآصف فيضي ، وعادل العوا ، وجميل صليبا ، وطه أحمد شرف ، وزاهد علي ، وحسن ابراهيم حسن ، الكشف عن بعض كنوز الدعوة الإسماعيلية ودرست بعض مسائلها السرية دراسة مستفيضة موفقة تستحق التقدير والإعجاب لتأثيرها التطوري في المد الفكري الحديث .

هذا بالإضافة إلى النصوص والكتب الإسماعيلية العديدة التي حققها ونشرها بالإنجليزية المستشرق الروسي (W . IVANOW) والتي يطبعها الاتزان العلمي والنقاش التاريخي المنطقي . ومهما يكن من أمر نستطيع أن نقول بأن الدراسات الإسماعيلية خلال هذا القرن قد تطورت تطوراً ملحوظاً حتى شملت جميع النواحي الفكرية والعقائدية والتاريخية ، فظهرت إلى عالم الوجود مصادر ونصوص قيمة كانت تعيش في طي الكتمان حيث ألقت بعض الأضواء على أصول وأحكام وفلسفة هذه الدعوة السرية التي أنارت السبيل ومهدت الطريق للدور الفلسفي الذي قام باعبائه العرب والمسلمون من بعدهم .

لعل الحدث التاريخي الهام الذي تبلورت فيه الدعوة الإسماعيلية وبلغت حد الوضوح الكامل من حيث الشكل والمبنى يعود إلى اليوم الذي اعلنت فيه وفاة الإمام جعفر الصادق (ع) سنة ١٤٨ هـ حيث حدث انشقاق كبير بين شيعته فانقسموا إلى فريقين :

فريق نادى بأفضلية إسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق لمركز الإمامة المستقرة باعتباره صاحب النص الشرعي ، وهذا الفريق لم يتنكر لأخيه الأصغر الابن الثاني لجعفر الصادق المعروف بالكاظم بل رشحه لمركز الإمامة المستودعة التي تلي مركز الإمامة المستقرة .

وفريق آخر اعتبر موسى الكاظم الإمام المستقر دون أخيه الأكبر إسماعيل ومن صلبه استمرت الإمامة حتى محمد بن الحسن العسكري الذي يطلقون عليه لقب (المهدي المنتظر) ، وأتباعه ينتظرون عودته بعد أن غاب في سرداب

بمدينة سامراء ـ شمالي بغداد في العراق ـ وكان غيابه في هـذا السرداب خوفاً على نفسه من بطش العباسيين وتنكيلهم بالشيعة عامة وأهـل البيت خاصة ، ويقول شيعته : أنه سيظهر يوم القيامة على أنه القائم المنتظر الذي سيملأ الدنيا عدلاً ، ويرد الحـق إلى أهله في الأيام القلائـل التي تسبق يوم القيامة ؛ وأكثر الشيعة في إيران والعراق وسورية ولبنان الآن يدينون بامامة الأئمـة الأثني عشر الذين غاب آخرهم كما نوهنا حوالي سنة ٢٦٠ هـ . وسميت هـذه الفرقة بالموسوية نسبة إلى الإمام موسى الكاظم (ع) أو بالإمامية الاثني عشرية نسبة إلى عدد الأئمة . أما الفرقة الأولى التي ساقت الإمامة في اسماعيل ابن جعفر الذي نص على إمامته في حيـاة أبيه فأصبحت كلمـة باقية في عقبه فتعرف بالإسماعيلية أو الباطنية ، أو التعليمية ، أو السبعية ، أو التوحيدية ، أو الفاطمية . وتدور حول هذا الإنشقاق قصص وأحاديث وروايات كثيرة لا نود أن ندخل في بحثها ومناقشتها وتحليلها لأنها تشكل بحد ذاتها موضوعاً مستقلاً ، ولكن هناك ناحية هامة لا بد من الإشارة إليها وهي : هل بذرت بذور الدعوة الإسماعيلية في عهد إسماعيل بن جعفر ؟ أم في عهد ولده محمد بن إسماعيـل ؟ أم أن الإمام الصادق هـو الذي وضـع اللبنة الأولى في صرح هذه الدعوة ؟

الواقع أن النصوص الإسماعيلية السرية الموجـودة لدينا تشير بصراحـة ووضوح إلى أن بذور هذه الدعوة التوحيدية العقلانية التعليمية قد بذرت في عهد الإمام جعفر الصادق ، وكانت منذ نشأتها الأولى سرية يعمل على نشرها وترويجها في الخفاء الإمام إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه وبمساعـدة حدوده ودعاته الأربع الحُرُم (ميمون القداح ، مبارك بن جعفر ، والمفضل بن عمر ، وحمدان بن أحمـد) ولكن بعض علماء الإسماعيلية يذهبون إلى القول بأن دعوتهم قديمة تمتد في قدمها إلى بدء الخليقة ، وأن التسمية الإسماعيلية بدأت منذ عهد إسماعيل بن ابراهيم الخليل (ع) .

ومهما يكن من أمر فإن البذور الإسماعيلية التي زرعت في عهـد الإمام

جعفر الصادق قد نمت وترعرعت في عهد ولده إسماعيل فحركت العقول وأخرجتها من عزلتها ونطاقها الضيق إلى عالم فسيح عابق بالعلم والمعرفة .

وجاء بعد الإمام إسماعيل ولده محمد بن إسماعيل وكان على جانب عظيم من العبقرية والثقافة ، راجح الفكر ، ثاقب النظر ،ركز دعوته على أسس علمية تنظيمية متينة ، ولما اشتد ضغط العباسيين استطاع أن يخرج سراً من المدينة ويتوغل في شرق المملكة الإسلامية ثم توجه إلى الري ومنها إلى دوماوند واستقر بقرية (سملا) التي أطلق عليها فيما بعد اسم (محمد آباد) نسبة اليه . ويرى بعض المؤرخين أنه قصد فرغانة واستقر بها . بينما يرى البعض الآخر أنه استقر في نيسابور حيث تزوج هناك وأنجب ابنه عبد الله الرضي الذي عهد إليه بالإمامة من بعده .

ومن استقراء التاريخ نلاحظ أن الإمام محمد بن إسماعيل كان دائم التنقل لا يستقر في مكان حتى يذهب إلى آخر ، فطوراً في فرغانة والري وسملا ، وطوراً في العراق وسورية ينشر التعاليم ويبذر البذور .

ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين ، والناطق السابع ، لأن إمامته حسب ترتيب الدعوة الإسماعيلية الفلسفي السابع ، والإمام السابع له اعتبار خاص فهو صاحب نشرة علمية انتقالية ، وناسخ عهد وفاتح عهد ، يجمع بين النطق والإمامة ، فهو صاحب شريعة وحقيقة لذلك نراه ينادي بالتأويل ، ويهتم بالباطن ، لأنه حسب رأي الداعي أدريس عماد الدين خاتماً للاسبوع ، ناسخاً لشريعة صاحب الدور السادس ، ببيان معانيها ، واظهار باطنها المبطن فيها . باعتباره سابع الأئمة وقائمهم ، مقابل لجده الإمام علي أمير المؤمنين تمام الدور الروحاني ، والخلق الآخر الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام الدور الأول ، ومنه ابتداء الدور الثاني . وهو متم الدور المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به ، المشتمل على مراتب حدودها ، المحيط بعلومهم . وهو الإمام القائم بالقوة ، صاحب الكشفة الأولى ، لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي ، الذي هو صاحب الكشفة الأخرى ،والبطشة العظمى ، قائم القيامة الكبرى ، لأن القيامات كثيرة ، أولها

المأذون المكفوف ، ثم المأذون المطلق ، ثم الداعي المحرم ، ثم الداعي المطلق ، ثم داعي البلاغ ، ثم الحجة ، وغايتها الباب . وإنما كانت هذه الحدود قيامات ، كقيام كل واحد منهم بما يتصل من الصور المجردة المفارقة للأجسام الصائرة إلى أفقه المعروفة به .

ويتلو هذه القيامات قائم قيامة كبرى ، وهو المقام الذي هو الإمام عليه أفضل السلام ، فهو قائم القيامة ونهاية النهايات ، وكل أحد ممن ذكرنا قائم بالنسبة إلى من دونه . ويتلوهما جميعاً قائم القيامة الكبرى ، صاحب البطشة العظمى ، المجتمعة عنده جميع المقامات ، وهو لهم غاية الغايات الشريفة ، الجامع لها ... وإنما وقع عليه اسم الناطق السابع لنطقه بالأمر الإلهي ، وجمعه للفضل الذي هو اليه متناهي ، وليس بتم ولا رسول ، بل هو منفرد برتبة الوحدة ، وقد تم التمام ، واتسق النظام . وإنما خص محمد بن إسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر لأنك إذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره ، كان خاتمهم الناطق ، وهو نوح عليه السلام .. وإذا عددت عيسى ووصيه وأئمة دوره ، كان محمد (ص) متسلماً لمراتبهم ، وهو الناطق الخاتم للنطقاء ، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً . وإذا عددت الأئمة في دوره ، كان محمد بن إسماعيل سابعهم ، وللسابع قوة على من تقدمه . فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للاسبوع وقائماً ، وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس ببيان معانيها ، وإظهار باطنها المبطن فيها . ومحمد بن إسماعيل حسب النظرية الإسماعيلية الفلسفية المتعلقة بالأدوار والأكوار والفترات والقرانات لم يبطل شيئاً من ظاهر شريعة جده محمد (ص) بل أكدها ، وأمر بالعمل بها ، وأبان معانيها ، وأظهر باطنها المبطن فيها ، بالتأويل والكشف عن الحقيقة التوحيدية العرفانية ؛ وعلى ذلك سنة الأئمة الطاهرين من أبنائه التابعين لهم ، دون ترك أو إبطال ، ويقول الإمام المعز : « وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد ، لما كان لمعانيها مبيناً ، ولأسرارها كاشفاً ومجلياً » . فأزال عن أتباعه وأشياعه اعتقاد الظاهر ، على ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق بمخلوقاته ، وتمثيل وتجسيم للملائكة الروحانيين ، واعتقاد لذلك ، على ما هو موجود في هذه

الدار . فعطل ذلك الاعتقاد ، وبين فيه المراد ، كشفاً للحقائق ، وإظهاراً للبيان الصادق ، وقياماً بالتأويل الذي عرف فيه التوحيد بحقيقته ، ونزه الباري سبحانه عن صفة خليقته ، وعرفت الملائكة بجوهرها اللطيف ، وبين الثواب والعقاب على ما يعتقده أهل التجسيم والتكثيف .

ولا بد من الإشارة إلى أن الإمام محمد بن إسماعيل ترك عدداً من الأولاد منهم ولده الأكبر عبد الله الذي ولاه عهده وقد شاع لقبه بالرضي ، أما الإسماعيلية النزارية فيذهبون إلى أن لقبه (أحمد الوفي) وليس (الرضي) ومن الأرجح أن يكون هذا الإلتباس بالألقاب قد ارتكب نتيجة لسرية الدعوة ولكثرة الدعاة الذين كانوا كما يذكر الداعي أدريس عماد الدين المؤرخ الإسماعيلي يسمون باسم الإمام للتغطية ، وحفاظاً على الإمام من الاضداد . وباعتقادي أن الاسم الحقيقي هو (عبد الله) ولقبه (أحمد الوفي) لأن النصوص الإسماعيلية السورية النزارية الموجودة بين أيدينا تعتبر عبد الله الرضي الإمام الثاني بعد أحمد الوفي ويعتبرونه ابناً للإمام محمد التقي ، ذلك ما تؤكده شجرة نسب الأئمة المستورين ، الذين عاشوا في سلمية ، وبنظري أن المصادر المأخوذة حول هذه المشكلة من الكتب الإسماعيلية السورية أدق وأصح وأثبت من غيرها من المصادر .

هذا بالإضافة إلى أن نظام الدعوة الإسماعيلية السري يفرض في دور الستر والتقية أن يتسمى الباب ، والحجة ، والدعاة الأربعة الحُرُم ، باسم الإمام القائم بالفعل حرصاً على سلامته ، مما أدى إلى التباس الأمر على الباحثين فاصبح من المتعذر عليهم أمر تحقيق شخصية الإمام ، وليس هذا بغريب على المطلع على الأصول والأحكام الإسماعيلية التي تجعل من المستحيل على أقرب الناس حتى على دعاة الجزائر أنفسهم معرفة شخصية الإمام بالذات في دور « التقية » .

ولما استقر الإمام محمد بن اسماعيل في مدينة تدمر السورية عمل بجد ونشاط على نشر دعوته وتنظيمها ، ثم وزع الدعاة الأكفاء ذوي الخبرة الواسعة ، والولاء الخارق على جميع البلدان الإسلامية ، وأوفد إلى المغرب

لداعيين الكبيرين الحلواني ، وأبا سفيان ، وقال لهما : « انكما ستدخلان أرضاً بوراً لم تحرث قط فاحرثاها ، وكرماها ، وذللاها ، حتى يأتي صاحب البذر فيضع حبه » .

ولما أدركته الوفاة سنة ١٩٣ هـ دفن على رأس رابية تقع في الشمال الشرقي من مدينة تدمر السورية ولا يزال ضريحه فيها حتى الآن ويعرف لدى العامة بضريح (مولاي محمد بن علي) .

وبعده جاء ولده (أحمد الوفي) فنقل مركز دعوته إلى سلمية ـ سورية وأقام فيها متستراً حيث جمع حوله نخبة من كبار الدعـــاة والعلماء ، فخطط لهم الأنظمة الخاصة بالدعوة وترتيباتها ، ثم قام بوضع احـــدى وخمسين رسالة فلسفية سماها (رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفـــاء). وتذكر المصادر الإسماعيلية السورية ان السبب في تأليف هـذه الرسائل هو أن المأمون العباسي أراد أن يظهر علم الهيئة ويجعل معرفتها الدين ، وان الهيئة المبدأ والمعـاد ، وعلى معرفتهـا الحساب والثواب والعقاب ، ليرى الخلق أن الذي جاء به محمد (ص) لا أصل له ، وان الصحابة لما لم يتيقنوا ذلك عملوا بعلي عليه السلام ما عملوا ، وانهم في ذلك مصيبون، وان لا ذنب عليهم ، ولا عيب ينسب اليهم في قتل ذرية النبوة قضاء بما قتل من دعاة قريش ، فلما علم ولي الحق ذلك صنف الرسائل . ويذكر التاريخ ان الذين قاموا بتأليف هذه الرسائل كانوا من العلماء ، فامامهم عالم كبير ومؤلف ذائع الصيت ، وحجته عبدالله بن ميمون القـداح من أبرز علماء عصره ؛ وحدوده ودعاته ممـــن برزوا في العلم والفلسفة في عصرهم ، ولقد لخص الإمام (أحمد الوفي) هذه الرسائل برسالة واحدة سماها الرسالة الجامعة .

ومع مرور الأيام أصبحت سلمية قاعدة رئيسية لانطلاق الدعاة ودار هجرة للأئمة المستورين الذين كانت عهودهم عهود خصب وانتاج فكري .

وفي سلمية نص الإمام (أحمد الوفي) على امامة ولده (محمد التقي) من بعده وانتقل إلى بلدة مصياف حيث مات فيها ودفن بأعلى قمة جبلها بمكان

يعرف (بالمشهد) وكان ذلك سنة ٢١٢ هجرية .

ثم تسلم الإمامة رضي الدين عبدالله بعد وفاة أبيه واتخذ الحسين بن عبدالله بن ميمون القداح حجة له وحجاباً عليه ، وفوضه باجراء الترتيبات اللازمة لتعديل نظم الدعوة السرية ، والإستعاضة عنها بتنظيمات جديدة تتناسب مع العصر الذي يعيشون فيه ، وذلك بنقلها من طور التأسيس والتكوين وايجاد النظريات الفلسفية والإجتماعية إلى طور العمل والظهور من أجل تأسيس دولة اسماعيلية قوية ، وبالفعل وزع الدعاة بعد أن زودهم بالتعليمات الجديدة ، ونص على مشهد منهم على إقامة ولده محمد المهدي (عبيدالله المهدي) من بعده وقال له : « انك ستهاجر بعدي هجرة وتلقى محناً شديدة » . وظل هذا الإمام في سلمية حتى وافته المنية سنة ٢٧٩ ه.

وبعد أن تسلم ولده عبيدالله المهدي الإمامة توجه سراً إلى المغرب حيث أعلن الخلافة الفاطمية التي مهد لها الداعي (أبو عبدالله الشيعي) في السابع من ذي الحجة سنة ٢٩٦ ه.

وفي ذلك اليوم المشهود قامت الدولة الإسماعيلية – الفاطمية – التي امتد نفوذها فيما بعد من المحيط الأطلسي غرباً إلى بلاد العراق شرقاً ، ومن جبال طوروس شمالاً إلى بلاد السودان جنوباً ، وكانت هذه الدولة مضرب الأمثال في ازدهار الحضارة الإسلامية ، وفي السياسة والدين والثقافة .

وبعده تسلمها ولده القائم بأمر الله أبو القاسم محمد ، وكان في الثالثة والأربعين من عمره عندما تمت له البيعة بعد وفاة أبيه عام ٣٢٢ ه.

وفي ١٣ شوال سنة ٣٣٤ ه. اعلنت وفاة الامام القائم فجلس على أريكة الخلافة من بعده ولده المنصور إسماعيل الذي أسس مدينة المنصورية سنة ٣٢٧ ه. تيمناً بما حققه من انتصارات رائعة ، واتخذها عاصمة لدولته .

ثم تعاقب على الخلافة من بعده المعز لدين الله سنة ٣٤١ ه. الذي

حقق حلم آبائه من الأئمة فافتتح مصر سنة ٣٦٥ هـ. على يد قائده جوهر الصقلي ، وشيد مدينة القاهرة ، والعزيز بالله سنة ٣٦٥ هـ. الذي أجمع المؤرخون الذين عاصروه على أن عهده كان من أزهى العهود التي مرت فيها الخلافة الفاطمية .

ولما أعلنت وفاة العزيز في مدينة بلبيس يوم الثلاثاء ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ هـ . بويع ولي عهده الحاكم المنصور بالخلافة في بلبيس ، وفي صباح اليوم التالي — يوم الاربعاء ٢٩ رمضان — سار إلى القاهرة في موكب فخم وأمامه جسد أبيه ، وقد وضع في عمارية برزت منها قدماه ، وعلى رأسه المظلة ، وبين يديه البنود والرايات . وقد ارتدى دراعة مصمت ، وعمامة يكللها الجوهر ، وتقلد السيف ، وبيده رمح. فدخل القاهرة عند الغسق وأخذ في تجهيز أبيه ، حيث دفن إلى جانب أبيه المعز في حجرة القصر . وفي صباح اليوم التالي سلم عليه الجميع بالإمامة ، وباللقب الذي اختير له وهو : (الحاكم بأمر الله) ونودي في القاهرة والبلدان ، أن الأمن موطد ، والنظام مستتب ، فلا مؤنة ولا كلفة ، ولا خوف على النفس والمال. ولقد أجرى الإمام الحاكم بأمر الله كثيراً من الإصلاحات والإرشادات الإجتماعية فحرم بيع الخمور وشربها ، كما منع النساء من التبرج والخروج لزيارة القبور ، ودخول الحمامات العامة ومحا صورهن من الحمامات ، ومنع الرجال من التسكع في الشوارع والوقوف أمام الحوانيت . وأمر بأن لا يقبل أحد الأرض بين يديه ولا يقبل ركابه ويده عند السلام عليه في الموكب ، ومنع الألقاب وأكثر من الخروج لوحده ليلاً والجلوس مع المؤمنين الموحدين . إشتهر بالسخاء والبذل وأنشأ ديوان (المنفرد) خاصة لإضافة الأموال المصادرة من الأغنياء والخارجين على القانون إلى أموال الرعية ، وأصدر نظاماً خاصاً للبر والعطايا ، توزع بموجبه الأموال على الفقراء والمعوزين والمحتاجين ، فكثرت الإنعامات في عهده على جميع المستحقين مما جعل أمين الأمناء حسين بن طاهر الوزان يتوقف عن صرفها فكتب اليه الإمام الحاكم بخطه بعد البسملة :

الحمد لله كما هو أهله :

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلاّ الهي ولــه الفضــل
جدي النبي وإمــامي أبي وديني الإخلاص والعــدل

المال مال الله عز وجل ، والخلق عباد الله ، ونحن امناء في الأرض اطلق ارزاق الناس ولا تقطعها والسلام .

وأمر بانشاء دار الحكمة لتكون جامعة علمية ففتحت أبوابها في ١٠ جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ . وأوعز بنقل بعض الكتب الثمينة مــن مكتبة القصر إلى دار الحكمة ، وأمها الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافتهم ، فمنهم من كان يحضر لقراءة الكتب ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعلم ، وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر ، والأقلام ، والورق ، وخصص قسماً منها لإجتماع الدعاة والفقهاء لتنظيم الدعوة ، ولإلقاء مجالس الحكمة التوحيدية التأويلية ، فازدحمت دار الحكمة بالمستجيبين ، وقيل أن بعض الناس كانوا يموتون من كثرة الإزدحام ، وخصص يومين في الأسبوع لحضور تلك المجالس ، وكانت دار الحكمة من أعظم وأفخم المؤسسات العلمية وأرقاها في ذلك العصر . انفقت عليها الأموال الطائلة ، وفرشت بأحسن الأثاث ، وزينت بأجمل النقوش ، وكان الإمام يشرف بنفسه على اقامة المناظرات بين العلماء والفقهاء ويهبهم العطايا والمنح . وانشأ دار العلم سنة ٣٩٥ هـ . وجعلها جزءاً من قصره وحضرهــا الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين ثقافاتهم ، وكان الداعي يجلس فيها ويجتمع اليه من المستجيبين من يتكلم في العلوم المتعلقة بمذهبهم ، كما خصص مكاناً لاجتماع داعي الدعــاة بالدعــاة والفقهاء لتنظيم أمور الدعوة ، وانتشرت في عهده الترجمة انتشاراً يدعو الى الفخر والإعجاب . وبلغت النهضة الفكرية أقصى درجات الإزدهار مما جذب طلاب العلم الى القاهرة من كافة أنحاء العالم الإسلامي ، فكان يقدم اليهم المأكل والمسكن ، وكل ما يوفر عليهم وسائــل المعيشة وأسباب الراحة .

بالرغم من كل هذه الإصلاحات لم يخل عهده من الثورات والحروب وكان يرسل الجيوش لقمعها بالشدة والحزم .

ذكرنا أن الدعوة الإسماعيلية لاقت نجاحاً مــــن الناحيتين السياسية

والدينية ، غير أن حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني يعطينا بعد أن وفد الى القاهرة سنة ٤٠٨ هـ . صورة عنها تختلف عما كانت عليه قبل ذلك التاريخ فهو يشير في رسالة مباسم البشارات (إلى اضطراب الأحوال في مصر مقر الإمام الحاكم ، وان عهود الدعوة التي كانت قبل ذلك قد درست ، وأن مجالس الحكمة التأويلية أبطلت ، وتقلبت الأحوال بالناس فالعالي قد اتضع ، والسافل قد ارتفع ، والذين آمنوا بالدعوة اضطربت أحوالهم وبعضهم غالى في رأيه ، والبعض الآخر خرج عن عقيدته . لذلك حمله فرط الشفقة في الدين على أن يناجي اخوانه المستضعفين من دون من فسد جوهره بما حدث فيه من المقال ، وانعكس عنصره بما تشرب قلبه ماء المحال ، فصار كالفضة المحرقة التي لا تعود إلى فضيتها بصناعة ، وإلى حالتها الأولى وان تعنى بفضل جهد واستطاعة ، بما يكون تقوية لقلوبهم ، وتثبيتاً لأقدامهم ، من بيان إمامة الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وصدقها ، والبشارات الواردة من الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم بحقها .) .

وباعتقادي ان الصورة التي رسم لنا معالمها الكرماني في هذه الرسالة كان الدافع إليها ظهور الدعوة الجديدة التي قادها الداعي حمزة بن علي الزوزني الذي وفد على مصر سنة ٤٠٥ هـ . وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا ينتظمون في دار الحكمة .

وأخذ يتدرج في مراتب الدعوة حتى أصبح من أصحاب الحظوة ، بعد ما أظهره من إخلاص ، وما بذله من جهد في بث الدعوة ، والدخول في غمار الجدل الديني وفلسفة المذهب الذي يدعو اليه ، والتف حوله جماعة من دعاة الإسماعيلية حيث تعاهدوا سراً على المذهب الجديد الذي يعتمد في أصوله وأحكامه على تجريد الذات والصفات .

وكان من أبرز الدعاة الذين ناصروا الدعوة الجديدة إسماعيل بن محمد التميمي ، ومحمد بن وهب القرشي ، وسلامة بن عبد الوهاب السامري ، وبهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموقي ؛ والداعي الذي كان من قواد الحركة الفكرية للدعوة الجديدة الحسن بن حميدة الفرغاني الذي كان يوجه الرقاع إلى العلماء وكبار الدعاة الإسماعيلية ويطلب منهم الردود .

مما أهاب بحجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني إلى أن يجيبه فكتب الرسالة « الواعظة » في الرد عليه .

ومن خلال رسالة الفرغاني والرسالة الواعظة يتضح بأن الخلاف الذي قام بين أصحاب المذهب الجديد وبين الدعوة الأم انطلق من نقطة جوهرية تتعلق في صميم الأصول والأحكام الأساسية التي كانت تسير بموجبها الدعوة الإسماعيلية في ذلك العصر .

وفي سنة ٤٠٨ هـ توجه الدرزي إلى قصر الإمام الحاكم مع خمسمائة من أتباعه فهاجمهم الناس فقتل منهم أربعون رجلا ؛ وفي اليوم التالي هاجم الناس مقر هادي المستجيبين حمزة بن علي ولكن الإمام الحاكم أمر بوقف القتال بعد أن استمرت الفتنة ثلاثة أيام .

ويقال أن الإمام الحاكم نصح الدرزي بالرحيل إلى وادي التيم في الشام . وقيل أنه قتل سنة ٤١٠ هـ . ومن ثم أصبح أمر الدعوة الجديدة كله إلى حمزة بن علي هادي المستجيبين الذي استتر في مصر مدة ثلاث سنوات كتب خلالها رسائل كثيرة ، ولما وجد أن دعوة التوحيد قد بلغت الأوج في بلاد الشام ، رأى من الضرورة بمكان أن يتوجه إلى وادي التيم بصحبه حدوده (الحُرُمْ) أبي عبد الله محمد بن وهب القرشي ، وأبي ابراهيم إسماعيل بن حامد التميمي ، وأن يلقي أعباء الدعوة في مصر على الداعي بهاء الدين أبي الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف باعتباره لسان الدعوة وواحداً من حدودها العظام .

في هذه اللمحة الخاطفة التي حرصنا على إيرادها ما يعطينا الدليل الواضح على أن الدعوة الإسماعيلية في عهد الامام الحاكم بأمر الله قد تعرضت لهزات عنيفة مليئة بالتيارات الخفية التي أحيطت بحجب كثيفة من الظلمات يصعب اختراقها واستقراء حقيقتها . ولكننا نلاحظ من خلال سطور ورسائل الدعوة الجديدة ، ومن كتابات علماء وفلاسفة الدعوة الإسماعيلية الذين هبوا لدفع الآراء الجديدة التي طرأت على المجتمع الإسماعيلي بأن المحور الرئيسي الذي يدور حوله الإختلاف هو شخصية الإمام الحاكم بأمر الله بالذات ، حيث رفعه دعاة المذهب الجديد إلى درجة التجريد والتنزيه ، وبذلك أثاروا سخط

واستنكار الدعاة الإسماعيلية الذين ينفون التجريد والتنزيه عن الأئمة، ويذهبون إلى أن مرتبة الإمامة وما يتصل بها من التأييد الروحاني الإبداعي تجعل حاملها من الناحية التأويلية الباطنية في مستوى قدساني أعلى من مستوى غيره من أبناء البشر ، لأن الإمامة عبارة عن رئاسة نفسانية ودرجة عرفانية ، ونور شعشعاني يناله الأئمة بتأييد من الله ، لأنهم حججه على خلقه ، وهم الداعون إلى توحيده تعالى وتنزيهه . ومن الطبيعي أن يتمخض عن هذه التطورات والاضطرابات عاصفة هوجاء اختتم بها عهد الإمام الحاكم بأمر الله عندما أعلنت غيبته في ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هجرية .

وبعد ذلك تعاقب على الإمامة وشؤون الخلافة الفاطمية بعده الظاهر ، ثم المستنصر بالله .

ولما أعلنت وفاة المستنصر بالله وقع الإختلاف الشديد على الإمامة والخلافة بين ولديه ، الابن الأكبر المصطفى بالله نزار الذي كان قد سماه والده ولياً للعهد ، والابن الأصغر أحمد المستعلي الذي كانت تربطه بقائد الجيوش الأفضل الجمالي أواصر القرابة لجهة والدته ، فتمكن هذا من اغتصاب الخلافة ، مما أدى إلى انقسام الإسماعيلية إلى فرقتين : نزارية ، ومستعلية.

ومنذ ذلك الوقت ودعت الإسماعيلية النزارية ربوع وادي النيل وانتقلت إلى فارس وجعلت عاصمة دعوتها قلعة (آلموت) الفارسية وكان يقوم على ترسيخ دعائمها شيخ الجبل « الحسن بن الصباح » . وكان أنصارها يقيمون في سورية والعراق وفارس والهند والسند .

وأما المستعلية فقد استمر أئمتها بادارة شؤون الخلافة الفاطمية في مصر وقتاً أطول ، فبعد المستعلي جاء الآمر ، ثم الطيب بن الآمر الذي زعم بأنه دخل كهف التقية والستر . لذلك سلم الأمر الزمني ـ الخلافة ـ إلى أربعة وكلاء هم : الحافظ، والظافر، والفائز، والعاضد ، وفي عهد آخرهم العاضد استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يستولي على الملك .

فانتقلت الدعوة الإسماعيلية المستعلية إلى اليمن ، ومن ثم انقسمت على نفسها إلى فرقتين ، الداؤودية والسليمانية . ولا يزال أتباع الفرقتين حتى يومنا

هذا وهم موزعين بين اليمن والهند والباكستان .

أما الإسماعيلية النزارية التي قالت بامامة المصطفى بالله نزار ونسبت اليه، فقد اتخذت من بلاد فارس مكاناً لنشاطها ، وجعلت عاصمة دعوتها قلعة « آلموت » ، وقد تسلسل من عرق نزار أئمة عديدون ، وظلت هذه الفرقة سائرة وفق الأصول والأحكام الإسماعيلية مع بعض التطورات التي توافق العصر والبيئة والمجتمع حتى عصرنا هذا ، وإمام هذه الفرقة هو كريم شاه الحسيني « آغا خان » وأتباعه منتشرون في الهند ، والباكستان ، وافغانستان ، وبورما وسيلان ، وسورية ولبنان ، وافريقية الشرقية والغربية .

العقائد الاسماعيلية

من استقراء مؤلفات علماء الدعوة الإسماعيلية المعروفة بكتب الحقيقة نرى أن العقائد الإسماعيلية تزخر بنظرات فلسفية إلى الكون والوجود ، وتنظيمات دعائية تستمد اصولها من حقيقة التوحيد الإسلامي ونظراته الشاملة ، ومما لا جدال فيه أن دراسة العقائد الإسماعيلية ومعرفة حقيقتها تعيننا على معرفة تطور الحياة الفكرية الإسلامية ، وترسم لنا صورة حية لمدى التفوق العقلي عند الإسماعيلية ، وتتحفنا بأدق التفاصيل عن مجريات أعمالهم وتآليفهم وتفكيرهم .

ونلاحظ ونحن ندرس الناحية العقائدية والاجتماعية والسياسية للدعوة الإسماعيلية على ضوء الواقع والحقيقة ، أنها كانت تنهد في كافة مراحلها وادوارها عبر التاريخ الى ايجاد مجتمع مثالي وفق مباديء فلسفية انسانية ، تهدف الى اسعاد الفرد وبناء صروح المجتمع السليم ،على أسس من العدالة المنبثقة من تعاليم القرآن وارشادات النبي العظيم واحفاده الأئمة الأطهار .

ومن الواضح أن علماء وفلاسفة الدعوة الإسماعيلية في مختلف العصور قد عملوا على تطوير الفكر الإسلامي وتفجير طاقاته الخيرة ، وجعله خصباً منتجاً يوزع العلم والمعرفة على العالم . والإسماعيلية يقومون بفرائض الدين ، ويحرمون ما حرمه الله ويعتمدون في اصول معتقداتهم المذهبية على الأصول الجعفرية ، ويلتقون مع الجعفريين في اكثر من نقطة وأبعد من غاية .

وأبرز أوجـــه التلاقي عند الإسماعيلية والشيعة قضية الإمامة وضرورة وجود الامام المنحدر من صلب الإمام علي بن أبي طالب (ع) .

ويذهب الإسماعيلية في توحيدهم إلى أن الله سبحانه وتعـالى منزه عـن الصفات والأسماء لا شريك له ، وأنه تعالى ليس أيساً وليس ليساً ، وهو ليس من جنس العقول حتى تدركه العقول ، وليس بجسم حتى يراه البصر ، ولا يحل في جسد ، وانه تعالى لا يعرب عنه بلفظ قول ولا بعقد ضمير ، وانـه سبحانه وتعالى أبدع من ذاته العقل الكلي أو الموجود الأول أو المبدع الأول أو السابق وجعله علة للموجودات ، العلوية والسفلية ، لأنه عين الإبداع وعين المبدع من ناحية ، وعين الوحدة من ناحية أخرى ، يمد بالتأييد كافة الحدود الروحانية التي هي دونه ، ويخرج النفوس من حد القوة إلى حد الفعل ، لم يسبقه في عالم الإبداع شيء ، لأنــه شيئية الأشياء كلها ، وعين العلم والعقل والعمل والرفعة ، والعزة ومجمع الحروف ، وهو أول طالع من الظلمة لظهور الأيسيات وبه نصاب الحياة الروحية الأبدية .

ثم بواسطة المبدع الأول هذا وجدت النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وانما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للإستفادة ، ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة ، ويقال لها التالي أو المبدع الثاني وإليه تنتهي عـواقب الأمور ، ومنه اكمال الأصول الأربعة ، ومنه الحياة الحسية والنطقية ، ومنه يتولد الحلم والحكمة والحجة ، وهو معلول السابق جوهر محيط بالأشياء كلها ، وهو مجمع الحروف العلوية ، وينبوع التركيب . ولما كانت النفس قد تصورت من جوهر العقل وضيائه يقال لها : الصورة ، كما يقال للنفس والعقل : الأصلان.

وبواسطة الأصلين السابق والتالي ، أو العقل والنفس ، وجدت المخلوقات كلها العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية .

وتتفرع مـن هذه العقيدة آراء أخرى عديدة منهـا انبعـاث العقول الروحانية من العقل الكلي والنفس الكلية أي من الأصلين وهم : الجد والفتح والخيال ، وهؤلاء بالاضافة إلى الأصلين يكونون الأشباح الخمسة النورانية أو الحدود العلوية ، ولهم في عالم الصنعة النبوية أو عالم الدين ممثولات. فالسابق

ممثول للناطق في عصره ، والوصي والإمام والتالي ممثول للوصي في حياة الناطق أو باب الأبواب ، وهؤلاء اطلق عليهم اسم الأصول الأربعة .

والجد ممثول للحجة ، والفتح ممثول للداعي المأذون ، والخيال ممثول للداعي المكاسر ، واستناداً إلى هذه النظرية جعل الإسماعيليون مراتب الدعاة من المراتب الروحية التي تقام عليها دعوتهم ، وفرضوا على كل اسماعيلي أن يعترف بهؤلاء الدعاة والحدود على أن يكون هذا الاعتراف من صميم العقيدة واصولها واحكامها ، لذلك لا نستغرب اذا لاحظنا بأن الاسماعيلي يطيعهم طاعة كلية ويصدق كل ما يقولون ، ويقتدي بما يفعلون ؛ ويعرف هؤلاء بالحدود الدينية الجسمانية ، وذهبوا إلى اعمق من ذلك فقالوا إن الناطق أو الإمام معصوم عصمة ذاتية ، وان هؤلاء الحدود معصومون عصمة مكتسبة ، وانهم كانوا مع النطقاء والأئمة في كل دور من الأدوار الكبرى والأدوار الصغرى ؛ وان جميع الأنبياء ، لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي ، الا عن طريق الحدود الروحانية غير المتشخصة ، وفسروا قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء » بان القسم الأول من هذه الآية هو رتبة (الجد) الذي هو كلام الله وحياً ، وكلمة وراء حجاب ، هي رتبة (الفتح) ، وكلمة ويرسل رسولاً هي رتبة (الخيال) ، وقالوا بأن السابق أفضى إلى التالي الذي أفضى بدوره الى الجد بما يجري في العالم الروحاني ، فأفضى هذا بدوره إلى الفتح الذي أبلغه إلى الخيال – يعني جبرائيل – فبلغه هذا إلى الناطق الحي ، الذي يمثل في دوره السابق ، كما يمثل الحجة أي الأساس دور التالي ، ويمثل الداعي الجد ، والمأذون الفتح ، والمكاسر الخيال في كلا الدورين . فقول النبي (ص) : « اني آخذ الوحي عن جبرائيل ، وجبرائيل يأخذه عن ميكائيل ، وميكائيل يأخذه عن اسرافيل ، واسرافيل يأخذه عن اللوح ، واللوح يأخذه عن القلم » يعني حسب التأويل الإسماعيلي انه يأخذ الوحي عن الخيال ، الذي يأخذه عن الجد ، عن الفتح ، عن التالي عن السابق . فيكون بذلك قد أخذ عن خمسة حدود علوية روحانية اتصل عنهم خمسة حدود أرضية هم : النطقاء عن السابق ، والأوصياء عن التالي ، والدعاة عن الجد ، والمأذونون عن الفتح ، والمكاسرون عن الخيال .

واذا طبقنا نظرية المثل والممثول يكون في العالم الأرضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية ، وتتصف بصفتها وتسمى بأسمائها ، لأن الله تعالى حسب المفهوم الإسماعيلي المنزه عن الأسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية . وأن العالم العلوي يمد العالم السفلي ، وعالم العرش يمد عالم الكرسي ، وعالم الكرسي يمد فلك زحل ، وفلك زحل يمد فلك الشمس ، وفلك الشمس يمد فلك زهرة ، وفلك زهرة يمد فلك عطارد ، وفلك عطارد يمد فلك القمر ، وفلك القمر يمد فلك الحرارة ، وفلك الحرارة يمد فلك الهواء ، وفلك الهواء يمد فلك الماء ، وفلك الماء يمد فلك التراب .

ويذهب الإسماعيلية إلى أن الوجود تأسس من علتين : احدهما الأمر وهو علة العلل ، والثاني العقل الكلي الفعال ؛ وهو علة ومعلول ، والأمر بنظرهم هو المادة الإلهية التي تمد العلة الثانية ولا تستمد منها ، والأمر والباري كلمة واحدة تستمد منها كافة الحدود الروحانية ، وقد يظهر الأمر في العالم السفلي متجسداً في صورة الحجاب البشري ، وقيامه بالمدة المقررة ، فإذا غاب الإمام انتقل الأمر إلى شخص آخر من ولده بموجب النص ، فهو على هذه المثابة علة الوجود كما ان الواحد علة الأعداد ، ومنه تكونت كسورها واعدادهـا ، والأمر هادي بذاته ، لأنه يمد ولا يستمد ، بينما العقل يمد ويستمد ، فهو هادي بهدايته ، لأن مادته من الأمر إستمدها لأنه علته .

لقد عرضنا الى ترتيب الحدود العلوية لدى الإسماعيلية ولا بد لنا من تقديم لمحـة خاطفة عن الخطوط الرئيسية التي تتركز عليها العقائـد الإسماعيلية والتي تستمد اصولهـا من جوهر الدين الإسلامي الصحيح ، وتلتقي في أهدافها العليا مع أحكام الله في آياته البينات ؛ وتقر بوحدانيته وتنزهه وتجرده عن الصفات والأشياء . وإذا أمعنا النظر في كتب الحقيقة المعروفة لدى الإسماعيلية نراهم يذهبون في توحيدهم إلى أن الله سبحانـه وتعالى لا مثل له ، فلا يتعلق بتوحيد الموحـدين ، ولا بتجريد المجردين فيخرج من أن يكون لا مثل له إذا لم يوحده الموحدون ، او عن نعوت

مبدعاته إذا لم يجرده المجردون ، بل هو تعالى — تكبر وحد الموحد أو لم يوحد ، وجرد المجرد أو لم يجرد — لا مثل له ، ولا تدركه الأبصار، ولا يدخل تحت اسم ولا صفة ، ولا يرمز إليه بالإشارة ، ولا يقال عليه حياً ، ولا قادراً ، ولا عالماً ، ولا عاقلاً ، ولا كاملاً ، ولا تاماً ، ولا فاعلاً ؛ لأنه تعالى مبدع ، الحي القيوم ، القادر العالم ، العاقل التام ، الكامل الفاعل.

ولا يقال له ذات لأن كل ذات حاملة للصفات ، كالجسم واعراضه التسعة ، والنفس وصفاتها ، ولا يقال انه جوهر ، لأن الجوهر ينقسم إلى الجسم وغير الجسم . ولا يقال عرض لأن العرض محمولاً مقبولاً ، ملازماً وزائلاً . ولا يقال انه علة لأن في المعلول بعض آثار العلة ، ولا يقال انه قديم لأن القديم شاهد على هويته بالحدث .

العجز عـن درك الإدراك إدراك والبحث عن سر كنه الذات إشراك

وجلَّ تعالى أن يقع تحت نظر ، ولا تدركه الأبصار ، ولا ينعت بجنس ، ولا يخطر في الظنون ، ولا تراه العيون ، ولا يوصف بالحواس ، ولا يدرك بالقياس ، جل أن يحده تفكير ، أو يحيط به تقدير ، ليس له اسماء لأن الأسماء وضعت لموجوداته ، ولا صفات له لأن الصفات من أيسياته ، وان حروف اللغة لا يمكن أن تؤدي إلى لفظ إسمه ، أو أن يطلق عليه شيء منها لأنها جميعاً من مخترعاته ، وهو تعالى من ورائها في ذروة العزة فلا تهتدي العقول إلى تناوله بصفة . وكيف يكون للعقول طريق إلى تصوره وهي لا تعقل إلاَّ بما شملته سمة الجوهرية والعرضية ؛ فسبحانه من إله لا تعرب الألفاظ والعبارات بشيء إلاَّ وكان ذلك الشيء تحت اختراعه . ولا يقال عنه شيء لأنه شيئية الأشياء كلها ، والشيء يقتضي شيئاً شبهه . اذ لو كان كذلك لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونها اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر ، وبه تقع الاثنينية فيكون لكل واحد منهما جزآن بهما وجود ذاتها . أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما يتقدم عليهما جميعاً ، ويكون هو الذي اعطى كلا منهما ما اختص به وباين الآخر وهو بالإلهية أحرى

وهو تعالى في ذروة ، لا يجوز أن يكون غير يسبقه أو يتأول عليه ، والذي يكون بهذه المثابة لا يكون له ضد ولا مثل . وان الإلهية ليست بشيء مما يدرك بعقل أو نفس ، ولا مما يحكم عليه بوهم أو حس ، إلاّ لما تضطر الأنفس عند الاقرار به إلى القول بأنه الله الذي لا إله إلا هو ، ولا معبود سواه ؛ وتوحيده تعالى هو معرفة حدوده وسلب الالهية عنهم وسلب الاسماء والصفات عنه ، لأنه تعالى لا ينفى ولا يعطل ولا يقال عليه ما يقال على مخترعاته ؛ والقلوب تدركه بحقائق الايمان ، ولا بلوغ إلى ذلك إلاّ بشق الأنفس والسعي والطلب والتعلق بالعلم الصادق لادراك المعاني والحقائق وغرائب الحكم المكنونة ، ومعاني العلوم المصونة.

ولقد جعل علماء الإسماعيلية عقيدتهم ترتكز على العمل والعلم ، أي على الظاهر والباطن . فالظاهر عندهم هو القيام بأداء جميع فرائض الدين الإسلامي التي وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول (ص) ، ودعائم الإسلام لديهم هي الصلاة والزكاة والطهارة والصوم والحج والجهاد والولاية .

والولاية بنظرهم أفضل هذه الدعائم ، فإن أطاع المؤمن الله تعالى وأقر برسالة الرسول الكريم ، وقام بأركان الدين كلها ثم عصى الإمام ، أو كذب به ، فهو آثم في معصيته وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول .

وتدور حول هذه النقطة أكثر أبحاث علماء الدعوة الإسماعيلية الذين يعتبرون الأئمة من حيث الظاهر من البشر ، ولكن في التأويلات الباطنية يسبغون عليهم بعض الصفات القدسية العالية ، كوجه الله ، ويد الله ، وجنب الله ، وأن الإمام هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة الكبرى ، وهو الصراط المستقيم ، والذكر الحكيم ، وأن إمام كل دور من الأدوار الصغرى يحاسب أهل دوره .

ومن ناحية ثانية نراهم يجردون الله من كل صفة ، وينزهونه التنزيه كله ، وينفون عنه جميع ما يليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ـ ومخلوقاته ـ التي هي الصور الجسمانية . هي الأسماء والصفات ، ويعتبرون نفي المعرفة ، هو حقيقة المعرفة ، وسلب الصفة هو نهاية الصفة . ودعموا هذه الآراء بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية ، وذهبوا إلى أن الله تعالى جعل كل معاني

الدين في المخلوقات التي تحيط بالإنسان لذلك يجب أن يستدل بما في الطبيعة وبما على وجه الأرض على فهم حقيقة الدين ؛ وهذه المخلوقات جعلت على قسمين : قسم ظاهر للعيان ، وقسم باطن خفي ؛ فالظاهر يدل على الباطن ، كجسم الإنسان الذي هو ظاهر والنفس هي الباطن ، وأن ما ظهر من أمور الدين من العبادة العملية ، وما جاء في ظاهر آيات القرآن هي معان يعرفها العامة ، ولكن لكل فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطنياً ، لا يعلمه إلا الأئمة وكبار دعاتهم وحدودهم .

وللاسماعيلية أدلة عقلية على وجوب التأويل استقوها من القرآن الكريم ، وجعلوا علياً صاحب التأويل ، أي أن القرآن أنزل على النبي (ص) بلفظه ومعناه الظاهر للناس ، أما أسراره التأويلية الباطنية فقد خص بها علياً والأئمة من بعده . لأن الناطق مثلا على العقل الكلي في عالم الترتيب ، والأساس مثلا على النفس الكلية الناطق بحكمة التأويل ليبين فضل الناطق وما يدل عليه ، والإمام نتاج بين الناطق والأساس ، مثل الفكرة التي هي نتاج العقل والنفس ، فالفكر يظهر فضائل العقل وعالم الربوبية ويظهر فضائل النفس وأخلاقها في العالم الروحاني بغير فناء ، كذلك الإمام يظهر فضائل الناطق ويكشف رموزه وممثولاته في ظاهر تنزيله وشريعته ويقوم بتأويل دعوة الأساس وبواطن حكمته ، ولما غاب الناطق وارتقى إلى العالم الروحاني ارتقى أساسه إلى درجته وورث منزلته فأقام نفسه مقام السابق وأقام الإمام المستودع دونه مقام التالي في عالم النفس ، ولما غاب الأساس ارتقى المتم إلى درجة الأساسية وأقام الإمام ودل عليه وسلم إليه ما كان له في بدء الوديعة من مواريث الأنبياء والأئمة ، وغاب المتم وارتقى الإمام إلى منزلة الناطق وقابل منزلة السابق فكان هو عقل جميع ما في عالم التركيب ، وأقام الحجة من دونه بالبيان عنه على مقابلة التالي في عالم النفس .

واستناداً إلى هذه الطريقة أوجدوا نظرية المثل والممثول ، والباطن والظاهر ، وجعلوا الظاهر يدل على الباطن ، وسموا الباطن ممثولاً ،

والظاهر مثلاً ، وفي ذلك قال داعي الدعاة المؤيد في الدين : « خلق الله أمثالاً وممثولات ، فجسم الإنسان مثل ، ونفسه ممثول . والدنيا مثل والآخرة ممثول . وإن هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها ، من الشمس والقمر والنجوم لها ذوات قائمة يحل منها محل المثل ، وأن قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الأمثال » وقال أيضاً : « معشر المؤمنين ، أن الله تعالى ضرب لكم الأمثال جملاً وتفصيلا ، ولم يستح من صغر المثال إذا بين به ممثولاً ، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلا » :

أقصد حمى ممثوله دون المثل ذا أبر النحل ، وهذا كالعسل

وبناء على نظرية المثل والممثول هذه يجب أن يكون في العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن ، فالإمام بعد غياب الناطق هو مثل السابق وحجته مثل التالي ، وكل خصائص العقل الأول (السابق) أو المبدع الأول أو الموجود الأول جعلت للإمام .

هذا عرض موجز تناولنا فيه جميع النقاط الهامة التي تتركز عليها الأصول والأحكام الإسماعيلية العرفانية معتمدين على ما استوعبناه من نصوص قانون الدعوة الإسماعيلية الذي يعتبر المنهل العذب الذي ينهل منه كل من يبحث عن الحقيقة العرفانية السرمدية .

أحمد حميد الدين الكرماني

إذا كان تاريخ التطور الفكري والتقدم العقلي قد سطر العلماء ودعاة وفلاسفة الدعوة الإسماعيلية صفحات من نور ، فحري به أن يدون لشيخ الفلاسفة وكبير الدعاة وحجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني أسفاراً ومجلدات من النظريات العقلانية الفذة والعبقرية الخلاقة المبدعة ، ورسوخ القدم في اصول وأحكام الدعوة الإسماعيلية . وذكائه النادر ، ومهارته الفائقة وقدرته العجيبة على التأليف بين العناصر المختلفة . ويؤسفنا أن نعلن بصراحة بأن المعلومات التي نستطيع على هديها أن نصور شخصية هذا العالم الفحل والفيلسوف العبقري ، ونقدم له ترجمة وافية كافية قليلة نادرة.

وكل ما نعلمه انه كان من كبار دعاة الاسماعيلية في جزيرة العراق. واسمه كما ورد في النصوص والمصادر الاسماعيلية : هو سيدنا الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني صاحب التآليف العديدة في اصول واحكام المذهب الاسماعيلي .

وصفه الداعي ادريس عماد الدين المؤرخ الاسماعيلي فقال[١] : «...حتى ورد إلى الحضرة الشريفة النبوية الامامية ، ووفد الى الأبواب الزاكية الحاكمية باب الدعوة الذي عنده فصل الخطاب . ولسانها الناطق بفصل الجواب ، ذو البراهين المضيئة ، حجة العراق أحمد عبدالله الملقب بحميد الدين الكرماني قدس الله روحه ورضي عنه .. مهاجراً عن أوطانه ومحله ، وواردأ كورود الغيث إلى المرعى بعد محله ، فجلى ببيانه تلك الظلمة المدلهمة ، وأبان بواضح علمه ونور هداه فضل الأئمة... والداعي حميد الدين أحمد بن عبدالله هو أساس الدعوة التي عليه عمادها ، وبه علا ذكرها ، واستقام منارها ، وبه استبانت المشكلات وانفرجت المعضلات .. »

ومن بين السطور المدونة عن شخصية الكرماني في أغلب الكتب المخطوطة السرية لدى الإسماعيلية يمكننا أن نستنتج بأن الكرماني من أصل فارسي ومن مدينة كرمان بالذات تلقى علومه في المدارس الفكرية الإسماعيلية وتتلمذ على الفيلسوف الكبير (أبو يعقوب السجستاني قتل في تركستان سنة ٣٣١ هجرية) ، ومن ثم ارتحل الى القاهرة اسوة بغيره من الدعاة للتزود من العلم ، وبعد أن بلغ درجة علمية كبيرة ، وأظهر عبقرية نادرة ، عين حجة في العراقين ـ فارس والعراق ـ ، فعرف منذ ذلك الحين بـ (حجة العراقين) ، وتمكن من استمالة والي الموصل المقلد بن يوسف فاعتنق الاسماعيلية وخطب للامام العزيز الفاطمي على منبر الموصل سنة ٣٨٢ هـ .

وتذكر النصوص الإسماعيلية ان الكرماني قد استدعي إلى القاهرة سنة ٤٠٨ هجرية من قبل الصادق المأمون ختكين الضيف داعي الدعاة عندما اشتد وطيس المعارك الدينية وقامت الدعوات الجديدة ، وراج

١ ـ كتاب عيون الاخبار وفنون الاثار للداعي ادريس عماد الدين ج ٦ ص ٤٥

سوق البدع والغلو ، وعم الانحراف عن واقع أصول الدعوة الهادية .

ولقد أشار الكرماني نفسه إلى ذلك في (الرسالة الدرية) فقال : « أما بعد فإن أبناء الدعوة الهادية ، بسط الله أنوارها لما عمتهم المحنة بامساك السماء عن القطر ، وملكتهم الحيرة بوقوف الأرض عن تربية البذرة وشملهم الضر باستيلاء القحط ، وتداولتهم اسباب الخبط ، وعفتهم نواجذ الامتحان ، وتنكرت لهم صروف الزمان ، فسهت أعقلهم ، وتحير أحلمهم ، [1] وضعف رجاؤهم وأملهم ، فاستيأسوا وظنوا أنهم قد هلكوا ، وجاءهم نصر الله بنظر وليه وابن وليه - سلام الله عليه وعلى آبائه المطهرين اليهم رحمة لهم ، ما كان وكان ذلك اختياره - سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين - من بينهم أصدقهم لهجة وآداهم أمانة ، وأقومهم ديانة ، وأثبتهم في الطاعة قدماً ، وأقدمهم في الهجرة قدماً . ذاك ختكين الضيف حرس الله عليه جمال الطاعة - فجعله بابا لرحمته . ملقباً بالصادق المأمون داعي الدعاة ، ليجمع شملهم ، ويحفظ نظامهم ، وتباشروا بتجدد الموهبة في ذلك لهم ، فعظمت المنة بالمنحة منه لديهم ، وشكروا الله تعالى ووليه في أرضه عليه السلام . وكانوا بمجلسه يحضرون ، وبعضهم مع البعض يتذاكرون ، وألقى بعض أبناء الدعوة الهادية - حرس الله أنوارها - مسائل يجعلها إلى الامتحان ذريعة ، وإلى بسط الشغب شريعة ، ورأيت أن اجيب عن كل مسألة منها بما عم من بركات أولياء الله في أرضه سلام الله عليهم ، فأخص بما أجعله في رسالة مفردة ... » . ولم يقف نشاط الكرماني عند هذا الحد بل أخذ يلقي المجالس والمحاضرات في دار الحكمة ، ويصنف البحوث والكتب والرسائل التي يرد فيها على المنشقين ، ومما قاله في رسالة (مباسم البشارات) : « فإني لما وردت الحضرة النبوية مهاجراً ، وللسدة العلوية زائراً ، ورأيت السماء قد أظلت [2] بسحاب عميم ، والناس تحت ابتلاء

---

١ - الرسالة الدرية في معنى التوحيد للكرماني في ورقة ١٣

٢ - رسالة مباسم البشارات للكرماني في ورقة ٢

عظيم ، والعهد في الرسوم السالفة قد نقض ، وعن أولياء الدين بما كسبت أيديهم قد أعرض ، والرسم في عقد مجلس الحكمة جرياً منهم بالاحسان قد رفض ، والعالي قد اتضع ، والسافل منهم قد ارتفع ، وشاهدت أولياء الدعوة الهادية ـ بسط الله أنوارها ـ والناشئين في عصمة الإمامة وأولي ولاءها قد حيرهم ما يطرأ عليهم من هذه الأحوال التي تشيب لها النواصي ، ... حملني فرط الشفقة في الدين على أن أناجي الاخوان المستضعفين من دون من فسد جوهره بما حدث فيه من المقال ، ... بما يكون تقوية لقلوبهم وتثبيتاً لأقدامهم من بيان إمامة الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وصدقها ، والبشارات الواردة من الأنبياء عليهم السلام وإشاراتهم بحقها ... » ومن خلال هذه الرسالة يتبين لنا أن الكرماني عندما وصل إلى القاهرة سنة ٤٠٨ هـ. وجد ان الدعوة الهادية قد اضطربت احوالها نتيجة لاختلاف الدعاة بسبب ظهور الدعوة الجديدة ، فشاء أن يثبت قلوب المريدين على أن الحاكم بأمر الله ليس سوى إماماً من الأئمة وان الكتب السماوية قد أشارت إلى إمامته ، ولكن له منزلة خاصة باعتباره يتمتع بقوة تأييدية لأنه السادس عشر في ترتيب أئمة الدور السادس ، وله قوة السابع والرابع ، وانه يدعو إلى توحيد الله وتنزيهه وإلى الصراط المستقيم ، ويقيم شعائر الدين الاسلامي فإنه ثمرة دوحة النبوة .

وفي (الرسالة الواعظة) نرى الكرماني يخوض غمار معركة جدلية عقائدية مع كبير دعاة المذهب الجديد الذي كان يذيع الرقاع التي تشرح أصول مذهبه ، ويظهر أن الكرماني قد تلقى إحداها فأجاب بأن كتب (الرسالة الواعظة) التي شرح فيها الأصول والأحكام الاسماعيلية وتعرض لسمو الألوهية ، وندد بما أقدم عليه الداعي الجديد في رسالته من إغفال اسم الله واسم النبي ، وأسماء الأئمة الطاهرين ، ثم قال : « وإذا كان الكلام قد أسفر عن الأمر في ان الله تعالى ليس بجسم ، ولا في جسم ، وهو متقدس من صفات الجسم على كونه تعالى متقدساً أيضاً عما يدرك بالعقول والأفهام ، فقد ظهر أن العبادة ليست لشخص ،وأن المعبود ليس بشخص .

نخلص من ذلك كله إلى ان الكرماني قد ساهم مساهمة علمية فعالة في القضاء على الآراء الجديدة التي طرأت على المجتمع بسبب ظهور الغلو والبدع متخذاً من مهارته العلمية الفائقة ، واسلوبه المنطقي الرائع ، أساساً لبحوثه ومناقشاته .

ويستدل من كتاباتـه الكثيرة التي تعرض فيها لكثير من المشكلات والنظريات الفلسفية انه كان في طليعة الفلاسفة الاسماعيلية الذين طوروا ونسقوا الأصول والأحكام الاسماعيلية ولقحوها بالأفكار الأجنبية الفارسية واليونانية والهندية وسواها ، ومن مظاهر عبقريته التي تنهد إلى المعرفة المجردة تلك الأبحاث العميقة والنظريات الكثيرة التي تعكس اتجاهه العلمي ونشاطه الفكري . ويتجلى فضل الكرماني على الفلسفة الاسماعيلية بمـا اعطاها مـــن مدد علمي وفكري وانتاج خصيب في نواحي المعرفة الانسانية ، ولقد شملت ثقافته معظم الجوانب الثقافية ، التي كان يتجه اليها العلماء والمفكرون بالعناية والاهتمام في ذلك العهد . وانه لمن المدهش فعلاً أن نجـد الكرماني في بعض نظرياته العلمية والفلسفية قـــد سبق عصره باجيال ، وترك حقائق علمية مثيرة تشبه المعاجز ، قد أيدها العلم الحديث ، واثبتتها الاكتشافات العلمية . ترك الكرماني آثاراً غنية بالفكر والمعرفة في جميع المواضيع الاسماعيلية ، كما عني العناية الفائقة في مسألة التوحيد والتجريد والتنزيه ، والنبوة والامامة والمعاد ، واثبات العصمة الذاتية للانبياء والأئمة ، كذلك عني بما يتصل بهذه المواضيع من مباحث عقلية كثيرة .

ومما لا شك فيـه ان شخصية الكرماني الفلسفية القائمة على الدراسة المجردة ، وعلى اشباع غريزة حب المعرفة والتطلع إلى المجهول قد تفاعلت بالمد الفكري اليوناني واعتمدت على كثير من فلسفات الأمم التي احتضنها الاسلام فأراد أن يوفق بين الفلسفة اليونانية وبين الفلسفة الاسماعيلية من جهة ، وبين العلوم الشرعية الاسلامية من جهة أخرى فشاء أن يمزج بين تلك العناصر ويبرز لنـا مزيجاً جديداً من المشكلات والانظار الفلسفية الدقيقة في الفضائل والمعارف التي ينبغي أن تتحلى بهـا النفس الانسانية

علماً وعملاً ، هذا بالاضافة إلى التجديد والابتكار في التوحيد والتجريد والتنزيه ، وبما أدخل على فلسفة وأحوال المذهب الاسماعيلي من الناحية النظرية والعلمية ، عن طريق المطابقات بين المراتب الوجودية وبين المراتب الباطنية ، فاثبت بصدق على أنه منارة وضاءة بالعلم والمعرفة والفلسفة وصاحب عقل كبير يفجر طاقاته في البحث عن الحقيقة العرفانية السرمدية .

ومن الانصاف أن نقول ، بأن الكرماني يعتبر من أبرز وأعمق الفلاسفة والدعاة والعلماء الذين انجبتهم الدعوة الاسماعيلية ، والذين عنوا عناية خاصة بالأحوال والأحكام . ومما لا شك فيه أنه كان ملماً إلماماً واسعاً بألوان العلوم العقلية المختلفة التي تتصل من قريب أو بعيد بالعقائد الاسماعيلية ، ومن المؤكد أنه كان على معرفة تامة بعدة لغات.

ويذكر المستشرق (W. IVANOW) في كتابه (A Guide To ismaili Literature) أن للكرماني مؤلفات عديدة منها[١] :

١ – المصابيح في إثبات الامامة : وهو مقدمة لنظرية الامامة وعرض للنظرية نفسها في مقالتين منقسمتين إلى أربعة عشر مصباحاً ومشتملتين على مائة وخمسة برهاناً . وقد تضمنت المقالة الأولى سبعة مصابيح بحث فيها إثبات الخالق ، والنفس ، والعقاب ، والشريعة ، ووجوب التأويل ، وضرورة وجود النبي . وجعل المقالة الثانية في سبعة مصابيح أثبت فيها الامامة ، وعصمة الأئمة ، واستحالة اختيارهم عن طريق الشورى ، ووجوب انتقال الامامة بالنص ، وان الامامة لا تكون الاّ واحدة ، وشرعية إمامة اسماعيل بن جعفر الصادق والأئمة من صلبه ، وإثبات إمامة الحاكم بأمر الله .

٢ ـ كتاب راحة العقل : هذا الكتاب الذي نضعه موضع التداول والذي سنتحدث عنه بالتفصيل فيما يلي من صفحات . قال عنه ايفانون : انه رسالة في الحقائق تقع في مجلدين وتنقسم إلى سبعة أسوار .

1 - W. IVANOW : Agvide to is «Liter» P (43 - 45)

٣ ـ كتاب تنبيه الهـادي والمستهدي : ناقش فيه الكرماني المخالفين من أهل السنة والشيعة الإثني عشرية والزيدية والغلاة وأثبت إمامة الأئمة المنصوص عليهم من نسل الإمـام علي بن أبي طالب (ع) وأوجب الاستمساك بفرائض الدين والعمل على إحياء العبادة العملية والعلمية .

٤ ـ كتاب الأقوال الذهبية : دافع فيه عن الداعي الإسماعيلي أبو حاتم الرازي الذي تعرض له محمد بن زكريا الرازي في كتابه الطب الروحاني وجعله في بابين يشتملان على اثني عشر قولاً : أحدهما في إبانة الخطأ المستمر على ابن زكريا في طبه الروحاني ، وثانيها في إبانة الحق المستقر فيما هو حـق الطب النفساني ، وقال المؤلف أنه سماه بكتاب الأقوال الذهبية لكونه فيما يصوره من محاسن العلوم النفسانية ، كالذهب فيما يحوزه من مزاين الأمور الجسمانية .

٥ ـ معاصم الهدى : وهو في الرد على الجاحظ فيما كتبه عن الإمـام علي ابن أبي طالب (ع) .

٦ ـ الإصابة في تفضيل علي على الصحابة : ناقش فيه أكثر الآراء والأقوال والأحاديث التي وردت حول الخلافة الإسلامية وأوجب شرعيتها للإمام علي ابن أبي طالب (ع) لأنه أفضل الصحابة .

٧ ـ فصل الخطاب وإبانة الحق المتجلي عن الارتياب : تعرض فيه للامامة وانه حق شرعي لآل البيت .

٨ ـ كتاب المحصول : نسبه البعض إلى الداعـي النخشبي وزعم أنه ليس من كتب الكرماني ، ولكن الحقيقة التي لا يعرفها هؤلاء بـأن هناك عدة كتب اسماعيلية حملت اسم المحصول .

٩ ـ الرسالة الوضية في معـالم الدين : وتشتمل على مقالتين : الأولى في العبادة الباطنية وهي من سبعة عشر فصلاً . والثانيـة في العبادة الظاهـرة وتتضمن ثمانية فصول .

١٠ ـ كتاب الرياضي في الحكم بين العادين : استعرض فيه الخلاف العقائدي الفكري حول ما جاء في ثلاثة كتب اسماعيلية فلسفية هي : كتاب المحصول للنسفي ، وكتاب الاصلاح لأبي حـاتم الرازي ، وكتاب النصرة لأبي يعقوب

السجستاني ، استعراضاً علمياً راقياً ، وبمبضع الحكيم المجرب ، والفيلسوف المعلم شرح كافة الآراء التي وردت بالكتب الثلاث ، تشريحاً علمياً دقيقاً ، وقابلها مع أصول الدعوة الهادية والنظريات المذهبية الفلسفية التي كانت متبعة في العصر الفاطمي وبالحقيقة يعطينا كتاب الرياض الدليل الواضح على مدى حرية الفكر التي كانت تسيطر على المجتمع الإسماعيلي ، والتي تمخض عنها العديد من الآراء التي لم يكن للمسلمين سابق وعي لها .

وبالإضافة إلى هذه الكتب الطوال صنف الكرماني عدداً لا يستهان به من الرسائل القصار التي تبحث في مختلف العلوم الإسماعيلية منها :

الرسالة الدرية في معنى التوحيد والموحِّد والموحَّد ، رسالة النظم في مقابلة العوالم ، الرسالة الرضية في جواب من يقول بقدم الجوهر وحدث الصورة ، الرسالة المضيئة في الأمر والأمر والمأمور ، الرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان وحينه ، رسالة الروضة في الأزل والأزلي ، الرسالة الزاهية ، الرسالة الحاوية في الليل والنهار ، رسالة مباسم البشارات بالإمام الحاكم ، الرسالة الواعظة في الرد على (الأخرم) أحد دعاة بدعة تأليه الحاكم ، الرسالة الكافية في الرد على أسئلة أبو الحسين المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون البطحاني ـ الهاروني ـ إمام الشيعة الزيدية ، رسالة المعاد ، رسالة الفهرست ، رسالة المقادير والحقائق ، رسالة التوحيد في المعاد ، رسالة تاج العقول ، رسالة ميدان العقل ، رسالة النقد والالزام ، رسالة اكليل النفس ، رسالة المقاييس، كتاب المجالس البغدادية والبصرية ، رسالة الشعري في الخواص .

هذه هي مصنفات حجة العراقين وشيخ فلاسفة الإسماعيلية أحمد حميد الدين الكرماني ، التي شحنها بافكاره وآرائه الفلسفية العقلانية فأحدثت دوياً هائلاً في كافة الأوساط العلمية ، وأصبحت معيناً يرتشف منه الفلاسفة الشرقيون والغربيون ، وكانت وفاة هذا الحكيم المعلم بعد أن أدى واجبه العلمي والإنساني كاملاً سنة ٤١١ هجرية .

كتاب راحة العقل

يعطينا كتاب راحة العقل وما تضمنه من أسوار ومشارع ، وعلوم

ومعارف صورة ذهنية كاملة عن شخصية مؤلفه حجة العراقين أحمد حميد الدين الكرماني الفلسفية المبدعة الدور الكبير الذي اضطلع فيه في مجال العلم والمعرفة والنظر العقلي المجرد والحرف المشع والكلمة النيرة . ويثبت أن الكرماني كان باحثاً فيلسوفاً معلماً حكيماً من أصحاب المواهب الخارقة والثقافة الواسعة ذا عقلية جبارة واستغل مواهبه في كافة الميادين العلمية التي خاض غمارها وسبر أغوارها لإشباع نهم عقله الطموح الناهد أبداً إلى الإطلاع العلمي ، ومعرفة الحقيقة ، وإلى استمداد الفوائد العقلية والعلوم الربانية ، لإيمانه العميق بأن في وصول العقول القابلة للفوائد والعلوم العقلية إلى بستان التمييز المزين بالنطقاء والأسس والأئمة وبعلومهم الجارية من قبلهم ، وبحكمهم الطيبة الشهية تكون سلوة وسرور ، وراحة وأنس ودعة .

وباعتقادي ان المدارس الفكرية الاسماعيلية التي انجبت اخوان الصفاء ، وميمون القداح ، وجعفر بن منصور ، والنخشبي ، والرازي ، والسجستاني ، والشيرازي وغيرهم من كبار الدعاة العلماء لم تنجب خلال تاريخها الطويل من يفوق الكرماني عمقاً وتفهماً وتمحيصاً وابداعاً ، بل نستطيع أن نقول ونحن مطمئنين بأن الكرماني في راحة عقله قد فاق علماء وفلاسفة عصره وحلق حتى بلغ الجوزاء ، وبذّ كل من خاض غمار الفلسفة من الذين وصلوا فيعلومهم العقلية إلى الذروة ، بما أوجده من ابتكارات قيمة ، وبحوث عقلية مستفيضة في الوجود ومراتبه ومطابقتها مع مراتب الدعوة الهادية ، هذا بالاضافة إلى ما يعرضه من مراتب الموجودات العلوية والسفلية وما يتعلق بهذه المراتب من ابداع وانبعاث ، ويعجبني في هذا المقام حديثه عن النفس الانسانية بما هي حسية وما ماهيتها ، وما الأمور التي تحدث فيها وتتبعها في الوجود كالاً أولا بها يكون اكتسابها الكمال الثاني ، وما علتها ، وما محلها من الموجودات ، وانها واحدة من جهة وكثيرة من جهة .

ويبدو خصب الكرماني الروحي والفلسفي ظاهراً واضحاً في الطريقة المثالية التي ابتكرها في تبويب كتابه بحيث جعله كمدينة قائمة بذاتها مستغنية بمن فيها وبكل ما حوته عما سواها من المدن وذلك مثالاً للأصول والأحكام

الإسماعيلية ونظرية الظـــاهر والباطن والمثــل والممثول . ففي الإعتقادات الإسماعيلية لا بد لكل محسوس من ظاهر وباطن ، فظاهره ما تقع الحواس عليه ، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بانه فيه ، وظاهره مشتمل عليه وهو زوجه وقرينه لقوله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » وان كلما جاء في الحديث والتنزيل شيء ، وكل شيء وان كان واحداً فلا بد له من زوج ابانة لوحدة الباري البائن عن خلقه ، ولا يقوم شيء من دونه الا بمزاوجة ، كالانسان ، وهو شخص واحد ، الا انه جسد وروح ، فالجسد هو الظاهر والروح هي الباطن ، وكل واحد من الاثنين مركب من شيئين ، فالجسد مركب من البرودة واليبوسة ، والروح مركبة من الحرارة والرطوبة ، فإذا فارقت الروح الجسد بقي الجسد بارداً يابساً ، ولذلك كلما في العالم اذا اعتبر لا بد له من الازدواج ، وذلك من معجزات وغرائب تأليفه ، انه يأتي بالشيء الواحد وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه ، فجعل عز وجل ظاهره معجزة رسوله ، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته .

وعلى ذلك نرى من الطبيعي أن يسور الكرماني مدينته الفاضلة هـــذه بأسوار سبعة للدلالة على النطقاء السبعة أصحاب الأدوار الصغيرة و م : آدم ، نوح ، ابراهيم ، م سى ، عيسى ، محمد، وقائم الزمان ، منهم ستة ولو عزم كما قال تعالى في كتابه : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً » وقد دل ذلك على أن آدم لا عزم له ، ولهؤلاء النطقــاء اسس سبعة وهم : شيث ، سام ، اسحق ، هرون ، شمعون ، علي ، مهدي ، ويدور دور كل ناطق على سبعة أئمة . والسموات السبـع ، والنجوم المدبرات السبـع ، والأقاليم السبـع ، واجزاء الإنسان سبعة هـــي : شعر ، جلد ، لحم ، دم ، عظم ، عروق ، مخ ، وطوله سبعة أشبار بشبره ، وعرضه كذلك ، ويسجد على سبعة اعضاء ، وفي جبهته سبعة منافذ . ولم يقف عند هذا الحد في ترتيبه وتبويبه ، بل عمد إلى شق المشارع فادخل في نطاق كل سور مـــن الأسوار السبعة ، سبعة مشارع ليسهل على النفس المرتاضة التنقل بين الأسوار لتتلقى الفوائد العقلية التي تمكنها من إدراك كليتها .

ومن أجل بلوغ هذه الكلية التي تنهد اليها النفس الجزئية بالطبع أوجب عليها أن تجتاز تسعة وأربعين مشرعاً . وبالرغم من هذا فقد رأى الكرماني بثاقب بصيرته وبحسب ما استوعبه من أصول وأحكام اسماعيلية بأن تلك النفس لا تزال بغاية الشوق ترنو إلى الصعود لارتشاف رحيق الفوائد العقلية التي تنقلها من حد القوة إلى حد الفعل ، إلى حيث الصورة الروحانية الكاملة. لذلك وتتمة لما يهدف اليه من وراء تقسيم كتابه على هذه الصورة ليكون كعالم ينطق عن مناسبة ومشاكلة تجمعان الأنفس الكثيرة فتصير واحدة من جهة وكثيرة من جهة ، أضاف إلى مشارع السور السابع سبعة مشارع أخرى لتكون مثالاً على الأصول الأربعة، والفروع العشرة، وبذلك ينبغي على النفس الطالبة إلى التأييد المطلق التام أن تقطع بدقة ستة وخمسين مشرعاً لترتاح من عناء سفرها الطويل ، ولتنصهر في بوتقة النفس الكلية الأزلية التي منها انبثقت . لذلك نرى الكرماني يجند جميع امكاناته العقلية التي اكسبته نظرة واقعية للأمور ، ليأتي كتابه شاملا من كافة أسواره ومشارعه ، متطوراً بشكل يوافق العقلية الفلسفية الإسماعيلية النزاعة أبداً نحو الأفضل والأكمل للتقرب من الذات الإلهية . فيعمد إلى شحن كتابه بالعلوم والمعارف التي ينبغي أن تتحلى بها النفس الجزئية علماً وعملاً ، من أجل إدراك معرفة كليتها ، باعتبار أن هذه المعرفة لن تتيسر لها الا عن طريق تلقي الفوائد العقلية التي لها القدرة على اخراجها من حد القوة إلى حد الفعل إلى حيث راحتها وسعادتها في الصورة الروحانية الأزلية .

ويفسر لنا الكرماني ذلك فيقول : « .. لأن مطلوب النفس في ارتقائها إلى منزلة الكمال بعبادة ربها علماً وعملاً حصول البقاء لها في ثواب وملاذ وراحة ... واعتلاقها يكون بإحاطتها بمراتب الموجودات تصوراً لها [1]..» فإذا بلغت النفس كليتها بما تتزود به من الفوائد العقلية النورانية ثبت عندها جوهرية الكل . ولكن ذلك لن يكون حسب رأي الكرماني الا اذا سلكت الأسوار، وقطعت المشارع، واستوعبت كل المعارف والعلوم الناموسية

---

١ ـ راحة العقل هذه الطبعة ص ١١٣

الحقيقية الموجودة في كتابه الجامع للعبادتين العملية والعلمية ـ الظاهر والباطن : « وإحاطتها بذلك تكسبها بقاء وراحة ما وصلت العبادتين إحداهما بالأخرى ، وحافظت عليها . وانتقلت من دنياها وهي سالكة لطريقتها . وكان كتابنا هذا حاوياً للأمور التي تكسبها خلوداً في النعيم والراحة والمعاد القديم ، وارتقاء من درجة النفسية إلى درجة الإنبعاث الثاني الذي يحازي من الموجودات العقول التي في دار الإبداع ... [1] » .

الغرض الذي يرمي اليه المؤلف من وراء تبويب كتابه على هذه الصورة واضح لا يحتاج إلى تأويل واستنباط ، أو إلى مناقشة واستنتاج،لأن الكرماني كما هو معروف من كبار دعاة وفلاسفة المذهب الإسماعيلي الذين تأثروا بجماعة اخوان الصفاء وبمن جاء بعدهم من كبار الدعاة العلماء وخاصة الفيلسوف الكبير (أبو يعقوب السجستاني) الذي لقن المؤلف الأصول والأحكام الإسماعيلية عندما درس عليه في فارس ، فمن البدهي أن يرى رأيهم ، ويذهب مذهبهم ، ويقلدهم ويصطنع ألفاظهم وعباراتهم . وفيما يلي من أسوار ومشارع هذا الكتاب شواهد ناصعة ناطقة بذلك .

ولعلنا لا نجازف حين نقول بأن الكرماني قد وصل عن طريق الإلهام والكشف والتطلع الفكري إلى ذروة الذروة فاستحم في خضم الحقيقة السرمدية واستراح في أحضانها . وباعتقادي أن الكرماني قسم كتابه وجعله صورة طبق الأصل عن جزيرة « صاغون » أو مدينة « أهل الخير » التي تحدث عنها اخوان الصفاء في رسائلهم أكثر من مرة . ولكنه ذهب في تقسياته إلى أبعد منهم فجعل الأسوار السبعة للدلالة على النطقاء السبعة أصحاب الأدوار الصغيرة الذين يقومون بهداية النفوس عملياً ـ ظاهراً ـ إلى سبيل النجاة والسعادة عند قيام قيامة النفس الجزئية الصغرى ـ أي بعد الموت ومفارقة الجسد ـ لأن الناطق حسب المفهوم الإسماعيلي هو الأصل الذي يصدر عنه الدين بما فيه من علم وعمل وبمن فيه من أئمة يدعون إلى التحقق بكمال العلم عن طريق العبادة

١ ـ راحة العقل هذه الطبعة ص ١١٣

الظاهرة – صاحب التنزيل – وعلى يده تكتسب النفس الجزئية كمالها العملي الذي يأتي من العبادة الظاهرة . ولكن هذا الإكتساب لا يحقق لها الانتقال من حد القوة إلى حد الفعل ما لم تتزود بالفوائد العقلية والعلوم الباطنية على يد صاحب التأويل – الإمام – لذلك أوجد لها الكرماني في راحة عقله ستة وخمسين مشرعاً ، وجعل كل مشرع من هذه المشارع مماثلاً لإمام من الأئمة المنصوص عليهم الذين تعاقبوا على الإمامة بعد انتقال الناطق السادس محمد (ص) وحتى ظهور قائمهم المنتظر صاحب القيامة الكبرى والميعاد القديم الذي سيقيم حدوده في الباطن ، ويجرد سيف التأويل ويقتل الناكثين ، والقاسطين والمارقين ، ويتصل بالحدود العلوية ، وهي عالم العقل الرباني ، عالم اللذة والبقاء ، والسعادة والراحة الأبدية ، ويقيم أساسه من دونه على مقابلة التالي في عالم النفس ، فبالتالي تظهر كلمة السابق في عالم النفس الروحاني ، وبنور عالم البقاء والراحة يعيشون ولا يموتون ، لأن موادهم من بقاء هو العقل الكلي بواسطة التالي في عالم النفس الروحاني ، وكذلك في عالم التركيب لا يصل أحد من الجسمانيين إلى معرفة حقائق ممثولات الشريعة ورموزها بمحكم تأويل ذلك إلا بدعوة الأساس الباطنية التي هي مثالاً على العالم الروحاني . وصاحب القيامة الكبرى وحده يستطيع أن ينقل النفوس الجزئية إلى مرتبة الكمال فتعتصم بالأمور السرمدية التي تحفظ عليها وجودها . ففي التعليم تفتح أمام المريد بارقة العلم ، فكيف إذا اتصل به نور التأييد من جهة صاحب القيامة الكبرى والميعاد القديم .

والظاهر أن الكرماني قد رأى بما أوتيه من إلهام وكشف ، بأن صاحب القيامة الكبرى سيكون الإمام السادس والخمسين المنحدر بموجب النص من صلب أساس الدور السابع الإمام علي بن أبي طالب (ع) والله أعلم .

هذا بالإضافة إلى الشروط التي وضعها ونصح بأن يتقيد بها كل من يرغب في قراءة هذا الكتاب فقال[١] : « .. وجب أن يكون المقدم على

١ – راحة العقل ص (١٠٨ – ١٢٣)

قراءة هذا الكتاب قد قرأ مما هو أقرب إلى تصوره من الكتب الدينية ما يكون مقدمة له فيسهل عليه الوقوف على هذه المباديء والغايات التي نتكلم عليها ، مثل كتاب الله تعالى أولاً الذي يجمع العلوم والحكمة وصور الدين ، والسبب في حركة النفوس لطلب آخرتها . ومن الكتب المؤلفة الجامعة لظاهر العبادة المتعلقة بالعمل مثل « كتاب الطهارة » للقاضي النعمان بن محمد و « كتاب الدعائم » و « كتاب الإقتصار والإختصار ». وفي أثناء ذلك كتاب « المغازي » و « شرح الأخبار » وكتاب « المناقب والمثالب » ومن كتب التأويل الجامع للعبادة الباطنية المتعلقة بالعلم كتاب « تأويل الشريعة » من كلام مولانا الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه ، وكتب جعفر بن منصور اليمن ، وغيره من شيوخ الدعوة المعروفين بسداد الطريقة مثل أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن أحمد النخشبي ، وأبو يعقوب السجزي وغيرهم ، رفع الله درجاتهم في مآبهم ، ومن كتبنا التي هي مقدمات لهذا الكتاب « كتاب تنبيه الهادي والمستهدي » أولاً ، ثم كتاب « معالم الدين » وكتاب « المصابيح في الإمامة » وكتاب « الرياض » في الحكم بين الشيخين أبي حاتم الرازي ، وأبي يعقوب السجزي ، فيما اختلفا فيه ، وتكلما عليه في كتابيهما « الإصلاح » الذي لأبي حاتم الرازي ، و « النصرة » الذي لأبي يعقوب ، ومن رسائلنا في العلوم الإلهية « الرسالة المضيئة » ورسالة « الروضة » وغيرهما على الترتيب الذي تتضمنه رسالة « الفهرست » ليكون بإحاطته بما فيها قد تهيأ لوعي ما في الكتاب .. ولا يقنع بقراءته دفعة واحدة ، ولا عشراً ، ولا عشرين ، ولا خمسين ، ليصير المورد فيه صورة للنفس محفوظة ... وينتظر الإنفصال والوفود على الإخوان الكرام .. » . وكل ما ذكرناه يفسر لنا بأن الكرماني استخدم عن طريق الإستدلال بالظواهر على الخفيات ، العالم الروحاني والعالم الجسماني ، واستخرج منافعهما المقدرة فيهما ، فوضع كل شيء في موضعه مثالاً لتنظيمات وأصول وأحكام الدعوة الهادية ، وبذلك أظهر القوة السرمدية التي بها كمال العالم الروحاني . وصبغ كل هذه الأشياء بالصبغة الإسماعيلية الخالصة ، ولا عيب في هذا إذا علمنا

بأن الكرماني كان من كبار الدعاة وحدود الدين ، وأن النظريات والمطابقات، والمقابلات والرموز والمصطلحات ، التي بحثها وناقشها وأوجد ما أوجد لها من أمثال وحاول ليست من الأمور المشاع بل بالعكس غير مباح الخوض فيها الا لمن بلغ حداً كبيراً بواسطة التنوير والتعليم ، واتصل به التأييد اللامع من العالم الروحاني ، لأنها من أهم الأصول والدعائم التي تتركز عليها العقائد الإسماعيلية الباطنية .

ومهما يكن من تفسير للحقائق التي استعرضها الكرماني في راحة عقله ، وكشف الستار عنها على هذه الصورة الدقيقة من التعقيد والإبتكار والخلق والإبداع، لا يسعنا الا أن نقول ، بأن الكرماني خصص كتابه لتكوين عقائد اسماعيلية فلسفية متطورة كما يفهمها ويفهم عباراتها ومصطلحاتها وغاياتها ، على انها تتفق وواقع الحال والعصر الذي كان يعيش فيه ، وليقرب الهوة السحيقة التي أحدثها دعاة تأليه الأئمة في المجتمع الفاطمي .

وبالفعل أحدثت نظرياته في التوحيد والتجريد والتنزيه دوياً هائلاً في أوساط الدعاة الغلاة المنشقين ، فاعتقدها أغلبهم وعاد إلى الانصهار من جديد في البوتقة الإسماعيلية ، بينما البت عليه الغلاة فحملوا عليه حملة شديدة.

ولعل أهم عقيدة يستعرضها ويعالجها الكرماني في كتابه بعد أن ينتهي من تبيان فائدة كتابه والشروط الواجب أن تتوفر في من يرغب قراءته ينتقل إلى البحث عن ذات الله ووحدانيته ، ونفي الصفات الموجودة في الموجودات عنه مستعملاً ألفاظ عربية قديمة مثل « الأيس للدلالة على الوجود والموجود ، و « الليس » للدلالة على العدم والمعدوم ببراعة لغوية يمدها عقل ضخم وعبقرية موهوبة ، فقال في بطلان كونه تعالى ليساً : « .. إن من القوانين أنه لا وجود لمعلول إلا بما يوجب وجوده من علته التي وجوده بها يتعلق » ... ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند إلى بعض ، ... ولما ثبت أنه لا وجود لهذا الا بذاك كان منه العلم بان الذي تنتهي اليه الموجودات التي به توجد ... هو الله الذي لا إله إلا هو محال ليسيته ، باطل لا هويته ، اذ لو كان ليساً لكانت الموجودات ايضاً ليساً ، فلما كانت الموجودات موجودة

كانت ليسيته باطلة ..[١] » ثم ينتقل ليصر ويؤكد في بطلان كونه تعالى أيساً : « لما كان الأيس في كونه أيساً محتاجاً إلى ما يستند إليه في الوجود... متعالياً عن الحاجة فيما هو هو إلى غير به يتعلق ما به هو هو ... عن أن يكون أيساً لتعلق كون الأيس أيساً بالذي يتأول عليه الذي جعله أيساً واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيساً... ثم انه تعالى إن كان أيساً فلا يخلو أن يكون إما هو أيس ذاته أو غيره أيسه ، وباطل أن يكون هو مؤيساً لذاته ، إذ يقتضي ذلك أنه لم يكن أيساً... واذا بطل الوجهان ، فباطل كونه أيساً ومفترضة هويته وراء الأيسيات المتعلق وجودها باختراعه إياها...[٢] » . والجدير بالملاحظة ان الكرماني لم يكن الفيلسوف الاسماعيلي الوحيد الذي استعمل هذه المشتقات بل سبقه إلى استعمالها أغلب الفلاسفة الأول وخاصة استاذه السجستاني حيث يقول : « لما كانت الأيسيات ، انما صارت أيساً من ليس ما،وكان ذلك من وجود تام جاد به المبدع سبحانه على الأيسيات ، كان توهمها ليساً من بعد الأيسية ممتنعاً لدخول النفس في وجوده الذي جاد به ولزوم ضد الجود – وهو البخل – عند ليسية الايسيات.. فليس الأيس اذاً يصير ليساً كما صار الليس أيساً...[٣] »

ثم يثبت الكرماني بأن الله تعالى : « لا ينال بصفة من الصفات ، وانه لا بجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به محس ، وانه لا صورة ولا مادة ، وانه تعالى لا ضد له ولا مثل ، وانه لا يوجد في اللغات ما يمكن الاعراب عنه بما يليق به ، ويصير مؤكداً على أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والاثبات ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى . ويكفي ما لهذه القاعدة من شأن في دحض ونفي الأباطيل والنعوت التي الصقها الخصوم بالاسماعيلية ، وفي تأكيد الصلة المباشرة بين الاسلام والاسماعيلية لأن الثانية ترتكز على الأول .

١ – راحة العقل هذه الطبعة ص ١٢٩
٢ – راحة العقل هذه الطبعة ص (١٣١ – ١٣٤)
٣ – كتاب الينابيع للسجستاني تحقيق مصطفى غالب ص ٩٩

وإلى جانب هذه القاعدة في التوحيد ينقل إلينا الكرماني صورة واضحة عن ترتيب عالم الإبداع أو عالم الصنعة الإلهية لهـــا شأنها وخطرها بالنسبة لأولئك الذين سبروا أغوار ومتاهات العالم العلوي، ووجدوا ما حلموا به من الإبداع والإختراع والإنبعاث والفيض والعقول، وبعد أن اثبت الكرماني بان الله تعالى : متعال عن المراتب كلها كمالاً ونقصاناً، ووحدة وكثرة، ينتقل لبحث ترتيبات العالم العلوي بحثاً دقيقاً رائعاً، ويفصله تفصيلاً شيقاً، فيذهب إلى أن أول ما ترتب أولاً في الوجود هو المتصور أنـــه لم يكن فوجد على طريـق الإبـداع والإختراع لا من شيء، ولا على شيء، ولا في شيء، ولا بشيء، ولا مع شيء، الذي هو الشيء الأول، فيكون وجوده من طريق الترتيب وجوداً ثابتاً ووجوداً أولاً، بكونه نهاية أولى، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواها من الموجودات متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية، ومثله في هذا كمثل الواحد في وجود الأعداد مترتباً أولاً ثابتاً بكونه نهاية أولة، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواه من الأعداد متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية، وبعد أن يثبت للموجودات مبدأ أول أو علة أولى عنها ترتبت في الوجود، يسمي ذلك المبدأ الأول العقل الأول والموجود الأول. الذي وجوده لا بذاته بل بابداع واختراع المتعالي سبحانه إياه [١].

ومن ثم يؤكد لنا الكرماني بأن الموجودات مستندة في وجودها إلى علل سابقة عليها، وان كل موجود منها في ذاته فعلاً لما يتقدم عليه منها، ومفعولاً له من مادة، وفاعلاً لغير دونه من مادة، وان وجود الموجودات ينتهي إلى علة ثابتة تنتهي اليها العلل، لأنها فعل في ذاتها صادر عمن لا يستحق أن يقال إنه فاعل، وهي مفعولة لا من مادة، وهي فاعلة لا في مادة هي غيرها. ويخلص في تحليله الموجودات إلى عللها وانتهائها إلى واحد وجوده لا بذاته بل عن غيره، إلى أنه وجد أن الإنسان الذي هو آخر الموجودات وهو النهاية الثانية لها، منحلاً إلى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي كالمادة التي منها فعل وهي كلها دار الطبيعة، وإلى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها تفعل

---

١ ـ راحة العقل هذه الطبعة ص (١٥٧ ـ ١٥٨)

فيها لإخراج مـــا من شأنه أن يوجد منها إلى الوجود مثل الإنسان وغيره ، وهي كلها قائمة بالفعل ، ولما كانت دار الطبيعة والفاعلين فيها منحلة إلى أشياء ليست في الكثرة مثلها بل أقل وهي الهيولى والصورة معا ، صارت الهيولى والصورة مادة لهـــا في تكوين الأفلاك والاستقسات بواسطة العنصر القائم بالفعل ، ودار الطبيعة والفــاعلون فيهـــا فــاعلة للانسان وغيره من أنواع الموجودات ومفعولة مما منه وجدت ، أما دار الطبيعة فمن الهيولى والصورة ، وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع [١] . وبانتهاء التحليل يستنتج أن كل قائم بالقوة ناقصاً لا يستطيع الخروج إلى الفصل الذي هو درجة الكمال الا" بما يستند اليه ممن هو قائم بالفعل تام في ذاته وفعله ، ولما كانت أنفس البشر في دار الطبيعة قائمـة بالقوة ناقصة فخروجها إلى الفعل لا يكون إلا بالذي هو قائم بالفعل ، تام في ذاته وفعله ، وباعتبار أن الأنبياء والأوصياء والأئمة مجمعاً للفضائل ، صفرا من الرذائل ، تأمين بالفعل أعطاهم الكرماني القدرة على انهاض النفوس المستندة اليهم والمستمدة من فوائدهم وتأييدهم إلى درجة القيام بالفعل أي الكمـــال المطلق . « .. اننا حللنا ما به كمال النفس الانسانية وحياتها وقيامها بالفعل إلى ما منه كان ووجد فوجدناه منحلاً إلى أشياء كثيرة يجمعها شيئان : أحدهما الشريعة الجـامعة لأركانهـــا التي هي مراسم العبادتين بالعلم والعمل اللذين في أحدهما تصوير النفس ، وفي الآخر تقويمها الجارية من كمال نفس الانسان مجرى العالم الكبير الجامع الأفلاك والاستقسات والكواكب وقواها الطبيعية من جسم الانسان ونفسه التي هي أشياء كثيرة ، وهي موازنة للصنعة النبويـــة ومطابقة لها ، والآخر الامام الجامــع للحدود القائمين بحفظ الشريعة وبسط معالمها ونشر أعلامها،والدعوة إلى العلم والعمل بها الذين بمكانهم وتعليمهم وجود الإنسان إنساناً ، الجارين من كمال نفس الانسان بتأثيرهم فيها تعليماً وهداية ، وبلوغاً بهـــا درجة الكمال ، ومنزلة العقول مجرى الملائكة الموكلين بالعالم ، القائمين بالفعل من العالم تأثيراً في أجسامه وقواه الطبيعية لاخراج ما من شأنه

١ ـ راحة العقل هذه الطبعة ص ١٥٩

أن يوجد منه من حيوان ونبات ومعدن إلى الوجود ، الذين وجودهم في الصنعة الإلهية موازن لوجودهم في الصنعة النبوية ومطابق ..[١] . » .

وبعد أن ينتهي من موازنة عالم الصنعة الإلهية مع الصنعة النبوية يؤكد بأن الأساسَ أساساً بالناطق التام في الذات والفعل الذي به وجوده وإليه معاده ، وذلك مطابق ومماثل للسابق التام في الذات الناقص في الفعل الذي به يخرج القائم بالقوة إلى الفعل تام في الذات والفعل جميعاً هو الأول من جميع الموجودات والنهاية الأولة من الموجودات وموازن له . لأن الناطق في عالم الشرع والوضع أصلا إليه ينتهي الكل من الحدود ، وليس فوقه إلا من أنالة تلك الرتبة العالية وهو تام في ذاته بنيله الكمال ، تام في فعله بكونه غير محتاج فيما شرعه وبينه وأتى به من الكتاب المبين إلى غير يستعين به إلا ما به قوامه وتمامه ممن هو فوقه ، وذلك مطابق للموجود الأول أصلاً إليه ينتهي كل موجود ، وأنه ليس فوقه إلا من أبدعه سبحانه ، وانه تام في ذاته تام في فعله وموازن له . فمن مصير الناطق علة تنتهي اليها الأشياء الدينية ، وكما صار الناطق أصلاً أولاً وجد عنه الكتاب والأساس ، صار الشيء الأول أصلا أولاً وجد عنه الهيولى والصورة . وعلى هذا الشكل يثبت وجود الموجود الأول والحد الأول والمبدع الأول والمترتب أولاً في الوجود ، وان وجوده لا بذاته ، وانه فعل وفاعل ومفعول في ذاته ونهاية تنتهي إليها الموجودات ، وهو المحرك الأول لجميع المتحركات ، والعلة في وجود ما سواه . وأنه لا يحتاج في الفعل إلى غير ذاته ، وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته.

وأنه لا جسم ولا قوة في جسم ، وهو خارج عن العالم الجسماني . وأن وجوده كان عن طريق الإبداع والإختراع لا عن طريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، بل على طريق الإبداع ، وذلك لأن الفيض يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركاً له ومناسباً ، ويكون الفيض من جهة ما هو فيض كعين

---

١ – راحة العقل هذه الطبعة ص (١٦٣ – ١٦٤)

ما يفيض منه الفيض بكونه كذات الفيض ، إذ ما يفيض منه الفيض فيه من طبيعة الفيض مثل ما في الفيض من طبيعته ، وبذلك يصير الذي منه يفيض الفيض متكاثراً بما يشاركه فيه الفيض فتكون ذاته من شيئين : شيء تشاركا فيه فلم يتباينا فيه ، وشيء وقع بـه التباين بينهما وحصلت الغيرية التي لولاها لما أمكن أن يقال ذاك غير هذا ، وهـذا غير ذاك ، والذي يكون متكثراً فتكثره لحاجة بعض تلك الأشياء التي بها كانت الكثرة في وجوده إلى البعض الآخر ، الذي لولاه لما وجدا جميعاً ، ويقتضي ذلك أن يكون المتعالي سبحانه ـ إن كان ما وجد عنه فيضاً ـ متكثراً واقعاً تحت قـدرة غيره في وجوده ، ولما كان تعالى لا يوصف بقلة أو كثرة فقد بطـل أن يكون من شيئين ، وإذا بطل أن يكون من شيئين بطل أن يكون ما وجد عنه فيضاً [١] .

ومن ثم يصل الكرماني في تحليله إلى عـالم الدين أو الصنعة النبوية فيؤكد بأن الناطق عقلاً في ذاته ، وعاقلاً في ذاته ، وعاقلا لذاته بذاتـه ، ومعقولة ذاته له بذاته ، وإن كان قد نال الكمال أخيراً بأن الأول مثل ذلـك عقل وعاقل ومعقول . وبعد ذلك نرى الكرماني يتحدث عن كيفية الإنبعاث ، وعن الموجودات عن المبدع الأول على طريـق الإنبعاث فيثبت أن المنبعث الأول الذي هو العقل الثاني ـ القلم ـ موجوداً ثانياً وأنه كاملاً كالأول ، وأنه لا جسم ولا في جسم ، وأن وجوده لا عن قصد أول ، وأن الناطـق في عالم الدين مثلا للعقل الأول في دار الإبداع ، كونه علة لوجود العقول الطبيعية بما أقامه من السنن والوضائع في عالم الدين ، وكذلك الإبـداع الذي هو المبدع الأول والعقل الأول علة لوجود العقول المنبعثة في عالم القدس . ومن ثم يبين بأن العقل الأول ـ الناطـق ـ ذا نسبتين نسبة إلى عالم القدس ، ونسبة إلى عالم الطبيعة ، لذلـك كان الموجود عنه اثنين بحسب النسبتين ، أحدهما وهو الأشرف وهو الوصي الذي أقامه مقامـه ، وأخبر الله تعالى بأن نفسه كنفس

---

١ ـ راحة العقل هذه الطبعة ص (١٧١ ـ ١٧٢)

محمد في آية المباهلة بكونه في الكمال والتمام كهو ، وثانيهما الكتاب والشريعة وقرن بينهما . وكذلك جعل العقل الأول ذو نسبتين : إحداهما أشرف من الأخرى ، وإن الأشرف عقل قائم بالفعل مثله مثل كون الوصي مثل الناطق ، وأن الآخر هو عقل قائم بالقوة مزدوج ذاته وهو الهيولى والصورة اللتان مزدوجتان ، مثل ما جاء به الناطق الذي هو مزدوج كتاباً وشريعة ؛ وكما أن الوصي أول الأئمة في عالم الشرع والدين ، فالمنبعث هو أول العقول المنبعثة في عالم القدس ، ثم يأتي دور المنبعث الثاني الأول القائم بالقوة الذي هو الهيولى – اللوح – فيقول بأن وجوده عن المبدع الأول لا عن قصد أول ، وأنه لا يشبه الأول ولا ما يجمعه وإياه حكم الإنبعاث الأول ، وأنه أهل لعالم الجسم ، وأنه يجري من الموجودات الإبداعية مجرى الثلاثة من الأعداد [1] . ويتلفت الكرماني بعد هذا إلى ميزان الديانة المنصوب بين أولياء الله لتحقيق الأشياء ومعرفتها من شهادته عنه ، ويقول ، بأن الناطق في دار الجسم ذي نسبتين : نسبة إلى عالم القدس بكون شرفه الذي هو الكمال الثاني منه وهي الأشرف ، ونسبة إلى عالم الطبيعة بكون ذاته في وجوده الذي هو الكمال الأول منه ، بأن الإبداع الذي هو المبدع الأول والعقل الأول ذو نسبتين : نسبة إلى ما عنه وجد سبحانه وهي الأشرف ، ونسبة إلى ذاته ، وعن وجود الوصي عنه بنصه عليه وإقامته إياه مقام نفسه بالفعل، وكونه من جنسه وشبهه ووجود الكتاب عنه ، وكونه معمولاً فيه ، بأن الموجود [2] عن المبدع الأول إثنان ، أحدهما مثله وهو العقل المنبعث عنه القائم بالفعل كهو مثل الوصي الذي هو شبه الناطق ، وهو القائم مقامه بالفعل ، والآخر لا كهو وهو القائم بالقوة الذي هو الهيولى المفعول فيها مثل الكتاب المعمول به القائم بما يجمعه من العلوم بالقوة ، وعن كون الكتاب لا كالناطق ولا كالوصي ، بأن الهيولى لا كالمبدع الأول ، ولا كالمنبعث الأول ، وعن كون الكتاب أصلا

---

١ – راحة العقل هذه الطبعة ص (٢٢١ – ٢٢٢)

٢ – المصدر نفسه ص ٢٢٥

لوجود رسوم الشريعة وقانونها ودعائمها ، وكونه من الأئمة القائمين مقام الناطق في التعليم والسياسة كالمادة التي تعمل فيها الصناع يخرجون من العلوم التي هي صور المعلومات الأبدية ، بأن الهيولى أصـــل لوجود السموات والكواكب والطبائع ومواليدها ، وأنها تجري من العقول البرية مجرى المـــادة تعمل فيها وتوجد منها الأجسام المصورة المحسوسة ، وعن كون الكتاب في وجوده غير مجرد عن أحكام الشريعة وسننها بل وجوده بما يجمع السنن والأحكام معاً .

وأخيراً يثبت بأن الهيولى هو شيء ما يمكن أن يقبل الصور فيكون بمـا قبله من الصور موجوداً للحس ، وأن وجودها عـن الأول ضروري ، وأنها هي المعرب عنها باللوح الذي أودع كل الصور ، وأنها بكونها قائمـة بالقوة لا بالفعل لا تشبه المبدع الأول ولا المنبعث الأول ، وأنها تجري من تلك العقول الخارجة المنبعثة مجرى المواد التي فيها يعمل الصناع ، وأنها لا وجود لها خارج النفس وجوداً مجرداً عن الصور ، بل وجودها كذلك في الذهن فقط ، ولا تـدرك خارج النفس إلا مشغولة بالصور ، وأن منزلتها من الموجودات منزلة الثلاثة من الأعداد [١] . ويأتي دور الحروف العلوية التي هي المباديء الشريفة في عالم الإنبعاث الأول ، فيعددها ويذكر كيف وجـدت عن بعضها البعض وكيف كان وجود هذا البعض . ثم يوازنها مـع قانون الصنعة النبوية والسنة الإلهية ، وما جاء به الناطـــق وأقامه من مراتب الحدود السفلية ، باعتباره جامعاً للفضائل النبوية والأنوار الملكوتية مستغنياً عـن غيره ، وسبباً لوجود الحدود السفلية مثالاً على ما في عالم الإبداع الذي هو عقلاً محضاً مبدعاً ، وهو العقل الأول الذي هو سبب لوجود الحدود العلوية الخاصة ، ولوجود الموجودات عامة ، ومما وجد عنه وتركه صلى الله عليه وعلى آله فيما بين للأمة من كتابه وأحكامه ، ووصيه الذي أقامه مقام نفسه ، على أن الموجود عن ذلك العقل الأول إثنان ؛ وأن أحـدهما أشرف من الآخر كشرف الوصي القائم بالفعـل

١ ـ راحة العقل هذه الطبعة ص ٢٢٨

القيم بجميع ما جاء بـه على ما تركه ، ومن كونه تمـامية دوره بأتماء سبعة ، وقيام كل منهم بنص ممـن تقدمه صاعداً إلى الأساس ، على أن الموجود عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة ، ووجود كل منها عن الآخر صاعداً إلى المنبعث الأول ، وأن كل منها ساطع سار فيما وجد عن الأول من الهيولى والصورة التي منها وجود السموات والأرض وحركاتها ؛ ومن تمـامية الدور بالسبعة بعد الناطق والأساس ، وقيام العاشر في مقام الناطق بالدعوة إلى أمر جديد في دور آخر على صيغة ما تقدم ، على وقوف الإنبعاث عن وجود المثل عند انتهائـه إلى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الأول في تدبير أمر دار الجسم على تلـك الصيغة [١] . وفي نهاية مطافـه في عالم العقول والأرواح يتوصل لإيجاد قاعدة ثابتة ،ونظرية بارزة، يرتب وينظم بموجبها العقول العشرة التي توصل إلى إيجادها عن طريق الابداع والانبعاث ويطابقها مـع مراتب الموجودات ومراتب الدعوة الاسماعيلية على الشكل التالي [٢] :

الحدود العلوية — **الحدود السفلية**

١ – الموجود الأول = المبدع الأول = الفلك الأعلى = الناطق = رتبة التنزيل

٢ – الموجود الثاني = المنبعث الأول = الفلك الثاني = الأساس = رتبة التأويل

٣ – الموجود الثالث = العقل الثالث = فلك زحل = الامام = رتبة الأمر

٤ – الموجود الرابع = العقل الرابع = فلك المشتري = الباب = رتبـة فصل الخطاب

٥ – الموجود الخامس = العقل الخامس = فلك المريخ = الحجة = رتبة الحـكم فيما كان حقاً أو باطلاً

٦ – الموجود السادس = العقل السادس = فلك الشمس = داعي البلاغ = رتبـة الاحتجاج وتعريف المعاد

---

١ – راحة العقل هذه الطبعة ص ٢٤٠

٢ – راحة العقل هذه الطبعة ص ٢٥٦

٧ – الموجود السابع = العقل السابع = فلك الزهرة = الداعي المطلق = رتبة
تعريف الحدود العلوية
والعبادة الباطنية

٨ – الموجود الثامن = العقل الثامن = فلك عطارد = الداعي المحدود = رتبة
تعريف الحدود السفلية
والعبادة الظاهرة

٩ – الموجود التاسع = العقل التاسع = فلك القمر = المأذون المطلق = رتبة
أخذ العهد والميثاق

١٠ – الموجود العاشر = العقل العاشر = ما دون الفلك من الطبائع = المأذون المحدود
أو المكاسر = رتبة
جلب الأنفس المستجيبة

هذه هي الحروف العلوية الفاعلة السارية أنوارها في عالم الجسم بتدبير المتعالي سبحانه .

وينتقل الكرماني بعد أن أوجد هذه القاعدة الثابتة لتنظيمات مراتب الدعوة الهادية ليبحث في ماهية الطبيعة ، فيؤكد بأنها بذاتها في عالم الجسم من جهة جوهرها شيء واحد ، ومن جهة أفعالها في موادها أشياء كثيرة ، ويوازن بينها وبين ميزان الديانة فيظهر بأن الأعمال مكسبة للنفس ما تتقوم به ذاتها ، والعلوم الدينية مكسبة إياها ما تتقوم به ذاتها وتنال كمالها ، كما أن الطبيعة تعطي بجسمها الموجودات عنها ذواتها جسماً ، وبصورتها تعطيها صورتها نفساً ، وتوطئها لفعل العقول القائمة بالفعل في إخراجها إلى الفعل ، وأن أمرها بجسمها وصورتها في مطابقة الدين وأنواع العبادات ، واقتران البعض بالبعض على صورة لا تتفاوت أصلا [1] .

---

١ – راحة العقل هذه الطبعة ص ٢٧٢

ويبرهن لنا بأن للطبيعة نهايتين : نهاية أولة محيطة بما هي علة لهـا بها الوجود الأول الذي هو الكمال الأول ، ونهاية ثانية محاطة بما هي معلولة لها بها الوجود الثاني الذي هو الكمال الثاني ، وأن محلها بين النهايتين ، وما هاتان النهايتان وما محلها ؟ وفي ختام تحليله لهذه النظرية يثبت بأن كافة الحدود الدينية وغاية أفعالهم ودعوتهم ، تنتهي إلى الناطق والأئمة ،وهم بدورهم ينتهون إلى القائم صلوات الله عليه الجامـع لأنوار النطقاء وأدوارهم وعلوم الأولين والآخرين من الحدود ، ومن ثم يؤكـد بنتيجة البحث بأن القائم هو النهاية الثانية التي لا تكون وراءها مرتبة أخرى . وأن الطبيعة في الوسط بين النهايتين اللتين إحداهما الابداع ، وثانيتهما الانسان الذي هو الجامع للفضائل الذي تنتهي إليه أنوار المؤثرات من العوالم كلها ، وهو عقل قائم بالفعل منبعث من طريق الانبعاث الثاني قد جرى فيه ما جرى في الأول من الكمال فقام بكونه نهاية ثانية بإزاء النهاية الأولة هو بالحقيقة القائم الذي اليه نهاية النطقاء والأسس والأئمة والتابعين من الحدود في عالم العبادة والتوحيد، من أول الدهر إلى آخره الذي هو أول الأدوار . وأن العوالم كلها متعلـق بعضها ببعض متسلسل على النظام الذي توجبه الحكمة الالهية . وأن الطبيعة بنهايتها أعلم العلماء ، المسلم اليه تدبير أمر عالم الجسم . المعرب عنه في السنة الالهية بالكرسي

وبعد كل هذه المطابقات والمقارنات يثبت لنا الكرماني عن طريق التحليل والموازنة بأن للطبيعة علماً ، وان هذا العلم علمان : علم أول يتعلق بالكمال الأول الذي يختص بحفظ الموضوعات ومصالحها التي بانحفاظها وجود صورها الفاعلة فيهـا ، وعلم ثاني يتعلق بالكمال الثاني الذي يختص بتأييد الصور والذوات المحضة ومناهجها ، ولما كانت الطبيعة ذات موضوع كان علمها الذي لها هو العلم الأول الذي يختص بحفظ الموضوع الذي لحاجتها في وجودها إلى وجود الموضوع الذي لولاه لما كان لها في الوجود حظ . لذلك فهي أحوج في وجودهـا إلى الأول منها إلى العلم الثاني الذي يتعلق بكمالهـا لأن بالأول انحفاظها ، وبانحفاظها وقوع الإمكان في اكتساب العلم الثاني ليؤيد ذاتهـا

ويغنيها بنيل الكمال عـــن موضوعها ، ويحفظها من الانحلال والفساد بفساد مادتها . وأما العلم الثاني فيتعلق بأحوال النفس وكمالها الثاني الذي لهـــا في اقتنائه السعادة الأبدية والبركات السرمدية ، ولها به التأزل والتعمل والاستغناء به عن الموضوعات، فإنها تناله بالاكتساب والتعليم من جهة أولي الكمال والأزل الذي هو المعلم الهادي الممنون عليه من السماء بقصد ثان ، ولخلو الطبيعة التي هي النفس من هذا العلم الثاني الذي يتعلق بالأديان والاعتقادات التي بها تكمل النفس وتصير عقلاً ، وهو يستفاد من جهة الأئمة الهداة من أهل البيت صلوات الله عليهم .

ومن ثم يحدثنا الكرماني عن أحوال الأجسام العالية وما يجري عليـــه أمرها في حركاتها وأقسامها وأفعالها التي هي الأسباب في وجود الموجودات الطبيعية . فيوازنها ويطابقها مع الأفلاك النفسانية في عالم الدين فيثبت كون مقامات الحدود محفوظة في عالم الدين والنفس لا تزول ولا تبطل ، كذلك الأفلاك والكواكب كلها محفوظة من التغير . ومما يلفت النظر في هذا المقام ما ذكره الكرماني بعد أن استعرض أحوال الأفلاك الجسمانية التي أوجبتها الأفلاك النفسانية في ميزان الديانة على إيجاز حيث قال : « .. ولولا المخافة من وقوع الكتاب إلى من لا يستحق وقوعه عليه لأوردنا على هذه الطريقة سير الكواكب الدينية وطوالع الأفلاك العلمية ، وإقامـــة الهياجـــلات والكدخدات النبوية من عجائب العلوم والأسرار في معرفة الأشياء الأبدية في عالم القدس، ومعاد النفس ومنازلها ومراتبها ، ومـــا يكون لها وعليها فيه على حسب ما يعلمه المنجمون في معرفة الأشياء الطبيعية ما يتبين معه غزارة بحور علوم أولياء الله عليهم السلام . لكنه لما كانت هذة العلوم وسلوك هذه الطريقة مما يختص بالنبوة والرسالة ، وليس لأمثالنا التعرض له تركنا تصريحه إلا تلويحاً ، وسيكون لكتابي هذا شأن من الشأن عند طلوع كوكب الصبح الذي يجلي الظلام ويبين مرتبة الإمام .. [١] » إذا أضفنا هذا القول إلى ما قاله

١ ـ راحة العقل ص ٣١٧

في مكان آخر « ... فيكون ذلك العلم كله محفوظاً عند المؤيدين أمناء عليه مهيمنين لا يقربه إلا ملك مقرب،أو نبي مرسل،أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان ... لا يتمكن أحد من إصدار مثله إلى الوجود إلاّ بنور إلهي من دار القدس يواصل ويتعلق ذلك منه بالغير لا بالذات .. (١) » استطعنا أن نؤكد ما ذهبنا اليه وهو بأن الكرماني كان من أصحاب الكشف الذين مُنَّ عليهم بالضوء الذي تضيء له المعارف كلها . وبنفس الوقت نثبت بأن الغاية التي هدف اليها الكرماني من وراء جعله راحة عقله يتضمن ٥٦ مشرعاً ليس إلاّ للدلالة على أن العقل المرتاض بما حواه هذا الكتاب مـن علوم ومعارف سيرتاح راحـة أبدية سرمدية عنـد طلوع كوكب الصبح ـ القائم المنتظر ـ وسيكون هذا الكوكب هـو الإمام السادس والخمسين المنحدر بموجب النص من أساس الدور السابع . ويتابع الكرماني أبحاثه فيتحدث عن الأركان الأربعة ، وأحوالها وصورها الطبيعية الفاعلة ، وعن كيفية اتصال بعضها ببعض والفرق بينها وبين الأجسام العالية ، ويطابق كل هذا ويزنه بميزان الديانة التي هي الميعاد فيما يراد معرفته من أمور الموجودات ، فيذكر أن الأنفس التي هي دون الناطق والقائمين مقامه في عالم الدين مرتبة في مراتب أربع ، بعضها أول قائم بتعليم العبادات الظاهرة العملية ، ومنازل الحدود السفلية التي بها تتهذب النفس وترقى إلى المعالي الأبدية ، وبعضها ثان قائم بتعليم العبادات الباطنة العلمية ومنـازل الحدود العلوية ، التي بمعرفتها تنال السعادة السرمدية ، وبعضها ثالث في طريق التعلم والتنبيه واكتساب الفضيلة وقبول العلم وإقامة العمل وإحسان الاتباع ، وبعضها رابع في طريق النفار وقلة الائتمار والقبول والتردد بين الشك والنفاق،وهو المقصود بالإصلاح، وجميع ذلك الحجج والدعاة ومن دونهم ، وعن جملتهم توجد المواليد الروحانية بتأثير بعضها في بعض . ولما كان كون القائمين دون الأئمة في عالم الدين بقبول أنوار

١ ـ راحة العقل ص ٥٧٥

العلم والملكوت أربعة: ثلاثة منهم متعلمون ومعلمون، وهم الباب، والحجة، والداعي، وواحد متعلم وهو نفس البشر، وكذلك الأجسام القائمة دون الأفلاك التي هي الأجسام المؤثرة بقبول آثارها أربعة: منها مؤثرة فيها ومؤثرة، وهي: النار، والهواء، والماء، وواحدة منها قابلة آثار الكل وهي الأرض. وكان كون الإمام الذي هو بمنزلة الناطق مؤثراً من جملة من حوله من الأصحاب والأتباع في رجل واحد هو أقرب الناس اليه وأشبه الناس به جسماً ونفساً فيقبل عليه بالافادة والتعليم والإرتقاء إلى درجة الكمال الذي به هو يستنير جوهره، ويعلو كل نفس دونه، وبه تحصل المعرفة بالأمور الشرعية السياسية، وبه تقع القدرة على جذب من دونه من الأنفس إلى المراتب ديناً ودنيا فيقيمه بتهذيبه إياه بابا له. ومن ثم يشير إلى أن مرتبة البابية وإن كانت واحدة فإنها تجمع أربعة من «الحُرُم» يشتركون فيها، مثالاً للنار وإن كانت جسماً واحداً فانها في ذاتها ذات أمور أربعة: الحرارة، والحركة في ذاتها، والضياء، واليبوسة [١].

ولم يقف في تحليله عند هذا الحد بل تعداه إلى مطابقة ومقابلة الحدود الدينية الإسماعيلية مع الاستقسات فبين بدقه مهمة وتأثير كل منها بالاجسام والأنفس. وذكر ان الفرق بين هذه الأجسام وبين الأجسام العالية ان تلك الأجسام لا تستحيل وهذه تستحيل، وتلك فعالة في هذه مؤثرة، وهذه لا تفعل في تلك ولا تؤثر، وحركة تلك دورية شريفة لا تنتهي، وحركة هذه مستقيمة تنتهي، وتلك مصورة وهذه مصورة، دل على ذلك وأوجبه ميزان الديانة وهو أن أنفس النطقاء والأوصياء والأئمة عليهم السلام لا كأنفس من دونهم من الحدود غير معصومة تستحيل إلى الخير والشر، وتلك الأنفس علامة مؤثرة ومن دونها متعلمة مؤثرة فيها، وعلم أولئك صلوات الله عليهم من جهة الحدود العلوية تأييدي متصل لا ينتهي كالحرقة الدورية، وعلم الحدود تعلمي ينتهي،

---

١ ـ راحة العقل ص ٣٣٤

والأنفس كلها من الناطق والحدود وغيرهم من جهة كونها من دار الطبيعة شيء واحد ، وتنبعث من هذه المطابقات والمقابلات آراء جديدة في حركات الأركان الأربعة ، يثبت فيها بان الأركان الأربعة لا ثقل لها في مراكزها ولا لون ، وأنها هي الوسائط للأنفس في إدارة المحسوسات . وتتفرع من هذه النظرية آراء دقيقة يثبتها وينطق فيها ميزان السنن الإلهية ، ومعيار الصنعة النبوية في الموازنة ، باعتبار أن الحدود في الدعوة الهادية دون الأئمة عليهم السلام ، منبعثة للفكر في الأمور الشرعية ، والرموز الوضعية ، طلباً للفضيلة واستنباطاً للعلوم الإلهية ، لذلك وجب أن يكون للأركان في العالم دون الأجسام العالية حركة في ذاتها ، وكان كون الحدود في استنباط العلوم الإلهية والمعارف الدينية التي هي العبادة الباطنة على مراتب : فمنهم من يكون استنباطه لقوته فيه أكثر وحظه من العلوم أجزل ، ومنهم من يكون من ذلك أقل ، موجباً أن الحركة في الأركان على مراتب : ففي بعضها أكثر وأظهر للحس ، وفي بعضها أقل وأخفى . وكان كون إنبعاث الحدود للفكر استنباطاً للمعارف الإلهية وطلباً للفضيلة انبعاثين : انبعاثاً من جهة فكرها في ذواتها استنباطاً للعلوم الإلهية من الوضائع النبوية وذلك يكون من داخل علمها ، وانبعاثاً من جهة ارتقائها في مرتبتها إلى مرتبة هي لها بالطبع المستفاد علماً وعملاً ،موجباً أن حركة الأركان حركتان : حركة من جهة تموج أجزائها في ذاتها ، وحركة من جهة كون أجزائها في حيز غيرها لحوقاً بذاتها التي هي من طبيعتها . وكان كون الداعي المترتب في مرتبته من الدعوة الهادية ، وإن كانت منزلته في العلوم منزلة الحجج بالقوة ــ لا يكاد يرتقي إلى مرتبة الحججية بالفعل إلا الندرة ، وعند القوة المفرطة في الطلب والاجتهاد في العلم والعمل ، موجباً أن البخارات المتولدة في الأرض من كثرة الرطوبات والحرارة لا تكاد تلحق بمركز الهواء إلاّ في الندرة وعند تزايد قوتها واضطرابها طلباً للحوق بمركزها . وكان كون الداعي المترتب في مرتبته من الدعوة إن كانت له قوة وانبعاث للطلب نال مرتبة الحججية ، وإن لم يكن له ذلك بقي في مرتبته

فصار سبباً قريباً للمواليد الروحـــانية ، موجباً أن البخارات في الأرض إن كانت لها قوة تحركت ولحقت بمركز الهواء ، وإن لم تكن لهـا قوة بقيت في مكانها فصارت مادة قريبة لكون المواليد الجسمانية(١) . هكـــذا يذهـــب الكرماني في مقابلاته ومطابقاته ليؤيد مـــا ذهب اليه الإسماعيلية « ان الله أسس دينه على مثال خلقـــه ليستدل بخلقه على دينه وبدينه على وحدانيته » ولإسباغ المناقب والصفات العالية على الحدود الدينية في الدعوة الهاديـــة . ولم ينس الكرماني بأن يتحدث في ماهية العلة الموجبة كثافة الأجسام وكثرة أجزائها ، وعن الموجودات في حيز الهواء من الآثار وأحوالها ، وفي المواليد الثلاثة التي هي المعادن والنبات والحيوان ، وعن الموجود عن الاركان الأربعة بما هو مزاج ، وبما هو ممتزج ، ويؤكد بأن المواليد الثلاثة على ترتيبها معادن ونباتات وحيوانات لا وجود لشخص من أشخاص نوع من أنواعها إلا عـــن المزاج الحادث من الأركان الأربعة بمفاعلة كيفياتها الأربعـة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة بعضها في بعض ، وتأثيرات المؤثرات من فوقها .

ثم ينتقل ليتحدث في المعادن بما هي نفس طبيعية ، وأنهـــا ذات أفعال وعلم فيشرح بدقة ماهية ذلك الفعل ، ويزينه مناسبة ومطـابقة بميزان الديانة ، ومـــن ثم يتحدث في النبات بما هو جسم وأنه أكثر تركيباً وأوفر آلة من المعادن ، وانه نفس نامية فيستعرض كيفية وجودها ، وحالها مع جسمها وماهيتها . ومن ثم يأتي دور الحيوان بما هو جسم ، فيشرح مبدأ ظهوره ، ويبرهن على أنه أكثر تركيباً من النبات وأوفر آلة ، وأنه النهاية في الموجودات التي ليس وراءها موجود آخر . وبعد أن يستعمل ميزان الديانة يوجب بأن الناطق متقدم على الوصيُ والإمام في شرف الرتبة لوجوده أولاً في عالم الدين وأصلا عليه بنى ما سواه من الأحكام والسنن والمناسك ، فهو كالقلب من جسم الإنسان في وجوده أول ،

١ ـ راحة العقل ص (٣٥٣ ـ ٣٥٤)

وكونه أولاً متعلق بوجود النفس النامية التي هي الأصل في وجود باقي الأعضاء . وأن الدعاة [١] بأسرهم خدماً لداعي البلاغ فيما يوردونه عليه من المسائل فيجعلونها سبباً لحصول ما يصل اليهم عنه . وبعد كل هذه الآراء ينتقل ليبحث في نفس البشر بما هي حسية وماهيتها ، وما الأمور التي تحدث فيها وتتبعها في الوجود كمالاً أولاً بها يكون اكتسابها الكمال الثاني ، فيبرهن عن علتها ، والغاية التي تبلغها في أفعالها ، ويستعرض ما يجري منها مجرى المادة ، وما الذي يجري منها مجرى الصورة ، وما الذي يحدث فيها من آثار الاكتساب ، ويبين محلها من الموجودات وأنها واحدة من جهة وكثيرة من جهة . وإذا امعنا النظر في رأي الكرماني هذا حول النفس الانسانية وانها في ذاتها منذ مبدأ وجودها خالية من حقائق المعلومات ، وهي في وجودها خالية من الصور والمعارف ، ككون جسمها في وجوده عارياً من لباس ، لذلك تحتاج إلى الاكتساب وتربية نفسها كحاجة جسمها إلى مثل ذلك ، وسعادتها في التصور والاكتساب بحسب ما يتفق لها ، كسعادة جسمها في السعة والجدة بحسب ما يتفق ، ويذهب إلى أبعد من ذلك فيرى أن النفس تجري في خلوهـا من صور المحسوسات والمعقولات مجرى الورق الأبيض المسقي بمـاء الأرز والنشاء الخالي من الكتابة المهيأ لقبول ما يلقاه ، وليس لها معرفة الا ّ بما توجبه طبيعتها مما يتعلق بامر بدنها ، وذلك لكونها قائمة بالقوة وهي في رتبتها هذه كالمادة جوهر بالقوة مستعدة لأن تقبل ما به تتم ذاتها ، ولكونها كذلك خالية من المعارف ، قال تعالى : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » لذلـك نجد النفس أبداً مشتاقة متحننة إلى علتها ، ناهدة إلى بلوغ كمالها بالنظر لافتقارهـا وحاجتها إلى هـذا الكمال لسد نقصها ، فتبذل المستحيل في اكتساب العلوم والمعارف لمعرفة

١ - راحة العقل ص (٤٣٦ - ٤٣٧)

حقيقتها ، ولا تستحق النفس أن يقال انها عقل قائم بالفعل ، وإن كان يقال على البشر انهم عقلاء ، لانها في رتبتها قائمة بالقوة ، ولكنها تبلغ رتبتها باستعمال المناسك والسنن الإلهية المفروضة في الملة وتصير عقلاً بالفعل فتكون حينئذ عاقلة بالحقيقة . ويقال عنها نفس لحصول الأفعال عنها بحسب مزاجها وطبيعتها الأولة ، فإذا كانت الأفعال عنها تصور بحسب الارادة الموجبة كيفية انبعاثها لاكتساب السعادة ومجانبة أسباب الشقاوة، فهي حينئذ عقل لأنفس ، لانها نالت باكتسابها ما نقلها من رتبتها ألى غايتها، ولذلك هي آخر الموجودات ونهايتها الثانية . كما ان تلك الحياة الإبداعية التي هي العقل الأول أول الموجودات ونهايتها الأولة ونهاية دائرة الخلق . وهذه الآراء أخذ عنها فيما بعد اكبر الفلاسفة الأوروبيين وزعموا بانها من انتاج عقولهم المبدعة ، بدون أن يدور بخلدهم بأن هنالك من سبقهم إلى هذا الاكتشاف . وتنبعث من هذه الآراء آراء أخرى يحللها ويناقشها فيلسوفنا العظيم ، فنراه يتساءل عن حال نفس البشر بما هي ناطقة ، وهل هي النفس الحسية بعينها التي فعلت مرتبتها ؟ أم للانسان أنفس ثلاث : نامية ، وحسية ، وناطقة ، على ما يقال ؟ وما هي : أجوهر أم عرض ؟ فإن كانت جوهراً فيلزمها ما يلزم الأجسام من الأعراض . أم لها أعراض تخصها ، وما الذي يجري منها مجرى المادة ويجري منها مجرى الصورة ؟ ويجيب على كل هذه الأسئلة مقدماً الأدلة والبراهين على أن نفس البشر نفس واحدة لا على ما يقال إن له أنفساً ثلاثاً : نامية ، وحسية ، وناطقة عاقلة ، فإنهم إنما قالوا ذلك من جهة ما ظهر لهم من أفعالها التي وجدوها منه ، فباستمداده الغذاء الذي هو فعل الحياة النامية أوجبوا له نفساً نامية ، وباحساسه وطلبه الغذاء والملاذ الذي هو فعل الحيوان أوجبوا له نفساً حسية ، وبتصوره وتعقله ورأيه وتمييزه الذي هو فعل العقل أوجبوا له نفساً ناطقة عاقلة ، ويخلص إلى القول فالحكم مستمر بأن النفس واحدة ، ولكنها من جهة أفعالها كثيرة ،

ومن جهة ما هي متحركة من المحسوسات لها قوة حسية ، ومن طريق أنها تقدر أن تحفظ الاحساسات فإنها قوة أخرى ، وهي واحدة ، وبأفعالها المتغايرات وأساميها كثيرة ، لأنهـا نفس ذات قوى [١] . ومن ثم ينتقل ليقول بأن النفس بذاتها تخاطب وتزن وتأخـذ وتعطي وتنهى وتأمر ، وتصعد وتنزل ، وتغوص وتخرج ، وتعاين وتشاهد ، وكفى بذلك شهيداً ودليلاً عليه ما يراه الإنسان في منامه من أفعالها التي يصح تأويلها ، فتلـك الأفعال ليست بآلة ، فإن الآلات هي مجموعة في شخصها وهي جامدة وهي في الآفاق طائرة سائحة فهذا ما يتعلق بالأفعال ، وبين كل فعل منها والآخر فرق ، والفرق بين فعلها الذي يكون لمصلحة جسمها وبين الفعل الذي يكون لاصطياد المعارف . وفي تركها فعلهـا الذي يكون لمصلحة جسمها انتقاص أجزاء الجسم وهلاكه ، وانحلال تركيبه وهو الموت ، وفي تركها الفعل الذي يكون لاصطياد المعارف تعطل الحواس عن عملها وهو النوم [٢] . وللكرماني بالاضافة إلى كل ما أشرنا اليه حـديث طويل عن النفس وما لها بعد انتقالها من الجزاء على اكتسابها ، وعـن البعث ، والحساب ، والثواب ، والعقاب والجنة ، والنار ، وعن كيفية الحال في الجميع ، ونلاحظ أن الكرماني عند مناقشته وتحليله لهـذه الأشياء يتعرض لمحمد بن زكريا الرازي فيذهب إلى أن الأمر قد اختلط عليه حتى صار مثل جالينوس في فضله على أبناء جنسه ومعرفته بالخلق الطبيعي في زمانه متحيراً في معرفة النفس وحالها ، وفي معرفة المبادىء وكيفيتها ، فيقول أنه لا يدري أقديم العالم أم محدث ؟ والنفس أجوهر أم عرض ؟ ويذكر في كتابه الفصول تارة إن الطبيعة هي المزاج الذي تولد من الاسطقسات الأربـع للانسان ، وتارة إن الطبيعة ليست شيئاً سوى الحرارة الغريزية ، وتارة إن الطبيعة هي الحرارة . وإذا كانت

---

١ ـ راحة العقل ص (٤٧١ ـ ٤٧٢)

٢ ـ المصدر نفسه ص ٤٩٥

تلك العقول لم تتجه ولم تهتدِ إلى الصواب باكتفائها بآرائها في ذلك . فكيف تهتدي إلى ما هو أغمض من ذلك من أمر البعث وما يكون بعد الموت ؟ إلا بقوة المؤيد من السماء الذي يأتي بالأمثلة والأدلة ويردد الخطاب تصويراً وتعليماً «كلا» ، وهذا الايجاب يحكم بأن حكمهم فيه وإن كان صحيحاً على الوجه الذي بينا في ذكر ما كون النفس جوهراً أم عرضاً ، فان تلك الأنفس في وجودها لأشخاصها كانت ، وهذه النفس لشخصها وذاتها جميعاً كانت ، وبقاؤها متعلق بالاكتساب والاعتلاق بالسنن الإلهية (١) .

ويخلص في تحليله إلى اثبات الجزاء ووجوبه لأنه يتعلق بالبعث ، والبعث هو فعل الله ، مقدماً الأدلة عن طريق تأويل عدد من الآيات الكريمة ليثبت بأن صاحب الدور السابع الذي يحصل في الوجود آخر دور حين يبعث في عالم الطبيعة أولاً كما يبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه أمة بعد أمة ، وليؤكد بأن في يوم القيامة الكبرى يأتي كل صاحب دور من الأدوار السبعة ، بمن في دوره ومن اتبعه على أمره من النبي والوصي والأئمة والدعاة والتابعين باحسان. وبنفس الوقت لينفي نظرية التناسخ والتقمص ، وليقر بأن من يكون مبعوثاً ممنوناً عليه بالضوء الذي تضيء له المعارف كلها فيرتقي إلى أن يظهر بقدرته البارعة الممنوحة له ما هو اعظم من المعاجز وعلم الغيب لأنه في رتبة النفس في الأعلى والأشرف .

وقد لاحظنا بأن الكرماني يستنكر ما فعله (ديصان) وابن المقنع خاصة الذي أظهر من الأمور بخراسان من اطلاعه قمراً يضيء في وقت معلوم وغير ذلك مما لم يعاضد احداً منهم ما دعا اليه بموازنته ، ولا شيده بمطابقته فيكون دليلاً على ثبوت رتبته في المؤيدين فثبت أنه كان كاذباً مضلاً . هذه نقطة هامة بالنسبة لمن درسوا تاريخ الحركات الباطنية في الاسلام لا بد لنا من الوقوف

- راحة العقل ص (٥١٥ ـ ٥١٦).

عندها قليلاً لنقول لأولئك الكتاب والمؤرخين الذين يزعمون بأن المؤسس الحقيقي للدعوة الاسماعيلية هو (ديصان) هذا الذي اعتبره الكرماني كاذباً مضلاً ، فما رأيكم بهذا القول الذي صدر عن اكبر عقلية اسماعيلية عرفها العهد الفاطمي ؟ وهل يكفي ما ذهب اليه لنفي أباطيلكم ومزاعمكم ؟ أم انكم بحاجة إلى الاستنتاج والاستنباط والاكتشاف ؟

هذه هي الأبحاث الهامة التي استعرضها الكرماني في راحة عقله باسلوب الفيلسوف المتمكن فسبر أغوارها ، وحلق في متاهاتها محللا وموازناً ومطابقاً ومناقشاً جميع الآراء التي قيلت في أمثال هذه المواضيع ، ومقدماً الحلول والنظريات والابتكارات التي تدل دلالة واضحة على أنه كان فيلسوفاً عبقرياً لا يجارى،وداعياً باطنياً مؤمناً لا يشق له غبار . ولا بد لنا قبل نهاية المطاف ما دمنا قد وصلنا الى هذا الحد من أن نشرك معنا في البحث اخوان الصفاء وبعض الفلاسفة الإسماعيلية لنستمع إلى رأيهم على الأقل حول الحدود العلوية لنرى إلى أي حد يتفق معهم الكرماني .

قال اخوان الصفاء[1] : « ان الله تعالى هو المبدع وبعده العقل الفعال وهو جوهر بسيط روحاني أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى، علام بالفعل، وبعده النفس الكلية وهي جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعالة في الهيولى بالتحريك لها ، وبعدها الهيولى الأولى وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة ، بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة فيه ، وبعدها الطبيعة الفاعلة وهي قوة من قوى النفس الكلية سارية في جميع الأجسام مدبرة لها تسمى النفوس الجزئية أو الملائكة ، وبعدها العناصر السفلى كالنار، والهواء، والماء، والأرض، وبعدها المعادن، والنبات، والحيوان..». وقالوا ايضاً : «.. فالعقل هو أول موجود أوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة،ثم أوجد النفس

---

١ ــ رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٩٨ الطبعة المصرية

بواسطة العقل ثم أوجد الهيولى... والعقل جوهر روحاني فـاض من الباري عز وجل وهو باق تام كامل، والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل، وهي باقية تامة غير كاملة، والهيولى الأول جوهر روحاني فاض من النفس، وهو باق غير تام ولا كامل..[1] » .

وقالوا أيضاً [2] : « ... واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه بأن الله تعالى لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالمـاً بالكائنات قبل كونها قادراً على إيجادها متى شاء، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته ولا يجود بها ولا يفيضها، فإذاً بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء، ودام ذلك الفيض منه متصلاً متواتراً غير منقطع فيسمى أول ذلك الفيض العقل الفعال، وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية التمام والكمال والفضائل، وفيه صور جميع الأشياء كما يكون في فكر العالم صور المعلومات، وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونـــه في الرتبة يسمى العقل المنفعل وهي النفس الكلية، وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقـــل الفعال على الترتيب والنظام كما يقبل التلميذ من الأستاذ التعليم، وفاض من النفس أيضاً فيض آخر دونها في الرتبة يسمى الهيولى الأولى، وهي جوهرة بسيطة روحانية قابلة من النفس الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء، فأول صورة قبلت الهيولى الطول، والعرض، والعمق، فكانت بذلـك جسماً مطلقاً وهو الهيولى الثانية ووقف الفيض عند وجود الجسم ولم يفض منه جوهراً آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية وغلظ جوهره وبعده من العلة الأولى، ولما دام الفيض من الباري تعالى على العقل ومن العقل على النفس عطفت النفس على الجسم فصورت فيـه الصور والأشكال والأصباغ لتتممه بالفضائـــل والمحاسن بحسب ما يمكن من قبول الجسم وصفاء جوهره، فأول صورة عملت النفس في الجسم الشكل الكري الذي هو أفضل الأشكال

١ ـ رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٨ الطبعة المصرية
٢ ـ المصدر نفسه ج ٣ ص ١٤ الطبعة المصرية

كلها وحركته بالحركة الدورية التي هي أفضل الحركات ، ورتبت بعضها جوف بعض من لدن الفلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض وهي أحد عشر كرة ، فصار الكل عـالماً واحداً منتظماً نظاماً كلياً واحداً ، وصارت الأرض أغلظ الأجسام كلها وأشدها ظلمة لبعدها عـن الفلك المحيط ، وصار الفلك المحيط ألطف الأجسام كلها وأشدها روحانية ، وأشفها نوراً لقربها من الهيولى الأولى الذي هو جوهر بسيط معقول ، وصارت الهيـولى أنقص رتبة من العقـل والنفس لبعدها من الباري جل وعز وذلـك أن الهيولى هي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علامة ولا فعالة ، بل قابلة آثار النفس بالزمان منفعلة لها متعلقة بهـا ، وأما النفس فإنها جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان ، فعالة في الهيولى بالتحريك لها بالزمان ، وأما العقل فإنه جوهر بسيط روحاني أبسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى علام بالفعل مؤيد للنفس بـلا زمان ، وأما الباري تعالى فهو مبدع الجميع وخالق الكل ، فالمبدع لا يشبه المـُبْـدَعْ ،وكذلك الخالق لا يشبه المخلوق والفاعـل لا يشبه المفعول بوجه مـن الوجوه ، وسبب من الأسباب [١] .. » . هذا هو ترتيب عالم الإبداع لدى اخوان الصفاء ، يقابله عوالم ثلاث هي : عـالم الأجرام ، وعالم الأجسام ، وعـالم الدين ؛ أما داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي فعنده أن الله تعالى أبدع السابق واخترع التالي المكنى عنهما بلسان الشريعة بالكاف والنون وهما الكلمة التي قامت منهما السموات والأرض [٢] :

بديـع شكر ووسيع حمد ... لمبدع الكاف الرفيـع المجد
أكمله سبحانه إذ أبـدعه ... مبتدعاً واخترع النون معه [٣]

ولنستمع إلى فيلسوف وعالم إسماعيلي آخر هو (أبو يعقوب السجستاني)

١ ــ رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٥ الطبعة الهندية
٢ ــ المجالس المؤيدية المجلس ٤٨٧
٣ ــ القصيدة الثانية من ديوان المؤيد في الدين الشيرازي

لنرى ماذا يقول [١] : « إن كل محيط يكون أشرف من المحاط به لا محالة وأسبق وجوداً ، وإلا فتمتنع عليه الإحاطة ، ولما كان العقل جوهراً محيطاً بالأشياء كلها ، فهو السابق في الوجود قبل كل محاط به ، والعقل يشبه الواحد الذي هو أول الأعداد ، ولم يسبقه شيء منها ، لا من الأفراد ولا من الأزواج بل كلها تتكثر من الواحد وبالواحد . وكذلك العقل واحد ، وهو الذات لجميع المعقولات ، التي تتكثر منه وبه ... والعقل أول المعلولات، وعلة لم يسبقه شيء منها .. فإن الله تعالى ذكره ذكر أن أمره الواحد الذي أبدع المبدعات إنما هو ركن ، وهو خطاب مع المخاطب . فوجب أن يكون المخاطب به من يعقل ذلك ، لأنه من المحال أن يخاطب جل جلاله بـ (كن) القولي من لا يعقل ذلك منه . فلما استحال ذلك ، صح أن خطابه إنما كان مع من يعقله منه . ولم يكن غير جوهر العقل ممن يمكنه قبول خطاب الباري جل وعز ... على أن بأمر الله جل وعز ظهور السابق الذي هو العقل الأول الذي لم يسبقه في الإبداع شيء بل على الأشياء كلها .. [٢] .. » . ولنلاحظ كيف يثبت السجستاني في أن قبل العقل الأول لا يتوهم شيء البتة [٣] :

« كيف يتوهم قبل العقل شيئية ، والعقل إنما هو شيئية الأشياء كلها ، وشيئية الأشياء كلها هو العقل ، ولو جاز توهم شيئية قبل العقل ، والعقل شيئية الأشياء كلها ، كان العقل إذا قبل ذاته . والشيء لا يكون قبل ذاته ، فإذاً توهم شيئية قبل العقل ممتنع . وكيف يكون الإبداع شيئاً قبل المبدع ، وليس مع المبدع شيء البتة ، ولو جاز أن يكون مع المبدع قبل إظهار المبدع شيء ليس بمبدع ، إذا جاز أن يكون شيء مبدع وشيء غير مبدع بمعنى الشيئية . وإذا كان ذلك كذلك ، فقد أبدع الباريء ما جاز أن يكون غير مبدع بمعنى الشيئية ، وإذا كان أبدع المبدع ليس بمبدع ، ومعنى الشيئية فيه

---

١ ـ كتاب الينابيع تحقيق مصطفى غالب ص ٧٩
٢ ـ المصدر نفسه ص (٨٠ ـ ٨١)
٣ ـ المصدر نفسه ص (٨٢ ـ ٨٣)

موجودة . فإذا ظهرت الشيئية بظهور المبدع وبعده ... ومعنى الشيئية هو إثباته لذات ما ، ثم وجدت الذوات أما محسوسة ، وأما معقولة . فشيئية المحسوسات ثباتها بالحس ، وما لم يثبته الحس ، فثباته في العقل موهوم ، فشيئية المعقولات إذاً بالفعل وما جاز العقل ، فلا ثبات له البتة ، لا محسوساً ولا موهوماً . وما لا ثبات له محسوساً ولا موهوماً ، فشيئيته إذاً غير موجودة.».

وإذا أمعنا النظر في كل ما خلفه لنا علماء ودعاة وفلاسفة الدعوة الإسماعيلية رأيناهم جميعاً قد عالجوا هذه الأمور وبحثوها بحثاً عميقاً ، وعلقوا عليها وناقشوها وطابقوها مع عالم الصنعة النبوية ، أو بالأحرى مع تنظيمات وترتيبات الدعوة الاسماعيلية ، بحيث لا نجد أحداً منهم خالف الأصول أو شذ عن الأحكام ، فاخوان الصفاء الذين يعتبرون بحق أصحاب أول بذرة فلسفية في العقائد الاسماعيلية الباطنية ، قالوا عن الموجود الأول أنه العقل الفعال وأيدهم في ذلك من تلاهم من الدعاة الأول ، ولكن الكرماني أطلق عليه العقل الأول ، وسماه السجستاني السابق ، وقال غيرهما الموجود الأول أو الكاف ، وكذلك اخوان الصفاء أطلقوا على الحد الثاني النفس الكلية بينما سماه الكرماني المنبعث الأول ، وجاء غيره فسماه التالي أو اللوح ، وقال غيره الموجود الثاني ، ولكن الجميع متفقون على تسمية هذين الحدين بالأصلين ، ويقابلهما في عالم الصنعة النبوية الناطق والأساس . هذا من جهة ومن جهة ثانية نرى القول بالانبعاث وبالابداع وبالمبدع وبالمنبعث شائعاً في جميع الكتب الفلسفية الاسماعيلية وخاصة في رسائل إخوان الصفاء .

وكذلك نلاحظ أن مذهب الكرماني، والسجستاني، والنسفي، والرازي، ومنصور اليمن، والقاضي النعمان، في وجود العقل الأول أو الحد الأول على طريق الانبعاث هو صورة طبق الأصل عما يذهب اليه اخوان الصفاء من أن العقل الفعال له الابداع الاول والخلق الأكمل ، وأن النفس الكلية هي الابداع الثاني والمنبعث الأول ، ولا يختلف إخوان الصفاء عن هؤلاء إلا في تسمية الحدود ، وليست هذه هي القاعدة أو النظرية الوحيدة التي يقع فيها التشابه

بين هؤلاء الدعاة وبين إخوان الصفاء ، وإنما هنالك مسائل وقواعد ونظريات أخرى تتصل بمراتب الوجود وترتيب العقول وما يطابقها من ترتيب الأفلاك والأجرام وحدود عالم الدين . وهذا التشابه يظهر ويتجلى بوضوح في بعض القواعد حتى يأخذ صورة التطابق في الألفاظ والعبارات فضلاً عـــن جوهر العقائد وصميم الأصول والفروع ، ذلك ما يؤكد ويبرهن على صحة ما ذهبنا اليه ، وهو أن الكرماني لم يكن متأثراً بمن سبقه من الدعاة الأول وبإخوان الصفاء بالذات ، ولا متفقاً معهم في الآراء والاعتقادات الدينية فحسب ، وإنما يذهب مذهبهم ، وينهج نهجهم ، ويرى رأيهم ، لأنه من أخلص تلامذة مدرستهم الفكرية ، ومن حافظي تعاليمهم الباطنية السرية التي جعلها تبلغ الذروة على يديه بما قدم لها من ابتكارات واكتشافات فتحت أمامنا آفاقاً جديـــدة في معرفة أصول وأحكام الفلسفة الاسماعيلية ومدى تأثيرها في تاريـــخ الحياة العقلية الانسانية .

ومما لا جدال فيه بأن هذا الكتاب الذي نضعه اليوم موضع التداول يعتبر من أقوم الكتب الفلسفية الباطنية السرية عند الاسماعيلية ، وهم لا يجيزون الاطلاع عليه إلا لمن ترقى في العلوم والمعارف العقلية ، واجتاز الحلقات ، وقطع المراتب ، حتى بلغ مرتبة عليا خاصة من مراتب عالم الصنعة النبوية .

تحقيق الكتاب

إستطعنا أن نعثر على نسختين خطيتين لهـــذا الكتاب اعتمدنا عليها في تحقيقه . النسخة الأولى وهي التي رمزنا إليها بالحرف (ن) تكرم باعارتنا إياها السيد نزار حسن بهادوري من بلدة سورت في الهند جزاه الله عنا كل خير . كتبت هذه النسخة على ورق صقيل بمداد أزرق ، والعناوين بالحبر الأحمر وبخط رديء ، عدد صفحاتها ٥١٠ صفحات من قياس ١٦ × ٢٤ سنتمتراً . ولا يوجد في نهايتها أية إشارة عن كاتبها وتاريخ نسخها . والظاهر أنها نسخت حديثاً ، وهي كثيرة الأخطاء وقليلة الترتيب .

أما النسخة الثانية التي رمزنا إليها بالحرف (ك) فقد نسخها لنا السيد هاشم علي في كراتشي الباكستان سنة ١٩٥٣ ميلادية بتكليف مـن رئيس الجمعية الاسماعيلية المرحوم الدكتور بير محمـد هودبهائي عن النسخة الخطية الموجودة في مكتبة الجمعية بالقسم العربي .

وتعتبر هذه النسخة من أصوب وأصح النسخ التي شاهدناها في تلك الديار ، وتقع في ٤٦٣ صفحة من قياس ٢٠ × ٢٩ سنتمتراً كتبت بخط نسخي جميل ، وعناوين الكتاب، والأسوار، والمشارع، بالحبر الأحمر المذهب .

ولا بد لنا ونحن نقترب من النهاية من أن نهدي أجزل الشكر ، وأعطر الامتنان لصاحب دار الأندلس في بيروت الأستاذ حسين عاصي الذي يقوم بأعظم مجهود في سبيل العلم والثقافة ، ويعمل على نشر أكبر عدد من الكتب العلمية والأدبية ، تجاوباً مع النهضة العربية الحديثة .

سدد الله الخطى ، وطيب المسعى ، والله ولي التوفيق

بيروت في ٢٥ / ٧ / ١٩٦٧ **مصطفى غالب**

بسم الله الرحمن الرحيم

« وبه ثقتي »

أما قبل : فالمنة للمنعم الذي توجهت نحوه الرغبات ، والطول للملهم الذي قصدته الأنفس بالدعوات ، إلهاً سبحت له الموجودات[1] ناطقة بعظمته ، وقدسته الأكر الدائرات[2] منبئة عن باهر قدرته ، وذلت العقول خاضعة لنور وحدته ، وظلت[3] الألباب متواضعة لبهاء حكمته ، علا عن صنعة الكمال الموجودة في اختراعه ، وسما عن سمة التمام والجلال المختص بإبداعه ، فاحتجب متفرداً[4] بلامثلية هويته هو ، وامتنع عن أن يتناول بصفة متوحداً بما عليه هويته هي[5] ، ذلك بأنه هو هو ؛ فلا مثل له ولا عديل[6] ، ولا ضد له ولا مثيل ، ولا زوج ولا قرين ، فسبحانه من إله عدمت العقول ما تصفه به فبقيت عن نيله كليلة ، وافتقرت إلى الإقرار بالعجز فخضعت لكبريائه ذليلة ، الذي لا ينهض طلباً لمعرفته ناهض إلا أله ، ولا نظر في بديع صنعته ناظر إلا ود لو عرفه فغوى ووله ؛ وأشهد أن لا إله إلا هو أبدع العلة والمعلول ، واخترع الأعيان والعقول ، فجعل السابقات منها في الوجود

---

١ ـ الموجودات هي اشياء كثيرة منها ما يرى بالعين المجردة ومنها مما لا يرى وتشمل العوالم الابداعية والانبعاثية ، والمخلوقات الجسمانية ، والمبدعات الروحانية ، والسموات بافلاكها ، والنجوم باعدادها ، والرياح بجريانها ، والارض وما عليها .

٢ ـ الاكر الدائرات : يعني الاجرام والكواكب والافلاك والابراج وتعرف بعالم التركيب .

٣ ـ في ن : وضلت

٤ ـ فاحتجب متفردا بذاته الابداعية السرمدية لانه جوهر في ذاته أزلي الغاية لا مثل له في العوالم الابداعية والانبعاثية لانها من مخترعاته . لانه هو مذهو فرد ، وكان فيما هو فرد لامتناع وجود مثله . لان الالهية ليست بشيء مما يدرك بعقل او نفس ، ولا مما يحكم عليه بوهم او حس الا لما تضطر الانفس عند الاقرار به الى القول بانه الله الذي لا اله الا هو ، ولا معبود سواه .

٥ ـ بما عليه هويته هو التي ظهرت عنها المبدعات والمنبعثات والمكونات التي منها هي . وهو تعالى من ورائها في ذروة العزة فلا تهتدي العقول الى تناوله بصفة .

٦ ـ في ن : ولا عدل

أسباباً [١] ، والمتأخرات منها في نيل كمالها [٢] كتاباً ، ووصل بينها بالبدور الباهرة ، والأنجم الزاهرة ، فسرت أشعتها في عالم النفس فجعلتها بما تتعلق به السنن الإلهية عقلاً محضاً . وفاضت بركاتها عليها فأقامت منها بإزاء موجوداتها سماءً وأرضاً ، عالماً يجمع براً وبحراً ، أياماً وأشهراً، ليلا ونهاراً ، شموساً وأقماراً ، أحياءً وأمواتاً ، حيواناً ونباتاً ، آباءً وأمهات ، بنين وبنات، ذكوراً وإناثاً ، أكواناً وانبعاثاً ، وطلعت كواكبه ساطعة أنوارها ، وكشفت عن الأنفس ظلمة الطبيعة ظاهرة آثارها، فأصبحت في ذروة السعادة تتبوأ حيث تشاء من الجنان ، وتستعد للوفود على النعيم في جوار الرحمن ، فحمداً حمداً على هذه النعمة الغراء ، ثم شكراً شكراً على هذه المنة البيضاء ، وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها. والصلوات الدائمات، والكرامات المتتابعات[٣] على شمس الملة ، ومنقذ العباد من الشرك والذلة ، محمد الذي دار فلك التوحيد بدعوته، واستنارت أهلة الدين بحكمته ، وغارت أنجم الضلال ببركته، وبطلت معالم الشرك[٤] بعزته ، وتوطدت قوانين العبادة بهدايته ، وأسفر صبح الموحدين بسفارته ، وعلى ذروة المعالي ، والنور المتلألىء[٥] أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أشرقت مطالع العبادات بزاخر علمه ، وأوجب الله طاعته بعد نبيه على قومه [٦] ، فبذ قصب السبق بمفاخره وحكمه ، وأصبح بعمله وعلمه للأمة قائداً ، ولها في أرض القدس رائداً ؛ وعلى الأئمة الأبرار

١ — في ك : سببا
٢ — في ن : كملاتها .
٣ — في ك : المتبعات
٤ — في ن : الشراكة
٥ — في ك : المتعالي

٦ — من صميم الاصول والاحكام الاسماعيلية قولهم بان القرآن الكريم نص صراحة في بعض آياته على ضرورة وجود الامامة بعد الرسول ، وان النبي صدع بامر ربه واعلن عن امامة علي بن ابي طالب من بعده . لذلك جعلوا الولاية بامر من الله تعالى الذي نص على ولاية علي بن ابي طالب يوم غدير خم في آية النص (يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) والتي اولوها تأويلا يتفق مع مذهبهم في ولاية الامام علي بن ابي طالب (ع) وابنائه من بعده ، على ان يكون الابن الاكبر من اهل البيت .

الطاهرين ، والهداة الراشدين ، أغصان الشجرة العلوية ، وفروع الدوحة النبوية ، وبيوت علم الله وأنواره ، ومحل القدس وقراره ، وسكان الطور ، وعمار البيت المعمور ، آباء مولانا أمير المؤمنين ، وخص الله الإمام مولانا[١] الحاكم بأمر الله [٢] أمير المؤمنين بأفضل التحيات والصلوات ، وأطايب البركات والزكوات .

أما بعد : فللحق أعلام ، وللأمور نظام ، والفضيلة مطلوبة ، والقدرة على اقتنائها موهوبة ، والسعادة بمنزلة الكمال مقرونة ، والحياة الأبدية[٣] باستعمال مناسك الشرع مرهونة . وأعلى الدرجات في العليين درجة الهداة المعلمين ، وأعلاها درجة منزلة الهداة الفضلاء العالمين ، ولا منزلة لعالم في دين الله لا يفيد ، كما لا وجود لنفس من أولياء الله لا تستفيد ؛ وإن أبعد [٤] الناس من السعادة من استهان بأحكام الملة ، وأخل بشرائط أهل القبلة ؛ وأخسر الخاسرين من أفنى أيام عمره مؤثراً هواه على دينه [٥] .

وإني لما رأيت كلا من الشيوخ [٦] ممن علت كلمتهم ، وانبسطت دعوتهم ،

---

١ ـ سقطت في ن

٢ ـ الحاكم بامر الله الخليفة الفاطمي السادس والامام الاسماعيلي السادس عشر ولد بالقصر الملكي في القاهرة ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة ٣٧٥ هـ في الساعة التاسعة والطالع عن برج السرطان سبع وعشرون درجة . تولى الخلافة والامامة بعد وفاة ابيه وسلم عليه في مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء العشرين من رمضان سنة ٣٨٦ هـ. وكان عمره ١١ سنة وخمسة اشهر وستة ايام . اعلنت غيبته ليلة الاثنين ٢٧ شوال سنة ٤١١ هجرية .

٣ ـ سقطت في ك

٤ ـ في ن : بعد

٥ ـ في ك : ديانته

٦ ـ الشيوخ : يعني كبار الدعاة والحجج والابواب الذين كتبوا في اصول واحكام وفلسفة الدعوة الاسماعيلية وشرحوا رموزها واشاراتها في مجالسهم التأويلية وهذا دليل واضح على ان مرتبة (الشيخ) كانت معروفة لدى الاسماعيلية منذ القدم وتطلق على كبار المفكرين من الدعاة .

وعمت بركتهم ، بجمع الكتب وتصنيفها واجتذاب [١] النفوس إلى طريق المعاد [٢] وتأليفها قد قضى حق ما أنعم[٣] به عليه من مواد السعادة ، وقام بالشكر على ما سبق إليه من النعمة تعليماً لأهل العبادة ، وأظهر من ميزان الحكمة في السنة الإلهية ما يجمع الأنفس إلى دار القرار ، ويجذبها إلى مجاورة الأئمة الأبرار [٤] ، فاجتهد وقام ، وعبد وهدى ، وبحسب الاستطاعة أورد ، وكان وراء ما أوردوه في مصنفاتهم ما يفتقر إليه أهل الديانة في الارتقاء إلى ذروة الملكوت ، ويشتاق أولو الفضل إليه في الإحاطة بدار العزة والجبروت ، تصوراً للموجودات ، وتحققاً للعلل منها والمعلولات ، وكنا معاشر الدعاة — دعاة آل محمد صلوات الله عليه وعليهم — إلى توحيد الله بولايتهم وطاعتهم أولنا لآخرنا مرافداً ، وآخرنا لأولنا معاضداً ، ليجتمع بالتظاهر شمل الإدراك ، ويقع التمكن بالتظافر من مفارقة ما تحت الأفلاك ، رأيت أن أبسط كلامي في مبادىء الموجودات ومراتبها في الوجود ، والدلالة عليها من مباني الصنعة النبوية التي بها ومن جهتها والإحاطة بصورتها ترتقي النفس إلى مجاورة الملأ الأعلى وتسعد بمعاني المرموزات في الصحف الأولى ، قياماً بحكم التعاون في العبادة [٥] والترافد ، في أداء الفرض [٦] والتوازر في الدين والتعاضد ، وقضاء لحق النعمة فيما أولانيه ولي الله في أرضه صلوات الله عليه من بركاته التي أصبحت بها في نعمة تامة ، وروضة مدهامة ، ماؤها معين ، وهواؤها على المراد معين ، وسكانها حور عين ، ثم شكراً على الموهبة ، وطلباً للأجر والمثوبة ، ففعلت وجمعت المراد في كتابي هذا ، وسميته [كتاب راحة العقل] لكونه بما يحويه من أسواره الجامعة لمشارعها مما لم يذكر في الكتب ،

١ — في ك : واجدب
٢ — في ن : العبادة
٣ — في ن : تعلم
٤ — الائمة الابرار : اي ائمة الدعوة الاسماعيلية اصحاب النص المنحدرين من سلالة الامام علي بن ابي طالب (ع) .
٥ — في ك : والعيادة
٦ — في ن : واداء الفرض التوازر

ولا أودع بطون الصحف إلا بالايماء [١] والرمز ، جامعاً لما يدرك به العقل راحته في نيل القدس ، أعني عقولنا التي هي في دار الطبيعة ذات الأنفس .

والكتاب يتضمن [٢] سبعة أسوار ، كل سور يشتمل على مشـارع [٣] سبعة ، والسور السابع يشتمل على أربعة عشر مشرعاً مضاعفة في سابعهـا لتتمة المراد [٤] ، ورجاء إلى بلوغ الكمال في المعـاد . وأنا أستعـين بالله ، وبوليه في [٥] أرضه في إتمامه ، وأسأله العصمة والتوفيق للإصابة ، وإن كنا لا نعرى فيها من الزلل ولا حول [٦] ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

السور الأول : — في صدر الكتاب وبيان ما يجب بيانه على قـارئه ، والعلة في ترتيب الأسوار ومشارعها على ما رتبت عليه .

ويشتمل على سبعة مشارع :

١ — المشرع الأول : فيما يجب من تهذيب النفس وتهيئهـا للقبول ، ومـا يهذبها ويهيؤها قبل قراءة هذا الكتاب .

٢ — المشرع الثاني : فيما يجب الأخذ به من الاستظهار في قراءة الكتب [٧] الدينية واتباع المعلمين وتعريف كتابنا هذا .

٣ — المشرع الثالث : فيما يجب أن يقرأ قبل هذا الكتـاب من الكتب

---

١ — في ك : بالالجاء
٢ — في ك : يحتوي على
٣ — في ن : شوارع
٤ — لتتمه المراد : اي لتكون تقسيمات الكتاب موافقة لتنظيمات الدعوة الاسماعيلية وللادوار والاكوار .
٥ — وبوليه في ارضه : يعني حجة الله وامام العصر والزمان المنصوص عليه من آل البيت وهو الامام الاسماعيلي .
٦ — في ك : حول لنا ولا قوة
٧ — في ن : الكتاب . سقطت الدينية من ك

ويجعله قبله [١] في المواظبة على تأمل ما فيه .

٤ – المشرع الرابع : في الغرض المقصود في ترتيب أسوار هذا الكتاب بما نسوره [٢] من مشارعه على ما رتبت عليه .

٥ – المشرع الخامس : في بشارة من يقرأ هذا الكتاب على سبيل الديانة من العابدين لله تعالى بالملة الحنيفية وعلى الترتيب المرتب في مسالك العبادة بالنجاة والنعيم في دار الأزل والبقاء .

٦ – المشرع السادس : في بشارة من يقرأ كتابنا هذا لاعلى سبيل الديانة ولا على ترتيب العبادة [٣] ممن لايرى العمل ، ويقصر في تقويم النفس بالعذاب الأليم الدائم الأبدي نعوذ بالله منه .

٧ – المشرع السابع : فيما يحصل للنفس بقراءة هذا الكتاب واستيعاب ما فيه وتصوره من المنفعة في نيل الكمال [٤] .

السور الثاني : – في التوحيد والتقديس والتحميد والتمجيد الذي هو تاج العقول .

ويشتمل على سبعة مشارع :

١ – المشرع الأول : في الله الذي لا إله إلا هو ، وبطلان كونه ليساً [٥].

٢ – المشرع الثاني : في بطلان كونه تعالى أيساً [٦] .

---

١ – قبلة . سقطت من الكتب من ك
٢ – في ك : المسورة سقطت من ك مشارعه على ما رتبت عليه
٣ – في ك : العبارة سقطت من ك الدائم .. نعوذ بالله منه .
٤ – في ك : المآل
٥ – في ن : ليس
٦ – في ن : أيس . سقطت تعالى في ك

٣ ــ المشرع الثالث : في أنه تعالى لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه لا يجسم ولا في جسم ولا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به محس .

٤ ــ المشرع الرابع : في أنه تعالى لا صورة ولا مادة ، ولا معه فيا هو هو ما يجري منه مجرى مادة يفعل فيها [١] ، فسبحانه وتعالى عن ذلك .

٥ ــ المشرع الخامس : في انه تعالى لا ضد له ولا مثل [٢] .

٦ ــ المشرع السادس : في أنه لا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب عنه بما يليق به .

٧ ــ المشرع السابع : في أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح والتمجيد والإثبات ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى [٣] .

السور الثالث : ــ في القلم الذي هو الموجود الأول .

ويشتمل على سبعة مشارع :

١ ــ المشرع الأول : في إثبات المبدع الذي هو الموجود الأول وأن وجوده لا من ذاته ، وأنه علة تنتهي [٤] إليها الموجودات ، وأنه لا جسم ولا قوة في جسم ، وأنه خارج عن [٥] عالم الجسم .

٢ ــ المشرع الثاني : في كون وجوده عن المتعالي سبحانه لا على طريق

---

١ ــ في ك : ينفعل فيها سقطت في ن فسبحانه وتعالى عن ذلك
٢ ــ في ك : مثيل
٣ ــ سقطت في ن والتسبيح ... وسلبها عنه تعالى
٤ ــ في ن : تنهى
٥ ــ في ك : من

الفيض كما يقول الفلاسفة بل على طريق الإبداع ، وأن طلب الإحاطة بكيفية وجوده محال .

٣ — المشرع الثالث : في كونه عين الإبداع، وعين المبدع وعين الوحدة[١] وعين الواحد ، وأنه الموجـود الأول الذي لا يتقدمـــه شيء ولا يسبقه في الوجود سواه .

٤ — المشرع الرابـع : في كونه كاملاً « وأنه أزلي الآخر لا أزلي الأول، وانه [٢] » ، لا يستحيل عما عليه وجد ، وأنه واحد لا مثل له ، وأنــه لا يعقل إلا ذاته فقط .

٥ — المشرع الخامس : في ماهية جوهره ، وما الذي يلزمه من الصفات اللاحقة به ، وما الذي يلزم أن يكون حاملاً مما [٣] اشتملت عليه ذاتــه ، وما الذي يكون محمولاً ، وأنه متوحد من جهة ، ومتكثر من جهة أخرى.

٦ — المشرع السادس : في أن مجده وبهاءه وجماله [٤] ومسرته بذاتـــه أعظم من أن ينال بوصف ، وأنه ممتنع إحاطته بما هو خارج عنه الذي عنه وجوده ، وأنه مشتاق إلى ذلك ومتحير فيه ، وأنه الاسم الأعظم والمسمى الأعظم .

٧ — المشرع الســابـع : في كونه هو المحرك الأول [٥] لجميع المتحــركات وعلى أي سبيل يحرك [٦] ، وأنه العلة ما سواه ، وأنه لا يحتاج في الفعل إلى

---

١ — في ك : عين الوحدات
٢ — سقطت هذه الجملة في ن
٣ — في ن : لما
٤ — في ك : وجلاله
٥ — في ن : الاولى
٦ — في ك : حرك

غير ذاته ، « وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته [١] » .

السور الرابع : في الموجود عن الإبداع الذي هو المبدع الأول بالإنبعاث من القلم واللوح ، والمباديء الشريفة التي هي الحروف العلوية .

ويشتمل على سبعة مشارع :

١ – المشرع الأول : في كيفية الإنبعاث .

٢ – المشرع الثاني : في المنبعث الأول الذي هو[٢] العقل الثاني المسمى في السنة الإلهية بالقلم وإثباته موجوداً ثانياً ، وأنه في الكمال كالأول . وأنه لا جسم ولا في جسم وأن وجوده لا عن قصد أول [٣] .

٣ – المشرع الثالث : في المنبعث الثاني الأول القائم بالقوة الذي هو الهيولي المسمى « في السنة الإلهية [٤] » باللوح وأن وجوده عن المبدع الأول لا عن قصد أول ، وأنه لا يشبه [٥] الأول ولا ما يجمعه وإياه حكم الإنبعاث الأول ، وما السبب في ذلك ، وأنه أصل لعالم الجسم ، وأنه يجري من الموجودات الإبداعية مجرى الثلاثة من الأعداد [٦] .

٤ – المشرع الرابع : في العلة التي لأجلها كان وجود ما وجد عن المبدع [٧] الأول الذي هو الموجود الأول لا من جنس واحد .

٥ – المشرع الخامس : في الحروف العلوية التي هي المباديء الشريفة في عالم الانبعاث الأول ، وعددها وما الذي وجد عن كل شيء منها ، وكيف

---

١ – في ك : وانه عقل وعاقل ومعقول
٢ – في ن : هي
٣ – في ك : اولى
٤ – سقطت في ن
٥ – في ك : يتشبه
٦ – في ك : العدد
٧ – في ن : البدع

كان [١] وجوده .

٦ — المشرع السادس : في العلة التي عنها وجب وجود الحروف العلوية عن المبدع الأول والمنبعث الأول عقولاً سبعة مفارقة للأجسام ووقوف الموجود عندها عن الإنبعاث [٢] .

٧ — المشرع السابع : في أن الموجودات عن الإبداع الذي هو المبدع الأول بالانبعاث وجودها لا بزمان ، وأن كلها صور محضة إلا الهيولى ، فإنها هي واحدة من جهة ، وكثيرة من جهة أخرى ، وأنها لا تعقل إلا ذواتها وما تقدم عليها في الوجود ، وأن صورتها [٣] صورة الإنسان لا تتعداها ، نافذة أنوارها في الأجسام والأنفس فاعلة فيها ، وبها يتعلق وجود الموجودات [٤] .

السور الخامس : في الموجود عن المباديء الشريفة التي هي الحروف العلوية من الطبيعة وأجسامها العالية [٥] .

ويشتمل على سبعة مشارع :

١ — المشرع الأول : في ماهية الطبيعة ، وأنها بذاتها في عالم الجسم من جهة [٦] جوهرها شيء واحد ، ومن جهة أفعالها في مواردها أشياء كثيرة [٧]

٢ — المشرع الثاني : في أن للطبيعة نهايتين ، نهاية أولة محيطة بما هي علة [٨] لها بها الوجود الأول الذي هو الكمال الأول ، ونهاية ثانية محاطة بما هي معلولة لها بها الوجود الثاني الذي هو الكمال الثاني ، وأن محلها بين

---

١ — سقطت في ك
٢ — في ك : الوجود .. الانبعاثات
٣ — في ن : صورتها
٤ — في ك : الوجودات
٥ — في ك : الغالية
٦ — سقطت في ن
٧ — في ن : كثير
٨ — في ك : علات

النهايتين ، وما هاتان النهايتان وما محلها ؟ وأن النهاية الثانية بما هي مركز عنه تتحرك المتحركات [١] .

٣ — المشرع الثالث : في أن للطبيعة علماً ، وما ذلك العلم ؟ وأنها جامعة للفضائل بالجزء الذي هو نهايتها [٢] الثانية ، وأن لها الغنية والكمال باتصال بعضها ببعض .

٤ — المشرع الرابع : في الكرسي الذي هو الملك المقرب [٣] الذي هو المحرك المتحرك الأول [٤] بما هو محرك ، الذي هو الصورة المحركة لما هي فيه المسمى الفلك ، وسبب كونه محركاً ومتحركاً ، وأنه داخل الجسم ، وما سبب كونه داخل الجسم [٥] .

٥ — المشرع الخامس : في العرش الذي هو المحرك المتحرك الأول بما هو متحرك الذي هو الفلك الأعلى ، وأنه جسم ومتحرك بما هو جسم ، وما يتلوه من الأجسام العالية وأعدادها [٦] ، وأن الأفلاك بما فيها ساكنة بكليتها ومتحركة بأجزائها .

٦ — المشرع السادس : في أجسام الأفلاك وخصوصاً الفلك الأعلى [٧] ، وأنها أبسط أجسام دار الطبيعة ، وأنها محكمة لا تبيد ، ولاتستحيل عما هي عليه في جميع أحوالها ، ولا تقبل صورة غير ما هي لها [٨] .

٧ — المشرع السابع : في أحوال الأجسام العالية ، وما يجري عليه [٩] أمرها في حركاتها ، وأقسامها وأفعالها التي هي الأسباب في وجود [١٠]

---

١ — في ن : المحركات
٢ — في ك : الذي بنهايتها
٣ — في ن : التي هي الملك المقرب
٤ — سقطت في ك
٥ — في ك : الجسمانيات
٦ — في ن : وعددها
٧ — في ن : العالي
٨ — في ك : ما هي له
٩ — في ن : عليها
١٠ — سقطت في ك

الموجودات الطبيعية [١] .

السور السادس : في الموجود عن الأجسام العالية من الأجسام السفلية وأحوالها .

ويشتمل على سبعة مشارع :

١ – المشرع الأول : في المادة الأولى التي عنها تكون الأجسام .

٢ – المشرع الثاني : في الأركان الأربعة ، وأحوالها وصورها الطبيعية الفاعلة ، وكيفية اتصال بعضها ببعض [٢] ، والفرق بينها وبين الأجسام العالية .

٣ – المشرع الثالث : في حركات الأركان الأربعة ، وانها لا ثقل لها في مراكزها ولا لون ، وأنها [٣] هي الوسائط للأنفس في إدراك المحسوسات .

٤ – المشرع الرابع : في الأركان الأربعة في ذواتها باقيه وفي كميتها [٤] محفوظة لا تزيد ولا تنقص ، وأنها مستحيلة باطرافها [٥] بعضها إلى بعض .

٥ – المشرع الخامس : في العلة الموجبة كثافة الأجسام وكثرة أجزائها .

٦ – المشرع السادس : في أن الأرض غير كرية ، وما علتها وما المستحق منها أن يكون مركزاً للجسم المحيط ، وما شكلها ؟ وأن الأجزاء الظاهرة منها للهواء لها حركة بها ينتقل ماء البحار ، وما تلك الحركة وأن منها ما ينعقد جبالاً شواهق وما علتها ؟

---

١ – في ك : الطبيعيات
٢ – في ن : في بعض
٣ – في ن : وانهما
٤ – في ك : كمياتها
٥ – في ك : بطرقها

٧ – المشرع السابع : في أن الماء غير محيط بسطح الأرض [١] ومـا علته . وأن له زيادة ونقصاناً في البحر ومـا علته ، وأن صورة الظـاهر منـه للهواء صورة إنسان [٢] .

السور السابع : في الموجود عن الأجسام العاليـة والسفليـة « ناراً وهواء وماء وأرضاً » من المواليد « الثلاثة التي هي المعادن والنبات والحيوان [٣] » .

ويشتمل على أربعة عشر مشرعاً [٤] :

١ – المشرع الأول : في المـادة الثانية التي عنها تكون المتولدات بما هو مزاج [٥] .

٢ – المشرع الثاني : في الموجودات في حيز الهواء من الآثار بمـا هو ممتزج وأحوالها [٦] .

٣ – المشرع الثالث : في الموجودات في [٧] الأرض من المعادن والنبات والحيوان ، وأولا في المعادن بما هو جسم [٨] .

٤ – المشرع الرابع : في المعادن بما هي نفس طبيعية وأنها ذات أفعال [٩] وعلم ، وما ذلك الفعل وما ذلك العلم ؟

٥ – المشرع الخامس : في النبات بمـا هو جسم ، وأنه أكثر تركيباً ، وأوفر آلة من المعادن .

---

١ – في ن : الاراضي
٢ – في ك : انسانية
٣ – في ن : « واحوال الانسان في كماله »
٤ – في ن : مشراعا
٥ – في ك : مزاجات
٦ – في ن : واصولها
٧ – في ن : من الارض
٨ – في ك : جسماني
٩ – في ك : فعل

٦ – المشرع السادس : في النبات بما هو نفس نامية ، وكيفية وجودها وحالها مع جسمها وما ماهيتها ؟

٧ – المشرع السابع : في الحيوان بما هو جسم ، ومبدأ ظهوره ، وأنه أكثر تركيباً من النبات وأوفر آلة ، وأنه النهاية في الموجودات التي ليس وراءها موجود آخر .

٨ – المشرع الثامن : في الحيوان بما هو نفس حسية ، ووجودها وكيفية وجودها ووجود معارفها لها لحفظ جسمها ، وما حالتها في كمالها [1] وقوتها ، وما مبدؤها وفي ماذا توافق نوع الإنسان وفي ماذا تخالفه [2] ؟

٩ – المشرع التاسع في نفس البشر بما هي حسيه ، وما ماهيتها وما الامور التي تحدث فيها وتتبعها في الوجود كالا أولا بها يكون اكتسابها الكمال الثاني وما الغاية التي تبلغها في أفعالها ؟ وما الذي يجري منها مجرى الصورة ؟ وما الذي يحدث فيها من آثار الاكتساب ؟ وما محلها من الموجودات ، وأنها واحدة من جهة وكثيرة من جهة [3] .

المشرع العاشر : في نفس البشر بما هي ناطقة ، وما حالها في هذه المرتبة ، وهل هي النفس [4] الحسية بعينها فعلت من مرتبتها أم للانسان أنفس ثلاث ؟ نامية ، وحسية ؛ وناطقة ، على ما يقال ، وما هي ؟ أجوهر أم [5] عرض ؟ فإن كانت جوهراً فيلزمها ما يلزم الأجسام من الأعراض ، أم لها أعراض تخصها ؟ وما الذي يجري منها مجرى المادة ، وما الذي يجري منها مجرى الصورة ؟

---

١ – في ك : كمالاتها
٢ – في ن : تخالفهو
٣ – في ن : تخالفهو
٤ – في ك : الانفس
٥ – في ك : أو

المشرع الحادي عشر : في النفس الناطقة وما أفعالها ، وهل الأفعال تحصل في الوجود بمعاونة جسمها ومشاركته [١] أم لها فعل تنفرد به من دون الجسم ؟ وما الفرق بين أفعالها ، وما الغاية التي تبلغها فيها ؟ وما كالها الأول ؟ وما كالها الثاني ؟ وما كيفية مصيرها عقلاً تاماً باقياً ؟

المشرع الثاني عشر : في النفس الناطقة بما هي باقية ، وما سببه وما الذي يكسبها البقاء والسعادة ؟ وما الذي يكسبها الهلاك والشقاوة ؟ [٢] وهل ذلك يكون لها من خارجها أم من جهة طبعها الذي منه وجودها ؟ وما الشقاوة وما السعادة . وما موتها وما حياتها ؟

المشرع الثالث عشر : في نفس البشر وما لها بعد انتقالها من الجزاء على [٣] اكتسابها ، وما البعث وما الحساب ؟ وما حال [٤] المتقين في مآبهم ؟ وما الذي يدل في دنياها منها على حالها في آخرتهم ، وما أفعالهم ؟ وما حال المنافقين والفاسقين والضالين والمضلين والمترأسين الذين لا يدينون الله بدين الحق ؟ ومن هم وما أفعالهم ، وما الذي يلقونه بعد المات ؟ وهل للأنفس وصول إلى ثوابها وعقابها في حال انتقالها ؟ أم هي على جملتها إلى يوم البعث ، ومتى ذلك ؟ وما الجامع للفريقين أهل الجنة والنار إلى إبان ذلك ؟ وهل هي صورة منفردة على ما هي عليه صورة أجسامها في دنياها ، أم كيف هي ، وهل يكون للنفس بعد المفارقة والتجرد من أشباحها تعلق بجثة أخرى كما يقول أهل الغلو والتناسخ أم لا ؟ وهل هي تذكر [٥] التي كانت لها في دنياها أم لا وهل يختص المتخلص [٦] إلى الثواب بفعل في غيره كالعقول الخارجة أم لا ؟ وما ذلك الفعل ؟

١ ــ في ن : مشاركتها
٢ ــ في ك : الشقاء
٣ ــ في ن : في
٤ ــ في ن : احوال
٥ ــ في ك : تتذكر
٦ ــ في ن : المخلص

١٤ – المشرع الرابع عشر : في نفس البشر بما هي ناطقة مؤيدة من [١] السماء ، وكيفية اتصالها بروح القدس ، ولم لم تكن [٢] الأنفس كلها مؤيدة في كل زمان وما العلة فيه ، وما الوحي الذي تؤيد به وكيف هو ، وكيف اتصاله بالأنفس المبعوثة ؟ وهل اتصاله بها في حال [٣] كونها في رتبة [٤] الحسية أم في رتبة التخيل أم في رتبة الناطقة ؟ وكم أقسامه ، وما المعجزة التي تظهر من جهتها ، وما الفرق بينها وبين ما تشاهده من الأمور التي تظهر من المشعوزة [٥] ولم صار ما يتعلق بالمشعوذة ممكناً إدراكه وتعلمه [٦] وما يتعلق بالمعجزة غير ممكن إدراكه وتعلمه بالإجتهاد ، وما الذي يجتمع للنفس المؤيدة من [٧] الفضائل وما حالها [٨] في أفعالها ومقاصدها في أنحائها ، وكيف حال من حولها من الأصحاب ، وما مرتبتهم [٩] ، وما مرتبة القائم مقامها في حفظ الأمة ، وما أتى به من عند الله تعالى؟ وكم الأدوار وأصحابها الذين بهم يتم الخلق الجديد ؟ وما مرتبة صاحب الدور السابع وما أفعاله ، وبماذا يعلم تمامية الأدوار ؟ والقول على اعتقاد الفلاسفة في نيل النفس الفضيلة في كتبهم وبيان الفساد فيه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل [١٠] .

---

١ – في ن : عن
٢ – في ك : ولما تكن
٣ – في ك : حالها
٤ – في ك : مرتبة
٥ – في ك : الشعوذ
٦ – في ن : وتعليمه
٧ – في ن : في
٨ – في ك :
٩ – في ك : رتبتهم
١٠ – سقطت « وحسبنا الله ونعم الوكيل » من النسخة ن.

السُّورُ الأَوَّل

« في صدر الكتاب وبيان ما يجب بيانه على قارئه ، والعلة في ترتيب الأسوار ومشارعها على ما رتبت له . ويشتمل على سبعة مشارع »

المشرع الأول

فيما يجب من تهذيب النفس وتهيئها للقبول وما يهذبها ويهيؤها قبل قراءة هذا الكتاب

نقول : — لما كانت النفس شرفها في نيل كمالها الثاني الذي هو السعادة الأبدية والفوز بالبقاء في جوار الباري جل وعلا [١] ، وكان نيلها الكمال الثاني بشيئين : أحدهما التهذيب [٢] من إمارات الطبيعة وظلمتها التي هي الغضب والظلم والطمع وقلة الرحمة وغير ذلك مما هو طبيعي لها من الرذائل لتصير بخلوها من هذه الدنايا [٣] مطابقة لما يرد عليها ذاتها عند التصور من الصور [٤] الإلهية فينجع فيها بتهيئها ووفاقها لها [٥]؛ وثانيهما التصور بالمعالم [٦] الإلهية التي هي الإحاطة بما سبق عليها في الوجود من أعيان العقول الإبداعية والإنبعاثية ، والأجسام العالية والسفلية لتصير في ذلك إلى الحد الذي تقوم به ، وبما تصورته عقلاً كعين المتصور لا فرق بينهما من تلك الجهة ، وكانت في بدء وجودها غيرمتهذبة ولا متهيئة لقبول البركات الإلهية التي هي الصور [٧] العقلية المكسبة [٨] إياها كمالها كالأجسام المعدنية المتقاصرة عن درجة كمالها في كونها ذهباً التي لا يكون لها قبول للصنع [٩] الذي لا [١٠] يبلغها كمالها إلا بشيئين : أحدهما تهذيبها أولاً من أوساخها ، وتهيؤها بتحليلها وتسليط النار عليها لتصير بذوبانها وانحلال أجزائها متهيئة لقبول ما يرد عليها من الصنع

---

١ — في ن : عزوجل
٢ — في ك : التهذب
٣ — في ك : الدنيات
٤ — في ن : الصورة
٥ — في ك : لهما
٦ — في ن : بالعالم
٧ — في ن : الصورة
٨ — في ك : المكتسبة
٩ — في ك : للصبغ
١٠ — سقطت في ك

الجاعل إياها في رتبة كمالها ؛ وثانيهما [١] القاء الصنع [٢] عليها آخراً ليصير بذلك داخلها وخارجها كما ورد عليها ، لزم المريد تخليص نفسه أولاً [٣] الإعتصام بما يهذبها ويهيؤها، ثم الإنتقال ثانياً إلى درجة التصور ليصير بتهذيبه نفسه في أفق ما يريد أن يصير إليه ويتصوره [٤] ، فينجع فيه كما ينجع الصنع في الجسم [٥] المذاب ، وإلا فلا يتم له أمر كما لا يتم للمريد أن يصنع جسماً وهو لم يذوبه بالنار ، إذ الشيء إذا أخذ [٦] من طريقه تيسر ، وإذا طلب من غير طريقه تعسر [٧] .

ولما كان كتابنا هذا جامعاً من الشيئين اللذين بهما كمال النفس وسعادتها شيئاً واحداً وهو ما يصور النفس وينقشها من العلوم الإلهية ما تصير به عاقلة لذاتها ، وبمعرفتها تعلو [٨] على منازل درجاتها ، وكان لا انتفاع بهذه [٩] الأمور لنفس لم تهذب قبل سلوك [١٠] مسالكها ؛ والشرب من مناهلها ، ولم تقوم بالرياضة على السنن الشرعية والرسوم السياسية وهي عارية [١١] من لباس العبادة ومعرفة حدود الشهادة [١٢] وجب ألا يكون قارئه والناظر

---

١ – في ك : وثانيها
٢ – في ن : الصنعة
٣ – في ن : اولى
٤ – في ك : يتصورها
٥ – في ك : الجسمان
٦ – في ن : أخذه
٧ – في ك : تعسرت
٨ – في ك : تعلى
٩ – في ن : بهذا
١٠ – في ك : سلك
١١ – في ن : عرية

١٢ – حدود الشهادة بالنسبة للاسماعيلية يعني الجنة بالحقيقة لان الكلمات الاربع من الشهادة – التي هي مفاتيحها – الاصول الاربعة الذين هم : السابق والتالي والناطق والاساس . لان السابق هو مفتاح جميع الايسيات من الروحاني والجسماني ، اذ كل أيس هو مثل ما جمع السابق في هويته بابداع المبدع اياه منه ، اعني بالسابق فتح جميع الايسيات من الكلمة ، والتالي مفتاح جميع الاشياء ذوات النظم والتأليف ، والناطق مفتاح جميع الالفاظ المنطقية المعبرة عن الفضائل العقلية . وبالاساس فتح جميع التأويلات العلمية من الكلمة . لذلك قال الرسول (ص) : لا اله الا الله مفتاح الجنة .

فيه قد راض نفسه بما يهذبها ويهيؤها ويقومها الذي هو أعمال العبادة التي جاء براسمها محمد المصطفى ﷺ ، التي تجري منها في تقويمها وتهذيبها ورياضتها وإكسابها صحة الجوهر مجرى النار في التحليل والتذويب من الأجسام المعدنية عند اكتسابها الكمال ، ويكون قد أحياها بإقامة الفرائض والسنن وسلط عليها أمر النبي (ص) الذي هو رئيس الملة ، والهادي إلى قويم القبلة ، وأمر الأئمة القائمين مقامه عليهم السلام ، وقد استمرت عاداتها بما توجبه الشريعة ، وصارت كالمجبر الذي لا يمكنه أن يعمل ما يهواه سوى ما هو مأخوذ به من الوقوف عند الأمر والنهي، وإقامة العبادة بطرفيها ووجهيها [١] ليقع الإنتفاع بما يقف عليه منه . فيكون بذلك عند قراءة كتابنا والرتع في رياض كلامنا كالماء العذب الذي يطرح فيه السكر فيظهر فيه طعمه وتزداد عذوبته ، لا كالماء المالح الذي يفسد السكر إذا طرح فيه فتبطل عين الملوحة عين السكر وعذوبته ، وإنما قلنا إن أعمال الشريعة [٢] التي هي العبادة تجري من النفس مجرى النار من الأجسام المعدنية المهيأة ، وأنها هي التي تهيؤها وتكسبها صحة في جوهرها لأن كل عمل منها يكسب النفس فضيلة ويدفع عنها رذيلة شرحناها في كتابنا المعروف (بتنبيه الهادي والمستهدي) . وهي بذر العقل الذي يجعل الأنفس بالعكوف عليها عقولا ، ولذلك لا يستحق أن يكون عاقلاً بالحقيقة إلا من أتى على جوامعها [٣] والتزم أحكام وضائعها [٤] مثل النطقاء [٥] والأوصياء [٦] والأئمة [٧] إذ كل أمر من الأمور وسنة من السنن

---

١ – **بطرفيها ووجهيها : يعني العبادة العملية (الظاهر) والعبادة العلمية (الباطن) . والاسماعيلية يقولون بالباطن والظاهر معا ، ويذهبون الى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر ، او بالظاهر دون الباطن .**

٢ – اعمال الشريعة يعني ما يتصل بفرائض الدين واركانه .

٣ – في ن : جمعها

٤ – في ن : وضعها

٥ – **النطقاء : هم الانبياء والرسل ومرتبتهم اعلى واجل من مرتبة الامامة**

٦ – **الاوصياء : هم خلفاء الانبياء في شئون الدين ومرتبتهم تأتي بعد مرتبة النبوة . ولقد جعل الشيعة الوصاية حقا شرعيا للامام علي بن ابي طالب (ع) بأمر من الله سبحانه وتعالى ونص منه الى نبيه الكريم ، واعتبروها اصلا من اصول العقيدة ، وفرضا من فرائض الدين .**

٧ – **الائمة : هم اصحاب التأويل الباطن الذين يدلون الناس على اسرار الدين ، وولايتهم** =

لها في النفس بإحيائها قوة يتبين أثرها فيها ، وبتركها مضرة يظهر شرهـــا عليها ، ذلك بأن النفس بكونها في عـــالم الطبيعة ظهور الرذائل فيها أسبق إليها من سبق النار إلى النفط ، وليس يدفع عنها تلك الرذائل إلا الشريعة وأحكامها فمن لزم الأمر وراض نفسه بالقيام تحت أثقاله فهو أخونا حقاً يجد لذة في نفسه عند كل مقام صدقا صدقا (١) ومن فسق عنه بأن يقوم بالبعض ويترك البعض (٢) ، او يخل بالكل فما يضر إلا نفسه ، ويفعل الله به الواجب في حكمه وهو سريع الحساب ، فليتأمل القارىء لهـــذا الكتاب لنفسه ، وليقبل النصيحة إني له من الناصحين وأستغفر الله الرحيم لي ولجمـــاعة المؤمنين .

= ركن اساسي لجميع اركان الدين باعتبارهم حفدة النبي وهم احق الناس بان يعرفوا رسالة جدهم ، فهم وحدهم ورثة علم النبي ليكونوا حجة على المسلمين من بعـده ، وذلك كله بأمر الله الذي نص على وصاية وامامة علي بن ابي طالب (ع) وابنائه مـن بعده ، لقوله تعالى « وجعلها كلمة باقية في عقبه » وفسروا الكلمة على انها الامامة وانها لا بد وان تكون في الاعقاب دون غيرهم .

١ — في ك : صدق صدق

٢ — في ن : بعض

المشرع الثاني

« فيما يجب الأخذ به من الاستظهار في قراءة الكتب الدينية واتباع المعلمين وتعريف كتابنا هذا »

لما كانت الأنفس في بدء وجودها عاطلة عن الصور ، وكانت في خلوها من العلوم التي هي صور الموجودات كالقرطاس الأبيض الخالي من الكتابة ومن صور المعلومات ، وكان الله تعالى قد أقام لها من يعلمها وينقشها بمعالم [1] توحيده ومعارف حدوده ، ويخرجها بإيداعها هذه الصورة إلى الفعل ودرجة الكمال من [2] أوليائه من الأنبياء والأوصياء والأئمة النجباء (صلى الله عليهم) ، وكانت الأبالسة كثيرة ، وكلها قد ألفت الكتب ، وصنفتها بآرائها وأهوائها ، وعدت أنفسها من أهل الحق ، وكانت الرواية [3] عن النبي(صلى الله عليه وسلم) قد جاءت بأن إبليس (لعنه الله) يتراءى للناس بزي العلماء فيضلهم [4] ، إشارة إلى النابذين أمره ، التاركين سنته ، المخلين بطاعة القائم مقامه ، وجب الاستظهار على المتدين العابد لله تعالى الطالب وجهه الكريم في قراءة كتب الدين ، والاحتياط في اتباع المعلمين في الدين ، لئلا يكون ما يقرؤه إلا من كلام من أقامه الله تعالى من خلقه للتعليم ، أو يكون من يتبعه من المعلمين لا من جهة الله رب العالمين ، فيعقد عليه رياسة ليست له ، ويجعله عبداً له ويصده عن السبيل ، ويحول بينه وبين اتباع الدليل المقام للهداية إلى التوحيد ، فليس لأحد أن يعلم أحداً شيئاً من الدين ورسوم العبادة والإيمان واليقين بغير أمر من القائم مقام النبي (صلى الله عليه وسلم)

---

١ ـ في ك : في علوم
٢ ـ في ن : عن
٣ ـ في ك : الروايات
٤ ـ في ك : فيضللهم

الذي هو الإمام ، ومن هو من جهته [١] ، ومن فعل ذلك فقد تعدى الأمر وهو ضال سالك شعب الأضداد أولي النفـــاق ، ولا يحل سماع شيء منـه أصلاً ، وواجب مجـانبته ، ولئلا يتصور من تعليمـه بشيء هو في دين الله بخلافه فيعسرعليه تركه فيهلك ، إذا كانت الأنفس. بخلوها من المعالم الدينية تقبل كل شيء يخلص إليها لاشتياقها إلى ما يصير صورة [٢] لها سواء كان حقاً أم باطلاً [٣] ، ولا تمتنع عن القبول كما لا يمتنـع البيـاض عن قبول أثر الكتابة التي قد تكون الأسماء والأحدوثات [٤] ، قد تكون توحيد الله وما يكسب السعادات ، والحال في ذلك من النفس [٥] ، والبياض سواء . واذا كان أمر النفس في خلوها من المعارف واشتياقها إلى ما يتصور بـه من [٦] المعالم ما ذكرناه ، وأمر الأبالسـة والمضلين [٧] في كثرتهم وطلبهم الدنيـا وحطامها من غير وجهة ما بينـاه ، فحقيق لمن يريد أن يخلص [٨] نفسـه ويقرأ شيئاً أن يحتاط لها ، ولا يقدم على قراءة كتاب إلا ما علم من مصنفه دين [٩] وشاع ذكره في حسن اتباعه لأوليـــاء الله المنصوبين للعلم ، وعرف موضعه في ورعه وديانته واتصاله بأولياء الله (ص) ، وفي الجملة مـــا كان القول منه مقترناً [١٠]، بما يدل على صحته من توازنه وتطابقه لما عليه خلق الله [١١] تعالى الذي هو ميزان أهل الديانة ، ومؤدياً إلى إيجاب العبادتين عملاً بسنن الشرع وأحكامه ، وعلماً بحدود الله وأعلام دينـه ، متصوراً أن النفس إذا طرقها أمر من الأمور العلمية يخيل إليها أنه هو الصواب ، وأنه

---

١ ــ ومن هو من جهته : اي من حدوده الدينية الذين هم الحجج والابواب والدعاة .

٢ ــ في ن : صورته .

٣ ــ في ن : او باطل

٤ ــ في ك : الاحدثات

٥ ــ في ن : نفس

٦ ــ في ن : عن

٧ ــ في ك : والمضللين

٨ ــ في ك : يخص

٩ ــ سقطت في ك

١٠ ــ في ن : مقرنا

١١ ــ سقطت في ن

هو الذي [١] يليق بها أن تعتقده فتعتقده ، وأن حالها في ذلك كالعريان الذي لا يأبى ولا يمتنع من لبس [٢] ما يستره خلقاً كان الملبوس أم جديداً، جيداً كان أم رديئاً، فيلبسه فيصير مايسمعه ويقف عليه ويتصوره شاغلاً من نفسه مكاناً إذا صادف غيره لم تكد تقبله بسرعة كسرعة قبولها في الأول ، فيكون الذي [٣] سبق إليها صورة لها من الباطل فتصير بها [٤] واقفة عن قبول الطارئ [٥] عليها في الحال الثانية من الحق فتهلك ، ومتحققاً أن ميدان الضلالة حسن الظن بالناس ، وتقليدهم من غير استعراض دليل منهم [٦] ، ينطق بصدقهم ، وعلى الأحوال كلها فلا يقبل ما يدعو إلى ترك الأوامر والاستهانة بأحكام الله تعالى . ثم حقيق على من يؤلف كتاباً أن يميزه بتعريفه إياه ، وإثبات نسبه عما سواه – لما قدمنا ذكره – لئلا يكون معدوداً فيما هو مشكوك فيه [٧] .

ولما كنا قد وعدنا فيما سبق لنا من الكتب والرسائل بهذا [٨] الكتاب لزمنا أن نعرفه ليزداد قارؤه – مع ما يجده من اقتران ما فيه بأدلة الموازنه والمطابقة الموجبة للعبادتين جميعاً علماً وعملاً [٩]، سكوناً إليه ويصونه صيانة [١٠] إلا عن أهله إخواننا الكرام .

فنقول : إن كتابنا هذا كتاب راحة العقل سميناه بذلك لكون ما يتضمنه مما [١١]، تشتاق العقول القائمة بالقوة [١٢]، إلى معرفته ، وفي وصولها

١ – في ك : التي
٢ – في ن : عن لباس
٣ – في ك : التي
٤ – في ك : به
٥ – في ن : الطوارىء
٦ – سقطت في ك
٧ – في ن : به
٨ – في ن : لهذا
٩ – علما وعملا : اي ظاهرا وباطنا
١٠ – في ك : صبانة
١١ – في ن : ما
١٢ – العقول القائمة بالقوة : تشتاق الى الخروج الى الفعل وتنتهي الى المنزلة الموازية للانبعاث الاول عن طريق العلوم والمعارف التي تحتاج اليها النفس في خروجها الى البلوغ والفعل . لان الاشياء الطبيعية تظهر بالفعل بعد وجودها بالقوة ، وما لم يكن =

إليه راحتها ، وهو زكاة أموالنا التي اقتبسناها [١] ، مـن بركات ولي الله في أرضه (ص) [٢] حين أيدنا بقوته ، أخرجنـاهـا بالشكر لتكون معونـة لإخواننا حقاً . ومؤلفه حميـد الدين أحمـد بن عبـد الله الـداعي بجـزيرة العراق وما وليها [٣] ، من جهة الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين (ص) المنصوص عليه من جهة القائمين مقام الرسول (ص) ، على ما بيناه في كتبنا المعروفة بكتاب (المصابيح في الإمامة) و (مباسم البشارات) و (الرسالة الكافية (وكتاب تنبيه الهـادي والمستهدي) . ألفه في سنة إحـدى عشرة وأربعمائة [٤] في ديار العراق وله غير هذا الكتاب من الرسائل والكتب ما يتضمن ذكره رسالة الفهرست [٥] ، فليقبل قارؤه الهداية من جهـة ولي الله في أرضه (ص) ويقابل عليها بالقيام على رسوم الملة ، والكون من صالحي أهل القبلة ، لتشرق شمس إيمانه فلا تكسف ، وينتجز وعـد الله في أمثـاله المتصورين بالمورود فيه فلا يخلف ، ويمدنا بالدعـاء والترحم قبل وفوده عـلى الزمرة ، فإنه يصل إلينـا ، ويجتهد أن يتزود له ولنـا ويرد ، فالانتظـار للاحقين دائم ، وخير الـزاد التقوى ، جمعنـا الله في دار القدس مع الأئمـة الأبرار ، وختم لنا ولجميع المؤمنين بخير الدارين بمنه ورحمته .

= وجوده اولا بالقوة لم يظهر وجوده اذا بالفعل والمثال في ذلك ان الانسان قبل ان صار انسانا بالفعل ، كان وجوده في صلب انسان اخر بالقوة اولا ، حتى امكن ظهوره بالفعل . والعقل يخرج من القوة الى الفعل عندما يكتسب من شيء شيئا يخرج باكتسابه من حد القوة الى الفعل ، كما تكتسب الطبيعيات حين تريد الخروج من القوة الى الفعل .

١ ـ في ن : اقتنيناها

٢ ـ ولي الله في ارضه يعني الامام الاسماعيلي

٣ ـ في ك : والاها

٤ ـ باعتقادي ان هذا التاريخ من اضافات النساخ لان الكرماني عام ٤١١ هـ لم يكن في العراق بل كان في القاهرة رئيسا لدار الحكمة منذ ان استدعاه داعي الدعاة افتكين الضيف سنة ٤٠٨ هـ اي منذ اعلان دعوة حمزة بن علي هادي المستجيبين واتباعه القائلين بالوهية الحاكم بامر الله .

٥ ـ في ن : الفهارس

المشرع الثالث

« فيما يجب أن يقرأ قبل هذا الكتاب من الكتب
ويجعله قبلة [1] في المواظبة على تأمل ما فيه »

نقول : إن لكل [2] شيء من الموجودات الواقعة تحت [3] الإختراع ترتيباً ونظاماً ، وترتيب العبادة [4] المؤدية إلى دائم السعادة التي إليها دعوة الأئمة (ص) [5] هو بعكس ما عليه الترتيب الطبيعي ، حتى أن الذي هو في الترتيب الطبيعي أول ، هو في ترتيب العبادة آخر ، وما هو فيها آخر هو فيه أول ، مثل العقول الإبداعية والإنبعاثية التي هي في الترتيب الطبيعي أوائل وهي في ترتيب العبادة أواخر ، ومثل المحسوسات التى هي في الترتيب الطبيعي أواخر وهي في ترتيب العبادة أوائل : وذلك أن الأنفس لما كان وجودها وجوداً آخرياً كان ارتقاها إلى معرفة أوائل الموجودات من أواخرها إلى أوائلها ، فيكون المبتديء به [6] في معرفته أولاً مما قرب منها ودنا ، ثم صاعداً نحو النهاية الأولى إلى أن يأتي على جميع الموجودات [7] إحاطة بها، ومتى لم يكن سلوكها على مناهج العبادتين [8] ، وطلبها معارف السعادتين على هذا الترتيب اعتاص عليها الأمر في الخلاص من شبكة الغم والعذاب ، وظهرت الشكوك والشبهات عندها بعجزها عن تصور تلك الأشياء التي من شأنها أن لا تعلم إلا بعد أشياء تتقدم عليها ، مثل المعقولات والصور المفارقة

---

١ ـ في ك : قبله

٢ ـ في ن : كل

٣ ـ سقطت في ن

٤ ـ وترتيب العبادة يعني العمل بنظمها وحدودها

٥ ـ دعوة الائمة (ص) يقصد الدعوة الهادية اي الدعوة الاسماعيلية .

٦ ـ في ن : بها

٧ ـ الموجودات الروحية والمادية .

٨ ـ العبادتين العملية والعلمية اي الظاهر والباطن

من الحدود العلوية [١] التى متى لم تعرف المحسوسات والحدود السفلية [٢] أولاً لتكون طريقاً إلى هاتيك تعذرت معرفتها ، ولم يحصل لطالب ذلك إلا الشكوك والشبهات ، ومتى عرف المحسوسات أولاً والحدود السفلية ومراتبها سهل الأمر في معرفة ما وراءها من المعقولات والحدود العالية ، ولم يتعذر بكون المحسوسات أوقع في تصور النفس من المعقولات لقربها — أعني المحسوسات — منها ، ودنوها إليها ، وكونها واسطة ترقيها إلى معالي تلك الأمور في المعرفة ، ولذلك ما صارت [٣] النفس لتعقل إلا بعد أن تحصل عندها صور المحسوسات التي هي أقرب إليها من المعقولات ، ذلك بأن النفس الناطقة [٤] يتعلق وجودها بوجود الحسية أولاً ، والحسية يتعلق وجودها بوجود النامية أولاً . وإذا كان ذلك كذلك وكانت المحسوسات متقدمة في تصورها عند النفس [٥] مع كونها في الوجود متأخرة وكانت هذه الأمور من العبادتين اللتين بهما نجاة النفس وكمالها ، وكانت لهما كتب مؤلفة من مصنفيها ، وجب أن يكون المقدم على قراءة هذا الكتاب قد قرأ مما هو أقرب إلى تصوره من الكتب الدينية ما يكون مقدمة له فيسهل عليه الوقوف على هذه المبادىء والغايات التي نتكلم عليها ، مثل كتاب الله تعالى أولاً الذي يجمع [٦]

١ — الحدود العلوية المعروفة لدى الاسماعيلية هم : السابق والتالي والجد والفتح والخيال .

٢ — الحدود السفلية المعروفة لدى الاسماعيلية هم : الناطق والاساس والباب والحجة والداعي . ويعتبرون السابق والتالي والناطق والاساس الاصول الاربعة التي ترتكز عليها دعائم المذهب .

٣ — في ن : صدرت

٤ — النفس الناطقة : يعني النفس العاقلة من حيث تصور الانسان وتعقله ورايه وتمييزه مما هو فعل العقل . ويعارض الاسماعيلية من يذهب الى القول بان للانسان نفوسا ثلاثا نامية وحسية وناطقة عاقلة ويذهبون الى القول بان النفس الانسانية واحدة يطلق عليها اسم النفس النامية من حيث ما يستمد به الانسان الغذاء الذي هو فعل الحياة النامية ، ويطلق عليها اسم النفس الحسية من حيث احساس الانسان وطلبه الغذاء والملاذ مما هو فعل الحيوان ، ويطلق عليها اسم النفس الناطقة من حيث تصور الانسان وتعقله .

٥ — في ك : الانفس

٦ — في ن : يجتمع

العلوم والحكمة وصور [١] الدين ، والسبب في حركة النفوس لطلب آخرتها . ومن الكتب المؤلفة الجامعة لظاهر العبادة المتعلقة بالعمل مثل « كتاب الطهارة » للقاضي النعمان بن محمد [٢] « وكتاب الدعائم » « وكتاب الاقتصار والاختصار » . وفي أثناء ذلك كتاب « المغازي » و « شرح الأخبار » و « كتاب المناقب والمثالب » ومن كتب التأويل الجامع للعبادة الباطنية المتعلقة بالعلم « كتاب تأويل الشريعة » من كلام مولانا الإمام المعز لدين [٣] الله صلوات الله عليه ، وكتب جعفر بن مصور اليمن [٤] وغيره من شيوخ الدعوة المعروفين بسداد الطريقة مثل أبي حاتم الرازي [٥] ومحمد بن أحمد النخشبي [٦] وأبو يعقوب السجزي [٧] وغيرهم رفع الله درجاتهم في مآبهم . ومن كتبنا التي هي مقدمات لهذا الكتاب « كتاب تنبيه الهادي والمستهدي » أولا ، ثم « كتاب معالم الدين » و « كتاب المصابيح في الإمامة » و « كتاب الرياض » في الحكم بين الشخين أبي حاتم الرازي وأبي يعقوب السجزي فيما اختلفا فيه وتكلما عليه في كتابهما « الإصلاح » الذي لأبي حاتم الرازي و « النصرة » الذي لأبي يعقوب [٨] ، ومن رسائلنا في العلوم الإلهية « الرسالة المضيئة » و « رسالة الروضة » وغيرهما على الترتيب الذي تتضمنه « رسالة الفهرست » ليكون بإحاطته بما فيها قد تهيأ لوعي ما في هذا الكتاب ، فلا يشتبه عليه شيء منها ، وتكون نفسه بذلك كالشمع

١ – في ك : صورة
٢ – ولد سنة ٢٩٠ هـ وتوفي ٣٦٣ هـ.
٣ – الخليفة الفاطمي الرابع والامام الاسماعيلي الرابع عشر ولد سنة ٣١٩ هـ وتوفي سنة ٣٦٥ هـ.
٤ – من كبار دعاة دور الستر الاول ترك مؤلفات عديدة تبحث في كافة العلوم الفقهية والفلسفية .
٥ – توفي سنة ٣٢٢ هـ وقيل سنة ٣٢٣ هـ.
٦ – او النسفي البردغي قتل سنة ٣٣١ هـ.
٧ – السجستاني ولد سنة ٢٧١ هـ. قتل سنة ٣٣١ هـ.
٨ – لابي يعقوب السجستاني او السجزي .

الذي نالته حرارة فاستعد بها لقبول النقش [١] ، وليجعل كتاب الرياض نصب عينيه إذا كان ذلك في أفق هذا الكتاب ، وقد بين فيه ما يكون عوناً له وقوة في تصور [٢] ، الحق فيما اختلف فيه . ولا يقنع [٣] بقراءته دفعة واحدة ولا عشراً ولا عشرين ولا خمسين ليصير المورد فيه صورة للنفس محفوظة ، ثم يقرأ رسالتنا « الوحيدة في المعاد » فإنها تصور [٤] أموراً في التقديس فيقدس الله تعالى في خلواته ، فإن اتفق له رفيق موافق [٥] وأنيس مصادق فهو النعمة الكبرى، ويواظب [٦] على ما يلزمه من العبادتين ، وينتظر الانفصال والوفود على الإخوان الكرام المتقدمين [٧] ، من أهل الدهر ، ويخصنا في أثناء ذلك كله بدعاء وترحم قضاء للحق ، ويتصور أن من يستهين بهذه الوصايا ، ولا يفعل ما قلته فهو ظالم [٨] لنفسه ، ولا يلومن إلا ذاته ، إذ هذا الكتاب مع تلك الكتب والعلم بها كالترياق يكسب الصحة وجميل الثواب ، وهذا الكتاب وحده — من غير تلك — كالسم الذي يؤدي إلى الهلاك وأليم العذاب ، فليقبل قارؤه على ما أوردته ويعمل به إني له من الناصحين ، واستغفر الله الذي لا إله إلا هو ، لي ولجماعة المؤمنين ، وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١ — في ك : النقوش
٢ — في ن : تصوره
٣ — في ك : يقع
٤ — في ك : تصورت
٥ — في ن : مرافق
٦ — في ن : يواطب
٧ — في ك : المتقدسين
٨ — في ن : ظلم

المشرع الرابع

« في الغرض المقصود في ترتيب أسوار هذا الكتاب بما نسوره من مشارعه على ما رتبت عليه »

لما كان الغرض [1] المقصود في تأليف هذا الكتاب بيان [2] علم التوحيد ، « الذي به بقاء النفس وكمالها ، وفي التصور به تسرمدها وجمالها » وكان علم التوحيد من الأشياء الكلية التي تجمع أشياء كثيرة بها ، وبجميعها [4] يصح وجوده [5] في النفس ، بل هو الكل الذي إليه تنتهي العلوم كلها ، وكان لا سبيل لأمثالنا من التابعين إلى الكلام على الكليات [6] بما هو كلي تنطوي فيه الدلالة منه على ما هو جزئي يكون ذلك مرتبة لمن هو كلي في مرتبته ، كالناطق الذي كان من الكليات [7] ، الحدود السفلية في دوره بما تيسر له من القدرة الممنون عليه بها ، فجمع الكلام على الموجودات كلها بها توحيداً في قول واحد فقال « لا إله إلا الله » الذي لو وضع في كفة من الميزان — على ما جاء به الخبر عنه صلى الله عليه وآله — والأشياء كلها في كفة أخرى بمعنى المقابلة والموازنة لرجح بدلالته [8] على ما فوقها من مشيئتها ، احتجنا إلى بسط الكلام فيه ، لما كان كلياً من جهة أجزائه التي بها هو كل ، ليكون من استيفاء الكلام عليها الاحتواء على كلها ، كما يحتاج

---

١ — في ك : غرض
٢ — في ن : تبين
٣ — سقطت هذه الجملة في النسخة ك
٤ — في ك : ويجمعها
٥ — في ن : وجودها
٦ — في ن : الكلوات
٧ — في ن : الكلوات
٨ — في ن : بدلاله

العاجز عن حمل ما يؤوده حمله إلى تجزئته بأجزاء يسهل عليه حملها ، فيكون من حمله الاجزاء كلها الاحتواء على الكل وحمله ، فجعلنا للغرض أسواراً هي تجري منه مجرى الاجزاء ، ولكل سور مشارع هو يجري منها مجرى السور الجامع لاجزاء البلد لتكون بجميعها في الاحتواء على ما تراد معرفته من التوحيد والمبادىء (١) والغايات في الموجودات كمدينة جامعة مستغنية بمن فيها وبكل ما حوته عما سواها بقيام كل شيء منها بحاجة كل شيء فيها . وكان خير المؤلفات وأحسن المركبات ما وافق في وجوده ما عليه الخلقة الإلهية من هذا البناء العظيم الذي نحيي (٢) فيه من سمائه وأرضه ، وجميع ما يجمعه ويضعه من موجوداته ، قصدنا في تأليفنا أن يكون مناسباً منه لأجسامنا « العالية » (٣) فجعلنا أسواره سبعة بإزاء السيارات منها المؤثرة في المواليد الجسمانية القائمة في الدين تأويلاً ، حيال بيوت أنوار الله أصحاب الادوار السبعة (٤) المؤثرين في المواليد النفسانية ، وجعلنا مشارع أسواره تسعة وأربعين مشرعاً بإزاء محيط الافلاك صغاراً وكباراً المحركة لما دونها من الاجسام القائمة في الدين تأويلاً (٥) ، تلقاء حدود دين الله الأتماء (٦) والأئمة المحركين للأنفس إلى العبادة والتصور ، وزيادة سبعة مشارع ليكون بذلك تماماً لمصنفاتنا (٧) في كون جميعها كعالم قائم ينطق عن مناسبة ومشاكلة تجمعان الأنفس الكثيرة فتصير واحدة من جهة وكثيرة من جهة على ما بيناه في

---

١ ـ في ك : والبادي

٢ ـ في ك : نحب

٣ ـ سقطت في ك

٤ ـ اصحاب الادوار السبعة هم : صاحب الدور الاول آدم وائمة دوره ، وصاحب الدور الثاني نوح وائمة دوره ، وصاحب الدور الثالث ابراهيم وائمة دوره ، وصاحب الدور الرابع موسى وائمة دوره ، وصاحب الدور الخامس عيسى وائمة دوره ، وصاحب الدور السادس محمد وائمة دوره ، وصاحب الدور السابع محمد بن اسماعيل وائمة دوره .

٥ ـ في ن : **تأويل**

٦ ـ الاتماء : يعني الائمة الذين يتمون الادوار الصغيرة .

٧ ـ في ك : لمصنفها

« الرسالة الوحيدة » و « رسالة الفهرست » دلالة على المنبع المورد فيه ، ومعدنه الذي هو بيت الوحي « لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ » [١] ثم يزدادون نشاطاً في قراءته والعمل به والسكون إليه ، ويجتهدون في اقتناء الفضيلة علماً وعملاً ، واثقين بما يردون عليه من مقام كريم في جوار رب رحيم ، عالمين أن من سبق من الأخوان هم مستبشرون بالوارد عليهم من إخوانهم حقاً ، ولأن مطلوب النفس في ارتقائها إلى منزلة الكمال بعبادة ربها علماً وعملاً حصول البقاء لها في ثواب وملاذ وراحة ، وبقاؤها باعتلاقها [٢] بما هو باق واعتصامها بالأمور [٣] السرمدية التي تحفظ عليها وجودها ، واعتلاقها يكون بإحاطتها بمراتب الموجودات تصوراً لها ، وإحاطتها بذلك تكسبها بقاء وراحة ما وصلت العبادتين إحداهما بالأخرى ، وحافظت عليهما ، وانتقلت من دنياها وهي سالكة لطريقتها [٤] .

وكان كتابنا هذا حاوياً للأمور التي تكسبها خلوداً في النعيم وراحة في المعاد القديم ، وارتقاء من درجة النفسية إلى درجة الانبعاث الثاني الذي يحازي من الموجودات العقول التي في دار الإبداع ، وسميناه « براحة العقل » فليسعد[٥] قارؤه بما فيه مستكملاً [٦] ما بعثناه عليه ، متصوراً أننا [٧] أردنا له الخير ، كما أردناه [٨] لأنفسنا ، والرائد لا يكذب أهله [٩] ، ويتزود من

١ – سورة ٧٤ آية ٣١
٢ – في ك : بعلاقتها
٣ – في ن : بالاوامر
٤ – في ن : لطريقها
٥ – في ك : ليسعد
٦ – مكملا
٧ – في ك : أني
٨ – في ن : اردنا
٩ – في ك : لا يكذب على اهله

التقوى فبين يديه [١] سفرة عظيمة ، ويتحفنا بسلامة وترحمه أعقـــاب صلواته وأوائل تسبيحاته [٢] فإنه إن كان أخانا حقاً فلا حق [٣] بنـا بسلوكه طريقتنا في دين الله تعالى وعبادته ، ويقع التعارف في أرض القدس ، جمعنا الله وجماعة المؤمنين في دار الدوام [٤] ، واستغفر الله العظـيم لي ولهم ، وأقول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١ – في ن : يدي

٢ – في ن : تسبحاته

٣ – في ك : لاحق

٤ – اي دار البقاء والخلود – الجنة –

المشرع الخامس

« في بشارة من يقرأ [١] كتابنا هذا على سبيل الديانة من العابدين لله تعالى بالملة الحنيفية وعلى الترتيب [٢] المرتب في مسالك العبادة بالنجاة والنعيم في دار الأزل والبقاء »

نقول : لما كان لا وجود لما يتعلق وجوده بوجود أشياء تتقدم في الوجود عليه إلا بتلك الأشياء ، وبحصولها في الوجود أولاً ، وكان وجود كمال الأنفس واستنارة جوهرها وبقائها ولذتها [٣] وعقلها إلى دار القدس الذي يكون بتصورها مبادىء الأشياء السابقة في الوجود عليها حق التصور في العبادة العلمية [٤] يتعلق بوجود العبادة العملية [٥] أولاً التي تقوم بذواتها وتميط عنها أمارات الطبيعة وظلمتها ، ومتى عدمتها تعكس عليها أمرها ، وكان ما أوردناه في كتابنا هذا مما يكسب النفس الكمال والاستنارة والبقاء واللذة والتعقل إلى عللها الأبدية في سعادة سرمدية ، ويعطيها نصورة [٦] الأبدية التي يتعلق وجودها بوجود العبادة العملية أولاً ، قلنا إ، من يقرأ هذا الكتاب ممن يكون أخانا حقاً ، وقد سلك طريق الديانة في تقديم ما قدمه الله تعالى من أعمال دينه أن يسلك ، بأن يقوم نفسه أولاً بالعبادة الظاهرة التي هي العمل ، ويطهرها بها ويروضها على شروطها بالمواظبة على إقامة رسومها ، ويصوغها بأحكام الشريعة الغراء وهي مناسكها ، ويجعل

---

١ ـ في ك : قرا
٢ ـ في ن التراتيب
٣ ـ في ن : وللذاتها
٤ ـ العبادة العلمية : التأويل الباطن
٥ ـ العبادة العملية : يعني القيام بكافة الفروض الاسلامية التي اوجبتها الشريعةونص عليها القرآن الكريم .
٦ ـ في ك : صورة

أعضاء بدنه وقوى نفسه مملوكة للأوامر الدينية ، ومتصرفة [١] على قضـايا الأمور الشرعية حتى لا يكون همه وكده وبغيته وطلبته إلا قضاء فرض [٢] وسنة وإحياء أمر وطاعة وتحريـك لسان بقول صدق وتقديس ، وحضور مسجد لصلاة وتسبيح ، وطيب [٠] علم واستفادة ، وبذل معروف وشهادة، وتعود عادة حسنة توجبها الملة ورسومها ، واكتساب خصلة جميلة تقتضيها وتدعو [٤] إليها أحكامها وسننها ، وتجنب ما يكسبه الآثام ، ويوبق النفس من مهاوي الظـلام ، فيستبشر باشراق جوهره ، وإنارة لبـه [٥] ومصيره صورة واحدة قد شاعت [٦] فيها الفضائل ، فعلقتها إلى [٧] المبادىء الأبدية بتشبهها بها ، فتصبح عند المفارقة عقلاً محضاً ، تسبح في فسحـة لا تضيق ، وتطير مع الملائكة المقربين في أرض دار الابداع عند استتمام وعد المتبوع للأتباع [٨]، وتحصل في روضة ترتع في زهرها ، وجنة تتنعـم في فنائها ، وحياة أبدية ، وسعادة سرمدية ، وأنوار قدسية ، ونعم هي بالإضافة إلى النعم الطبيعية كالتي تلتذ بها النفس الحسية بالإضافة إلى ما يكون غذاء في أرحام الأمهات للنفس النامية مثلاً بمثل ، بـل ذلك أعلى وأشرف وأسنى [٩] وألطف ، ذلك بما أسلف في الأيام الخـالية ، وتزود مـن التقوى [١٠] بآلة البالية ، ثم يستبشر بما يقدم عليه من الطيبـات والنـعيم والبركات، في مدينة مبنية هي مأوى من تقدمه من أمثاله المخلصين السالكين طريق الديانة المتخصصين ، بناها الأنبيـاء والأوصياء والأئمة الأبرار ، في ماضي الأعصار من أنفسهم بأنفسهم وتابعيهم أولى الأيدي [١١] والأبصار ،

---

١ – في ن : شعت

٢ – في ك : على

٣ – **استتمام وعد المتبوع للاتباع** : اي عند قيام القائم عليه السلام الذي وعد به الائمة اتباعهم الاسماعيلية .

٤ – في ك : وامنى

٥ – في ن : القوى

٦ – في ك : الايادي

٧ – في ك : سرائر

٨ – سقطت في ن

٩ – في ن : محتو على

١٠ – في ن : اغراف

١١ – في ك : القدسية

لها سبعة أبواب،كل باب منها ينتهي إلى قصرمن نور، له ساحة عظيمة فيها عين جارية، فيها سرر [١] مرفوعة، وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، تشتمل على بستان محفوف بالنخيل والرمان [٢] والأعناب، محتوي على [٣] كل ما خلقه الله من الثمار الإلهية، والملاذ السرمدية، فيه غرف من فوقها غرف [٤] مبنية، من أنوار القدس [٥]، وعليها قرار [٦] الأنفس، في كل غرفة اثنا عشر مجلساً، في كل مجلس من الملائكة الإنبعاثية ما لا يحصى، ومن النعيم والخيرات وألحان الملائكة وأنغامهم [٧] الطيبة الحسنة بالتقديس والتهليل، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر «تشرق عليها» [٨] شمس دار الإبداع وقمر الإنبعاث، ثم يستبشر بما يصادفة هنالك من استبشار الملائكة «الإنبعاثية المقربين» [٩] والأنفس المتخلصة من عالم الطبيعة بوفوده عليهم، ومسرتهم بوروده إليهم، ثم بما يكون من جذله بما يرد عليه وعليهم فيما بعد من وفد عالم الإنبعاث الثاني، وما يسعد به في جوار الباري [١٠] والأنبياء، ومجاورة [١١] الأوصياء ومصاحبة الأئمة الأبرار، ومزاوجة الحور العين والأنوار، أبد الآبدين ودهر الداهرين، فيكون [١٢] مثاله في صورته مع تلك الأشياء التي [١٣] وفد عليها كمن شاهد محبوبه [١٤] ونال مناه، وأصاب معشوقه، يهتز فرحاً وسروراً وجذلاً وحبوراً.

فليعلم قاريء هذا الكتاب ذلك متصوراً أني لصادق، وأن ما قلته لكائن،

---

١ – في ك : سرائر
٢ – سقطت في ن
٣ – في ن : محتو على
٤ – في ن : اغراف
٥ – في ك : القدسية
٦ – في ن : قرارة
٧ – في ن : ونعمهم
٨ – في ك : تسر بها
٩ – في ن : الملائكة المقربة
١٠ – في ن : البار
١١ – في ك : مجارات
١٢ – سقطت في ك
١٣ – في ن : الذي
١٤ – في ك : محبوب

ويعمل على إقامة الشرائط قبل قراءته لئلا تجري الأمور [١] بعكس المراد ، إني له من الناصحين ، واستغفر الله العظيم لي وله ولجماعة المؤمنين ، وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

١ – في ن : يجري الامر

المشرع السادس

« في بشارة من يقرأ كتابنا [1] هذا لا على سبيل الديانة ولا على ترتيب [2] العبادة ممن لا يرى العمل ويقصر في تقويم النفس بالعذاب الأليم الدائم الأبدي [3] نعوذ بالله منه »

لما كان لكل شيء طريق ، وطريق الجنة والخلوص [4] إلى النعيم والمسرة العبادة ، وكانت العبادة عبادتين ، عبادة بالعمل وعبادة بالعلم ، وكانت العبادة بالعمل هي المأخوذ بها أولاً في سلوك طريق الجنة ، لما فيها من تقويم النفس ورياضتها في كسبها الفضائل الخلقية التي هي كالمادة للفضائل [5] الصورية التي تكسبها العبادة الأخرى التي تكون بالعلم ، وكان ما أوردناه في كتابنا هذا مما يتعلق [6] بالعبادة العلمية ، قلنا إن من أقدم على قراءته ولم [7] يصلح نفسه بالرياضة ، ولا قومها بالتوفر على العبادة ، ولا سلب منها إمارات الطبيعة ، ولا هو ممن يعتني [8] بأمر دينه ، وبعبادة ربه ، بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ، ولا استمرت [9] من دوام المحافظة عادته بأداء الفرائض والسنن والوضائع ، ولا حسنت أخلاقه باستعمال الورع والديانة ، واعتماد الصدق وأداء الأمانة ، ولا أنه يتلاحق أمره بعد قراءته بالتوبة « إلى الله تعالى والإنابة [10] » وإحياء مراسم العبادة ، وإن كان مقصراً فيبقى مستجيراً

---

١ ـ في ك : هذا الكتاب
٢ ـ في ن : تراتيب
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ك : والخلاص
٥ ـ في ن : للفضل
٦ ـ في ن : تعلق
٧ ـ في ك : ولما
٨ ـ في ك : اعتنى
٩ ـ في ك : استمر
١٠ ـ سقطت في ن

لتقصيره في عبادة ربه بالملة الحنيفية ، راضياً به قاعداً عنها [١]، معتقداً أنه ينجيه علمه دون عمله ، مصراً على ارتكاب المعاصي والكبائر ، فليستبشر بما يعقبه خمر اعتقاده وفعله من الخمار الطويل والندامة والعويل أبـد الآبدين ، وليعلم أن نفسة بما تحيط به من هذه المعـالم الإلهية المبينـة تكتسب صورة تربطها إلى الأنجم العلية[٢]، والعقول البرية ، فتبقى بذلك بقاء سرمدا[٣]، وهي في ذاتها بتركها حكم العبادة ، والتوفر على إصلاح الأخلاق بالأحكام الشرعية واعتقادها جواز تركها أو بعضها والتقصير في الوفاء بها ذات صورة مباينة للصورة التي اكتسبتها بالإحاطة بما أحاطت به من المعارف الإلهيـة ، فتصير ذات صورتين متضادتين : صورة من حيث تصورت وجوب العلم والاكتفاء بما علمت [٤] تشبه صورة الملائكة المقدسة « لربهـا » [٥] ، وصورة من حيث تصورت جواز ترك العمل والإستغناء عنه تشبه صورة البهائم والوحوش التي لا تعبد ربها ، فتصير هذه الصورة التي تكتسبها بمعرفة الحدود حافظة لذاتها من [٦] أن تفنى، وتلك الصورة الأخرى [٧] التي اكتسبتها باقية فيها ببقائها ، فتحدث من وجود الصورتين آلام ، فيالها من آلام ، آلام يود واجدها الفداء والخلاص [٨] ، وأنى له ذلك [٩] ، وقد تحصل له في حيز الأزل والقيـام ، وانتقل من قضية الامكان إلى قضية الوجوب والدوام ، فيظلم جوهره بظلمة وقتام ، وتتألم [١٠] إحداهما بالأخرى ، مثل رجلين أحدهما عالم فاضل لا تكون طلبته وهمته إلا العلم ، ولا شغله إلا العبادة والآخر جاهـل « معتوه » [١١] متخرق لا تكون همتـه إلا اللعب واللهو [١٢] ولا شغله إلا الرقص والسخرية يجمعهـا موضع واحد حيث لا يكون لأحدهمـا مخلص من

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : العالية
٣ ـ في ك : سرمديا
٤ ـ في ك : عملت
٥ ـ سقطت في ن
٦ ـ سقطت في ك
٧ ـ في ن : الاخيرة
٨ ـ سقطت في ن
٩ ـ سقطت في ك
١٠ ـ في ك : تألم
١١ ـ سقطت في ك
١٢ ـ سقطت في ك

الآخر ، ولا سبيل إلى مفـــارقته فيجد كل منهما من مجاورة الآخر الغم والأذى بمصير كل منهما ولكل مانع مما تهواه [١] وتراوده نفسه ، فيتمنى كل منهما مفارقة الآخر ، والتفادي منه ، وليس إلى مرادهما سبيل ، فترد النفس بهاتين الصورتين على أهوال عظيمة ، وظلمة هاوية ، فتبقى متحيرة فـلا هي تحيى حياة كلية « طيبة [٢] » ولا هي تفنى فتستريـح استراحة أبدية ، كما قال الله تعالى : « لا يَموُتُ فيهَا ولاَ يحَىَ » [٣] تقاسي أليم [٤] العـذاب في ذاتها من جهة شمس البرية ، في المدينة الملكية ، التي بنتها الأنوار القدسية في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، الجامعة لما فيها من خمر ولبن وعسل ومـاء ، وتكابد شديد[٥] العقاب ، يصب فوق رأسها الحميم ، ولا يكون طعامها إلا من غسلين ، تستغيث فلا تغاث إلا بما يليق بها ، ويصيبهـا من ألم الإنكار [٦] والتوبيخ من جهة أمثالها السابقين عليها في ورود [٧] حوض الكوثر باستقبالهم إياها وقولهم لها : لا مرحباً ، لا مرحباً . ما تتمنى معه أن أمها ليتها لم تلدها ، ذلك بتأذيهم بوردها عليهم على تلك الصورة التي شاعت فيها الرذائل بتركها أحكام الله تعالى وأمره [٨] ، وازديادهم عذاباً بمكانهـا كازدياد لهب النار بازدياد الوقود . فيكون بكل مسرة لمن قرأه على سبيل الديانة — كما ذكرناه — وفرح ، وترحاً لمن قرأه لا على سبيل الديانة ، ولكل خير كذلك شر [٩] نعوذ بالله منه ، فليحذر كل الحذر قاريء هذا الكتاب وهو من أبناء الدنيا وطالبيها. أو هو غير معتقد لولاية الأئمة الطاهرين ومذاهبهم في العبادة لله رب العالمين ، فإنه يبقيه ويعذبه دهر الداهرين حسومـاً [١٠] ، وليجتهد من قرأه في لزوم العبادة ، ومنع النفس مرادها فيما منعت الشريعة ،

---

١ — في ن : «لكل منهما مانعا مما تهواه».
٢ — سقطت في ن
٣ — سورة ٢٠ آية ٧٤
٤ — سقطت في ك
٥ — سقطت في ن
٦ — في ك : التكران
٧ — في ن : ورد
٨ — سقطت في ن
٩ — في ك : اشر
١٠ — سقطت في ك

وحظرته عليها ، ويتلاحق أمره قبل زوال الإمكان ، ليتخلص من مهاوي الهلكة (١) متصوراً أن الذي حرضته (٢) عليه لنافع ، وأن ما حذرته منه بالمخالفين لواقع ، « إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الجِبالُ بَساً » (٣) وليقبل إني له من الناصحين ، ولن يقبل إلا من كان أخانا حقاً ، جعلنا الله وجماعة المؤمنين ممن يتجنب معاصيه ، وأعاننا على المراد في ديننا واستغر الله العظيم ، وأستعينه ، وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ – في ن : التهلكة
٢ – في ن : حرضت
٣ – سورة ٥٦ آية ٤ ، ٥

المشرع السابـع

« فـيما يحصل للنفس بقراءة هـذا الكتاب
واستيعاب ما فيه وتصوره من المنفعة في نيل الكمال »

نقول : إن للنفس كمالين : أحدهما الذات في الوجـود ، وثانيهما [1] كمال تلك [2] الذات في الصورة . وللنفس في شيء تتصوره من أمـــر [3] الدين منفعة ، فمنها ما يفيدها تقويماً [4] في ذاتها بأن يكسبها الأخلاق الحسنـة ، ويميط عنها ظلمة الطبيعة وأماراتها ، وهو أعمال : مثل الزكاة وإخراجها على السبيل المـأمور به فيها التي تكسبها السخاء ، ومثل الجهاد الذي هو الصبر على أعمال العبادة التي تكسبها [5] الشجاعة ، ومثل الصوم الذي يكسبها العفة والصدق والورع والأمانة ، وغير ذلك من أعمال الشرع التي تكسب النفس بالمواظبة عليهـا الفضائل على ما بيناه في كتابنـا المعروف « تنبيه الهـادي والمستهدي » . ومنها ما يفيدها تصويراً في ذاتها وعقلاً إلى السابق عليها في الوجود من المباديء الإلهية ، وهي علوم ، وذلك كله سعادات [6] لها تبلغها درجة الكمال الثاني ، فتصبح موجودة بعد أن كانت معدومة ، وباقيـة بعد أن كانت فانية ، وحية بعد أن كانت ميتة ، ومحضة بعد أن كانت مشوبة ، والذي أوردناه في كتابنا هذا هو من قبيل ما يفيدهـا التصوير بنقوس عـالم الإبداع ، وحقائق الأمور في موجوداتهـا ويصلها [7] بما تدوم بدوامـــه ، ويعطيها الضياء العقلي والنور الأبدي ، ويحرسها [8] من الإستحـالة والتغـير

---

١ – في ن : وثانيها
٢ – في ك : ذلك
٣ – سقطت في ن
٤ – في ن : تقويم
٥ – في ك : تكتسبها
٦ – في ن : سعادة
٧ – في ن : وتصلها
٨ – في ك : وحرسها

بارتفاعها عن سلطان الطبيعة ، واكتسابهـا صورة الملائكة (١) ويجري فيهـا – بتصورها إياه وإحاطتها به من القيام بالفعل ونيل الأزل، والسعادة القصوى والبركة الأولى – ما جرى في مباديء الموجودات الإلهية بكونهـا أولاً في الإختراع ، فتحيط ذاتهـا بذاتها ، فإن إحاطتها بتلك الأشياء حينئذ(٢) هي الإحاطة بذاتها بكون ذاتها من الأصل وذلك الجوهر الذي هو الإبداع ، إلا أن ذلك بكونه (٣) أولاً لم يجز أن يكون إلا قائماً (٤) بالفعـل ، وجوهر النفس لم يجز أن يكون لها الكمال (٥) الذي هو القيام بالفعل إلا بعد خروجها من القوة إلى الفعل بالإكتساب لكونها آخر الموجودات ، ولوجودها لا عن تلك النسبة التي عنها وجد غيرها من العقول القائمة بالفعل ، وتكسبها معرفة تلك العقول التي هي الحروف العلوية التهيؤ (٦) بهيئتها فتجعلها كهي ، على نحو ما يكون من فعل الخمير في العجين الذي هو في الأصل (٧) مثل الخمير من حيث كونه دقيقاً ، إلا أن في الخمير ما ليس في العجين فيجعله كهو بحصوله فيه ، ومثال ذلك من الأشياء المحسوسة المعدنية : الفضة التي هي ناقصة عن درجة الذهبية فيكسبها بلوغ تلك الدرجة ما يطرح عليها عند تهيئها بالنار والإذابة لقبوله من الخميرة المتخذة (٨) من الذهب بالتدبير المعتمد فيه خلق الله تعالى ، فيجعل الكل ذهباً ، مثله على الصنعة التي تتضمنها رسالتنا في « معرفة الحدود والمعاد » وسيكون لحل (٩) هذا الرمز عند أصحاب الصنعة ومن يكون أخانا حقاً في الفطنة والذكاء والتأله عيد كبير ، فليتأمل قاريء هذا الكتاب ، وليقف عليه عند كل لفظة مفكراً فيها ، ليتصور ما ينطوي فيها من البركات لتحلو (١٠) عنده العبادتان فيقوم بهما ، ويقضي حقهمـا ،

---

١ – في ك : الملكية
٢ – سقطت في ن
٣ – في ك : كونه
٤ – في ن : قائم
٥ – سقطت في ك
٦ – في ك : التهيء
٧ – في ك : اصل
٨ – سقطت في ن
٩ – سقطت في ن
١٠ – في ن : لتحل

ويزودنا بالدعاء عند كل مسرة تتجدد له بمعرفة ما أوردناه ، ويعمل على إصلاح أمر سفره الذي هو في مسالكه متردد ، ليرد علينا معشر التابعين للأئمة من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم أجمعين بخير ، وخير الزاد التقوى . جعلنا الله وجماعة المؤمنين من المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأقول لا حول لي ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ما شاء الله كان ، وأستغفر الله ، وأفوض أمري إليه إنه بصير بالعباد .

السُّور الثَّاني

« في التوحيد والتقديس والتحميد والتمجيد الذي هو تاج [1] العقول ويشتمل على سبعة مشـارع »

---

١ ـ في ن : تابع

المشرع الأول

« في الله الذي لا إله إلا هو وبطلان كونه ليساً »

نقول : إن من القوانين [١] أنه لا وجود لمعلول إلا بما يوجب [٢] وجوده من علته التي وجوده بها يتعلق، وإليها في وجوده يستند ، ولولاها لما وجد ، كالحرارة مثلاً التي لا وجود لها إلا بما يوجب وجودها من [٣] علتها التي وجودها بها يتعلق ، وإليها في وجودها تستند ، وهي الحركة التي لولاها لما وجدت ، وكالحركة التي لا وجود لها إلا بما يوجب [٤] وجودها من علتها التي بها يتعلق وجودها وإليها في الوجود تستند وهي المحرك الذي لولاه لما وجدت، وكالمركبات من الجسمانيات من المواليد التي لا وجود لها إلا بوجود الاستقصات [٥] التي بها يتعلق وجودها وإليها تستند في وجودها ولولاها لما وجدت ، وكالاستقصات التي لولا وجود ما تستند إليه في وجودها من المادة والصورة اللتين لولاهما لما كانت ولا وجدت، وكالمادة والصورة [٦] اللتين لولا وجود ما تستندان إليه [٧] في وجودهما من الأسباب التي من شأنها أن يوجد عنها ذلك من الأجسام العالية [٨] السماوية والصور المتعالية الخارجة لما وجدنا . ولما كانت الموجودات بعضها في وجوده مستند إلى بعض ، وكان لو كان ذلك البعض الذي يستند هذا البعض في وجوده إليه وبه يتعلق وجوده

---

١ – في ك : القانون
٢ – في ك : يجب
٣ – سقطت في ن
٤ – في ك : يجب
٥ – الاستقصات النار والماء والهواء والتراب .
٦ – في ن : صورتين
٧ – في ن : اليها
٨ – سقطت في ن

غير ثابت في الوجود ، ولا موجوداً ، لـكان وجود هذا البعض محالاً « فلمـا ثبت أنه لا وجود لهذا إلا بذاك » [١] كان منه العـلم بأن الذي تنتهي إليـه الموجودات التي به توجد وإليه تستند وعنه توجد هو الله الذي لا إله إلا هو محال ليسيته [٢] ، باطل لا هويته ، إذ لو كان ليساً [٣] لـكانت الموجـودات أيضاً ليساً ، فلما كانت الموجودات موجودة كانت ليسيته [٤] باطلة ، ثم لمـا كان من شأن الأضداد أن لا يكون لها وجود إلا بفقد أضدادهـا ، وكانت الموجودات متضادة وأعيانها مختلفة متنـــافرة ، وهي على ما هي عليه من تضادها موجودة لا يفقد شيء منها [٥] بوجود ضده ، وكلهـــا تحت الوجود محفوظة ، كان من ذلك العلم بأن الذي به بطلت طبيعة الضد في الخروج من حيز الوجود بوجود ضده ، وانحفظ الضد [٦] عن ضده الذي هو الله الذي لا إله إلا هو الذي ليسيته [٧] محال ، إذ لو كان ليساً لـكان وجـود المتضادات ليساً ، ولما كانت المتضادات موجودة أعيانها كانت ليسيته باستناد وجودهـا إلى سياسة [٨] باطلة ، فسبحان الذي به انحفظ [٩] وجود الأشياء على تضـاد أعيانها ، واختلاف صورها به ، ولا إله إلا الله إله خرست الألسن عنـــد نهوض الأنفس لتتناوله بصفة النطق فوقفت متيقنة بالعجز متحيرة ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [١٠] .

---

١ ـ سقطت هذه الجملة في ن

٢ ـ في ك : ليسته

٣ ـ لو كان ليسا : يعني لو كان معدوما

٤ ـ في ك : ليسته

٥ ـ سقطت في ن

٦ ـ في ن : واحتفظ الضد

٧ ـ في ك : ليسته

٨ ـ في ك : سياسته

٩ ـ في ن : احتفظ

١٠ ـ يحاول الكرماني في هذا المشرع ان يؤكد فلسفيا بان الله لا يمكن ان يكون معدوما اذ لو كان ذلك كذلك لكانت الموجودات ايضا معدومة . ولما كانت الموجودات موجودة كانت عدمية الله باطلة . وهنا يؤكد وجود الله عن طريق ابطال ليسيته ، لضرورة استناد الموجودات واحتياجها الى موجد .

المشرع الثاني

« في بطلان كونه تعالى [1] أيسا »

لما كان الأيس [2] في كونه أيساً محتاجاً إلى ما يستند إليه في الوجود على ما سبق الكلام عليه ، وكان هو — عز كبرياؤه — متعالياً عن الحاجة فيما هو هو إلى غير به يتعلق ما به هو هو ، كان من ذلك الحكم بأنه تعالى خارج عن أن يكون أيساً لتعلق كون الأيس أيساً بالذي يتأول عليه الذي جعله أيساً ، واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيساً ، ولا هو يحتاج فيما هو هو إلى غير به هو هو فيستند إليه ، تكبر [3] عن ذلك وتعزز وتعالى علواً كبيراً . وإذا كان هو [4] عز وعلا غير محتاج فيما هو هو إلى غير به يتعلق ما به هو هو فمحال كونه أيساً . ثم أن الله تعالى إن كان أيساً فلا يخلو أن يكون إما جوهراً وإما عرضاً ؛ فإن كان جوهراً فلا يخلو أن يكون إما جسماً أو لا جسماً ، فإن كان جسماً فانقسام ذاته إلى ما به وجودها يقتضي [5] وجود ما يتقدم عليه يكون كل متكثر مسبوقاً متأولاً عليه ، وهو يتعالى بسبحانيته عن أن يتأول عليه غيره . وإن كان لا جسماً فلا يخلو أن يكون إما قائماً بالقوة مثل الأنفس ، أو قائماً بالفعل مثل العقول : فإن كان قائماً بالقوة فحاجته إلى ما به يخرج إلى الفعل تقتضي ما يتقدم عليه ، وهو يتعالى عن ذلك ، وإن كان قائماً بالفعل فلا يخلو من أن

---

١ — سقطت في ك

٢ — لما كان الايس في كونه ايسا : يعني لما كان الموجود في كونه موجودا .

٣ — في ن : كبر

٤ — سقطت في ن

٥ — في ك : يقضي

يكون إما فاعلاً في ذاته من غير [١] حاجة إلى غير به يتم فعله أو فاعلاً في غير به يتم فعله ، فإن كان فاعلاً في غير به يتم فعله فلنقصانه [٢] في فعله . وحاجته إلى ما يتم به فعله تقتضي ما يتأول عليه ، وهو يتعالى عن [٣] ذلك وإن كان فاعلاً في ذاته من غير [٤] حاجة إلى غير به يتم فعله فلاستيعاب ذاته النسب المختلفة بكثرة المعاني المتغايرة [٥] بكونه في ذاته فاعلاً ومفعولاً بذاته يقتضي ما عنه وجوده الذي لا تكون فيه كثرة ولا قلة بهذه النسب ، وهو يتعالى عن ذلك ، وكان إذا كان جوهراً لا يخلو من هذه الأقسام ، وبرئت ساحته من أنحاء الحاجة والتكثر اللازمة [٦] للجوهر ، فقد بطل أن يكون جوهراً . وإن كان عرضاً وإن وكان عرضاً وكان وجود العرض مستنداً إلى وجود ما يتقدم عليه من الجوهر الذي به وجوده وهو يتعالى ويتكبر عن أن تتعلق هويته بما يتأول [٧] عليه بطل أن يكون عرضاً . وإذا كان لا يخلو الأيس من أن يكون إما جوهراً أو عرضاً ، وبطل كونه تعالى جوهراً وعرضاً ، بطل ببطلان كونه جوهراً أو عرضاً أن يكون أيساً ، فباطل إذن كونه أيساً .

ثم لا يجوز أن يكون من الأيس ما هو لا جوهر ولا عرض ، فيكون ذلك [٨] الايس هو تعالى ، فإنه يجب بذلك مما يتأول عليه تعالى ما وجوده محال ، وذلك أنه إن كان من الايس ما هو لا جوهر ولا عرض ، كما كان الجوهر أيساً ، وهو لا عرض ، والعرض أيساً وهو لا جوهر ، وهو هو لا جوهر ولا عرض فإنه نوع من أنواع جنس الأيس ، وواقع تحته ، ويستحق كل ذلك من الجوهر ، وهو يتعالى والعرض منه أعني

---

١ – في ن : خير
٢ – في ك : لنقصه
٣ – في ن : من
٤ – في ن : خير
٥ – في ك : المتغيرة
٦ – سقطت في ن
٧ – في ك : يتقولوا
٨ – سقطت في ن

الأيس ما يستحقه الآخر ويكون مبايناً عن الجوهر والعرض بما يختص به كمباينة الجوهر العرض [١] والعرض الجوهر بما اختص به كل واحد منهما ، ومشاركاً لهما فيما تشاركا [٢] فيـه ، كمشاركة الجوهر العرض والعرض الجوهر فيما تشاركا فيه ، فتكون ذاته بما باينت به غيرهـا وشاركت فيه غيرها جزأين بهما وجودهما ، وما يكون بهذه المثابة من انقسام ذاته إلى ما به [٣] وجودها فهو متكثر وله ما يتقدم عليـه ويستند في وجوده اليه ، فإن من جهة تكثره يفترض [٤] تقدم ما لا يكون متكثراً بكون الذي ليس بمتكثر متقدمـاً على المتكثر ، ومن جهة كونه نوعاً من أنواع الايس الذي إذا رفع [٥] في الوهم بطل وجود الانواع يقتضي ما به هو هو ، وهو تعـالى متكبر عن التكثر الموجب ما يتقدم عليه ، متعال [٦] عن النوعية الموجبة ما به هويته هو ، وإذا كان متعالياً عن ذلك فباطل كونه أيساً ؛ ثم أنه تعالى إن كان أيساً فلا يخلو أن يكون إما هو أيس ذاته أو غيره أيّسه ، وباطل أن يكون هو مؤيساً لذاته إذ يقتضي ذلك أنه لم يكن أيساً وذلـك آية الاستحالة والحدث بأنه لم يكن فكان ، هذا على امتنـاع الأمر في هذه القضية ، فإن مـا لا عين له في الوجود على قسميه ممتنـع أن يصير ذا وجود ولمـا يكون وراءه فـاعل يرتبط بـه وجوده . وباطل أن يكون غيره أيسه فتتأول عليه ، وإذا بطل الوجهان ، فباطل كونه أيساً ومفترضة هويته وراء الأيسيات [٧] المتعلق وجودها باختراعـه إياها . فسبحان من يعقب [٨] النهوض لإدراكه بصفة تستحقها مخترعاته

---

١ – في ن : والعرض
٢ – في ك : تشارك
٣ – في ن : فيه
٤ – في ن : يفرض
٥ – في ك : وقع
٦ – في ن : متعالي
٧ – في ك : الايسات
٨ – في ن : يعاقب

حيرة ، ولا إله إلا هو ولا حول ولا قـــوة إلا بالله ، واستغفر الله وأفوض أمري إلى الله إنه بصير بالعباد [١] .

---

١ ـ في هذا المشرع يبطل الكرماني ان يكون الله موجودا يستند الى موجدا اوجده ، لانه تعالى غير محتاج الى غير يتعلق ما به هو هو ـ اي جوهره ـ لذلك اعتبره تعالى خارجا عن كونه موجودا لتعلق الموجود بالذي جعله موجودا . وبعد ان ناقش هذه النظرية يخلص الى القول : بانه تعالى اما ان يكون هو اوجد نفسه او غيره اوجده ، ومن ثم يبطل ايجاده لذاته لاستحالة ذلك اذ يقتضي ان يكون غير موجودا . ومن لم يكن له وجود فمحال ان يصير ذا وجود بدون ان يكون هنالك فاعل يرتبط وجوده به ، ولما كان باطل ان يكون غيره اوجده فيكون ذا فضل عليه . لذا بطل الوجهان . اذ لا وجود لمعلول الا بما يوجب وجوده من علته التي وجوده بها يتعلق ، واليها في وجوده يستند ، ولولاها لما وجد ، ولما كانت الموجودات في وجودها مستندة بعضها الى بعض ولو كان ذلك البعض الذي يستند هذا البعض في وجوده اليه غير ثابت في الوجود ، ولا موجودا ، لكان وجود هذا البعض محالا . لذلك كان الذي تنتهي اليه الموجودات التي به توجد هو الله ، محال ان يكون موجودا من نوع الموجودات التي وجدت عنه .

المشرع الثالث

« في أنه تعالى لا ينال بصفة من الصفات ، وأنه لا بجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ، ولا يحس به محس »[1]

نقول : إنه تعالى محتجب بسبحانيته عن الأشياء التي هي الذرائع إلى إدراك الموجودات ، وهو من وراء ما تحصله الآلات المخصوص[2] بها البشر في حصر الأيسيات[3] من أقسام المعقولات[4] والمحسوسات بكونه لا من جنسها ، وارتفاعه عن أن يكون مثلها احتجاب الشمس بالمثل عن إحاطة الأبصار إذ هو فيما هو هو على أمر لا قدرة لذواتها على النهوض لتناوله بصفة ، وهويته هوية من حيث هي هي وبها هي ما هي مباينة[5] للاشياء كلها وعلى الوجوه كلها ، فلا تعتوره إحاطة العقل والحس بما هو[6] عليه من القدرة الباهرة التي تعجز فيها قدرة ما سواه ، فهو من حيث هو يختم على الأفواه أن تتحرك ، وعلى اللسان أن ينطق ، وعلى العقل أن يحيط ، وعلى النفس أن تتوهم ، ولا يوسم[7] بشيء يقال عليه ، وإن كان من الكمال على الغاية ، ومن الجلال على النهاية ، إلا وذلك يليق بما هو دونه مما لا يخلو أن يكون إما جوهراً أو عرضاً ، لأن الموجود فيه[8] الصفات من التغاير والانقسام إما بالقول أو بالكم على صيغة يكون وجود ذاته بما قد انقسمت إليه ، ويجب بوجود ذلك ما يتقدم عليه وعلى ما عنه يكون وجوده ، وهو سبحانه متعال عن

---

١ ـ في ك : ولا يدرك بعقل ولا بحس

٢ ـ في ن : المخصص

٣ ـ الايسيات : يعني الموجودات

٤ ـ في ك : المقولات

٥ ـ في ن : مبينة

٦ ـ في ك : هي

٧ ـ في ك : يرسم

٨ ـ في ن : به

الانقسام وبريء من أنحاء النقصان والتمام [١] ، فسبحان من هذه الآيات الموجبة ما يعلل هويته ، وإن تنوول [٢] بصفة أو قيل عليه شيء من الصفات فتلك الصفات هي مأخوذه مستعارة من الموجودات التي هي واقعة تحت الوجود المخترع ، ومختصة بها الذوات التي لا تنفك من آية الكون المبدع .

ومعلوم أننا إن قلنا على شيء مما عندنا صفة هي لغيره كنا قد كذبنا في وصف ذلك الشيء بما كان لغيره ، ولم يكن له إذا قلنا عليه ما ليس فيه وأوجبنا له ما ليس له ، وألحقنا [٣] به ما كان لسواه ، وذلك عين الكذب وحده ، وإذا كان الأمر على ذلك ، وكان ما يقال على الله تعالى [٤] هو صفة لغيره منقولة عنه إليه تعالى ، فقد تبين أن من وصفه فقد كذب عليه بكون ما وصفه به صفة لغيره ، وظهر أن الاستطاعة تعدم فيها القدرة التي تأتي بما يستحقه تعالى [٥] .

هذا ومتصور معلوم غير مشكوك فيه امتناع العقل وعجزه عن اختراع صفة ليست بموجودة فيما استمرت عليه أسباب الخلقة ونقصان النفس وضعفها عن توهم ما ليس له أصل في الفطرة ، وكيف يستقل العقل لطلب ما إذا نهض [٦] نحوه ، وجعل إليه وجهه للملاحظة بهره ما يجري منه مجرى الشمس من أبصارنا فخر مسبحاً ، ومما فعله تائباً ، عالماً بأن ما رامه [٧] ممتنع ، أو كيف يتحرك لذلك وفيه تفطر ذاته وهلاكها، كما في مقابلة البصر عين الشمس هلاكه كلا . ثم انه تعالى ليس بجسم فيكون لنا طريق إلى الكلام عليه بما يليق بالأجسام « ولا في جسم فيطرد الكلام عليه حسب ما يلزم في

---

١ – سقطت في ن
٢ – في ن : تنال
٣ – في ك : ولحقنا
٤ – سقطت في ن
٥ – سقطت في ن
٦ – في ن : نهضت
٧ – في ك : رماه

الأجسام » [١] لما يوجبه الدليل على ما بيناه في رسالتنا المعروفة « بالواعظة » من وجوب ما يتقدم عليه ، أن لو كان جسماً أو كان في جسم. ثم أنه تعالى ليس بمنقسم فيمكن الكلام على أقسامه ، إذ لو كان منقسماً لاقتضى انقسامه ما به كانت هويته مما يتقدم عليه [٢] ولا بذي حد فتعلم طبيعته من حده على ما يكون الطول والعرض والعمق حداً للجسم وطبيعة له ، أو على جهة ما تكون المادة والصورة حداً له فيعلم ، ولا بمركب فيتحلل [٣] إلى ما منه تركب فيعلم، ولا مما يتركب فيعلم من جهة تركيبه ما إليه ينتهي في التركيب من كماله ، ولا مما يعلم ببرهان فيقام عليه المقدمات وتصطاد [٤] بها معرفته اذ ما يعلم بالمقدمات فهو مثل المقدمات [٥] ، وذلك أن غاية المطلوب إدراكه بالمقدمات أن يتصور أمره في طبيعته على [٦] ما يتصور من طبيعة المقدمات، والمقدمات لا تترتب [٧] ولا تصطاد إلا من جهة أمور [٨] معلومة ، إما من جهة الحس أو من جهة العقل ، علماً لا تكدره نوازع الشكوك . وما هو محسوس ومعقول فطرق إدراكه معلومة [٩] وقد انسدت بتعاليه عن أن يكون محسوساً أو معقولا أبواب الإدراك ، إذ لو كان محسوساً لكانت المشاعر تدركه ، أو لو كان معقولاً لكان من جهة الطرق الخمسة التي هي الحد والقسمة والتحليل والتركيب والبرهان مدركاً . ولما كان لا محسوساً ولا معقولاً استحال [١٠] أن يقال عليه ما يقال عليها ، فهو من حيث هو هو لا يدرك أصلاً بسموه [١١] على مخترعاته سمو المحيط الذي لاينال ، وعلوه عليها علو المتعالي الذي ليس في الاستطاعة أن تصطاد معرفته بشيء ، فيقال

---

١ ــ في ك : مما يتقدم ان لو كان في الجسم كان جسما

٢ ــ سقطت في ك

٣ ــ سقطت في ن

٤ ــ في ن : وتصاد

٥ ــ في ن : المتقدمات

٦ ــ سقطت في ك

٧ ــ في ك : لا ترتب

٨ ــ سقطت في ك

٩ ــ في ن : معلمة

١٠ ــ في ن : محال

١١ ــ في ك : بسماه

ذلك بأنه تعالى وراء الكمال وفوق الجلال ، وكون العقول مبهورة تحت ثقل العزة . فسبحان من عزته هذه العزة ، ولا إلـــه إلا هو رب العرش العظيم [١] .

١ — في هذا المشرع ينفي الكرماني الصفات عن الله تعالى لانه لا يصح ان يقال عنه ما يقال عن موجوداته ولا يمكن ان يوصف بصفات المخلوقين لان تلك الصفات مأخوذة من الموجودات الواقعة تحت الوجود المخترع .. وكذلك ينفي انه تعالى بجسم فيكون لنا طريق الى الكلام عليه بما يليق بالاجسام . ويؤكد بانه تعالى لا محسوس ولا معقول ، اذ لو كان محسوسا لكانت المشاعر تدركه ، او لو كان معقولا لكان من جهة الطرق الخمسة التي هي الحد والقسمة والتحليل والتركيب والبرهان مدركا .

المشرع الرابع

« في أنه تعالى لا صورة ، ولا مـادة ، ولا معة فيما هو هو ما يجري منه مجرى مادة يفعل فيها[1] فسبحانه وتعالى عن ذلك »

تقول : إنه تعالى متعال [2] عن أن يكون صورة ، بكون الصـورة في وجودها محتاجة إلى ما تكون هي صورة له ، والمحتاج في وجوده إلى وجود ما سواه سمة الخلق الموجب تناهيه إلى ما لا يكون [3] صورة ولا غيرها مما يحتاج ، ومتعال عن أن يكون أيضاً مادة أو ما يجري مجراهـا إذ هي غير منفكة في وجودها عما تكون هي [4] مادة له وقابلة لأفعاله . ومتقدس عن أن يكون هو تعالى كليهما — أعني صورة ومادة معاً — فتكون ذاته منقسمة إلى الصورة والمادة المحتاجتين في وجود كل واحدة منها إلى وجود [5] الأخرى الموجبة ذاتها ما يتقدم عليها مما هو أقوم بذاته منهما ، ولا يجوز أن يكون معه مادة بها يوجد ما يوجد عنه ، إذ لو كانت لكان في فعله ناقصاً بامتناع وجود [6] فعله لولا المادة التي بها تم فعله، والذي يكون في فعله ناقصاً فوجوده عن غير يتقدم عليه ، وهو يتسبح بعلوه عن « أن يكون عليه لغير تأول» [7] أو تقدم ، فباطل وجود مادة معه فيما هو هو .

ثم أن الصورة تنقسم إلى : مـا هو عقلي وما هو طبيعي ، وإلى مـا هو صناعي ، فما يكون عقلياً فهو عاقل لذاته ومعقول بذاته وعقل في ذاتـه

١ — فسبحانه وتعالى عن ذلك سقطت في ن

٢ — في ك : متعالي

٣ — في ن : الى ما يكون

٤ — سقطت في ك

٥ — سقطت في ك

٦ — سقطت في ك

٧ — في ن : لغير عليه تأويل

مختلف بالنسب والإضافات ، ويكون من ذاته ما هو (١) جوهره ، ومنها ما هو كاله التابع لجوهره الصادر عنه وجود ما يوجد عنه ، فهو يقتضي بوجود هذه الآيات فيه ما يتقدم عليه وعند وجوده ، وهو سبحانه من هو صفر من هذه الآيات (٢). وما يكون طبيعياً فهو محرك لما هو فيه ومتحرك بالعرض(٣) ومن ذاته ما هو عاقل ، ومنها ما ليس بعاقل بل هو معقول ، وتوجب هذه الآيات (٤) الموجودات ما يسبق عليها في الوجود الذي عنه وجودها وهو بسبحانيته متعال عن الحركة والإنقسام وعما يجب بوجوده ما يتقدم عليه . وما يكون صناعياً (٥) فهو كال لما هو فيه ، ولا وجود له إلا به . وإذا كانت الصورة العقلية التي لها السناء والعظمة والقدرة والعلم والإحاطة والملك والعزة يتعالى (٦) هو سبحانه بسبحانيته عن (٧) أن يكون مثلها ، فما كان دونها في الجلال والعظمة فهو أولى أن يكون متعالياً عنها (٨) ، سبحانه عن أن يكون مثلها فهو (٩) سبحانه لا صورة ولا مادة ولا كلاهما ولا معه مادة بها يفعل ، فهو من حيث هو هو مغاير (١٠) لجميع الخلقة بصفاتها التي لها ، وفي حجاب تود العقول رفعه لملاحظة تلك الوحدة والإخبار عنها ، إلا بنفي صفة (١١) الموجودات حاملها ومحمولها وباطنها وظاهرها عند ذكره تعالى ، فسبحان من لا تعتوره الصفات ولا تنبيء عنه العبارات، ولا إله إلا هو تعالى علواً كبيراً ، واستغفر الله العظيم لي ولجماعة المؤمنين وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ — في ن : هي
٢ — سقطت في ن
٣ — في ن : بالغرض
٤ — سقطت في ك
٥ — في ك : صناعة
٦ — في ن : يتعال
٧ — في ك : من
٨ — سقطت في ك
٩ — سقطت في ك
١٠ — في ك : مغير
١١ — في ن : صفات

المشرع الخامس

« في أنه تعالى [1] لا ضد له ولا مثل »

نقول : إن من شأن الضد أن ينافي ضده ، ولا يوجد أحدهما إلا بفقد الآخر ، وأن يكون له ما هو وضده يتناوبان عليه في الوجود ، وأن يكون أحدهما بالإضافة إلى الآخر [2] ضعيفاً ، وللضعف ما إذا طرأ أحدهما (بالإضافة) [3] في الوجود بطل الآخر عن [4] عين الوجود ، ولا يجوز أن يكون للمتعالي سبحانه ضد ، إذ لو كان له ضد لكان لا يخلو ضده أن يكون إما قائم العين أو مفقود العين ، فإن كان الضد مفقود العين ، ففقد ضده سبب لوجوده ، وما يكون له سبب ، فسببه أولى [5] بالتقدم منه وأحرى بالإلهية ، وإن كان الضد قائم العين موجوداً وهما جميعاً في الوجود سواء فوجودهما جميعاً من غير أن يبطل أحد منهما يوجب أن يكون لهما ما يجري منهما مجرى الحافظ [6] عليهما وجودهما ، إذ الضدان لا يجتمعان في الوجود إلا بحفظ حافظ وربط رابط يحفظ عليهما جميعاً وجودهما من خارجهما وذلك الحافظ لهما أولى بالإلهية منهما . وإذا كان وجود الضد يوجب ما يتقدم عليه تعالى ما وجوده محال ، فوجود الضد له تعالى محال باطل .

ثم لو كان له ضد تعالى عن ذلك لكان يقتضي ان يكون لهما ما يتعاقبان عليه في الوجود تارة هذا ، وتارة هذا ، حتى يأخذ كل واحد منهما حظه

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ك : اخر
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ن : من
٥ ــ في ك : اول
٦ ــ في ن : المحافظ

الأجزل من حاليها وجوداً كالأضداد في وجودها ، وكان إذا كان [١] لهما ما يتعاقبان عليه في الوجود ويستندان إليه فيه ، فالمتعاقب عليه والمستند إليه سابق عليها ، وبه يتعلق وجودهما في نوبتيها ، وهو يتعالى عن أن يكون فيما هو هو مسبوقاً ، ويتكبر عن أن يكون فيما هو هو بغيره مشفوعاً ، أو تتعلق هويته بغير يكون له فيما هو هو سبباً ، فلمصير وجود الضد سبباً لوجوب وجود ما يتعاقب عليه في الوجود الذي به يصير مسبوقاً ، واتصال الأمر في ذلك على هذه القضية [٢] إيجاباً إلى ما لا يتناهي ، بطل أن يكون له تعالى ضده ، وإذا بطل أن يكون له ضد بطل وجود ما يتعاقب [٣] عليه مما يعلل [٤] الهوية المتعالية تقدست سبحانها .
ثم استحالة وجود ما يكون مما [٥] عنه وجود هويته سبباً له تعالى عن ذلك تنفي أن يكون له ضد ، وذلك أن ما له ضد فله سبب سابق عليه به يتعلق وجوده كما يتصور في الأضداد من أسباب وجودها السابقة [٦] عليها الموجودة في المحسوسات ، واذا كان ما له ضد فله سبب [٧] سابق عليه وكان هو تعالى يتسبح عن أن يكون له سبب ، بطل أن يكون له ضد تعالى . ثم أنه لا مثل له ، إذ لو كان لكانا اثنين ، ولكانا من حيث كونها اثنين يوجد في كل واحد منهما ما يباين به الآخر وبه تقع الأثنينية فيكون لكل واحد [٨] منهما جزآن بهما وجود ذاتيهما أحدهما مشترك والآخر خاص ، فيجب بذلك ما يتقدم [٩] عليهما جميعاً ، ويكون هو الذي أعطى كلاً منهما ما اختص به ، وباين الآخر ، وهو بالإلهية أحرى ، وهو تعالى من هو من العلاء في ذروة لا يجوز أن يكون غير

---

١ – سقطت في ك
٢ – في ك : قصية
٣ – سقطت في ن
٤ – في ك : يتعلل
٥ – سقطت في ك
٦ – في ن : السابق
٧ – في ن : اسباب
٨ – سقطت في ن
٩ – في ك : يقدم

يسبقه ويتأول عليه ، فيكون هو دونه فهو [1] من فوق نهاية المراتب في الجلال والعظمة والكبرياء والسناء والقدرة والبهاء على أمر يضيق مجال العقول في الإحاطة به ، تعالى الله علواً كبيراً ، والذي يكون بهذه المثابة فلا يكون له ضد ولا مثل فسبحان الله ، ولا إلة إلا هو جل أن يكون له فيما هو ضد أو مثل ، وأستغفر الله العظيم وأستعين به في أموري كلها والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ — سقطت في ن

المشرع السادس

« في أنه لا يوجد في اللغات ما يمكن الإعراب عنه بما يليق به »

نقول : لما كان وجود الأشياء مع اختلافها وتضادها إنما هو باستناد [1] بعضها إلى بعض بالمشاكلة والمناسبة التي بينها ، وعليها كان وجودها مثل ما في الموجودات في[2] عالم الطبيعة من التشاكل الذي به انحفظ البعض بالبعض، وبه يتعلق كل بكل ، وبه ولد [3] ، ولولاه ما وجد ، كالنار التي هي ضد بحرارتها ويبسها للماء الذي هو ضد لها ببرودته ورطوبته فوجدا جميعاً بما بينهما من الهواء الذي هو حار [4] ورطب ، فناسب النار بطرفه الحار [5] فتعلق ، وناسب الماء بطرفه الرطب فتعلق به ، فصار الماء الذي هو ضد للنار متعلقاً بها ومجتمعاً إليها من [6] هذا الوجه ؛ بالتشاكل الموجود والتناسب [7] القائم ، وكذلك الهواء والأرض اتصلا بمشاكلتها لما يجمعها بطرفيها الذي هو الماء ، وكان ما لا مناسبة بينه وبين غيره ولا مشاكلة ينافره ، ولا يدور عليه ، ولا يوجبه ، وكانت الأسماء والألفاظ أشياء دالة على أشياء موجبة لها ، كان من ذلك الإيجاب [8] بأن ما بين الأسماء والألفاظ الدالة وبين المدلول « وبين المدل [9] » بها عليه مناسبة لولاها لما أوجبتها ، ولا كان للنفس طريق إلى معرفة الأشياء بحقائقها : وذلك أنه لو كان جائزاً أن يكون ما يدل على الشكل « المثلث دالاً على الشكل المربع،

١ – في ن : باستمداد
٢ – سقطت في ك
٣ – في ك : ولدت
٤ – في ن : حر
٥ – في ن : الحر
٦ – في ك : عن
٧ – في ك : وتنسب
٨ – في ن : يجاب
٩ – سقطت في ن

« ومـا يدل على الشكل [١] » المكعب دالاً على الشكل المدور وبالعكس لخرق طريق اصطياد المعارف بالحقيقة ، ولكان لا يكون [٢] للنفس اليهـا سبيل بجواز [٣] ما تتصوره أن يكون غيره : فلما لم يجز أن تتصور ممـا دل على صورة المكعب صورة المثلث ، ولا ممـا يدل على صورة المثلث صورة المربع ، ولا أن يعلم مما يدل على عدد ما يدل على عدد أزيد منه أو أنقص، ولا يوجب أصلاً إلا ما توجبه تلك المناسبة التي بها يدور عليه كان منـه [٤] العلم بأنه للمناسبة والمشاكلة التي بينها ما لم يدل على ما سواه ، ولم يوجب ما تعداه . وإذا كانت الأسماء والصفات والألفاظ مشاكلة لما تدل عليه ، وكانت الأسماء والألفاظ مؤلفة من الحروف البسيطة التي [٥] تبنى سائر اللغات منها، والحروف محدثة ، كان ما تدل عليه وتوجبه في مثل [٦] حالها محدثاً ؛ وإذا كان ما تدل عليه الحروف المركبة في اللغات كلها محدثاً ، مثلها على ما بيناه وهو تعالى كبرياؤه ليس بمحدث ، فقد استبان امتناع الحروف المركبة الحادثة عنها اللغات عن أن يكون لها سلوك في الدلالة على مـا يليق بكبريائه ، بكونه تعالى مبايناً للمحدثات وغير مناسب لها ولا من جوهرهـا ، وإذا كان مبايناً للمحدثات فقد حصل اليأس بالكلية عن أن تكون للألفاظ والعبارات دلالة على شيء يستحقه تعالى الله سبحانه ، وأسفر عن صدق الموحدين بـأنه لا يعرب عنه بلفظ قول ولا بعقد ضمير ، وكيف يكون للحروف [٧] دلالة على هوية ظهرت عنها المبدعات والمنبعثات والمكونات التي منهـا هي ، وهو تعالى من ورائها في ذروة العزة فلا تهتدي العقول إلى تناوله بصفة ، أم كيف يكون للعقول طريق إلى تصور فيه وهي لا تعقل إلا بما شملته سمة الجوهرية

١ ــ سقطت هذه الجملة في ك
٢ ــ سقطت في ك
٣ ــ في ك : يجوز
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ في ك : الذي
٦ ــ في ك : امثال
٧ ــ في ن : للحرف

والعرضية ! كلا إنه من العلاء في سمائه ومن الكمال في روائه ، فسبحانه من إله لا تعرب عنه الألفاظ والعبارات بشي إلا وكان ذلك الشيء تحت اختراعه ، ولا إله إلا هو ، وأستغفر الله وأستعينه ، وأفوض أمري في ديني ودنياي إليه ، وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

المشرع السابع

« في أن أصدق قول في التوحيد والتسبيح [1] والتمجيد والإثبات ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه تعالى [2] »

نقول : لما كانت العقول مشتاقة إلى [3] توحيد الله تعالى وتقديسه وتحميده وتمجيده بما هو أهله ، وكان لذلك طريقان : طريق من جهة إلحاق الصفات التي لا يكون أشرف منها وإثباتها له ، وطريق من جهة نفي الصفات وسلبها عنه ، وكان [4] طريق التوحيد والتمجيد من جهة إثبات الصفات له مؤدياً [5] إلى الكذب على الله تعالى والافتراء عليه بنسب ما لا يليق به إليه وإجرائه مجرى ما دونه من مخترعاته ، كان أصدق ما يعتمد عليه في التوحيد والتمجيد ضد إثبات الصفات [6] وهو نفيها عنه ، فأخذنا معاشر الدعاة الموحدين لمتبعين للأئمة الطاهرين في التوحيد والتسبيح طريق نفي الصفات بكونه حقاً وصدقاً [7] : وذلك أنه لما كان الصدق هو إثبات شيء لما هو موجود له ، ونفي شيء عما [8] هو ليس بموجود له ، رأينا أننا إن أثبتنا له تعالى صفة ، وكانت الصفة لا له بل لغيره بكونها مختصة بالموجودات عنه التي هي غيره تعالى الله ، كنا فيه كاذبين . إذ الكذب هو إثبات شيء لما هو ليس له أو نفي شيء عما هو له ، وإننا إن نفينا عنه

---

١ ـ سقطت في ن

٢ ـ سقطت (وسلبها عنه تعالى) في ن

٣ ـ في ك : في

٤ ـ في ن : كان

٥ ـ في ن : مؤدي

٦ ـ في ك : الصفة

٧ ـ في ن : صدق

٨ ـ سقطت في ك

صفة وكانت تلك الصفة ليست له بل لغيره كنا في ذلك صادقين ، فلزمنا هذه الطريقة على ما رسمت الأدلة المنصوبون [١] للهداية إلى طريق الحق في التوحيد صلوات الله عليهم ، إذ نحن بذلك إذا فعلناه مثبتون مسبحون مقدسون ممجدون حامدون ، بقولنا الصدق وإثباتنا إياه تعالى بلا قصد لصفة ، ولا تناول منا إياه بتشبيه أو تمثيل أو تحديد : وذلك أن في [٢] فحوى الكلام ثابتاً معلوماً عند ذوي الذكاء ، ومن هو أخونا حقاً ، إننا إذا قلنا عند الإثبات من طريق النفي هو لا هذا ولا هذا ولا هذا ولا هذا ، وكان كل هذا الذي نفيناه مما هو موجود في الخلقة ، فقد ثبت به ما لم تأت الصفة عليه ، وباين جميع الموجودات بما نفينا أن يكون هو [٣] تعالى . وليس الأمر على ما يتوهمه هؤلاء المتعقلون [٤] الذين هم بدعواهم عقلاء ، ولأنفسهم خصماء ، إن ذلك تعطيل ، فإن التعطيل إنما تنقدح ناره ويعتلي في الإلحاد مناره إذا اعتمد (حرف لا) في القول قصداً بفعله الذي هو النفي نحو الهوية المتعالية سبحانها لتعطيلها ونفيها بأن يقال لا هو أو لا إله فقط . الذي يدل على التعطيل الصريح الذي يكسب النفس [٥] بواراً ، ويضرم عليها في سواء الجحيم ناراً : فأما (حرف لا) فيتوجه فعله نحو الصفات لنفيها من دون الهوية سبحانها ، فالصفات هي المعطلة المنفية لا الهوية سبحانها : وذلك مثل قولنا في الله سبحانه أولاً بأنه الـ (لا موصوف) . الذي صار فعل (حرف لا) موجهاً نحو الصفات والموصوفات من الأجسام لنفيها عنة سبحانه المشار إليه بقولنا إنه ، والمشار إليه ثابت والصفات هي المعطلة المنفية . ومثل قولنا ثانياً بأنه تعالى (ولا هو لا موصوف) الجاري مجرى قولنا الأول في النفي عن الهوية المتعالية [٦] سبحانها ما هو غير المنفي أولاً بقولنا « لا موصوف » ، وذلك

---

١ — في ك : المنصوبة
٢ — سقطت في ك
٣ — سقطت في ك
٤ — في ن : المتعلقون
٥ — في ن : الانفس
٦ — سقطت في ن

أن فعل في قولنا « ولا هو لا موصوف ، موجه نحو أشياء صار سلب الصفات عنها سمة لها ، مثل الأنفس والعقول التي تتعالى عن أن [١] توصف بالأجسام وصفاتها لنفي ما تستحقه تلك الأشياء على ما عليه ذواتها عن الهوية المتعالية سبحانها المشار إليها بقولنا هو ، والمشار إليه [٢] ثابت والهوية قائمة ، وما يقال على تلك الاشياء عنها معطلة ، وليس في ذلك ما يوجب هجنة تبطل أو يستحق عليه اسم تعطيل . والمتأمل المنصف إذا فحص عن ذلك بفكره علم أن كلاً من المخالفين قد زين مذهبه بأن عمد في توحيده لمعبوده ما عمدناه ، وقصد ما قصدناه في استعمال (حرف لا) في النفي ما يستحق الغير عن الله تعالى ، خاصة المعتزلة الذين صدروا كتبهم وزينوها بقولهم في أصول مذهبهم بأن الله تعالى لا يوصف بصفات المخلوقين ، وذلك مثل قولنا بأنه تعالى « لا موصوف وأنه لا يقال عليه ما يقال على المحدودين وذلك مثل قولنا بأنه تعالى » [٣] هو (لا موصوف) ولا (لا موصوف) مثل الذي صار سلب[٤] حده صفة له ، وهذا من قولهم هو أصل مذهبنا ، وعليه قاعدة دعوتنا بأننا لا نقول على الله تعالى ما يقال على المخلوقين ، وهو المعتمد في توحيد معبودنا والمقصود في انحاء كلامنا [٥] وإيرادنا ؛ لكن المعتزلة قالوا بأفواههم قول الموحدين واعتقدوا بأفئدتهم اعتقاد الملحدين ، بنقضهم قولهم أولاً بأن الله لا يوصف بصفات المخلوقين بإطلاقهم على الله سبحانه وتعالى [٦] ما يستحقه غير الله تعالى من الصفات من القول بأنه حي عالم قادر فسائر الصفات ، نعوذ بالله : فقولنا لا هذا ، مثل قولنا لا موصوف ، فهو إيجاب لما هو غير موصوف وإذا قيل [٧] ولا هذا مثل قولنا ولا لا موصوف ، وكان [٨] هذا الذي هو

١ – في ك : من ان
٢ – في ك : اليها
٣ – سقطت هذه الجملة في ك
٤ – سقطت في ن
٥ – في ك : كل منا
٦ – سقطت في ك
٧ – في ن : قال
٨ – في ن : كان

لا موصوف هو غير ما نفي بحرف لا أولاً بهذا القول ، فهو إيجاب لما هو لا بمعنى غير هـذا الذي أوجب أولاً بالنفي الأول الذي هو لا موصوف [١] ولا لا موصوف . وكذلك إلى أن يستوعب حرف لا جميع الموجودات فينفي بكل قول ما أثبته في القول المتقدم ويوجب آخر غير موصوف إلى أن لا يبقى من الموجودات شيء فيكون بنفي الكل إيجاب غير مجرد وهو المتعالي سبحانه عن صفة ذوي الأوصاف المتكبر الذي تسامى بكبريائه عن أن يكون لحرف « لا » سلوك في نفي ما يليق به عنه تعالى بانسداد طريق معرفة هذا الباب ، فحقيق [٢] بأن لا يوجد له تعالى ما يعارضه حرف لا بالنفي لتعاظمه ، وكونه من بهاء الربوبية والقدسانية على أمر تنقطع بالعقول قدرتها في الإدراك وينطفيء بها سراج الإحاطة . وليست هذه الطريقة المسلوكة في التوحيد من تناول الموجودات التي هي الغرض بنفيها وصفاتها بحرف « لا » ليثبت المقصود المطلوب سالماً من أحكامها بمستنكرة ، فقد سلكتها العرب في غير ذلك ، وجعلتها غاية الفصاحة في ميدان الخطابة ، مثل قول القائل منهم صفة لرجل بأنه « كريم مطعام ، قليلات المسارح ، كثيرات المبارك . إذا سمعن صوت المزهر أبقن ، إنهن هوالك » فجاء بهذه لألفاظ فوصف الإبل بأنها تبرك بفنائه ، ولا تسرح ليقرب عليه نحرها للأضياف [٣] ، إذا ضرب المزهر وهو العود للقرى فتيقن الإبل عند سماعها صوت الوتر أنهن منحورات . فكانت هذه العبارة دالة على أن الرجل كريم يطعم الناس من غير أن كانت الصفة متوجهة اليه بألفاظ خاصة للمعنى المقصود [٤] ، وليس لقصور قاصر [٥] وعجز عاجز عن سلوك هذه الطريقة في الفصاحة والخطابة وبلوغ الغاية في الفهم والإعراب يصير نور

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ك : حق
٣ ـ في ك : للارياف
٤ ـ في ن : المقصور
٥ ـ في ن : مقصر

الفصاحة ظلمة ، وجمالها هجنة ، كلا إن الأمر واضح فيما سلكنـاه من طريق التوحيد وليس يرتكبه غبار . وفي الجملة فساد القول في التوحيد بإثبات الصفات وإيجابها للمتعالي سبحانه [١] عنها على أنها حقيقة له لا على طريق المجاز وما يضطر اليه البشر عن الخطاب إقراراً وإفهاماً ظاهر في ميدان البحث والتحقيق ، وذلك أن في إيجابها له تعالى إفضـاء الأمر فيه إما إلى المحال الذي لا يجوز أن يقال عليه تعالى أو إلى تطـاوله إلى ما لا يتناهى الموجب لا وجودية للموجودات ، وكلاهما مغبران في وجه التوحيد : فإنه إن لم يثبت ما تستند اليـه الموجودات في وجودهـا فيكون عن الغير مستغنياً فيما هو هو ثابت . وكان محتاجـاً في ثبوت هويته إلى غير حاله في هويته هو مثل حاله ، وذلك الغير كذلـك « إلى أغير » [٢] الى ما لا يتناهى لم يثبت منه فعل بتحيز [٣] الغير في ثبوت هويته ، وكونه من الشغل بذلك في ما لا يصح معه منـه وجود موجود عنه إلى أن يثبت فيكون « للغير بـه » [٤] وجود ، كالأعداد التي يتعلق وجودها بالواحد الذي إن لم يكن ثابتاً ، لا يستقر [٥] في الوجود باقيها . وفي كون الموجودات موجودة نطقها ببطلان الأمر فيما لا يتناهى ، وفي بطلان [٦] الأمر فيما لا يتنـاهى بطلان القول الموجب له صفة ، تعالى وتقدس عن الصفات . ونحن نبين ما يحصل [٧] من المحال في صفة واحدة من الصفات كلها ليكون منه الاستدلال على سائرها في وجوب مثلها ، فنقول : إن الوجود من الصفات ، والقائل بأن المتعالي سبحانه يستحق أن يوصف به حقيقة موجب بقوله إن له سبحانه وجود الذات المتعالية [٨] سبحان الله تعالى التي توصف بالوجود أولاً ، وهذه الصفة التي [٩] هي

---

١ – سقطت في ك
٢ – سقطت في ك
٣ – في ك : بتجبر
٤ – في ن : غيريه
٥ – في ن : لا يقر
٦ – في ك : ابطل
٧ – في ن : حصل
٨ – سقطت في ن
٩ – سقطت في ن

الوجود ثانياً ، بكونه تعالى غيرها وهي غيره . ولا تخلو هذه الصفة [١] في وجودها له تعالى وتكبر ، إما أن تكون مقتضيها [٢] وموجبها ذاته تعالت عن ذلك ، أو غيرها : فإن كانت ذاته هي المقتضية لذاتها هذه الصفة والموجبة فتعلق الإيجاب والإقتضاء ، بثبوت الذات أو لا موجب بثبوت الذات عرية [٣] من هذه الصفة ، أو لا له ليقع منها الفعل الذي هو الإيجاب والإقتضاء وثبوت الذات موجب [٤] زوال كل أمر معوق [٥] لها عند استغنائها في الثبوت عما يشغلها عنه ، وإذا ثبتت الذات عرية [٦] من هذه الصفة مستغنية فيه عما يشغلها عنه ، وكان لوجود صفة لا يتعلق بها ثبوت الذات ، قام حكم العم [٧] بأن هذه الصفة غير محتاجة إليها في كون هوية الذات هوية ثابتة ولا مفتقرة الذات إلى إيجابها لذاتها فيكون لها بها ما لم يكن إذ كانت غير محتاجة ، وإذا كانت غير محتاجة إليها ولا مفتقرة فيكون لها بها ما لم يكن بإيجابها [٨] : فإيجابها له تعالى محال ظاهر لا يليق بمجده ، والمحال لا يجوز أن يقال عليه تعالى ، هذا إذا كان إيجاب هذه الصفة منسوباً إلى ذاته التي تتقدم في الثبوت على الإيجاب ، فإن ألحقت [٩] هذه الصفة به تعالى على أن الذات [١٠] لا تتقدمها في الثبوت بل تساويها فيه صار ذلك موجباً غيراً خصص الذات بأن تكون لا الصفة ، والصفة بأن تكون لا الذات بكون الذات غير عرية [١١] منها ولا بائنة ، فيكون منها بإيجابها لها ، وكون الصفة المساوية للذات لا من اقتضائها ولا من إيجابها فيحصل ثبوتها متعلقاً بإيجاب الغير ، وإذا وجب الغير كان الكلام على الغير بمثله إلى ما لا يتناهى ، الذي هو المحال الصريح ،

١ – في ن : الصفات
٢ – في ك : مقضيالها
٣ – في ن : عارية
٤ – في ن : موجبة
٥ – في ك : معاق
٦ – في ن . عارية
٧ – في ن : الهم
٨ – سقطت في ن
٩ – في ن : لحقت
١٠ – سقطت في ك
١١ – في ن : عارية

وإن كان غيره هو المقتضي لهذه الصفة ، فالكلام مستمر كما قلنا إلى ما لا يتناهى ، ولا ويشهد به عقل مع ثبوت الموجودات ، وإذا كان الأمر في إيجاب هذه الصفة موجباً ما ذكرناه ، وكان ما يفضي اليه ذلك هو الباطل كانت الصفات كلها جارية مجراها في اجتلاب المحال وإيجابه ، وهو تعالى بريء من الصفات الواقعة تحت اختراعه ومتقدس عنها ، وهو تعالى فاعلها والأشياء كلها جل وتعالى [١] . هذا والوجود إذا قلناه على الله تعالى فإنما نقوله للاضطرار الى العبارة ، وامتناع الأمر فيهما على النفس إلا الأمور المحدثة المستفادة معرفتها من قبل الحس ، وهو من[٢] صفات الفعل الصادر عن المتعالي سبحانه الى الكون المعرب عنه بالوجود الأول والعقل الأول وليس الفعل عنه براجع على [٣] ذاته فيفعل فيها على ما عليه الحال في أفعالنا [٤] التي في صدورها إلى الوجود تؤثر في أنفسنا فتكسبها ما لم يكن لها ، على ما نشرحه في موضعه إن شاء الله تعالى ، بل وجه فعله تعالى خارج الى الثبوت والقيام بالفعل ، وبذلك يقع الفرق [٥] بين الفعلين ، وليس لمعاند أن يعكس فيجري الذات في ايجاب ثبوتها مجرى الصفات التي تكلمنا عليها [٦] توصلاً الى التلبيس ، وسلوكاً طريق الأبالسة في التموية والتضليل بناء للمحال ، والكلام [٧] عليه لما عليه الأمر الضروري في ثبوت الذات المتعالية عن الصفات سبحان الله وتعالى ، وقيام الحاجة في وجود الموجودات الى ما به تتثبت [٨] من الله تعالى الذي اليه تستند الموجودات في وجودها على ما سبق به الكلام ، وتنسد معه أبواب الإلحاد ، فتبارك الله

---

١ ـ في ك : وعلا
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ن : اعمالنا
٥ ـ في ك : الفراق
٦ ـ في ك : عنها
٧ ـ في ن : والتكلم
٨ ـ في ن : تثبت
٩ ـ سقطت في ن

وتعـالى [١] رب العالمين ، ولا شيء من الموجودات يشاركه فيما هو هو ولا إله غيره سبحانه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأستغفر الله وأستعينه وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد .

١ ـ من خلال مشارع السور الثاني استطعنا ان نستنتج بان الفيلسوف الكرماني يرمي الى نفي الليسية والايسية عن الله سبحانه وتعالى وهذا يعني ان الله ليس موجودا كغيره عن الموجودات لانه من المحال ان يقال عنه او ينسب اليه ما يقال عنها وينسب اليها ، وينفي ايضا ان يكون له ضد ولا مثل ولا صورة ولا مادة ، وانه لا بجسم ولا في جسم ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به محس . وبذلك يكون الكرماني قد عبر عن آراء كبار رجالات الدعوة الاسماعيلية الذين وقفوا سدا منيعا في وجه الغلاة من الدعاة الذين دعوا الى تأليه الائمة وخاصة عندما ظهرت دعوة حمزة بن علي سنة ٤٠٨ هـ . وباعتقادي انه لم يكتب هذا السور الا لاقناع الدعاة الذين انضموا الى دعوة حمزه بن علي بخطل آرائهم ، وخروجهم عن الاصول والاحكام الاسماعيلية . وبنفس الوقت ليناقش بعض اراء المعتزلة في التوحيد .

السُورُ الثَالث

« في القلم الذي هو الموجود الاول ويشتمل على سبعة مشارع »

المشرع الأول

« في إثبات المبدع الذي هو الموجود الأول « وإن وجوده لا من ذاته [1] »
وأنه علة [2] تنتهي إليها الموجودات ، وأنه لا جسم ولا قوة
في جسم ، وأنه خارج عن عالم الجسم »

نقول : لما كان الله تعالى في علوه عن المراتب [3] كلها كمالاً ونقصاناً ، ووحدة وكثرة ، وما يكون لحرف « لا » سلوك في نفيه من الصفات [4] والموصوفات اللازمة إياها سمة لإختراع [5] وراء ما تهتدي العقول اليه بضيائها والأفكار بخطراتها [6] على ما ذكرناه ، ووقع اليأس من الظفر بما يكون طريقاً إلى تناوله بصفة ، كان ما دونه [7] هو الموصوف الموجود [8] الذي في القدرة التوصل إلى الكلام عليه إنباء عنه ؛ وإذا كان ما سواه الذي وجوده باختراعه إياه هو الذي في قدرة العقول التوصل إلى الكلام عليه ، والإنباء عنه بالأوصاف الموجودة في الخلقة ، قلنا إن الذي يترتب أولاً في الوجود هو المتصور أنه لم يكن فوجد على طريق الإبداع والإختراع لا من شيء ، ولا على شيء ، ولا في شيء ، ولا بشيء ، ولا لشيء ، ولا مع شيء الذي هو الشيء [10] الأول ، فيكون وجوده من [11] طريق الترتيب وجوداً ثابتاً ووجوداً أولاً ، بكونه نهاية أولى [12] ، وعلة أولى بها يتعلق وجود ما

---

١ ـ سقطت هذه الجملة في ك
٢ ـ في ن : ينتهي
٣ ـ في ك : التراتب
٤ ـ في ك : الصفة
٥ ـ في ن : اختراع
٦ ـ سقطت في ن
٧ ـ في ن : ماسواه
٨ ـ في ك : الوجود
٩ ـ في ك : يرتب
١٠ ـ سقطت في ك
١١ ـ في ن : عن
١٢ ـ في ن : اوله

سواها من الموجودات متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية ، كما يكون الواحد في وجود الأعداء مترتباً أولاً ثابتاً بكونه نهاية أولى [١] وعلة أولى بها يتعلق وجود ما سواه من الاعداد متوجهاً فيه نحو النهاية الثانية ، هذا اثباته من جهة ترتيب الموجودات . ومن جهة اتجاه الفعل وصدوره إلى الوجود ضرورياً ، فإن الاول إن لم يثبت وجوده لم يكن للثاني طريق الى الوجود والثاني إن لم يثبت وجوده لم يكن للثالث طريق إلى الوجود ، وإذا لم يكن للثاني والثالث وجود إلا بثبوت [٢] وجود ما يكون أولاً لهما وسبباً لوجودهما .

فمن وجود الثالث والرابع وغيرهما من الموجودات قيام الدليل على وجود أول لها ثابت ، وسبب لولاه لما [٣] وجد ما سواه ، فقد ثبت للموجودات بوجودها مبدأ أول عنه ترتبت [٤] في الوجود ، وذلك المبدأ الاول نسميه العقل الاول والموجود الاول . الذي وجوده لا بذاته بل بابداع المتعالي سبحانه إياه [٥] .

ثم نقول بالعكس ، لما كانت الموجودات مستندة في وجودها إلى علل سابقة عليها ، وكان كل موجود منها في ذاته فعلاً لما يتقدم عليه منها ، ومفعولاً له من مادة ، وفاعلاً لغير دونه من مادة ، كان من وجود الموجودات العلم بأنها منتهية إلى علة تنتهي [٦] العلل إليها ثابتة ، هي في ذاتها [٧] فعل صادر عمن لا يستحق أن يقال إنه فاعل ، وهي مفعولة لا من مادة ، وهي فاعلة لا في مادة هي غيرها : وذلك أن وجود الموجود [٨] يتعلق بثبوت ما يتقدم عليه من علته التي لولا ثبوتها

---

١ – في ن : أوله
٢ – في ك : ثبات
٣ – في ك : ما
٤ – في ن : رتبت
٥ – سقطت في ن
٦ – في ك : ينتهي
٧ – في ن : ذاته
٨ – في ك : الموجد

لما وجد ، كالتسعة التي هي علة لوجود العشرة ، ومتى لم يثبت وجودها استحال [١] وجود العشرة . فلما كانت الموجودات موجودة ثابتة ، ثبت أن العلل ثابتة وأنها لا تزال ترتفع عن الكثرة عند التوجه نحو [٢] الاول منها وتقل إلى أن تنتهي إلى شيء واحد ثابت هو علة تنتهي إليها العلل ، مثل التسعة من الاعداد التي وجودها يدل على وجود الثمانية ، ووجود الثمانية يدل على وجود السبعة ، فلا تزال ترتفع عن الكثرة تحليلاً إلى ما منه وجدت إلى أن تنتهي إلى واحد ثابت هو علة لجميعها وبه قوامها [٣] فيكون ذلك الواحد المتقدم الرتبة وجوده لا بذاته ، بل هو في ذاته فعل عمن لا يستحق أن يقال إنه فاعل ، وهو مفعول لا من مادة ، وهو فاعل لا في مادة هي غيره . وإنما قلنا إنه هو فعل في ذاته لكونه أول موجود على ما بيناه فيما بعد عن الذي لا يستحق أن يقال إنه فاعل فيكون بكونه فاعلاً فعلاً فيقتضي كونه فعلاً ما تكون عنه هويته ، ويؤدي ذلك إلى ما لا يتناهى على ما بيناه في رسالتنا المعروفة « بالروضة » يشهد بما [٤] قلناه من ثبوت أول به يتعلق ما سواه تحليلنا الموجودات إلى عللها وانتهائها إلى واحد وجوده لا بذاته بل عن غيره [٥] : وذلك أنا وجدنا الإنسان الذي هو آخر الموجودات وهو النهاية الثانية لها منحلاً إلى أشياء كثيرة مفعولة فيها هي [٦] كالمادة التي [٧] منها فعل ، وهي كلها دار الطبيعة ، وإلى أشياء كثيرة فاعلة صارت دار الطبيعة مادة لها يفعل فيها لإخراج [٨] ما من شأنه أن يوجد منها إلى الوجود مثل الإنسان وغيره ، وهي كلها قائمة بالفعل ، وهي الملائكة الموكلة بالعالم ، فهو — أعني الإنسان — فاعل في مواد هي غيره عند إيجاده

---

١ — في ك : فحال
٢ — سقطت في ك
٣ — في ك : قيامها
٤ — في ن : ما
٥ — في ك : غير
٦ — سقطت في ن
٧ — في ن : الذي
٨ — في ن : اخراج

الصورة الصناعية ، ومفعول من دار الطبيعة ، وفعل للملائكة القائمة بالفعل ، وفاعليته بكونه فعلاً لغيره الذي قام بفعله أعني إيجـــاده ، ووجدنا دار [١] الطبيعة والفاعلين فيها منحلة إلى أشياء ليست في الكثرة مثل دار الطبيعة بما تجمعه والفاعلين فيها بل أقل وهي الهيولى والصورة معاً، وما صارت والصورة مادة له في تكوين الافلاك والإستقصـات من الملائكة أعني العنصر القـــائم بالفعل ، ودار الطبيعة والفاعلون فيها فاعلة للإنسان وغيره [٢] من أنواع الموجودات ومفعولة ممـا منه وجدت ، أمـا دار الطبيعة فمن [٣] الهيـــولى والصورة ، وأما الفاعلون فمن فاعل مثلهم سابق عليهم ، وفعل للملك القائم بالفعل الذي هو سابق للجميع ، وفاعليتها بكونها فعلاً للذي قـام بفعله [٤] إياها ، ووجدنا الهيولي والصورة والفاعل فيهما متحللين إلى شيء واحـد منه بانتهاء التحليل إلى أول الكثرة بالذوات التي ليس وراء أولها الذي هو اثنان إلا الواحد ، وامتناع الأمر في انحلالهما إلى شيئين يجريان منهـما مجرى الآباء والأمهات والفاعلين فيهـا من الإنسان والهيولي ، والفاعلين فيهـــا [٥] الآباء والأمهات لإتصـال الأمر فيه أن لو كان كذلك إلى ما لا يتناهى ، يكون سبباً للاوجودية الموجودات ، فقد ثبت بانتهاء التحليل إلى واحـد به يتعلق وجود ما سواه أن هذا الواحد هو العلـة الثابتة ، وهو فعل في ذاتـه ، وفاعل في ذاته ، ومفعول بذاته . ثم نقول : لما كان كل قائم بالقوة ناقصاً ، وكان خروجه إلى الفعل الذي هو درجـة الكمال لا يكون إلا بالذي يستنـد إليه في ذلك ممن هو قائم بالفعـل تام في ذاته وفعله ، وكانت أنفس البشر في دار الطبيعة قائمة بالقوة ناقصة ، فخروجهـا إلى الفعل إذن لا يكون إلا [٦] بالذي هو قائم بالفعل ، في ذاته [٧] وفعـله . ولما كان موجوداً من أنفس [٨]

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ك : وغير
٣ ــ في ك : فمن
٤ ــ في ن : في فعل
٥ ــ في ن : عن
٦ ــ سقطت في ك
٧ ــ سقطت في ك
٨ ــ في ك : الانفس

البشر من خرج إلى الفعل مثل الأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام وتابعيهم [١] بنيلهم الكمالين ، واستيفائهم السعادتين ومصيرهم مجمعاً للفضائل ، صفراً من الرذائل تاماً [٢] ، كان القائم بالفعل التام في ذاته [٣] وفعله الذي به كان كمالهم وارتقاؤهم إلى درجة القيام بالفعل وباستنادهم إليه كان وجودهم تامين ولولاه لما كان لهم خروج إلى الفعل موجوداً ، وإذا كان القائم بالفعل التام في ذاته وأفعاله الذي [٤] به ينهض القائم بالقوة للخروج إلى الفعل موجوداً ، لم تخل ذاته أن تكون [٥] إما جسماً أو قوة في جسم . أو لا جسماً ولا قوة في جسم ، فيكون خارجاً من [٦] عالم الجسم ، وبطل أن يكون جسماً أو قوة في جسم لكون ما يشتمل عليه عالم الجسم من الأجسام والقوى في الأجسام مواد يفعل فيها قائمة لنقصانها بقبول الفيض لنيل كمالها ، عاجزة عن الفعل في اعطاء كل شيء ما يليق به غير بالغة في تبليغه نهاياته التي هي كمالاته إلا بغير فاعل ، وذلك مثل الأجسام « العالية التي لا يحصل منها بمجردها فعل إلا بما يقبل فعلها من الأجسام » [٧] السفلية المؤثرة فيها ، ومثل الأجسام السفلية [٨] التي لا يحصل منها فعل بمجردها إلا بالأجسام العالية المؤثرة فيها ، وهي بجملتها عاجزة مؤثرها والمؤثر فيه منها [٩] بكونها من قبيل ما يكون مفعولاً فيه ناقصاً في الفعل عن تكوين كثير من الأشياء إلا بمعاونة الغير فاعل وبمعالجته وتدبيره ، مثل الزجاج الذي عجزت الطبيعة عن إخراجه إلى الكون كما أخرجت الذهب وغيره ، وأكثر ما بلغ امكانها

---

١ ـ في ن : وتابعهم
٢ ـ يعني معصوما كاملا
٣ ـ اي التام في جوهره الروحاني من حيث العصمة والكمال السرمدي القدسي الذي استمده من ذات المبدع .
٤ ـ في ن : التي
٥ ـ في ك : يكون
٦ ـ في ك : عن
٧ ـ سقطت هذه الجملة في ن
٨ ـ سقطت في ك
٩ ـ سقطت في ن

إخراج ما يفعل منه فيعالجه الإنسان ويجعله زجاجاً ، ومثل الحديد الذي قد عجزت عن إخراجه إلى الكون إخراج الفضة إلى الوجود ووجوده متعلق بتدبير الإنسان ومعالجته وإخراجه مما قصرت عن البلوغ به إلى درجة الموجود ، ومثل النساء اللاتي [١] عجزت عن توليدهن مزينات [٢] بالحلى والثياب ، والنقش في الخد والخضاب في اليد التي هذه كلها كال لهن ، وأكثر امكانها إخراجهن ، وما يجعل زينة لهن فيتولى الإنسان فعل ذلك وتتميمه ، ومثل أنفس البشر التي عجزت عن إخراجها تامة لا تحتاج في قيامها بالفعل إلى غيرها [٣] ، ومصيرها ما يكون مفعولاً فيه محتاجاً في إصدار فعله إلى غير به يتم فعله ، ناقصاً في ذاته [٤] وفعله بكون ذاته من شيئين أحدهما غير الآخر ، مثل الانسان الكائن ذاته من شيئين جسم ونفس . وحاجة كل منهما في وجودهما الأول الى الآخر ، وما يكون ناقصاً بتقدم الكامل التام في الذات التام في الفعل عليه ، وقد فرضنا [٥] أنه تام كامل في ذاته تام في فعله ، وإذا كان هو كاملاً تاماً في ذاته وفي فعله ، فباطل أن يكون ناقصاً في ذاته وفعله ، وإذا بطل أن يكون ناقصاً بطل أن يكون جسماً أو قوة في جسم لكون [٦] الجسم وما في الجسم محتاجاً ناقصاً ، فهو لا جسم ولا قوة في جسم ، وإذا كان لا جسماً ولا قوة في جسم ثبت مع وجوده أنه خارج من [٧] عالم الجسم ، واذا ثبت انه خارج من [٨] عالم الجسم . قلنا كونه أيضاً محتاجاً في الفعل إلى غير يقوم قابلاً لأفعاله ، مثل الأنفس التي هي القائمة بقبول فعله نهوضاً للخروج من القوة إلى الفعل يوجب كونه ناقصاً في فعله وإن كان تاماً في ذاته ، والذي يكون ناقصاً في فعله تاماً في ذاته فهو مسبوق التام في الذات [٩] والفعل الذي هو أعلى رتبة منه وأقدم ، فثبت

---

١ – في ن : اللواتي
٢ – في ك : زينة
٣ – في ك : غيره
٤ – في ن : ذاتيته
٥ – في ن : فرض
٦ – في ك : كون
٧ – في ن : عن
٨ – في ن : عن
٩ – في ك : ذاته وفعله

من هذه الجهة أن السابق في الوجود الذي يعلو برتبته هذا القائم بالفعل الذي به يخرج القائم بالقوة إلى الفعل هو الموجود الأول الذي يكتفي بذاته في فعله ، ويستغني فيه عن غيره . ولما ثبت ذلك ، وكان الكامل السابق الذي هو الموجود الأول هو المكتفي بذاته المستغني في فعله عن غيره ، قلنا : هل يجوز أن يكون هذا الموجود الأول هو المتعالي سبحانه عن الصفات المتعلق به وجود الموجودات ، أم لا ؟ . بحثاً يؤدي أسفاره إلى سكون النفس إلى المعتقد في ذلك ، فقلنا : لا يجوز أصلاً ، فإنه لا يخلو أن يكون هذا الموجود إما أنه هو الذي ظهر عنه الإبداع أو هو المبدع الأول ، وبطل أن يكون هو الذي ظهر عنه الإبداع بكون الموجود عنه ناقصاً في فعله ، وقيام الحكم بأنه لو كان هو الذي ظهر عنه الإبداع لكان [١] الموجود عنه كاملاً لا يحتاج في فعله الى غيره . ولما بطل أن يكون هو الذي ظهر عنه الإبداع ، ثبت أنه هو المبدع الأول والكامل في الفعل ، المستغني فيه عن غيره ، الموجود عنه الناقص المحتاج في فعله الى غيره الذي هو الاول في الوجود ، والسابق في الوجود ، والتام في الوجود ، والتام في الوجود ، والعقل الاول ، والحد الاول ، والمبدع الاول ، والمترتب[٢] أولاً في الوجود ، وهو المتصور أنه لم يكن . فوجد على [٣] طريق الإبداع كاملاً أزلياً ، ذلك هو الملك المقرب والاسم الاعظم ، لا إله إلا من أبدعه ، يصحح جميع ما قلناه من ذلك من التحليل والانتهاء الى شيء ثابت تنتهي اليه الاشياء كلها ، ما كان منه الاستنباط [٤] من صنعته عالم الوضع الذي هو الصنعة النبوية ، وشهادتها لنا بالوصاية متوازنة ، وتطابقه للصنعة الإلهية ، وذلك أننا حللنا ما به كال النفس الإنسانية وحياتها وقيامها بالفعل الى ما منه كان ووجد ، فوجدناه منحلاً إلى أشياء

١ – في ن : كان
٢ – في ك : والمرتب
٣ – في ن : عن
٤ – في ن : الانسباط

كثيرة يجمعها شيئان : أحدهما الشريعة الجامعة لأركانها التي هي مراسم العبادتين بالعلم والعمل اللذين في أحدهما [١] تصوير النفس ، وفي الآخر تقويمها الجارية من كال نفس الإنسان مجرى العالم الكبير [٢] الجامع للأفلاك والاستقصات والكواكب وقواها الطبيعية من جسم الإنسان ونفسه التي هي أشياء كثيرة ، وهي موازنة للصنعة النبوية ومطابقة لها ، والآخر الإمام الجامع للحدود القائمين بحفظ الشريعة ، وبسط معالمها، ونشر أعلامها ، والدعوة الى العلم والعمل بها الذين بمكانهم وتعليمهم وجود الإنسان إنساناً ، الجارين من كال نفس الإنسان بتأثيرهم فيها تعليماً وهداية ، وبلوغاً بها [٣] درجة الكمال ، ومنزلة العقول مجرى الملائكة الموكلين بالعالم ، القائمين بالفعل من العالم تأثيراً في أجسامه وقواه الطبيعية لإخراج ما من شأنه أن يوجد منه من حيوان ونبات ومعدن الى الوجود ، الذين وجودهم في الصنعة الإلهية موازن لوجودهم في الصنعة النبوية ومطابق : فكما أن الاستقصات وقواها بمجردها لا يصح منها فعل في إخراج مواليدها إلا بالأشياء الفاعلة فيها . ولا من الأشياء الفاعلة بمجردها إلا بالاستقصات وقواها المؤثرة فيها ، فكذلك علوم الشريعة وأركانها لا تنبسط [٤] الا بالحدود القائمين ببسط علومها واظهار المكنون فيها منها [٥] ولا من الحدود يصح فعل في نفس بمجردها إلا بسنن الشريعة ووضائعها وعلومها ، وذلك من التوازن والتطابق بين . ثم حللنا الشريعة الجامعة لأركانها ومعالمها والحدود القائمين بها إلى ما منه وجد الكل ، لتكون شهادة صادقة بما حللنا اليه العالم والفاعلين فيه ، فوجدناها منحلة إلى شيئين ليسا بأشياء كثيرة مثل أركان

---

١ – في ك : احدها
٢ – سقطت في ك
٣ – سقطت في ن
٤ – في ن لا تسبط
٥ – سقطت في ك

الشريعة علومها وأعمالها ، بل قل [١] أحدهما الكتاب بما عليه صيغته من الإعجاز فوازن ذلك ما انحل اليه العالم بأركانه وأفلاكه وكواكبه من الهيولي التي هي وصورتها شيء واحد وطابقه [٢] . والآخر الأساس القائم بحفظ الكتاب الذي منه كانت الشريعة وهو كالمادة له يعمل فيه ويستخرج مكنون علمه ويبسطه ويؤيد الشريعة وينصرها . فوازن ذلك الملك الذي يفعل في الهيولى والصورة التي منها كان عالم الجسم والطبيعة وطابقه ، وحللنا الكتاب والأساس إلى ما منه وجد فوجدنا وجودهما من الناطق [٣] الذي هو شيء واحد بانتهاء عالم الوضع إلى النهاية التي لا يكون وراءها ما يكون من جنسه فطابق ذلك ما انحل اليه الهيولى والصورة والفاعل فيها وهو شيء واحد بانتهاء الموجودات إلى النهاية التي ليس وراءها إلا ما هو لا من جنس الموجودات ووازنه ، ولم يجز أن يكون وجود الأساس والكتاب من شيئين إلا من واحد إذ لا واسطة بين الناطق وبين الأساس والكتاب [٤] الذي هو أصل الشريعة وقوامها ، كما لم يجز أن تنحل الهيولى والصورة والفاعل فيها إلى شيئين بانتهاء التحليل إلى أول الموجودات التي إن لم يتأحد أدى إلى ما لا نهاية له ، وما لا نهاية له أو لا فوجوده محال ، ووجدنا المتعلمين في عالم الشرع الذين لا يكون ارتقاؤهم إلى درجة العلم وبلوغ منزلة الكمال إلا بوجود معلم هاد قد أقيم [٥] لهم مقام من يقوم بالتعليم والتأثير فيهم هداية وتقويماً وذلك مطابق لما حكمنا به من وجوب وجود من يستند اليه القائم بالقوة في خروجه [٦] إلى الفعل وموازن ، ووجدنا حدود الدين الذين يقومون بالتعليم

---

١ ـ في ن : قال

٢ ـ في ك : مطابق

٣ ـ الناطق : يعني النبي محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

٤ ـ الاساس والكتاب : يقصد الامام مؤسس الدور الذي يلي الناطق ، والكتاب . القرآن .

٥ ـ معلم هاد قد اقيم : يعني الامام الذي له الحق بأن يعلم الناس التأويل واصول واحكام ما ورد في القرآن وما حوته الشريعة باعتباره الوحيد الذي له الحق بعد النبي وهو بدوره يفوض حدوده الدينية بان يقوموا مقامه ويدلوا الناس على احكام الدين .

٦ ـ في ك : لخروجه

والهداية فاضلهم (١) ومفضولهم كلهم عاجزين عن استخراج العلوم واصطيادها بذواتهم محتاجين الى من يبين لهم ، وذلك مطابق لما حكمنا به من عجز موجودات العالم مؤثرها والمؤثر فيه منها عن إخراج الأشياء في وجوداتها الى نهايتها وموازن ، ووجدنا من يعجز عن استخراج العلوم بذاته ناقصاً في ذاته وفعله (٢) ، أما في الذات فبكونها غير (٣) مقومة بأحكام الشريعة ، وأما في الفعل فبكونه غير متصور (٤) للمعارف الدينية الإلهية ، وذلك مطابق لما حكمنا به من مصير من يكون مفعولاً فيه ومحتاجاً في فعله الى غيره ناقصاً في ذاته وفعله ، أما في الذات فبكونها من شيئين أحدهما غير الآخر ، وأما في الفعل فللحاجة الى الغير وموازن . ووجدنا من يكون ناقصاً في ذاته وفعله قد أقيم له تام في ذاته ناقص في فعله ، مثل الأساس الذي هو تام في ذاته بكونه كاملاً ، ناقص في فعله بكونه محتاجاً فيه الى الكتاب والشريعة (٥) ليفعل بهما في الأنفس ، ويدعو الى التأويل والعلم بتوازن العوالم في الصنعة النبوية ، المصحح للظاهر المقترن بالعمل ، وذلك مطابق لما حكمنا به من كون الذي يخرج به القائم بالقوة إلى الفعل الذي هو خارج من (٦) عالم الجسم تاماً في ذاته كاملاً ناقصاً في فعله (٧) لحاجته في إتمام فعله الى القوابل التي هي بمنزلة المادة التي يفعل فيها وموازن له . ووجدنا كون الأساس أساساً بالناطق التام في الذات والفعل الذي به (٨) وجوده واليه معاده ، وذلك مطابق لما حكمنا به من وجود سابق على التام في الذات ، الناقص في الفعل ، الذي به يخرج القائم بالقوة إلى الفعل تام في الذات والفعل جميعاً ، هو الأول من جميع الموجودات والنهاية الأولة من الموجودات ، وموازن له . ووجدنا الناطق في عالم الشرع

---

١ — في ن : فضلهم
٢ — سقطت في ن
٣ — في ك : لكونها غير
٤ — في ن : مصور
٥ — في ك : وشريعة
٦ — في ن : عن
٧ — في ن : افعاله
٨ — في ك : فيه

والوضع أصلاً إليه [١] ينتهي الكل من الحدود ، وليس فوقه إلا من أناله تلك المرتبة العالية وهو تام في ذاته بنيله الكمال،تام في فعله بكونه غير محتاج فيما شرعه وبيّنه [٢] وأتى به من الكتاب المبين إلى غير يستعين به إلا ما به قوامه وتمامه ممن هو فوقه ، وذلك مطابق لما حكمنا به من وجود الموجود الأول أصلاً اليه ينتهي كل موجود ، وأنه ليس فوقه إلا من أبدعه سبحانه ، وأنه [٣] تام في ذاته ، تام في فعله وموازن له . فمن مصير الناطق علة تنتهي اليها الأشياء الدينية الوضعية القائم بالقوة منها والقائم بالفعل جميعاً ، وموازنة الموجودات عنه ما عليه الخلقة الإلهية قام الدليل على أن الشيء الأول هو علة تنتهي اليه العلل ، وكما صار الناطق أصلاً أولاً وجد عنه الكتاب والأساس صار الشيء الأول أصلاً أولاً وجد عنه الهيولى والصورة المفارقة ، وكما صار الناطق وجوده ناطقاً لا من جهة من كان من جنسه من البشر صار الشيء الاول وجوده لا عمن هو من جنسه ، وكما صار الناطق موجداً عن غير به [٤] وجوده ، صار الأول موجداً عن غير به وجوده : ذلك تأويل قول الله « مثلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ [٥] » مثلاً بمثل . وقد تبين بما أوردناه ثبوت وجود الموجود الاول ، وأن وجوده لا بذاته ، وأنه فعل وفاعل ومفعول في ذاته [٦] ونهاية تنتهي اليها الموجودات ، وأنه لا جسم ولا قوة في جسم ، وأنه خارج عن العالم الجسماني .

وهذه صورة هذه الموجودات في توازنها وتطابقها لتعاين ، فتبارك الله رب العالمين ، ولا إله إلا هو سبحانه وتعالى [٧] عما يقول الظالمون

---

١ — سقطت في ن
٢ — سقطت في ك
٣ — في ك : وهو
٤ — في ن : فيه
٥ — سورة ١٤ آية ٢٤
٦ — في ك : ذواته
٧ — سقطت في ن

علواً كبيراً واستغفر الله وأستعين به وأفوض أموري كلها إنه بصير بالعباد.

« ١ » عالم الوحدة من جهة التركيب

العقل الأول

العقل الثاني
« القائم بالفعل »

العقل القائم بالقوة
« وهو الهيولى والصورة »

الملائكة الموكلون بعالم الطبيعة وهم كثيرون
ووجود كل منهم عن الآخر

عالم الطبيعة بأفلاكها و كواكبها
وما فيها وهو أشياء كثيرة

الإنسان بالجسم والنفس كمال الإنسان في الجسم تحليلاً
من جهة شيئين يجمعهما أشياء كثيرة

(١) الملائكة الموكلون بعالم الطبيعة وهم
كثيرون وجود كل منهم من الآخر إلى أن
ينتهي الى العقل الثاني ووجوده من جهة
العقل الأول

(٢) دار الطبيعة بأفلاكها ونجومها
وأركانها وهي أشياء كثيرة
ووجودها من الهيولى والصورة

« ٢ » عالم الدين من جهة التركيب

الناطق [١]

الإمام القائم بالفعل
وهو الأساس عليه السلام [٢]

الإمام القائم بالقوة
وهو الكتاب [٣]

الأئمة القائمون بحفظ الشريعة
وهم كثيرون [٤]

الشريعة الجامعة للعبادتين علماً
وعملا وهي أشياء كثيرة [٥]

الإنسان ، إنساناً بكمال نفسه ، وكمال الإنسان في النفس
تحليلا من جهة شيئين هما أشياءً كثيرة [٦]

١ ـ نلاحظ ان الكرماني اعتبر الناطق ـ النبي ـ اصل عالم الدين من جهة التركيب اي علة تنتهي اليه التراكيب الدينية لانه اصلها فهو تام في الذات والفعل . وبذلك نستنتج بان الاسماعيلية يعتبرون الانبياء افضل من الائمة ودرجة النبوة ارفع واجل من الامامة . ونلاحظ ايضا بان النبي في عصره هو الذي يقابل العقل الكلي ، وصفات العقل الكلي تطلق على النبي ، ولما كان الامام هو خليفة النبي (ص) والقائم مقامه فتنطبق عليه ايضا هذه الصفات التي هي صفات واسماء العقل الاول . وهو تام في ذاته تاء في فعله بكونه غير محتاج فيما شرعه وبينه .

٢ ـ يتبين لنا ان الكرماني بعد ان جعل النبي اصل عالم الدين جعل الامام القائم بالفعل في المرتبة الثانية لانه تام في ذاته بكونه كاملا ، ناقص في فعله لانه محتاج فيه الى القرآن والشريعة ، ليفعل بهما في الانفس ويدعو الى التأويل والعلم .

٣ ـ ونلاحظ ايضا بأنه جعل الكتاب ـ القرآن ـ في المرتبة الثالثة لانه قائم بالقوة فهو بحاجة الى من يظهره الى حيز الفعل .

٤ ـ يعني الحدود الدينية الذين يستمدون قواهم وتعاليمهم من الامام الذي هو اساسهم .

٥ ـ اي الشريعة المشتملة على العلوم الظاهرة والباطنة .

٦ ـ يقصد الانسان الذي تدرج في المعارف

(١) الأئمة الموكلون بحفظ عالم الشريعة وهم كثيرون ووجـود كل منهم عن الآخر إلى أن ينتهي إلى الأسـاس (١)

(٢) الشريعة الجامعة للعبادتين علماً وعملاً وهي أشيـاء كثيرة ووجودهـا مـن الكتاب (٢)

الحمد لله الذي هدانا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ووليه فيأرضه (٣) صلى الله عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ ـ يعني الفقهاء وعلماء الظاهر
٢ ـ يعني الاصول والاحكام المستمدة من كتاب الله
٣ ـ يقصد امام عصره الحاكم بامر الله الفاطمي

المشرع الثاني

« في كون وجوده عن المتعالي سبحانه لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة [١] بل على طريق الإبداع ، وأن طلب الإحاطة بكيفية وجوده محال »

نقول : إننا إن اعتقدنا أن وجود الموجودات هو عن المتعالي عن الصفات سبحانه على سبيل الفيض لا على سبيل الإبداع ، كنا قد صورنا [٢] أنفسنا من وجوده بما لا يطابق ما عليه عينه [٣] وحقه لما يلزم ويجب به من وجود ما يعلل المتعالي عن الصفات سبحانه [٤] ما وجوده محال : وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من [٥] جنس ما منه يفيض ومشاركاً له ومناسباً ، ويكون الفيض من جهة ما هو فيض كعين ما يفيض منه الفيض بكونه كذات الفيض ، إذ ما يفيض منه الفيض فيه من طبيعة الفيض مثل [٦] ما في الفيض من طبيعته ، ولا فرقاً [٧] بينهما من هذه الجهة ، كما أن الضوء الذي هو فيض من عين الشمس من جهة ما هو ضوء كعين الشمس التي منها فاض الضوء بكونها كذات الفيض ، إذ ذات الشمس يوجد فيها من الضوء مثل ما فاض عنها ، ولا فرقاً [٨] بينهما من هذه الجهة ، فيصير الذي منه يفيض الفيض متكثراً بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فتكون ذاته من شيئين : شيء تشاركا فيه فلم يتباينا فيه ، وشيء وقع

---

١ ــ في ن : تقول الفلاسفة
٢ ــ في ك : صورناه
٣ ــ سقطت في ك
٤ ــ في ن : سبحانه وتعالى
٥ ــ في ك : عن
٦ ــ في ك : مثلما
٧ ــ في ن : فرقان
٨ ــ في ن : فرقان

به التباين بينهما ، وحصلت الغيرة التي لولاها لما أمكن أن يقال ذاك (١) غير هذا ، وهذا غير ذاك (٢) . والذي يكون متكثراً فتكثره لحاجة بعض تلك الاشياء التي بها كانت الكثرة في وجوده إلى البعض الآخر ، الذي لولاه لما وجدا جميعاً ، وهما جميعاً في الوجود ووجودهما باستناد الواحد منهما إلى الآخر (٣) ووقوعهما تحت القدرة الجامعة لهما ، ويقتضي ذلك أن يكون المتعالي سبحانه — إن كان ما وجد عنه فيضاً — متكثراً واقعاً تحت قدرة غيره في وجوده ، وأن يتقدم عليه ما وجوده محال ، وإذا كان المتعالي سبحانه هويته لا عن هوية هي غيرها ، فقد تعالى عن أن يكون موصوفاً بقلة أو كثرة فقد بطل أن يكون من (٤) شيئين ، وإذا بطل أن يكون من شيئين بطل أن يكون ما وجد عنه فيضاً ، فيكون موجباً لما فاض عنه كثرة عنها ذاته ثم أن من الأوائل في العقل وأحكامه أن الذي يكون أبسط ، وأعرى من (٥) آيات الكثرة ، وأقوم بذاته فهو أشرف من غيرة ، وعلى هذه القضية فالفيض أبسط من الذي فاض منه بكونه شيئاً واحداً ، وكون الذي فاض منه شيئين بأحدهما يشارك الفيض ، وبالآخر (٦) يختص فيباينه ويلزم من ذلك أن يكون الفيض أولى بأن يكون متقدماً على الذي فاض منه لشرفه عليه بقلة الكثرة فيه ووجود الكثرة في ذلك ، وإذا كان كونه فيضاً موجباً أن يكون هو (٧) أشرف من الذي فاض منه الذي هو المتعالي عن الصفات سبحانه ، فأي (٨) مجال أعظم من اعتقاد شيء هو بالضد مما عليه أمره . ثم أن الفيض لا يكون إلا عن تمامية ذات ما يفيض منه ، والمتعالي سبحانه قد تسبح عن أن يكون تماماً أو تاماً فيقع الاشتراك به بينه وبين غيره في معنى من المعاني . فيلزم من ذلك وجود ما عنه

١ — في ك : ذالك
٢ — في ك : ذالك
٣ — في ن : اخر
٤ — في ن : عن
٥ — سقطت في ن
٦ — في ك : وباخر
٧ — سقطت في ك
٨ — في ن : في

تكون هويته إذ التمام مشارك للتام ، والتام مشارك للتمام ومناسب ، والمشاركة [١] والمناسبة بين شيئين يقتضيان ما يتقدم عليهما ، ولو كان للمتعالي سبحانه مشاركة مع غيره في شيء من الأشياء أو مناسبة لاقتضى ما يتقدم عليهما ، ثم لو كان للمتقدم أيضاً مشاركة مع غيره في شيء من الأشياء لاقتضى [٢] ما يتقدم عليهما ، ويستندان في الوجود إليه كلاهما فتؤدي الحال في ذلك إلى أمر في نهايته يوجب أن لا توجد الموجودات . فلما كان هذا باطلاً محالاً بطل أن يكون الموجود عن المتعالي سبحانه فيضاً . ثم لو كان الموجود الأول الذي هو العقل الأول فيضاً عن المتعالي سبحانه وعظم كبرياؤه لوجب أن تكون العقول الخارجة عنه من القوة إلى الفعل في دار الطبيعة التي هي عقول النطقاء والأسس والأئمة [٣] من جنس العقل الأول ومشاكلة [٤] في قيامها بالفعل ونيلها التمامية ، وكون العقل الأول فيضاً ، وكون الفيض من جنس المتعالي عن الصفات سبحانه أن لا يعتاص عليها الوجه في تناول المتعالي سبحانه إنباء عنه بما يليق به من الصفات ولا يعجز عن ذلك ، ولكانت العقول تستحق أن تسبح بالتسبيحات الموجهة نحوه تعالى كبرياؤه من حيث نفي الصفات بكونها مثله ، ولما كانت للعقول في دار الطبيعة الخارجة — إلى الفعل التي هي عقول الأنبياء صلوات الله عليهم — لا تستحق أن يقال عليها بأنها متعالية عن الصفات والإضافات [٥] والموصوفات بكونها مما يوصف وينعت ، وهي المقرة بالقصور [٦] عن الإنباء عن الله سبحانه بما يستحقه وهي المسبحة للمتعالي بنفي الصفات ونعت الموصوفات عنه ، تعالى الله علواً كبيراً ، كان من ذلك الحكم بأن العقل الأول مثل هذه العقل في عجزها عن [٧] تناول المتعالي سبحانه بصفة موجودة في إبداعه ، وتشكلها في تقديسها وتسبيحها إياه عن سمات اختراعه. وإذا كان العقل الأول بهذه الصفة وقد جمع ذاته عن ذلك لعجزه ، تعالى الله

١ — في ك : المشركة
٢ — في ن : لا نقضي
٣ — في ن : الاتماء
٤ — في ك : شكله
٥ — سقطت في ن
٦ — في ك : بالتقصير
٧ — في ك : من

وتكبر ولأسمائه (١) العظمة والجلال (٢) والقدرة والسناء والرفعة والبهاء والنور والعلاء فقد بطل أن يكون ما وجد عن المتعالي سبحانه فيضاً ، فلما بطل أن يكون « ما وجد عن المتعالي » (٣) فيضاً لم يبق إلا أن يكون إبداعاً ، فهو الإبداع الذي وجوده لا من شيء والموجود الأول الذي وجوده لا من مادة ، والشيء الأول الذي إن طلبت إحاطة بكيفية وجوده (٤) لن تنال بكونها محجوبة عن العقول بوقوعها تحتها ، وتعاليها — أعني الكيفية — في وجودها عليها ، وذلك أن شأن العقول عند نهوضها لمعرفة شيء وتحصيل موجود أن ترجع إلى ذاتها في (٥) ذلك فتدركه من الجهات التي بها تصطاده ؛ والإحاطة بهذه المعرفة لا يليق (٦) بالعقول لكونها بالذي يصدر (٧) عنه وجود الإبداع أولى من المبدع الذي هو ذات الإبداع . ثم لتقدمها على ذات العقل بكونها مما هو خارج عنها إذ العقل هو الذات الصادرة الى الوجود عن القدرة التي بها حصل الإبداع الذي هو حق العقل ونفسه ، والعلم بأنه كيف (٨) يوجد وكيف يكون وجود شيء لا من شيء يتصور أنه خارج عن ذات العقل ، وسابق عليها ، والطلب ليس لمعرفة ذات الإبداع فيكون الإبداع الذي هو المبدع الأول (٩) يرجع إلى ذاته فيحيط بها ، بل الطلب لمعرفة ما عنه (١٠) حصل الإبداع وبه وجد وذلك متقدم على الإبداع الذي هو ذات العقل ، والعقل متى تحرك لطلب (١١) ما يتقدم على ذاته لم يحصل إلا في الحيرة لحاجته في ذلك إلى مفارقة ذاته ، وفي مفارقة ذاته خروجه من كونه عقلاً ، وفي خروجه من كونه عقلاً جهله ، وإذا كان في (١٢) طلب ما يتقدم على ذاته حيرته وجهله ، وكيفية الإبداع هي متقدمة على ذاته

---

١ — في ك : من
٢ — في ن : وله العظمة
٣ — سقطت هذه الجملة من ك
٤ — في ك : وجده
٥ — في ك : بذلك
٦ — سقطت في ن
٧ — في ن : صدر
٨ — سقطت في ك
٩ — سقطت في ن
١٠ — في ك : ما منه
١١ — في ن : لطب
١٢ — في ن : بطلب

رتبة ، فلن يحصل طالبه [١] إلا على الجهل والحيرة فطلبه محال . ثم لو كانت العقول لها سبيل إلى تحصيل هذا العلم لكانت إذا أدركت هذا العلم وأحاطت به ونالته مع كونها قادرة لا يتعذر [٢] عليها أن تبدع الأعيان لا من شيء ولا على شيء ولا في شيء ، لأن من شأن المحيط بشيء علماً أن لا يعتاص عليه من كونه قادراً أن يأتي به كالمتعلم من الإنسان الذي إذا أحاط بكيفية صنعة من الصناعات [٣] لا يتعذر عليه أن يوجدها مع ارتفاع المانع ، وإن منعه مانع لم يعسر عليه إقامة البينة على ما قد علمه إنباء وإيراداً ، ولا نراها قادرة على ذلك وإذا كانت غير قادرة على ذلك ولا عالمة به كان السبيل إلى تحصيل هذا العلم غير موجود ، وإذا كان السبيل إلية غير موجود فطلب ذلك من العقول محال ، ولما كان هذا [٤] المطلوب ممتنعاً نيله ، والإبداع هو [٥] الموجود الأول لا من شيء تقدمه من جنسه ، ونهاية إحاطة العقل انتهاؤه فيها إلى هذا الموجود الأول لزم الوقوف عند هذا الحد والإقرار بالعجز عما [٦] سواه مما هو خارج عنه ليكون تقديساً وتسبيحاً فلا إله إلا هو ، وسبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وأستغفر الله وأستنصره وأستعين به وأسترشده إنه خير مستعان ، وأقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : يعذر
٣ ـ في ن : الصفات
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ في ك : له
٦ ـ في ن : عنما

المشرع الثالث

« في كونه عين الإبداع ، وعين المبدع وعين الوحدة وعين الواحد ، وأنه الموجود الأول الذي لا يتقدمه شيء ، ولا يسبقه في الوجود سواه »

نقول : لما كانت الأفعال كثيرة ، وكان كل فعل يحصل في الوجود يختص[1] باسم يباين به الآخر بحسب ما عليه وجوده ، وكان الإبداع فعلاً ما ، خص لما كان وجوده لا من شيء في الوجود يتقدم عليه فيكون مادة له ، ولا بواسطة بينه وبين ما عنه وجوده ، ولا بآلة ، ولا على شيء ، ولا يعرض[2] بـه لما عنه وجوده باسم الإبداع ، وأشير إليه بهذا الإسم إعلامـاً بأنه وجد ولما يكن[3] كان له عين في الوجود ، وأنه وجد لا من شيء يتقدم عليه. ولما كان قولنا الإبداع موجباً أن يكون شيئاً واحداً ، والمبدع[4] موجباً أن يكون شيئين هما الإبداع ، وبالإبداع صار مبدعاً ، والمعلوم أن المفعول هو[5] ما صار بفعل الفاعل مفعولاً ، والفعل شيء وما صار بالفعل مفعولاً شيء آخر ، وبطل أن يكون شيء يتقدم على الإبداع فيصير الإبداع كالمادة القابلة له لمـا في ذلك من انجرار وجود ليس من إبداع الهوية المتعالية سبحانها فما يفوت الوهم توهمه فيصير كل منهما باختصاصه بمـا به وقعت الغيرية مباينـاً للآخر ، فيجب بذلك وجود ما يكون عنه[6] وجودهما جميعـاً ، وكون ذلك محالاً ثبت أن عين الإبداع هو[7] المبدع وهو الإبداع . ثم أن المبـــدع الذي[8]

---

١ ـ في ك : يخص
٢ ـ في ن : يعترض
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ك : ومبدع
٥ ـ سقطت في ك
٦ ـ في ك : منه
٧ ـ في ك : هي
٨ ـ في ن : التي

هو الإبداع لما كان على الحالة التي هو عليها في خلوه من مادة بها وجوده، ومما يعلل ما عنه وجد، وقيامه شيئاً حقاً وشيئاً محضاً لم يخل من أمارات تدل على أن وجوده لا بذاته من كونه على صيغة تجمع حالتين صفة وموصوفاً، هي طبيعة ما يكون واقعاً تحت الاختراع من غير أن يكون الأمر فيه لبساطته على ما عليه الموجودات [١] عندنا من أن تكون الصفة شيئاً والموصوف شيئاً آخر، مثل السرير الذي هو صورة ما في مادة، وليست المادة بصورة، ولا الصورة بمادة، وهما غيران بهما عين السرير؛ بل على أن تكون الصفات التي يوصف بها تابعة لتلك الذات الموصوفة في [٢] وجودها عند الإضافات، مثل الإنسان الذي هو بإضافته إلى ذاته موجود [٣]، وبإضافته إلى أبويه ولد، وبإضافته إلى من ولد من أبويه أخ، وبإضافته إلى ولد أخيه عم، وعلى ذلك هو في نفسه واحد، وفي شخصه واحد، وهذه الصفات والمعاني تلحقه بالاضافات، « وكانت تلك الحالتان » [٤] هما الكمال الأول الذي به يتعلق وجود الذات التي هي الموصوفة، والكمال الثاني الذي به يتعلق وجود شرف [٥] الذات التي هي الصفة، فالكمال الأول كالحامل مثاله، والكمال الثاني كالمحمول بيانه، وهما من تلك الذات كالفردين اللذين بهما وجود الواحد الذي يجمع وحدة وما بها صار واحداً جميعاً وهما فردان، ذلك بأن يكون جامعاً للوحدة والكثرة على نظام يبرأ به في آية التغاير الموجب وجوده، وكون ما عنه وجوده على أمرين، صار كل منهما لوجود كل منهما سبباً فيصير كونه على ذلك موجباً ما يتأول عليه، بريئاً من [٦] آيات توجب رتبة وراءه، فهو واحد بالذات، كثير بالإضافات، مثل كونه إبداعاً

---

١ – في ن: الموجود
٢ – في ك: من
٣ – في ن: موجود
٤ – هكذا في النسختين
٥ – سقطت في ن
٦ – في ك: عن

إذا أضيف إلى ما عنه وجوده ، وكونه مبدعاً إذا أضيف إلى ذاته بتغاير من غير أن تكون [١] هذه الإضافات داخلة على ذاته ، والكمالان اللذان هما كالفردين من ذات المبدع مبدعان يستحق كل منهما من حظ الإبداعية ما يستحقه الآخر ، وذلك أن الكمال الأول الذي يجري مجرى الحامل مبدع ، كما أن الكمال الثاني مبدع ، وهما من جهة الإبداع فرد بكونهما إبداعاً ، ومن جهة ذات المبدع فردان بكونهما مبدعين كمالاً أولاً وكمالاً ثانياً ، ولا يجوز أن يكون أحدهما يشذ عن الإبداع فيصير كالحامل للإبداع وهو غيره ، ولا أن يتقدم عليه بشيء لما تقدم ذكره من وجوب وجود ما يعلل عنه وجوده ، وإذا كان وجود ما يكون حاملاً للإبداع وهو غيره ، وذلك من وجوب [٢] وجود ما يعلل الهوية المتعالية سبحانها ؛ « وكان المتعالي سبحانه في حجاب » [٣] وكان لا يعلله شيء بطل أن يكون للإبداع حامل هو غيره ، ولما بطل أن يكون للابداع حامل هو [٤] غيره فيكون مبدعاً بالابداع ، صار المعنى في الابداع أنه هو المبدع وهو عين الابداع وعين المبدع . ثم أن الإبداع بكون ذات الفعل يستحيل أن يكون بينه وبين الصادر عنه تعالى [٥] واسطة ، إذ لو كانت لكانت هي أولى بأن تكون إبداعاً ، لكون العقل [٦] هو الذي يحصل في الوجود ولا عمن يصدر عنه ، وإذا لم تكن بينه وبين ما عنه وجوده واسطة فلا يتقدمه شيء ، واذا لم يتقدمه شيء ، فهو أول في الوجود ، والأول يكون واحداً ، فهو واحد ، والواحد ذاته مزدوجة بفردين : أحدهما وحدة ، والآخر حاملها ، والواحدة التي هي أحد الفردين هي العلة التي متى رفعت [٧] في الوهم عن

---

١ — سقطت في ك
٢ — في ن : واجب
٣ — سقطت هذه الجملة في ك
٤ — سقطت في ن
٥ — سقطت في ك
٦ — في ن : الفعل
٧ — في ن : ارتفعت

الوجود ارتفع بارتفاعها الواحد ، فلا يكون له وجود ، وحاملها الذي هو الفرد الثاني هو أيضاً وحدة بكونه فرداً ، ومتى رفع في الوهم عن الوجود ارتفع بارتفاعه الواحد ، فلا يكون له وجود ، فالأفراد علة لوجود الواحد ، ولكونها علة صارت موجودة في الواحد آثارها ، فليست الأفراد التي [1] هي العلة إلا للواحد الذي هو المعلول ، فهو عين الوحدة ، وعين الواحد . ثم أن الإبداع الذي هو المبدع هو الشيء الأول الذي وجوده وجود إن طلب وراءه شيء آخر لم يوجد ما يستحق اسم الشيئية واسم الوجود بكونه النهاية التي منها تبتدىء الأشياء وتترتب [2] في الوجود ، والمبدأ الذي منه تحصل الموجودات، وله من مراتب الموجودات ، في الأعداد مرتبة الواحد . وهو واحد بكونه أولاً في الموجودات ، ككون الواحد أولاً في الاعداد ؛ وإنما استحق أن يكون هو الواحد الأول في الموجودات وسلمت هذه المرتبة التي [3] هي أقل القليل وأول الكثرة له يتعالى الذي وجد عنه سبحانه وتعالى عنها ، إذ لو كان تعالى وتقدس يستحق هذه المرتبة وكانت له ، لكان الموجود عنه اثنين لا واحداً ، بكون ما يترتب في الوجود بعد الواحد اثنين ، فلما كان الموجود عنه تعالى إبداعاً ، والابداع واحد لا اثنان ، ثبت أنه تقدس متعال [4] عن هذه المرتبة ، وصارت المنزلة في الأولية والواحدية للمبدع الذي هو الإبداع ، وكان واحداً فهو المبدع وهو الإبداع ، وهو الواحد الذي لا يتقدمه شيء ، ذلك بأنه الملك المقرب [5] الذي أخبرت عنه السنة الالهية والشريعة النبوية بالقلم ، ذات واحدة متكثرة بالنسب والإضافات ، فتبارك الله رب

---

١ – في ك : اللواتي
٢ – في ن : وترتب
٣ – سقطت في ن
٤ – في ك : متعالي
٥ – سقطت في ن

العالمين ولا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يقول الظـــالمون علواً كبيراً ، وأستغفر الله وأستعينه وأتوكل عليه ، وأفوض أموري كلها إليه إنه بصير بالعباد ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المشرع الرابع

« في كونه كاملاً « وأنه أزلي الآخر لا أزلي الأول [١] ، وأنه » لا يستحيل عما عليه وجد ، وأنه واحد لا مثيل له وأنه لا يعقل إلا ذاته فقط »

●

نقول : إن الذي [٢] وجدت عنه الموجودات جل وتعالى قد سبق الكلام على أنه من وراء ما في الإمكان العبارة عنه بلفظ قول أو عقد ضمير ، وليس في الموجودات رتبة تتناهى إليها الرتب ، ولا صفة أجل من الكمال الذي ينطوي فيه البقاء على حال ما عليه وجود الشيء ؛ ولما تقدس هو بسبحانيته تعالى عن هذه الرتبة حصلت هذه الصفة لأول موجود عنه ، إذ لا يجوز أن يكون الموجود عنه بضد هـــذه الصفة فيكون موصوفاً [٣] بالنقصان ، لأنه من المعلوم أن ذا النقصان في الوجـــود وجوده بالرتبة بعد وجود ذي الكمال ، ولو كان ناقصاً لكان المستحق لأن يكون كاملاً هو الله سبحانه وتعالى الموجود عنه الكامل بكون الكامل متقدماً [٤] على الناقص ، وكان كونه كامــلاً يقتضي أن يكون وجوده عن غير محـــال وجوده ، فلمـــا أدى كونه كامـــلاً إلى وجوب وجود ما وجوده محـــال ، بطل أن يستحق سبحانه صفة الكمـــال ، وصارت هذه الصفة للموجود الأول الذي وجوده كذلك يقتضي ما عنه كان وجوده بريئاً [٥] من آيات الكثرة والصفات [٦] التي توجب وجودها عن غيرها ، وكان الموجود عنه سبحانه كاملاً ، ولم يجز أن يكون كاملاً ولما يكن باقيـاً على حالة واحدة لا تستحيل ، إذ الاستحالة قلة البقاء للشيء على ما

١ ــ سقطت هذه الجملة في ن
٢ ــ في ن : التي
٣ ــ في ك : موصوف
٤ ــ في ن : متقدم
٥ ــ في ن : بريء
٦ ــ سقطت في ن

وجد عليه ، وسمة الإنتقال من حال إلى حال ، والانتقال في المنتقل من حال إلى حال لا يكون إلا لاكتساب ما ، ولحاجة ما ، وقد ثبت أنه كامل ولا حاجة هناك ، واذا لم تكن حاجة فلا انتقال ، وإذا لم يكن انتقال فلا استحالة ، وإذا لم تكن استحالة فهو باق على حالة واحدة بها كان وجوده . ولا يستحيل عما عليه وجد ، ولا ينتقل ولا يتغير البتة ، كالنار التي لا تستحيل عما بها [١] ، هي نار في الاضاءة والإسخان وحركة الأجزاء والإحراق ، ولاتفعل غير [٢] ما كان عليه وجودها من ذلك. ثم أن استحالة الأشياء التي لها أن تستحيل إنما تكون بكون تلك إما قائمة بالقوة ناقصة عن درجة كمالاتها فتنهض طلباً [٣] للقيام بالفعل فتستحيل انتقالاً ، وإما قائمة بالفعل كاملة فتنهض راجعة إلى القوة فتطرأ عليها في حالتيها هاتين أعراض ، وتزول أعراض ، بكونها — وإن كانت [٤] ذات صورة — مواد لصور أخرى لم تحصل في الكون ، أو مصيرها لما يتعاقب عليها من الأعراض مادة مشتركة فلا يكون عرض فيها بأن يكون فيها موجوداً أولى من آخر يطرأ عليها للوجود ، فيكون للطاريء عليها قوة في الثبوت ، وللثابت فيها قوة في الانحلال والزوال ، لأجل أن الثابت في الشيء من الأعراض قد أخذ [٥] حظاً من الوجود ، والطاريء عليه وجهه إلى الوجود فلا يكون للثابت فيه مع كونه أعني ما فيه العرض مادة له ، وللطاريء عليه أن يمنع حصول الطول الطاريء لكون المتقدم في الوجود كالآخذ لحقه الثابت فيه ، وكون الطاريء له كالثابت [٦] فيه فتكون هي بطرق الأعراض [٧] في ميدان الإستحالة مترددة تارة إلى الفعل وتارة إلى القوة نهوضاً إلى مالها أن تنهض إليه . وإذا كانت الإستحالة لا تكون إلا للأشياء القائمة بالقوة بحركتها نحو كمالاتها ورجوعها فيها إلى

---

١ — في ن : بما
٢ — في ك : الا
٣ — في ك : طالبا
٤ — في ن : وان كان كانت
٥ — في ن : اخذت
٦ — في ن : كالتائب
٧ — في ن : العراض

قوتها ، وكانت الأشياء التي سبيلها ذلك من الإستحالة هي المخصوصة بعالم الكون والفساد،وكان عالم الكون والفساد تتقدمه أشياء في الوجود بكونه قائماً بالقوة مثل الأنفس التي لنا ، فهي لكونها قائمة بالقوة مسبوقة في الوجود ، وتتقدمها فيه أشياء ، وقد ثبت أن الإبداع الذي هو المبدع الأول لا يتقدمه شيء، كان من ذلك العلم بأنه ليس من عالم الكون والفساد، وإذا لم يكن من عالم الكون والفساد بطل أن تكون له استحالة عما عليه وجد ، فهو باقٍ على الحالة التي عليها أبدعه المتعالي عن الصفات « فسبحان من لا تنطفيء نار»[١] كاله، ولا يغيض ماء جلاله ، سرمداً دائماً لا يزول وأزلياً لا يفنى ولا يحول ، وليس تسرمده وتأزله تسرمداً وتأزلاً أولياً بل تسرمداً وتأزلاً آخرياً حسب ما يتوهم بقاؤه على غابر الأزمان وباقي الدهور ، فقد ثبت أن وجوده بغير الذي أبدعه وغاية ما ينبعث من عقول عالم الطبيعة أن يتشبه به في الدوام والتسرمد والتأزل ، بما يكتسب من الكمال من جهة الحدود ، وإذا كان باقياً أزلياً سرمداً فلا يستحيل أبداً . ثم أن الإستحالة ضرب من الفساد للذي استحال وبطل عما كان عليه قبل الإستحالة ، ووجود الفساد فيه لنقصانه [٢] ، ونقصان كل شيء إما راجع إلى ذاته أو إلى من وجد عنه ، والإبداع الذي [٣] هو المبدع الأول بكونه عين الكمال متجالل [٤] أن يكون ناقصاً فيرجع إلى ذاته نقصانه أو إلى من وجد عنه ، وإذا كان متجاللا [٥] فهو دائم لا يستحيل . ثم أن الإبداع الذي هو المبدع لا يجوز أن يكون له مثل في الوجود بالنوعية فيكونا اثنين ، إذ ذلك يوجب انقسام ما عنه وجد بضرب من الانقسام ، حتى وجد عن كل قسم ما أوجبته نسبته وقد ثبت أن ما وجد عنه الذي هو المتعالي سبحانه لا يعتوره [٦] الانقسام لا بالقول ولا بالكم لما يجب به من وجود ما يتأول عليه سبحانه وتعالى

---

١ — في ك : « وسبحانه لا تنطفي ناره »
٢ — في ك : لنقصه
٣ — سقطت في ك
٤ — في ن : متجلل
٥ — في ن : متجللا
٦ — في ن : لا يعتريه

وذلك مما وجوده محال ، وإذا لم يعتوره [1] الإنقسام بضرب من الضروب إستحال كون ما يوجد عنه اثنين ، وإذا استحال كون ما يوجد عنه اثنين فالموجود عنه واحد لا مثل له . ثم أن الإبداع الذي هو المبدع هو الموصوف بالتمام والتام ، ولو كان له مثل في الوجود يضاهيه ويساويه لكانت التامية منقسمة بينهما وبهما جميعاً كانت التامية ، ولما كان يكون كل [2] منهما تاماً . بل كان [3] يكون ناقصاً ، وكان إذا كان ناقصاً كان يجب به وجود ما يعلل ما عنه وجوده تعالى ، ولما بطل وجود ما يعلل المتعالي سبحانه بطل كونه ناقصاً بكونه إبداعاً له تعالى ، وإذا بطل كونه ناقصاً فهو تمام وتام ، وإذا كان تماماً وتاماً فلا يوجد خارجاً عنه ما يكون مثلاً له في النوعية مثل الشمس التي هي تامة ولها التامية ، فلا يوجد خارجاً عنها ما يكون هو وإياها في النوعية مثلين ، ومثل الجسم في كونه تام المقادير فلا يكون خارجاً عنه ما يكون جسماً ، فهو واحد لا مثل له . ثم أن الإبداع الذي هو المبدع لا يجوز أن يكون عاقلاً إلا لذاته فقط بكونه أشرف الموجودات ، وإذا كان هو أشرف الموجودات فمعقوله يجب أن يكون أشرف موجود ، ولا شيء في الموجودات أشرف منه ، فهو عاقل لذاته فقط ، ثم بكونه أجل المخترعات من البسائط يقتضي أن يكون عقله لما يكون أجل البسائط ، وليس في الموجودات شيء أبسط منه ، فهو لا يعقل إلا ذاته دون ما سواها ، ثم عقل العاقل لما يعقله لنيل [4] الكمال وتقويم الذات ، وليس كماله في عقل شيء هو أشرف منه سواه فيضطر إلى عقله فينال كماله ، إذ لو كان سواه لشيء بعقله إياه كان ينال كماله لكان لا يستحق هذه الرتبة الكلية ، ولكان كماله بوجه من الوجوه لا من كل الوجوه ، وكان ذلك موجباً [5] ما يتأول على الذي عنه وجوده تعالى ، ولما كان ما يتأول على الذي عنه وجوده تعالى باطلاً كانت

١ – في ن : لا يعتريه
٢ – في ك : « ولما كان كل منهما »
٣ – سقطت في ك
٤ – في ك : لنوال
٥ – في ن : واجب

رتبة الكمال بكليتها له ، وإذا كانت رتبة الكمال بكليتها له ، وقعت الغنية عن عقل شيء [١] سواه يفيده كمالاً ، فهو عاقل لذاته وحدها ، مستغن عن الغير بما أبدعت عليه ذاته من الجلال والغناء ، ذلك هو الملك المخصوص بالكبرياء والعظمة والسناء الكامل الأزلي العاقل الأبدي ، المعرب عنه في السنّة الإلهية بالكلمة ، يشهد بما ذكرناه الموجود من حال الناطق الذي هو من عالم الدين بكونه مبدأ لدوره ، به يتعلق وجود من سواه ، فإن كونه كاملاً ثابتاً على ما به أعطى كمالاً يطابق ذلك في عالم الابداع في كونه كاملا أزلياً لا يستحيل عما عليه وجد ، وكونه واحداً لا يشاركه في نبوته [٢] غيره ولا يماثله في رتبته مثل ، [٣] يطابق ذلك في كونه واحداً لا يشاركه في رتبته غيره ، ولا يماثله في رتبته غيره ، ولا يماثله مثل في ماله [٤] . وكونه مستغنياً عن غيره ممن وجودهم به من الحدود في عالم الدين، وغير محتاج إلى طاعة [٥] أحد دونه ، ومعرفته لينال به كمالاً ، يطابق ذلك ويوازنه على كونه مجملاً ، وتركنا موازنة كل شيء شيء منه بكل شيء شيء من ذلك لمن يكون أخانا حقاً ، فليسلك طريقنا ويهتدي بهدينا ، فقد صح وثبت أنه كامل أزلي لا يستحيل ، وأنه لا مثل له ، ولا يعقل إلا ذاته ، فتبارك الله رب العالمين ، وسبحانه لا إله إلا هو [٦] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أستغفر الله وأفوض أمري الى الله إنه بار رحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ك : رتبة
٣ ــ في ك : « رتبة سواه »
٤ ــ في ك : بما له
٥ ــ في ن : طاعته
٦ ــ في ن : الله

المشرع الخامس

« في ماهية جوهره ، وما الذي يلزمه من الصفات اللاحقة به ، وما الذي يلزم أن يكون حاملاً مما [1] اشتملت عليه ذاته ، وما الذي يكون محمولاً ، وأنه متوحد من جهة ومتكثر من جهة [2] أخرى »

●

نقول : لما كان المتعالي سبحانه متسبحاً عن أن يكون مستحقاً لصفة من الصفات الموجودة في إبداعه ، ولم يكن في الإمكان عبارة عنه بلفظ قول أو عقد ضمير ، كما بينا [3] فيما تقدم ، وكانت الصفات المتناهية في الشرف والكمال مختصة بإبداعه ، إذ لا يجوز أن يكون الشرف والكمال وجميع الصفات الفاضلة لغير الإبداع، فيكون خلوه منها موجباً ما يعلل ما عنه وجد تعالى الله وتكبر ، ولما لم يجز [4] ذلك كان أشرف الصفات وأشرف الموصوفات للإبداع الذي هوالأول في الوجود من مراتب الموجودات، فلم يجز أن يكون الإبداع حقاً أولاً بوجوده عن [5] المتعالي سبحانه غاية تنتهي إليها الموجودات في وجودها . ولما لم يجز أن يكون حقاً ولم يكن موجوداً أو لا ، إذ كونه حقاً أو لا في كونه موجوداً أو لا ، الذي متى بطل كون وجوده أو لا ، بطل كونه حقاً أو لا ، ولم يجز ان يكون موجوداً او لا ولما لم يكن واحداً ، إذ كونه موجوداً أو لا في كونه واحداً ، الذي متى بطل أن يكون واحداً بأن يكون اثنين ، بطل كونه موجوداً أو لا ، ولم يجز أن يكون واحداً ، ولما لم يكن تاماً ، لكون العلة في وجوده واحداً

---

١ ـ في ن : لما
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : بيننا
٤ ـ في ك : يجوز
٥ ـ في ك : من

كونه تاماً فلا يكون خارجاً عنه ما يكون مثله ، ككون [١] تمامية الجسم في أن لا يوجد خارجاً عنه ما يكون مثله في الجسمية [٢] ، ولم يجز أن يكون تاماً ولما يكن كاملاً ، إذ العلة في كونه تاماً كونه كاملاً ، فلولا كونه كاملاً لم يكن تاماً ، ولم يجز أن يكون كاملاً ولما يكن أزلياً ، إذ كماله في كونه باقياً على حالة واحدة لا يستحيل عنها ، ولم يجز أن يكون أزلياً ولما يكن عاقلاً ، إذ كونه أزلياً لا يتغير ولا يستحيل في كونه حافظاً لذاته وعاقلاً إياها ؛ ولا يجوز أن يكون عاقلاً ولما يكن عالماً إذ كونه عاقلاً لعلمه بذاته وإحاطته بها ، ولا يجوز أن يكون عالماً ولما يكن قادراً ، إذ الإحاطة التى هي العلم بالذات لا تكون إلا بالقدرة الإلهية التي بها يقع الفعل الذي هو الإحاطة ، ولا يجوز أن يكون قادراً ولما يكن حياً ، إذ كونه قادراً في كونه حياً ، ولا يجوز أن يكون حياً ولما يكن فاعلا ، إذ كونه حياً في قيامه فاعلا لفعل هو النهاية[٣] ووجهه إلى الصدور [٤] عن الذات، فيكون وجوده خارجاً عنها في المفعول ، فالحياة ذات جامعة لهذه الأمور وبها هي [٥] فاعلة ، وذلك أنه متى لم يكن حياً لم يكن فاعلاً وإذا لم يكن فاعلاً لم يكن قادراً ، وإذا لم يكن قادراً لم يكن عالماً ، وإذا لم يكن عالماً لم يكن عاقلا ، وإذا لم يكن عاقلا لم يكن أزلياً، وإذا لم يكن أزلياً لم يكن كاملا ، وإذا لم يكن كاملا لم يكن تاماً ، وإذا لم يكن تاماً لم يكن واحداً ، وإذا لم يكن واحداً لم يكن موجودا، وإذا لم يكن موجوداً لم يكن حقاً ولا إبداعاً، وإذا لم يكن حقاً ولا إبداعاً ، فلا وجود ، دل على ذلك وبين العلة فيه، في كتاب المعارج قبيل[٦] الحروف البسيطة . ولما كان ذلك كذلك وكان كل شيء موجود وجوده بما إذا

١ — في ن : كون
٢ — في ن : الجسمانية
٣ — سقطت في ك
٤ — في ن : الصدر
٥ — في ك : من قبل
٦ — سقطت في ن

ارتفع [١] بارتفاعه عن الوجودكان ذلك الشيء لما يرتفع بارتفاعه عن الوجود هو كالأصل الثابت الذي إليه يستند في الوجود ، وكانت هذه الأمور المتعالية في الشرف إذا رفعت [٢] في الوهم عن الحي لم ترتفع الحياة ، وإذا رفعت [٣] الحياة استحال وجود سائرها ، كان من ذلك الإيجاب بأن هذه الأمـور من القدرة والعلم والوجود والحق وغيرها ، كلها متعلقة بوجود الحياة ومستندة إليها في البقاء . وأن الحياة هي الجوهر القابل ، وكلها لاحقة بـه ، وهي كالذات الموجـودة عن المتعالي سبحانه ، وهي الكمال الأول والحاملة [٤] لغيرها ، وما سواها تابع وجوده لوجودها محمول فيها جار منها مجرى الكمال الثاني ، فهي كالمركز وما سواها كالدائرة عليه على ما صورناه ليعاين تقريباً .

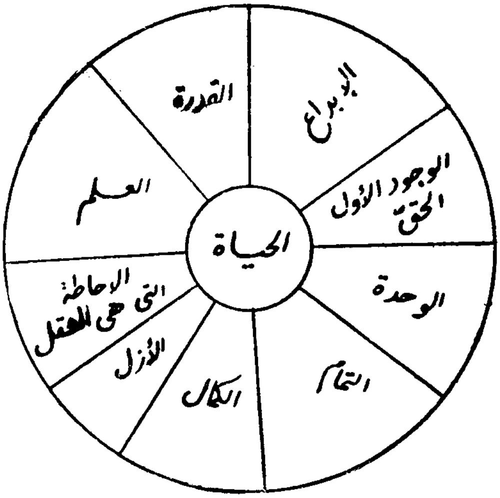

هذه الدائرة صورة لذات الإبداع ، فهو بجملتهـا حي ، وبجملتها قادر ، وبجملتها عالم ، وبجملتها عاقل ، وبجملتها أزلي ، وبجملتها محيط ، وبجملتهـا

---

١ — في ك : رفع
٢ — في ك : ارتفعت
٣ — في ك : ارتفعت
٤ — في ن : الحالة

كامل وتام وواحد ، وموجود أول، وحق ومبدع، فبكونه إبداعاً وأولا في الوجود والاختراع ، ودوحة عنها مكون [١] الموجودات كلها ، هو الحاوي للفضائل كلها الثابتة في هذه الصورة ، وما ينطوي فيها وينتج عنها،فهو الحق والحقيقة ، وهو [٢] الوجود الأول ، وهو الموجود الأول ، وهو الوحدة ، وهو [٣] الواحد ، وهو الأزل ، وهو [٤] الأزلي ، وهو العقل الأول ، وهو [٥] المعقول الأول ، وهو العلم ، وهو العالم الأول ، وهو القدرة ، وهو القادر الأول ، وهو الحياة ، وهو الحي الأول ، ذات واحدة تلحقها هذه [٦] الصفات يستحق بعضها لذاته ، وبعضها بإضافته إلى غيره من غير أن تكون هناك [٧] كثرة بالذات ، بل على نحو قول القائل « أُعطني » ومصير قوله ذلك إذا كان مضافاً إلى من هو أعلى منه طبقة سؤالاً ، وإذا كان مضافاً إلى من هو دونه أمراً ، واللفظ واحد لم يتغير ، وإنما بالإضافة تغير وكان شيئاً آخر ، وهذه الأمور وجودها له ضروري بكونه أو لا في الوجود الواجب [٨] احتوائه على أشرف الكمالات ، وأشرف الموجودات ، مثل النار التي بوجودها وجود الإسخان [٩] ، والاضاءه والإحراق ، والتحليل لما من شأنه التحليل ، والتعقيد لما شأنه التعقيد منها ضروري بكون هذه الأمور تابعة في [١٠] وجودها لتلك الذات ، متى وجدت وجدت . فجوهر هذا الإبداع جوهر الحياة ، وعينه عين الحياة ، والحياة متقدمة على سائر هذه الصفات ، ولذلك قدم الله تعالى عند وصفه سمة الحياة في قوله تعالى « ألم » و « اللهُ لاَ إلهَ إلاّ هُوَ الْحَيُّ القَيُّوم [١١] » وفي قوله تعالى « لا إله إلا هُوَ الحيُّ القَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ

١ — في ن : تكونت
٢ — سقطت في ن
٣ — سقطت في ن
٤ — سقطت في ن
٥ — سقطت في ن
٦ — في ك : هذا
٧ — في ك : هنالك
٨ — في ك : واجب
٩ — في ك : اسخان
١٠ — في ن : لوجودها
١١ — سورة ٣ آية ٢

سِنَةٌ وَلا نوم (١) » ، فهو متوحد من جهة كونه إبداعاً وشيئاً واحداً ، ومتكثر من جهة الموجود فيه من الصفات على ما بيناه . ثم إن الحياة هي القابلة لما يليق بها بحسب مراتبها في الوجود في كمالاتها . فإن كان وجودها وجوداً أولاً كالإبداع ، فكمالها الثاني تابع وجوده وجودها معاً ، إذ ليس يتقدم عليها شيء فيكون وجودها كمالاً أو لا ، وإحاطتها بالذي تقدم عليها لها كمالاً ثانياً بل ذاتها أقدم من كل قديم ولازم ، بكونها على ذلك أن يكون كمالها الأول الذي (٢) هو في ذاتها هو كمالها الثاني ، الذي هو في صفاتها فلا يحتاج إلى شيء غيره فتكمل . وإن كان وجوداً متأخراً فكمالها الثاني في إحاطتها بما سبق (٣) عليها في الوجود مما هو غيرها ، وذلك مثل الإنسان في وجوده ، فإنه أولا حين يوجد حياة ذو قدرة ، وهي كمال أول يسمى نفساً لكونها قائمة بالقوة ، قائمة لقبول الكمال الثاني ، فلا تزال تقبل وتتعلم وتصطاد المعارف وتعمل، حتى تنال درجة العقل، بإقامتها رسوم الملة التي من شأنها أن تخرج الأنفس إلى حد القيام بالفعل ، ونيل درجة الكمال الثاني بالصبر على رسومها (٤) واستعمالها ، ومعرفتها ظاهراً وباطناً ، والعمل بها فلا تستحق بعد عقلها إياها بأحكام الشرائع عن هواها أن تسمى نفساً بارتقائها إلى درجة الكمال ، سيما أنفس النطقاء صلوات الله عليهم التي لا تزال تنتهي بها الحال بعد الحال ، بما يمتد إليها من قوة التأييد بعد كونها حياة وقدرة فقط كمالاً ، أو لا في اكتساب الكمال الثاني ارتقاءً في منازل الاحاطة والعلم ، وخروجاً إلى الفعل حتى تشيع فيها أنوار الوحدة باحاطتها بالذوات السابقة عليها، واتصالها بها اتصالاً كلياً فيحصل لها الكمال الثاني بالحال الثانية، وليست تلك الإحاطة بتلك الأشياء السابقة عليها إلاّ بذاتها، بكون ذاتها إذا بلغت منزلة (٥) السعادة

---

١ ـ سورة ٢ آية ٢٥٥
٢ ـ في ن : التي هي
٣ ـ في ك : سابق
٤ ـ في ك : رسمها
٥ ـ سقطت في ك

في الكمالين أو لا وثانياً كتلك الذوات السابقة في الوجود عليهـــا ، إذ قد صارت [١] من الكمال الى النهاية التي [٢] لم تغادر معها مما اختصت به تلـك الأشياء في الشرف والتمام شيئاً . فهي هي لا على أن هذه العقول الخارجة من القوة إلى الفعل في دار الطبيعة هي تلك المبادىء الشريفة السابقة ، بل على أنها كهي قياماً بالفعل ، ونيلاً للكمال ، وسرياناً لنور الوحدة فيها ، حتى قد جمعت [٣] الكثرة كلها فيها ، وصارت على هيئتها إذا رجعت إلى ذاتها مستمدة منها أنوار العلوم والمعارف ، فكأنها قد لاحظت تلك الأشياء المفارقه الخارجة عن ذاتها ، إذ لا تمايز بينهما إلا ، بالكمال الأول ، لكونها وهي شيئاً واحداً من جهة الحياة ، وإلا بالكمال الثاني ، لكونها وهي واحدة من جهة القيام بالفعل والخلود والبقاء والأزل [٤] وكل مـا هو سار في تلـك من نور الوحدة فهو سار في هذه ، ولا تفاضل بينهما إلا بالرتبة في الوجود ، فإن السابق منها في الوجود أشرف من المتأخرين فيه . فالعقول الخـارجة من القوة إلى الفعل في دار الطبيعة لذلك صارت مالكة لغيرهـا مدبرة ، ولمن سواها مكملة بأن تسري منها القوى الأبدية في الأنفس [٥] فيحصل منهـا الانبعاث الثاني عقولاً محضة قائمة أبدية مقومة بالآداب السياسية الشرعية ، مصورة بالعلوم الإلهية السرمدية ، فسبحـان من له الخلق والأمر ، ولا إله إلا هو ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، أستغفر الله وأفوض أمري إلى الله إنه بصير بالعباد .

---

١ ـ في ن : صدرت
٢ ـ في ك : الذي
٤ ـ في ك : اجتمعت
٤ ـ في ن : النفس
٥ ـ سقطت في ن

المشرع السادس

« في أن مجده وبهاءه وجماله ومسرته بذاته أعظم من [1] أن ينال [2] بوصف ، وأنه ممتنع إحاطته بما هو خارج عنه الذي عنه وجوده ، وأنه مشتاق إلى ذلك ومتحير فيه ، وأنه الإسم الأعظم والمسمى الأعظم »

●

نقول : لما كانت الهيبة والبهاء والقدرة والكبرياء والعظمة والمجد والعلاء والبهجة والضياء والغبطة والمسرة للأشياء كلها في كمالها الثاني ، وكان الكمال الثاني للأشياء إما بجواهرها ، وإما بأعراضها ، وكان كمال ما يكون كماله في أعراضه مثل كمال الملوك الذي هو في رجالهم وعساكرهم وأموالهم وزينتهم وجمالهم وسياستهم ، ومسرتهم [3] وغبطتهم بهذه المنزلة على الغايات التي تبهر الأنفس ، وكان البهاء والمجد والمسرة والإغتباط للذي يكون كماله الثاني بجوهره أعظم من ذلك ، ولما كان المبدع الذي هو الموجود الأول كماله الثاني بجوهره لا بشيء هو غيره ، كانت جلالته وعظمته وقدرته وكبرياؤه ومجده وغبطته ومسرته بذاته على حالة يقصر الوصف عنها [4] وتفوق المسرات التي عندنا ، ذلك بأن الأشياء المتناهية في الشرف في دار الإبداع المفارقة للأجسام هي مجامع لغايات الإغتباط والمسرات ، وأحوالها في لذاتها ونعيمها ومسراتها وحسنها وجمالها بالإضافة إلى الموجود منها عندنا في دار الطبيعة الجسمانية كهي — أعني الموجودات في دار الطبيعة — بالإضافة إلى الموجود منها في عالم

---

١ في ن : عن
٢ — في ن : يقال
٣ — في ك : مسراتهم
٤ — سقطت في ك

الأرحام حتى تكون الأحوال الموجودة للموجود الأول على أمره (١) لا عين رأته (٢) ولا أذن سمعته (٣)، كما قال الناطق صلوات الله عليه (٤) . ثم أن المسرة والغبطة للذي يسير في إدراكه الأشياء التي تجمع الكمال والحسن والجمال، ومصادفته للأمور التي وجودها على النظام الذي يوافقها ولا ينافيها : فكلما كان الشيء المدرك أجمع للكمال والجمال والزينة والبهاء والحسن والضياء والموافقة لمدركه ، كان فرح المدرك له به أعظم ، ومسرته به أشهر . ولما كان المبدع الذي هو العقل الأول هو النهاية في للكمال والزينة والجمال ، بكونه هو أولاً في الوجود ، وعلة تنتهي إليها الموجودات ولم يكن في الكمال والجمال مثل ذاته ، ولا شيء أوفق له من ذاته ، وكان مدركاً لذاته بذاته ، كان (٥) من ذلك الحكم بأن مسرته وغبطته بذاته على حالة تكافيء المسرور به من ذاته ، وعلى أمر لا تتقصاه عبارة ، فسبحان مبدعه ما أعظم أمره ، وأعلى سلطانه وإبداعه ، ثم سبحان من صنعه في الجلالة هذا الصنع ، ومن وجد عنه هذا الموجود ، ولا إله إلا هو .

ثم أن المبدع الأول الذي هو الإبداع التام الكامل مع تمامه وكماله لا يحيط علماً بما عنه (٦) وجوده سبحانه أصلاً ، ولا يعقله ولا يهتدي إلى شيء عند الإنتداب لذلك ، ولا ينهض لأمر يعقله في ذلك إلا وهو بكونه نهاية النهايات كلها في الأشياء كلها شرفاً وكمالاً ، من ذاته استعاره وفي ذاته وحده (٧) ، فلا يحصل إلا على تصور ذاته فيرجع حاسراً ، عالماً بأن ذلك غير مقدور عليه ، على نحو ما يكون الواحد منا إذا أراد أن يقبض على الماء الذي في

---

١ – في ن : أمره
٢ – في ك : رات
٣ – في ك : سمعت
٤ – يعني النبي محمد صلى الله عليه وسلم
٥ – سقطت في ن
٦ – في ن : منه
٧ – في ك : وجده

يده فلا يحصل إلاعلى قبض أصابعه وضمها إلى راحته ، فيكون المقبوض عليه هو الكف من دون الماء المطلوب قبضه وتحصيله ، أو الذي يريد أن يعلو شعاع الشمس أو يحصره في يده [١] يفوته مراده ولا يحصل إلا على ضده ، وذلك لكونه فعلاً إبداعاً منه سبحانه ، ثم أن من شأن الأفعال أن تفارق ما تصدر عنه [٢] ، وأن تكون وجوهها في وجودها إلى ذواتها المفعولة مقبلة عليها لحفظها لا إلى الفاعل ، إذ الافعال إذا كانت وجوهها إلى الفاعل لا إلى الفعل فهي لا إلى الوجود صدورها بل إلى الإرتفاع عن الوجود توجهها ، ولما كان الإبداع فعلا ووجوداً محضاً ووجهه إلى أن يكون موجوداً فهو عما هو خارج عن ذاته الذي عنه صدر الوجود في شغل ولا سبيل له إلى ملاحظته والإحاطة به فهو متحير ، ومع كونه متحيراً فهو مشتاق إلى الملاحظة للاحاطة ، وأنى له في ذلك والإمتناع قد حجبه ، فتحيره كتحير الطالب للقبض على الماء ، والمشتاق إلى اعتلاء الشعاع .

ثم أن من شأن العقول أن تعقل [٣] ذواتها بذواتها وأن تكون أفعالها في ذواتها بذواتها ، وإذا كان ذلك كذلك فمتنع أن تعقل إحاطة فيما هو خارج عنها مما عنه وجودها ، إذ إحاطتها بما هو خارج عنها لا يكون إلا الخروج عن ذواتها ، وفي خروجها من ذواتها بطلان كونها عقولاً ، وفي بطلان كونها عقولاً حصولها جاهلة ، وإذا كان في خروجها من ذواتها بطلان كونها عقولا ، ومصيرها جاهلة فمحال أن تعقل ما هو خارج من [٤] ذواتها وهي عقول . فالمبدع الأول الذي هو العقل الأول لا يعقل ما هو خارج عنه الذي هو مبدعه سبحانه ، وإذا لم يكن عاقلا ذلك فهو في حيرة وليس له من العلم أكثر من [٥] علمه بذاته بأنها مبدعة

---

١ — في ك : في ذلك
٢ — في ن : منه
٣ — في ن : تفعل
٤ — في ك : عن
٥ — في ك : من

إلى علم ما عنه وجدت ، متحيرة فيه ، وليس كونه عاجزاً عن عقل ما عنة وجوده وإدراكه ، ومتحيراً فيه لنقصانه في ذاته على حسب ما يكون في ذواتنا بجهلنا [١] ما لا نعلمه ، بل لكون المتعالي سبحانة على أمر يعظم عن الإدراك أو يتعالى عن إحاطة عقل به ، إذ الإدراك من المدرك إنما يكون بالقيام تجاه المطلوب علمه [٢] وطلب ما ينعته به منه ، فالعقول تكيع عن ذلك وتعجز وتتحير فيه وتقصر ، مثل قصور أبصارنا من [٣] مقابلة عين الشمس لا لنقصان فيها عن الإدراك بل لكون الشمس فيما عليه هويتها على أمر يتخطف الأبصار إذ قابلتها فتعجز وتبرق فتنقلب عنها خاسئة وهي حسيرة : فالعقل الأوّل مشتاق متحير [٤] عاجز عن إدراك ما عنه وجوده، يصحح ذلك ما في السنة الإلهية ومشارع الحكم التأويلية من الأمر بالسكوت عن الكلام عن الخالق لقول النبي صلى الله عليه وعلى آله ، لأصحابه « تكلموا في المخلوق ولا تتكلموا في الخالق » علماً منه صلى الله عليه بأن ذلك ممتنع على العقول ، ولا يورث النهوض له إلا الشكوك والشبهات والتشبيه الذي فيه هلاك الأنفس نعوذ بالله .

ثم إنه الاسم الأعظم والمسمى الأعظم : وذلك أن كانت الأسماء التي تقدس بها المتعالي سبحانه ويدعى بها كثيرة في عالم الجسم الذي هو دار الطبيعة وكان أعظمها الذي لا يستحقه أحد ، وينفرد به عن الغير « الله » وكان أحق الأسماء بما تسمى به ما يطابق معناه الذي يؤديه الموجود منه في المسمى به وينطق عنه بما عليه طبيعته ، ويدل عليه بما عليه حاله ، وكان هذا الاسم مؤدياً من معناه الإلهانية التي هي الشوق والوله الذي هو الحيرة على ما يقال أله فلان يأله الهانية إذا اشتاق ووله فلا يأله إذا تحير ، كان هذا الاسم بهذين المعنيين اللذين أداهما حقاً للمبدع الذي هو الموجود الأول

---

١ – في ن : بجهلها
٢ – سقطت في ن
٣ – في ك : عن
٤ – سقطت في ن

لوجود المعنيين فيه من الاشتياق إلى ما عنه وجوده [١] والحيرة فيه . ولما كان هذا الاسم له بمعناه الموجود فيه [٢] حقاً ، وكان هذا [٣] الاسم أعظم اسم ، والمسمى به أعظم مسمى كان الاشتياق والحيرة ثابتين فيه ، تعالى الله سبحانه عن صفات بريته ، ما أعظم صنعه [٤] وأبدع إبداعه ، ولا إله إلا هو ، وأستغفر الله ، وأستعينه وأفوض أموري كلها إليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

١ ــ في ن : وجد
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ك : صنعته

المشرع السابع

« في كونه هو المحرك الأول لجميع المتحركات وعلى أي سبيل يحرك ، وأنه العلة في وجود ما سواه . وأنه لا يحتاج في الفعل إلى غير ذاته، وأنه عقل في ذاته وعاقل لذاته ومعقول بذاته [1] »

●

نقول : إن الحركة لما كانت فعلاً ما ، وكانت الأفعال من شأنها أن لا توجد إلا من مبدأها ، سواء كانت في مادة أو كانت قائمة بذاتها ، كان للحركة مبدأ عنه [2] وجودها . ولما كانت الحركة في العالم موجودة ثبت أن [3] لها مبدأ . ولما ثبت [4] أن لها مبدأ وجدناه عند البحث منقسماً الى مبدأ هو محرك ومتحرك أول ، مثل الحياة السارية من عالم الوحدة والكمال الذي هو عالم العقل في عالم الجسم ، التي [5] يعرب عنها بالطبيعة التي هي المحركة للاجسام بحسب ما يليق بها على ما يوجبه النظام الإلهي ، وهي المتحركة بحركتها بكونها فيها ، والى مبدأ هو محرك متحرك ثاني مثل الكمال الثاني من عالم العقل ، والكمال في أنفس المؤيدين الذي يعرب عنه بالنبوة تارة وبالرسالة أخرى الذي هو المحرك لأنفس [6] نوع الإنسان إلى التأله والعبادة وابتغاء الفضل والسعادة بدعوته إياها إلى العمل . وهو المتحرك بترغيبه وترهيبه إياها وكونه منها وحركتها جميعاً لا من ذاتها بل من جهة غيرهما حركة طارئة بلا قصد تلزم المحرك عند قصده تحريك ما سواه مما هو فيه من غير قصد منه إلى تحريك ذاته . أما محرك الأجسام فبكونه فيها إذا

---

١ ــ في ك : « وانه عقل وعاقل ومعقول »
٢ ــ في ن : منه
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ك : ثبث
٥ ــ في ن : الذي
٦ ــ في ن : للنفس

حركها لينال ما لم يكن له ان يناله من القيام بالتقديس والتمجيد والمسرة بالدوام والبقاء إلا بتحريكه إياها ، تحريكاً على نحو ما يحدث للملاح من الحركة عند تحريكه لسفينته التي هو فيها . وعلى نحو ما حدث للنفس من الحركة عند تحريكها أبعاض [١] جسمها للانتقال . وأما محرك الأنفس فبكونه من نوع الإنسان إذا نهض للدعوة إلى التأله والعبادة والتعليم والترغيب والترهيب لينال ما لم يكن له أن يناله من المنزلة إلا بدعوته وتعليمه وتألهه وعبادته ، تحرك ضرورة وأن لم [٢] يكن قصده تحريك ذاته . ولما كانت حركتها لا من ذاتهما بل من جهة غيرهما لم يكن تحركهما إلا لحاجتهما في تحريكهما الذي هو فعلهما إلى مباشرة ما به كان تحريكهما بذواتهما ، إذ لو لم يحتاجا في التحريك الذي هو لغرض من الأغراض إلى غير يقوم به غرضهما من التحريك ، وإلى مباشرتهما إياه بذواتهما لما كانا متحركين ، كما أن النفس [٣] لو لم تحتاج [٤] عند الانتقام من الغير إلى مباشرة تحريك اليد التي هي غيرها للضرب . واللسان للشتم ، والشخص كما هو للإقدام ، لما لزمتها حركة أصلاً ، ولما لم يكن تحريكهما إلا لحاجتهما في الفعل إلى غير يجري منهما مجرى ما يقبل الفعل منهما مثل الجسم للطبيعة ، والأنفس المتعلمة للأنفس [٥] المؤيدة فيحصل بهما جميعاً الكمال في الفعل وكان الناقص المحتاج فيه دون الكامل المستغني منزلة وجب من حيث الترتيب الإلهي أن يكون في الوجود ما هو متقدم على المحرك المتحرك المحتاج في فعله إلى غير فلا يحتاج عند الفعل إلى غير يلزمه به نقص، ويكون له الكمال الذي به يقع الاستغناء عن الاستعانة في إصدار الفعل إلى الوجود بالغير . ولما وجب في الترتيب وجود ذلك ، ولم يكن مما [٦] يتقدم على المحركين المتحركين من له الكمال والقدرة ، والجلال والغناء ،

---

١ ـ في ك : ابعاد
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : الانفس
٤ ـ في ك : تحتج
٥ ـ في ك : للنفس
٦ ـ سقطت في ن

والسناء والبهاء ، والأنوار والاستغناء بـذاته عن [١] غيره غير الإبداع الذي هو المبدع الأول والموجود الأول ، وكان الإبـداع الذي هو المبـدع الأول والموجـود الأول هـو المحـرك الأول الذي لا يتحـرك ، وتحريكه للغير [٢] على نحو ما تكون حركة المحبوب للمحب [٣] إليه، أو على نحو تحريك حجر المغناطيس للحديد إليه تشبهاً. والأمر في ذلك أن المحرك المتحرك الأول الذي هو أحد المنبعثين غايته وكماله الثاني الذي يه يتعلق قيامه بالتقديس والتمجيد والتحميد وفيه سروره وبهجته وبقاؤه ودوامه في عقله ما سبق عليه في الوجود من المحرك الأول الذي هو المبدع والموجود الأول ، وعقله إياه هو صورة في ذاته مقومة له بما قيامه بالفعل كاملاً في التقديس والتمجيد والتسبيح والاغتباط [٤] بماله من الكمال والبقـاء والسرور ، والصورة أبداً هي فاعلة بمـا هي له صورة محركة إياه الى مـا لـه أن يتحرك إليـه ، فصارت تلك الصورة التي هي المحركة له ، محركة إياه إلى فعل مـا يوجبه كماله الذي حصل له بها ، ويقتضيه من التقديس والتمجيد والمسرة بالدوام والبقـاء فلا يجد بدأً عند نهوضه لهذا الفعـل من استعمال الجسم الذي هو [٥] فيـه إذ كماله في وجوده لا بذاته بل بهما جميعاً ، ولذلك قيل لما كان كمال الجسم الذي هو الكمال الأول بمـا يحركه ، جعل ذلك حداً للنفس أنها كمال لجسم طبيعي آلي إلى حد تبلغه ، فتحدث عند استعمال الجسم ليصح منه [٦] الفعل الحركة التي هي أدوم الحركات وأكملها فيصير بذلك محركاً للجسم متحركاً بحركته ، ولدوام فعـله ما يوجبه الكمال من التقديس والتمجيد والتحميـد والمسـرة والإغتباط والإبتهاج اتصال الحركة على الدوام والسرمد : فالعلة في حركة المتحرك هي تلك الصورة [٧] المعقولة عن المبدع الذي هو الموجود الأول التي

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ن : لغير
٣ ــ في ن : للحب
٤ ــ [illegible]
٥ ــ سقطت في ن
٦ ــ سقطت في ن
٧ ــ [illegible]

هي كماله ، وطلبها قبول الفيض الساري في جميع الموجودات المعطي إياها الوجود والبقاء . وبهذه الصورة [١] صار المحرك الأول محركاً أولاً لغيره والمتحرك متحركاً أو لا بذاته ، فإن توهمنا فيه حركة فهي إحاطة ذاته بذاته ومسرته في ذاته بما عليه أمره عظمة وجلالة . وقيامه بالإقرار والعجز عن إدراك ما وجد عنه . وليس سبيل هذا المحوك المتحرك الأول سبيل ما هو خارج عنة من العقول البرية مما يكون لها كالموضوع ، فإن ما هو خارج من العقول ذواتها عقول [٢] وعاقلة ومعقولة ، وذات المحرك المتحرك الأول ليست بعقل كلها لأن من ذاته ما ليس بعقل وهو الجسم الذي هو كالمادة له ، وكالموضوع الذي فيه يعمل وعقله ما عقل لا بموضوعه بل بصورته التي كالها في عقل ما هو خارج عنها . ثم أنه علة لوجود ما سواه وذلك أن الموجودات هي معلولة لعللها . وعللها متقدمة عليها في الرتبة وجوداً وهي غايات لها ، وليس في الموجودات ما هو غاية لكل غاية ومتقدم على كل متقدم غير الإبداع الذي هو المبدع الأول والموجود الأول فهو علة لوجود ما سواه . ثم إن الإبداع الذي هو المبدع السابق على كل شيء في كل شيء لو لم يكن علة لوجود ما سواه ، لما كان للموجودات وجود . ولما كانت الموجودات موجودة لزم أن يكون ما تنتهي إليه الموجودات الذي إن تعدى منه طلباً لشيء آخر وراءه تعدى إلى ما يكون له وجود علة بها يتعلق وجود الكل ، ولم يكن ما تنتهي إليه الموجودات ولا شيء وراءه غير الإبداع الذي هو المبدع . فالمبدع الأول علة لوجود الموجودات الكائنة كالواحد الذي هو أول الأعداد . ثم امتناع الشيء عن أن يكون علة لوجود شيء آخر لا يكون إلا لعائق يعوقه إما من ذاته أو من خارج عنه هو غيره ، ولما كان لا عائق للمبدع الأول عن الفعل بتمام قدرته لا من خارج بشيء تقدمه ، ولا من ذاته بمادة تعوقه كان المبدع الأول

١ ـ في ك : الصور ٢ ـ في ن : عقل

الذي هو الإبداع علة لوجود الموجودات . ثم وجود شيء [١] عن شيء لا يكون إلا بكون ذلك الشيء الذي وجد عنه هذا الشيء في غاية الكمال وفي نهاية التمام ، وعلى أمر من الفضل في ذاته ، والغناء والقدرة له ما تجود ذاته وتسمح بما يوجد عنه ، مثل الرجل العالم الحاوي للعلوم الذي يفيد المتعلم ، ومتى كان غير [٢] عالم استحال وجود عالم منه . ومثل الجرة التي متى كانت ممتلئة من الماء سمحت بالرشح ، ومتى كان فيها مقدار قليل فهي أحوج إليه من غيرها إليها فلا ترشح . . ولما كان الابداع الذي هو المبدع الأول غاية الكمال ونهاية التمام والغناء والفضل كان علة لوجود ما سواه . ثم لما كان المبدع الأول [٣] هو الحي الأول ولا يكون حياً ما لا يفعل ، كان المبدع الأول فاعلاً . وإذا كان فاعلاً والفاعل علة لوجود مفعوله فالمبدع الأول علة لوجود ما سواه . فهو المحرك الأول والعلة الأولى. ثم إنه لا يحتاج في إصدار الأفعال الى غيره لكماله اذ فعله في ذاته ، وذاته لذاته مادة فيها يفعل . وذاته لذاته صورة بها يعمل ، وما يكون وجوده هذا الوجود فلا يحتاج إلى غيره في الفعل ، وإنما كان كذلك لتعالي ما وجد عنه عن أن تكون هويته بما [٤] هي عن غيرية صارت هي هي ، فلم يجز أن يكون ما وجد عنه وجوداً ، يحتاج في فعله الى غير ، إن وجد عاد وجوده بتعليل ما وجدا جميعاً عنه ، اذ لا يجوز أن يكون شيئان هما غيران يوجدان إلا عن شيئين يوجبان وجودهما ، وما يجمع شيئين فهو متكثر وما يكون متكثراً فهو مسبوق وله ما يتقدم عليه . فلما تعالى سبحانه عن أن يكون متكثراً ، أو تلحقه صفة من الصفات ، استحال وجود شيئين عنه هما غيران ، ولما استحال وجود شيئين عنه هما غيران كان الموجود عنه واحداً . واذا كان واحداً وهو فاعل فلا يحتاج في إصدار

---

١ ــ في ن : شيئا
٢ ــ في ك : غيره
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ن : مما

فعله الى شيء هو غيره ضرورة ، فالمبدع الأول بكونه أولا في الوجود وعلة لوجود ما سواه لا يحتاج في اصدار فعله الى غيره . ولذلك نقول إن الأنفس (١) متى كانت محتاجة في فعلها الى الاستعانة بالحواس التي هي غيرها فهي كأنفس الحيوان ولا معاد لها . وكل نفس ارتقت في العمل الى أعلى درجاته محافظة عليه ، وفي العلم الى ذروة الموجودات ، وأحاطت بها فيما يشيع في ذاتها من نور الوحدة قامت مع غيرها محتاجة الى الحواس في أفعالها ، وطالها نور الوحدة وواصلها وأيدها بعد أن كانت هي المطالبة له والمواصلة . ثم أن المبدع الأول عقل وعاقل ومعقول : فكونه عقلا من جهة كونه محض العقل الموجود عن (٢) المتعالي سبحانه ، وكونه عاقلاً من جهة فعله في ذاته وإحاطته بها وهي (٣) عقله إياها ، وليس يحتاج في عقله ذاته الذي هو فعله الى شيء هو غيره ، كما نحتاج اليه نحن في إحاطتنا بذاتنا معرفة وعقلاً لها الى أشياء هي غيرنا نستعين بها فيها ، بل ذلك العقل ذاته هي (٤) العاقلة لذاتها ، وكونه معقولاً بمصير ذاته معقولة له وليس يحتاج في أن يكون معقولاً الى شيء غيره يعقله بل ذاته معقولة لذاته ، والعاقل منه هو المعقول . والمعقول منه هو العاقل ذات واحدة مثل ما عليه حال عقول دار الطبيعة عند إحاطتها بجوهرها ومعرفتها بذاتها بأنها جوهر حي ضابط للصور المتقدمة عليه في الوجود فليس المحيط بجوهرها والعارف بذاتها بأنها جوهر حي شيئاً هو غيرها . بل هي المحيطة العارفة لذاتها ، ولا المحاط به المعلوم منه شيء هو غيرها بل هو هي . وهي هو عالمة بذاتها ومعلومة لذاتها . والمعلوم هو العالم ، والعالم هو المعلوم : ذات واحدة ثم أن عقول الطبيعة إنما تعقل تلك العقول الخارجة عنها لكونها مثلها فهي عقل بارتقائها الى منزلة الكمال والموجودات التي لها الكمال ، وعاقل بعقله ذاته . ومعقول

---

١ – في ن : النفس
٢ – في ن : من
٣ – في ك : وهو
٤ – سقطت في ك

بكون ذاته معقولة لعقله الذي هو العاقل ، فالمبدع الأول لا يحتاج في فعله الى ما يجري منه [١] مجرى المادة للفاعلين . اذ لو كان فعله لا [٢] يتم الا بمادة لم يكن بمستحق أن يكون أولاً في الوجود . ولوجب أن يتقدم عليه ما يعلل ما كان عنه وجوده . فلما كان المتعالي سبحانه متجاللاً عن أن يتأول عليه غيره ، كان الموجود عنه متعالياً عن أن يكون معه غيره ، واذا لم يكن معه غيره ، وهو علة لغيره فلا يحتاج الى شيء سواه . بيّن الله تعالى ذلك في قوله « يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجها [٣] » وأظهر فيما خلقه من الآفاق والأنفس التي هي ميزان الديانة والمعيار [٤] الذي به تعرف حقائق الأمور بتوازنها وتطابقها ، فدل عليه سبحانه بقوله تعالى « سَنُرِيهِم آيَاتِنا فِي الآفاقِ وَفي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ [٥] » الذي يشهد عن كون الناطق أولا من الحدود في دوره واعظاً للكل بما يحركه الى عبادة ربه ، فاعلاً في الأنفس صور التوحيد بكون الأول محركاً لجميع المتحركات الى ما يكون فيه القيام بتسبيح خالقها ، وعن كون الكمال الذي للناطق في ارتقائه [٦] على النهاية ، الذي يجذب بأفعاله التامة وأقواله المهذبة الناس الى دعوته ، هو السبب في اتباع الجماعة إياه ، وانصياعهم [٥] له ومفارقتهم الأقارب في ولائه محبة له ، بأن كون الكمال الذي للأول على النهاية هو السبب في تحريك غيره ، وأن ذلك على نحو تحريك المحبوب لمحبه ، وعن كون الناطق سبباً لوجود جميع الموجودات في عالم الدين في دوره الذي هو أوله ، ومبدأه من وضائعه ومراسمه وحدوده ، بكون الأول علة لوجود

---

١ – سقطت في ن
٢ – في ك : الا
٣ – سورة ٤ آية ١
٤ – في ك : العيار
٥ – سورة ٤١ آية ٥٣
٦ – في ن : ابقائه
٧ – في ن : واذطباعهم

ما سواه مما وجد عنه . وعن كون الناطق مستغنياً بكماله في وضع شرائع العبادة وتأسيس قواعد التوحيد الذي هو ينبوع السعادة عن غير به يستعين ، بأن الأول لا يحتاج في فعله الى غير سواه ، وعن كون الناطق عقلا في ذاته ، وعاقلا في ذاته ، وعاقلا لذاته بذاته ، ومعقولة ذاته له بذاته ، وان كان قد نال الكمال أخيراً بأن الأول مثل ذلك عقل وعاقل ومعقول فسبحان من تعالى عن الأوهام والأفكار ، فاحتجب بباهر[1] إبداعه ذلك عن أن يتناول بصفة ، ولا إله إلا هو ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

واستغفر الله واستعينه وأفوض أموري كلها اليه إنه بصير بالعباد وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

---

١ ـ في ك : بظاهر

السُّورُ الرَّابِع

« في الموجود عن الابداع، الذي هو المبدع الأول، بالانبعاث من القلم واللوح والمبادىء الشريفة التي هي الحروف العلوية . ويشتمل على سبعة مشارع »

المشرع الأول

« في كيفية الإنبعاث »

●

قد قلنا فيما تقدم إن الموجودات لما كانت كثيرة اختص كل موجـود باسم يليق به ويدل عليه ، وأن العقل الأول الذي هو المبدع الأول لما كان مخترعاً لا من شيء خص باسم الإبداع لكونه ذات الفعل الصادر [1] إلى الوجود عن المتعالي سبحانه ، لا من أيس يجري منه مجرى المادة من ذوات الموجودات ، وبينا أن علم كيفية الإبداع في حجاب أيست العقـول من أن يكون لها الى رفعه والوصول اليه سبيل ، بكونه مما لاتحويه ذواتها واحتياجها عندالنهوض لتطلب [2] ذلك الى خروجها من كونها عقولاً ، وفي خروج العقل من كونه عقلا بطلان ذاته ، وقيام الدليل على أن كيفية الابداع لا ككيفية الإنبعاث التي قد أحاطت العقول النيرة بها فأخبرت عنها . إذ لو كانت مثلها لكان الابداع انبعاثاً ، والانبعاث إبداعـــاً ، فبطل أن تكون كهي بما بيناه فيما تقدم . والإنبعاث انفعال ما لا عن قصد أول ، وهو وجود يحصل عنه ذات جامعة لأمرين : بأحدهما تكون محيطة ، وبالآخر تكون [3] محاطة ، فتشرق تلك الذات عند ملاحظتها ذاتها واغتباطها بها ، فيحصل من بين الأمـــرين خارجاً عنها أمر يثبت بثبوت الذات وذلك أن الابداع الذي هو المبدع الأول لما كان [4] حياً بذاته ، وقادراً بذاته وعالماً بذاته ، وكامـلاً وأزلياً وعقلاً وعاقلاً وغير ذلك على ما بيناه فيما تقدم من كونه نهاية في الفضائل ، وأحاطت ذاته لقدرتها بذاته فلاحظها وعقلها إحاطة بها ،

---

١ ــ في ن : الصدر

٢ ــ في ك : لطلب

٣ ــ سقطت في ن

٤ ــ في ن : كائن

وصارت ذاته التي هي عقل عاقلة لذاته التي هي معقولة لذاته التي هي عقل ، ولم يعقه عائق ، كان لا من خارجه [١] ولا من ذاته عما توجبه قدرته التامة ، فرأى ما أحبه من ذاته في أنه أول في الوجود ، وأنه لا يتقدمه شيء ، وأنه علة بها يتعلق وجود الموجودات ، وأنه النهاية في السناء [٢] والنور والضياء والمجد والعلاء والعظمة والكبرياء والقدرة والبهاء ، وأنه محض الفعل الحاصل في الوجود بلا بواسطة في الوجود بينه وبين المتعالي سبحانه ، اغتبط بذاته بما عليه أمرها عند تلك الملاحظة اغتباطاً يفوق كل اغتباط ، وابتهج بأمره ابتهاجاً لا يمكن قياسه الى الموجود منه في أنفسنا مع نقصها عند إدراك المطلوب والظفر بالمحبوب ، بل أعظم وأكبر ، فكان عن ذلك الاغتباط بإشراق ذاته – عند إحاطته بذاته وعقله إياها وملاحظته لها في ذاته فرحاً بها – سطوع نور [٣] عنه ، على نحو ما يكون من الدم عند ورود المسرة على النفس بلقاء معشوقها ومعاينة محبوبها من نفوذ لون حمرته الباطنة في أقاصي البدن الى خارج الوجنتين وظهورها في بشرة الوجه ، إلا أن تلك الحمرة ، لوجود العوائق في الذات التي [٤] ظهرت فيها ولعجزها ، لا يفارقها ولا يكون لها نفوذ من أقاصي البدن أكثر من ظهورها في سطح بشرة الوجه ، وذلك النور لخلو الذات التي سطع منها من العوائق ولتمام قدرتها عما [٥] يفارقها عند سطوعه ، فيقوم خارجها ثابتاً قائماً بحسب ما عليه علته ، مثل ما يكون من الشمس اذا أشرقت على وجه الماء أو على وجه المرآة المجلاة من أنبعاث ضوء خارج عنها قائم بذاته ، ووجوده بوجود الشمس وإشراقها حتى أننا لو توهمنا كون الشمس في موضع من السماء ثابتة أبداً [٦] وهي مشرقة على مرآة أو وجه ماء باقيين أبداً لكان الضوء المنبعث عنها موجوداً أبداً وهي مشرقة ،

---

١ – في ك : خارجته
٢ – في ن : السماء
٣ – في ن : نورها
٤ – في ن : الذي
٥ – في ك : مما
٦ – في ك : ابد

ذات المبدع الذي هو العقل الأول في الإشراق الذي يليق به لا كالشمس بل أعظم ، وذاته في الصفاء لا كوجه الماء والمرآة بل أصفى ، وذاته في الجمال والبهاء أجل وأبهى من كل جميل وبهي ، فملاحظة المبدع الأول الذي هو العقل الأول ذاته وعقله إياها وإحاطته بها ، كملاحظة الشمس وجه المرآة وإشراقها عليها ، وكون الذات معقولة [١] منورة كالمرآة المشرقة بنور الشمس، ووجود المنبعث خارجاً عن العقل الأول كوجود الضوء خارج المرآة بتعكيسها ما لمع فيها من نور الشمس الى خارجها ، وكون العقل والمعقول ذاتاً واحدة وشيئاً واحداً ككون الشمس والمرآة من حيث الجسمية ذاتاً واحدة وشيئاً واحداً ، وكون ذات العقل [٢] الأول من جهة نسبة كونها عاقلة وعقلاً أشرف من شرفها من جهة نسبة كونها معقولة ، وان كانت الذات من جهة كونها مبدعة واحدة ، ككون الشمس أفضل من المرآة المشرقة وأشرف منها ، وإن كانا من جهة ذواتها الجسمية شيئاً واحداً ، فالإنبعاث سطوع نور عن ذات المبدع الذي هو العقل الأول ثابت قائم على السبيل الذي ذكرناه . وقد ينبعث [٣] من العقول التي في دار الطبيعة وتخرج الى الفعل وتنال كالها الثاني بزمان [٤] ما يجري هذا المجرى : وذلك أن أنفس النطقاء صلوات الله عليهم ، التي قد صارت عقولاً محضة لا تزال في بدء أمرها تصطاد المعارف من خارجها بالحواس التي هي آلات لها ، وتقتنيها حتى تستغني بما يشيع فيها من أنوار عالم القدس عن مرافدة الحواس إياها ، فتصير النفس بعد ما كانت مخدومة من جهة الحواس بأن تؤدي إليها المعارف ، خادمة لها [٥] بقوتها واتصالها بينابيع الضياء والنور ونظرها بما تصورته الى ذاتها ، بأن تريها قدرتها وقوتها ، فتؤدي ما تحققت في ذاتها ، وتزايدت قوى النفس [٦] في تصورها الى خارجها ، فتجعل القوة المشتركة

---

١ — في ك : مفعوله
٢ — في ك : الفعل
٣ — في ن : يبعث
٤ — في ك : بزمن
٥ — في ك : له
٦ — في ن : الانفس

التي هي المتخيلة التي كانت تقبل من الحواس صور المحسوسات وتؤدي اليها خدمة لها ، وهي أقرب الأشياء إليها ، متشكلة بصورته . والقوة المتخيلة تدفع إلى خارجها بتزايد القوة من الذات المفكرة ، كما كانت تتسلم الصور [١] من خارج فتؤديها إليها فيتشكل الهواء عن القوة المتخيلة ، كما كانت تتشكل عن الهواء ، فيقوم للحاسة مثالاً قائماً تراه فتكون تلك الصورة الماثلة إنبعاثاً عن النفس التي قد ارتقت الى درجة العقول ، ونالت كمالها الثاني ، ووجودها بعكس ما يوجد في الذات من الصور من [٢] طريق الحواس . ويجري هذا الاصطياد إلى داخل تصويراً للنفس ، والإنبعاث عن داخل الى خارج تحقيقاً للحس من عقول النطقاء عليهم السلام ، مجرى فعلنا منا عند طلب اليقين لحد الشيء والإحاطة بحقيقته من تعكيس الحد الذي متى انعكس في تحديده وثبت معناه صح العلم بأنه حق المطلوب ؛ مثل قولنا الجسم طويل عريض عميق ، وتعكيسنا ذلك طلباً لليقين والعلم بحقيقته بقولنا : وكل عميق عريض طويل جسم ، الذي لما ثبت المعنى الأول عند التعكيس ولم يبطل منه شيء وقع اليقين والعلم بحقيقته بأنه حده وطبيعته ، ومثل قولنا : إن الانسان حي ناطق منبعث ثان . وتعكيسنا هذا القول طلباً لليقين والعلم بحقيقته بقولنا : وكل منبعث ثان ناطق حي إنسان الذي لما ثبت المعنى الأول [٣] ولم يبطل منه شيء عند التعكيس صح وثبت اليقين والعلم بحقيقته وأنه حده وطبيعته ، وذلك أن ما لا ينعكس حده عند التعكيس بإلحاق لفظ « كل » به — ويختلف المعنى في المطلوب حقيقته — لا يكون مطابقاً ولا يتخذ حداً له . مثل قولنا « كل إنسان حيوان » وتعكيسنا هذا القول عند الطلب

---

١ — في ن : الصورة
٢ — في ك : عن
٣ — في ك : الاولى

والتأمل ، بأن ذلك حداً له يختص [١] به ويدل على طبيعته بقولنا « وكل حيوان إنسان » الذي لم يطابق معناه ما أوجبه القول الأول بإدخاله في الإنسانية ما ليس من الانسان ، فعلم كذبه ، ولم يتخذ حداً له فاطرح . وكذلك النطقاء عليهم السلام ما أحاطوا به علماً ، ولمع في نفوسهم المقدسة صورته من عالم الوحدة ، واصطادوه بالمادة الممتدة إليهم من أنوار الملكوت من المعارف ، وانعكس من داخل الى خارج — أعني من ذات النفس - وتأدى الى الحس الذي هو خارجها ، وتمثل لهم ، فهو الحق اليقين الذي لا ريب فيه . وما لا ينعكس ولا يقوم في الحس فهو وإن كان لهم به ثقة فلا يقطعون به الحكم ، وينتظرون ما يحدث من القوة الإلهية من الانبعاث في ذواتهم إذ لا يتمثل [٢] لهم إلا عن تزايد تلك القوة وذلك يدخل في باب الوحي ، وسنشبع [٣] القول فيه في موضعه بقوة الله وبركة وليه المفاضة علينا . والأمر في ذلك مستمر إلا ان الذي يكون للحدود المتعالية من طريق الإبداع فهو انبعاث أول جامع للكمالين لا بزمان وهو غاية درجات العقول في كمالها . وبذلك ينفصل الانسان الخارج من القوة الى الفعل في دار الطبيعة عن الانسان الذي هو الملك المقرب الذي وجوده من طريق الإنبعاث الأول في دار الابداع . والحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ووليه صلوات الله عليه ، وأستغفر الله وأستعينه ، وأفوض أمري إليه إنه بصير بالعباد .

---

١ – في ن : يخص

٢ – في ن : لا يمثل

٣ – في ك : ونشيع

المشرع الثاني

« في المنبعث الأول الذي هو العقل الثاني، المسمى في السنة الإلهية بالقلم [١]، وإثباته موجوداً ثانياً ، وأنه في الكمال كالأول ، وأنه لا [٢] جسم ، ولا في جسم ، وأن وجوده لا عن قصد أول [٣] »

●

نقول : لما كان الموجود الأول الذي هو العقل الأول مختصاً باسم الإبداع لكونه في وجوده لا من شيء ، وكان في الوجود موجوداً ، اختص الموجود الثاني التالي له في الوجود الذي هو العقل الثاني باسم الإنبعاث الأول ، لكونه في وجوده عن الإبداع أمراً ضرورياً وجوده لازم عما يكون وجوده ، ذلك الوجود في كال [٤] الإبداعية . وذلك أن العقل الأول الذي [٥] هو المبدع الأول لما كان وجوده عن المتعالي سبحانه إبداعاً ، وكان عقلاً بإبداع الله تعالى إياه كذلك ، وكان في كونه عقلاً « ومعقولاً له ذاته ، لزمته بكونه عقلاً » [٦] نسبة ، وبكونه معقولاً نسبة أخرى ، وكان [٧] من جهة كونه عقلا أشرف من جهة كونه معقولاً بكونه من تلك الجهة – أعني كونه عقلاً – فرداً منتسباً [٨] الى المتعالي سبحانه ، ومن هذه الجهة – أعني كونه معقولاً – زوجاً منتسباً [٩] الى ذاته ، وكان علة لوجود الموجودات ، وكان من الكمال والتمام على النهاية التي يستغنى بها عن الغير في إصدار الفعل [١٠] الى الوجود، وكان ملاحظاً لذاته بذاته ، ومحيطاً بها بذاته، ومغتبطاً بجميع [١١]

---

١ – في ن : القلم

٢ – في ن : جسم

٣ – في ك : اولى

٤ – سقطت في ن

٥ – سقطت في ن

٦ – وردت هذه الجملة مضطربة في ن

٧ – سقطت في ك

٨ – في ك : منتسب

٩ – في ك منسبا

١٠ – في ن : العقل

١١ – في ك : في جميع

أحواله في ذاته ، ولم يكن إلا وهو كذلك ، لزم على النحو الذي أوردناه في كيفية الإنبعاث وجود شيئين عنه بحسب ما عليه ذاته من النسبتين أحدهما أشرف من الآخر [١] ، ولما كان الأمر في كون العقل الأول على نسبتين إحداهما أشرف من الأخرى ، كان الموجود عن النسبة الأشرف قائماً بالفعل عقلاً فرداً محضاً في نوعيته صورة مجردة . وهو مع كونه ثانياً في الوجود عند الترتيب ، أول بالإنبعاث ، كما أن المبدع الأول أول بالإبداع ، وكان الموجود عن النسبة الإخرى دون ذلك منزلة عقلاً قائماً بالقوة يسمى الهيولى والصورة، مزدوجاً في ذاته كالنسبة التي عنها وجد، ويأتي الكلام عليه في بابه . يصحح [٢] ذلك ما ينطق به الموجود في السنن الإلهية ، أن الناطق في عالم الدين لما كان مثلاً للعقل الأول في دار الإبداع ، كان كونه علة لوجود العقول الطبيعية بما أقامه من السنن والوضائع وبسطه من الحكم والشرائع في عالم الدين ، موجباً أن الإبداع الذي هو المبدع الأول والعقل الأول علة لوجود العقول المنبعثة في عالم القدس . وكونه من الكمال على النهاية التي يستغنى بها عن أمثاله من البشر في بسط البركة والسياسة الإلهية واستجرار الانفس الى حظيرة القدس ، موجباً أن العقل الأول في الكمال على النهاية التي استغنى بها عن غيره في إقامة الحكمة . وكونه ذا نسبتين : نسبة إلى عالم القدس ، ونسبة الى عالم الطبيعة — أعني الناطق — وكون الموجود عنه إثنين بحسب النسبتين أحدهما وهو الأشراف [٣] وهو الوصي الذي أقامه مقامه ، وأخبر الله تعالى بأن نفسه كنفس محمد صلى الله عليه وآله في آية المباهلة ، بكونه في الكمال والتمام كهو . وثانيها الكتاب والشريعة وقرن بينهما ، موجبين أن العقل الأول ذو نسبتين إحداهما أشرف من الأخرى . وأن الموجود عنه اثنان بحسب النسبتين أحدهما أشرف من الآخر . فكان الموجود

١ — في ن : اخر
٢ — في ك : يصح
٣ — في ن : اشرف

عنه صلى الله عليه وعلى آله على هذا النظام ناطقاً بأن حال ما تقدم[١] وجوده مما غاب عن الحواس على مثل ذلك . بكونه صلى الله عليه وعلى آله سالكاً في ترسيم سننه وقوانين شرعه طرق[٢] الدلالة على هذه الأمور الغامضة ، ولذلك قال تعالى : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا في الآفاقِ وَفي أنفُسِهِمْ حَتَّى يَتبَيَّنَ لَهمْ أنَّهُ الحَقُّ » [٣] ؛ فوجود الوصي والكتاب المقترن بالشريعة عنه ينطق بأن الموجود عن العقل [٤] الأول اثنان ، وأن أحدهما أشرف من الآخر ، وأن الأشرف عقل قائم بالفعل [٥] مثله مثل كون الوصي مثل الناطق ، وأن الآخر هو [٦] عقل قائم بالقوة مزدوج ذاته وهو الهيولى ، والصورة اللتان هما مزدوجتان مثل ما جاء به الناطق الذي هو مزدوج كتابا وشريعة . وكما أن الوصي [٧] أول الأئمة في عالم الشرع والدين ، فالمنبعث أول العقول المنبعثة في عالم القدس ، التي يأتي عليها الكلام في أعدادها ومراتبها فيما بعد . فالمنبعث هو عقل قائم بالفعل مثل ما عنه وجد كالشعاع الموجود عن الشمس ، والمرآة التي هي من جنس العلة الفاعلة له ، التي هي الشمس ضياء ونوراً كاملاً ، كما بينا في باب كيفية الإنبعاث . وكماله لا ككمال [٨] الأول الذي يستغنى بعقله ذاته عن عقل ما سواه ، بكونه أولاً في الوجود وحقاً في الوجود ، بل كماله [٩] دون ذلك الكمال رتبة ، بكونه ثانياً في الوجود ، كالوصي الذي مرتبته دون مرتبة الناطق ، وهو عاقل لذاته ولذات ما عنه وجوده من المبدع الأول الذي هو العلة في وجوده [١٠]

---

١ – في ن : قدم
٢ – في ك : طريق
٣ – سورة ٤١ آية ٥٣
٤ – في ن : الفعل
٥ – في ك : في فعل
٦ – سقطت في ن
٧ – يذهب الاسماعيلية الى ان الامام علي بن ابي طالب (ع) هو اول من اوصى النبي (ص) له بان يكون خليفته والقائم مقامه . لذلك اعتبروه سيد الاوصياء واول الائمة في عالم الشرع والدين .
٨ – في ن : ككمال
٩ – في ن : لكماله
١٠ – في ك : بوجوده

وذلك أنه لما كانت العلة في بقاء الباقي تعلقه بما يمده بقاءه من [١] علته التي عنها كان وجوده ، ولولاها لما كان ، وكان المبدع الأول علة له في وجوده سابقة عليه ، تعلق هذا به ليدوم [٢] وجوده ، وتعلقه به عقله إياه . ويمتنع الأمر في [٣] أن لا يعقل ذاته ، ولا ذات ما عنه وجوده ، بمصيره لو لم يكن يعقل ذلك ناقصاً بخلو ذاته من تصور ما هو في الوجود موجود متقدم عليه ، كأنفس البشر في دار الطبيعة التي هي ناقصة بخلوها من صور ما سبق عليها في الوجود ، فهي محتاجة إلى اكتسابها إياها . وإذا كان ناقصاً فلا يكون أولاً لغيره ، بل نهاية يقف عندها وجود شيء آخر ، كما صارت أنفس البشر لما كانت ناقصة نهاية ثانية للموجودات التي ليس وراءها موجود آخر وإذا كان نهاية ثانية يقف عندها وجود شيء آخر بعدها فلا يكون موجود إلا هو وما عنه وجد ، وبوجود أشياء هي [٤] غيرهما يبطل أن يكون نهاية لا يوجد بعدها شيء آخر. ويبطلان كونه نهاية ثانية يبطل أن لا يكون أولاً، وببطلان الأمر في أن لا يكون أولاً يبطل أن يكون ناقصاً، إذ شرط الناقص أن لا يوجد عنه مثله ، وقد وجد ، ويبطلان كونه ناقصاً يبطل أن يكون خالياً من صورة [٥] ما تقدم عليه في الوجود فهو عاقل لها ، ولا يجوز أن يكون عاقلاً لما هو غيره ، ولما هو عاقل لذاته التي هي أقرب إليه مما هو خارج عنه فهو عاقل لذاته ولذات ما عنه وجوده، دل على ذلك ونطق بصحته الموجود في السنن الإلهية ، أن الوصي الذي هو ثاني الناطق لا يجوز أن يكون خالياً من معرفة مرتبة الناطق الذي هو السابق عليه في الوجود في عالم الدين ، ولا أن يكون عاطلاً من جمال الإقرار بها ، والإحاطة بمرتبة نفسه التي هو فيها ، إذ لو كان خالياً من ذلك لكان لا تفرض طاعته لنقصانه ، ولذلك صار كمال ما كان متأخراً في الوجود في معرفة ما سبق

١ ـ في ن : عن
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : هو
٥ ـ في ك : صور

عليه في الوجود واتصاله به ، كالأنفس التي كما لها في الإحاطة بما سبق عليها في الوجود أجمع . وإذا كان لازماً للمتأخر [١] معرفة ما سبق عليه في الوجود لتعلق وجوده به، كان السابق في الوجود غير لازم له أن يعقل ما يوجد عنه أكثر من أن يعلم أنه علة لوجود ما من شأنه أن يوجد عن مثله ، إذ ليس يتعلق وجوده بما به يوجد عنه ، ولذلك لا يلزم الناطق أن يعرف الدعاة والمأذونين ، ولا المنصوبين في الجزائر [٢] ، ولا الأئمة المقدسين ، كما يلزمه معرفة ما سبق عليه في الوجود من الملائكة المقربين الذين بهم يتعلق وجوده ، وقيامه بالفعل أكثر من علمه بأنه علة لوجود الأئمة والحجج والدعاة والمؤمنين ، وإنما يلزم الدعاة والمأذونين والحجج والأئمة المنصوبين معرفة الناطق ومرتبته والإقرار بمكانه، ومعرفة الأوصياء والأئمة عليهم السلام ووجوب طاعتهم على الخلق [٣] ، ولهذا من الشأن ما كان فالمنبعث الأول للمبادىء المنبعثة التي هي الحروف العلوية أول ، بكونه أول كل شيء محض [٤] وجد عن شيء محض ، وهو من حيث كونه عقلاً لا فرق بينه وبين الأول ، كما أن الوصي أول منصوص عليه من الحدود في الدور والدعوة إلى التوحيد ، فهو من حيث كونه كاملاً لا فرق بينه وبين الناطق [٥] ولا يقع

---

١ - في ك : للتأخر

٢ - يعني دعاة الجزائر الاثنا عشر

٣ - يذهب الاسماعيلية الى ان الله تعالى قد فرض على الخلق طاعة الاوصياء والائمة لقوله في كتابه الكريم : « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » فالائمة هم اولوا الامر الذين ذكرهم الله تعالى في هذه الاية الكريمة ، ويروي علماء الاسماعيلية قولا مأثورا عن الامام جعفر الصادق : بنا يعبد الله ، وبنا يطاع الله وبنا يعصى الله ، فمن اطاعنا فقد اطاع الله ، ومن عصانا فقد عصى الله . وقال داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي في هذه العقيدة شعرا :

وهم اولوا الامر ائمة الهدى	عصمة من لاذ بهم من الردى
مفروضة طاعتهم على الامم	قاطبة من عرب ومن عجم
اقرأ : اطيعوا الله والرسولا	ثم اولي الامر بهم موصولا
ثلاث طاعات غدت معلومة	في آية واحدة منظومة

٤ - هنا يعتبر الكرماني الامام من حيث الكمال لا فرق بينه وبين النبي الا بتقدم المرتبة .

٥ - هنا يعتبر الكرماني الامام من حيث الكمال لا فرق بينه وبين النبي .

الفرقان إلا بالمرتبة في التقدم . ولا يجوز أن يكون جسماً لوجوده عن النسبة الأشراف التي توجب أن يكون هو في وجوده مثل ما وجد عنه عقلاً محضاً محيطة ذاته بذاته ، عاقلة ذاته لذاته ، والجسم ليس بعاقل ذاته، ولا محيطة ذاته بذاته . ثم لكون العقول في ذواتها [١] غير متغايرة [٢] ، وفي جواهرها غير متضادة ، والجسم في ذاته من أشياء متغايرة محتاج بعضها في وجوده إلى وجود البعض ذات أقطار تدرك بالحواس ، وما يكون بهذه المثابة يخرج من أن يكون عقلاً ، ثم لو كان جسماً لوجب أن يكون موجوداً هناك ما هو غيره ما يكون عقلاً محضاً بوجود العلة التي يلزم أن يوجد عنها ما يكون وجوده كوجوده ، وغير موجود غيره عقلاً محضاً منبعثاً أولاً . ولا يجوز أن يكون في جسم لكون وجوده عن الكمال الذي يوجب أن يكون هو كاملا غير ناقص وما يكون في الأجسام من [٣] قواها وأنفسها ناقص [٤] محتاج الى غير يكسبه التمامية فهو بريء [٥] من التعلق بالاجسام والمواد . ومنزلته من مراتب الاعداد منزلة الاثنين ، بكونه ثانياً في الوجود ، وكون وجوده عند الترتيب بعد الواحد المتقدم [٦] الرتبة في الوجود ، وكما أن الاثنين ذاته من واحد ، وقوامه بالواحد الذي تقدم عليه في الوجود ، فهو كذلك قوامه بما تقدم عليه في الوجود من العقل الأول ، وذاته موجودة بعقله إياها ، وبعقله ما تقدم عليه في الوجود جميعاً . وهو كالأول في باب كونه جامعاً للكمالين ، وذلك أن جميع ما يختص المبدع ـ الذي هو العقل الأول ـ به من الأمور العشرة التي بها هو ما هو، من كونه حقاً ، وموجوداً أولا ، وواحداً تاماً ، وكاملا أزلياً ، وعاقلا ، وعالماً ، وقادراً ، وحياً بالإضافات والذات واحدة ، فإن المنبعث منه [٧] يستحقه

---

١ ـ في ن : ذاتها
٢ ـ في م : متغيرة
٣ ـ في ك : عن
٤ ـ في ن : ناقصة
٥ ـ في ن : بريئا
٦ ـ في ك : المقدم
٧ ـ سقطت في ك

بالمعاني الموجـودة فيه : فأما كونه حقاً فلكونه نهاية المنبعثـات من طريق الإبداع ، وكونه موجوداً أولا فلكونه موجوداً أولا من الإنبعاث ، وكونه واحداً فلكونه عقلا محضاً واحداً من نوع الإنبعاث الأول ، وكونه تامـاً فلوجوده عن التام، وكونه كاملا فلوجوده عن الكمال، وكونه أزلياً فلكونه متعلقاً بما يحفظ عليه وجوده ، وكونه عاقلا فلعقله ذاته بذاته ، وكونه عالماً فلعلمه بذاته وذات ما تقدمه ، وكونه قادراً فلوجود الإحاطة منـه بذاته ، وكونه حياً فلوجـود الفعل منه ، فهو تام كامل [١] ، ووجـوده عن السابق عليه لا بقصد منه أول ، وذلك أن قصد الموجـود الأول في ملاحظة ذاتـه بذاته ، وعقله إياها لا لأن يوجد عنه غير أول، بل لأن يفعل بذاته ما يوجبه كماله لذاته عقلا لها وإحاطة بها واغتباطاً بجالها ، وتقديساً للذي عنه وجوده عن أن يكون كهو مع كونه ذروة الفضائل [٢] ، ونهاية أولى لها، الذي كان عن فعله ذلك أولا ما أوجب سطوع نور الإنبعاث عنه ثانياً ، الذي هو تمامية الكمال وثمرته التابع [٣] وجودها لتلك الذات ، على ما تقدم الكلام عليه ، وما يكون وجوده على ذلك فليس بقصد أول وجـوده . يشهد بصحة ذلك من قوانين الصنعة الإلهية ما عليه أمر الأساس الذي هو الوصي في وجـــود مرتبته عن الناطق السابق عليه في الوجود وذلك أن قصد الناطق في قيامـه بدعوته ، ووضع مشارع نبوته ومراسم عالم العبادة والدين ، لم يكن لأن يقيم أولا وصياً له فيكون نصه عليه هو الغرض الأول في دعوته ، فيكون بكون قصده مقصوراً على ما دونه نقصاً في حاله ، بل لأن يفعل في أمره ما يوجبه كماله لذاته في استكمال ما به يستقر في ذروة الأزل اعتلاقاً بالسابقين عليه في الوجود عقلاً لها، وعقلاً لذاته، ومسرة بجال كماله، وتقديساً للمتعالي سبحانه[٤] الذي كان عن [٥] فعله أولا ما جر مرتبة الوصاية إلى الوجود ثانياً ، التي هي

---

١ - في ن : كاملا تاما
٢ - في ن : الفضل
٣ - في ن : تابع
٤ - سقطت في ن
٥ - في ن : من
٦ - سقطت في ن

من تمامية كماله ، وكون ذاته على حالة إذا لما يوجبه كماله ، لم يكن بد من أن توجد عنه هذه [٦] المرتبة التي وجودها تابع لوجود ذلك الكمال ، ومثل ذلك موجود في الحيوان الأشرف من جهة ما هو حيوان ، فإنه إذا بلغ كماله باستكمال أعضائه ، وقصد الإلتذاذ وحام حوله من جهة أعضائه وحواسه نكاحاً ، وليس قصده في فعله ذلك لأن يوجد عنه غير أول ، بل لأن يفعل ما يوجبه كماله في أعضائه وحواسه وقواه للالتذاذ الذي يكون عن فعله ذلك أولاً ما يجر إلى الوجود منه مثلا له ثانياً : فوجود المنبعث الاول عن العقل الاول الذي هو الموجود الاول لا عن قصد أول ، وحاله في الجلالة والعلاء والكبرياء والهيبة والسناء [١] والإغتباط والمسرة بحالته ورتبته وكماله ، كحال الاول الذي عنه وجوده ، إلا أن مسرته بما عقله وحصل له من صورة المتقدم عليه في الوجود أكثر من مسرته بإحاطته بذاته وعقله إياها بذاته ، بما تدل[٢] عليه حال الوصي القائم في عالم الدين مقام ذلك في عالم الإبداع ، فإن اغتباطه [٣] بما اطلع عليه من مرتبة الناطق وقوانين أمره ، وإحاطته بما هو متقدم عليه في الشرف ، لا كإغتباطه بما فوض إليه ورتب فيه ، بل أعظم ، فإن له بكل لحظة عن تلك الإحاطة والاطلاع والارتقاء إلى تلك المنزلة علماً من الغبطة والفرح ما لا يكون له عند لحظه مرتبته ، بكون ذلك دون ذاك ، وكون ذاك أشرف من هذا ، ولذلك قال مولانا جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه : « فرحي بسببي من علي بن أبي طالب أكثر من فرحي بنسبي منه » فالمنبعث الاول كامل الإغتباط من جهة السابق عليه في الوجود ، وهو قائم بالتسبيح والتهليل ، مشتاق وَلِهٌ حيران كالاول مقدس ، ذلك الملك المقرب المعرب عنه في السنة الإلهية بالقلم ، وإنما سمي ذلك بالقلم لكونه [٤] والاول من جنس واحد ، فتبارك من صنعه [٥] هذه الامور

---

١ — في ك : السماء
٢ — في ك : يدل
٣ — في ن : ارتباطه
٤ — في ن : كونه
٥ — في ك : صنعته
٦ — سقطت في ن

المتناهية في الشرف والعظمة ، وسبحانه وتعالى (٦) عما يقول الظالمون وصفا له علواً كبيراً ، ولا إله إلا هو . وأستغفر الله وأفوض أمري إلى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن يتوكل على الله (١) فهو حسبه ، والحمد لله الذي هدانا بمحمد وآله هداة الخلق، وأئمة الحق لذلك، وما كنا لنهتدي(٢) لولا أن هدانا الله ، ووليه سلام الله عليه .

١ - في ن : عليه
٢ - في ك : نهتدي

المشرع الثالث

« في المنبعث الثاني الأول [١] القائم بالقوة الذي هو الهيولى المسمى « في السنة الإلهية » [٢] باللوح ، وأن وجوده عن المبدع الأول لا عن قصد أول ، وأنه لا يشبه الأول ، ولا ما يجمعه وإياه حكم الإنبعاث الأول ، وما السبب في ذلك ، وأنه أصل لعالم الجسم؟ وأنه يجري من الموجودات الإبداعية مجرى الثلاثة من الأعداد »

●

نقول : قد تقدم من القول في كيفية الإنبعاث الأول الذي هو العقل الثاني ما يتصور معه أن وجود الموجودات عما يكون [٣] وجوده ذلك الوجود الأول ضرورياً من الأمور لا عن قصد أول ، ونقول : إن المبدع الأول لما كان في ذاته عقلاً [٤] يتعلق وجوده بإبداع المتعالي إياه سبحانه ، ومعقولاً [٥] يتعلق وجوده كذلك بذاته عن إحاطته بها ، كان بهذين الأمرين على نسبتين : ولما كان على نسبتين وكان على تلك الحالة التي بفضل كمالها تنبعث منها الموجودات ، ولم تكن هناك نسبة ثالثة على ما بيناه ، كان الموجود عنه اثنين أحدهما عن نسبة كونه عقلاً ، وهو أفضل الموجودين عقلاً قائماً بالفعل ، مثل النسبة الأشرف التي عنها وجد وهو الإنبعاث الأول المعرب [٦] عنه في السنة الإلهية بالقلم المقول عليه [٧] وعلى العقول كلها في دار الإبداع والإنبعاث ، لكونها شيئاً واحداً في باب كمالها وقيامها بالفعل على ما تقدم الكلام عليه ، وثانيهما عن نسبة كونه معقولاً مؤثراً فيه ، عقلاً قائماً بالقوة حياً مؤثراً فيه ،

---

١ — سقطت في ن
٢ — سقطت هذه الجملة في ن
٣ — في ك : تكون
٤ — في ن : فعلا
٥ — في ن : مفعولا
٦ — في ك : معرب
٧ — سقطت في ك

مثل بالنسبة الأدون في الشرف، وهو الانبعاث الثاني الأول المعرب عنه في السنة الإلهية باللوح ، لكونه قابلاً للصور [١] قائماً بالقبول ، كقبول اللوح من القلم صور [٢] التخطيط ، التي تعرف بالهيولى المقترن وجودها مع الصورة ، ووجود هذين عن المبدع الأول على ما هما عليه من كون أحدهما نسيباً له من جهة قيامه بالفعل فاعلاً ، والآخر نسيباً له من جهة قيامه بالقوة مفعولاً به، وكون أحدهما أشرف من الآخر لازم عن تلك النسبتين بكون النسبتين لا متكافئتين ولا متساويتين من كل الوجوه ، بل إحداهما أشرف من الأخرى، وذلك هو السبب الموجب لها أنها لا تشبه [٣] الأول ولا المنبعث الأول ، كالشمس والمرآة اللتين هما سببان لوجود المنبعث عنهما ، وهما على كونهما نسبتين [٤] ليستا بمتساويتين من كل الوجوه بل إحداهما أشرف من الأخرى ، والمنبعث عنهما من الشعاع نسيب للشمس بضوئه ، ونسيب للمرآة بهيئته . فهو أعني المنبعث الثاني الأول الذي هو الهيولى [٥] لا يشبه الأول ، ولا ما يجمعه وإياه لحكم الإنبعاث الأول ، ووجوده عن المبدع الأول لا بقصد أول لأن الإبداع الذي هو المبدع الأول ما قصد في إحاطته بذاته أن يكون عنه الهيولى هذا المنبعث الثاني الأول وغيرها ، إذ ذاك قصد دنيء لا يليق به ويصير [٦] به رذلا لا شريفاً ، لكون قصده لو كان لذلك لا للأمر الأشرف قصداً دنيئاً رذلا وكان بكون قصده لمثل ذلك رذلا لا شريفاً ، ومحال أن يكون ذلك المبدع الأول مع شرفه يقصد الرذل [٧] من الأمور ، بل قصده في الإحاطة بذاته القصد الأشرف الذي يتعلق بتقديس المتعالي سبحانه[٨] عن أن يكون مثلها، ثم لما كان يكون له بذلك في ذاته من الإغتباط والمسرة ، فكان وجوده عنه بالإنبعاث لكماله وجلاله أمراً ضرورياً ، إذ لم يكن له بد من أن يوجد عنه عند

---

١ - في ن : للصورة
٢ - في ن : صورة
٣ - في ك : شبه
٤ - في ن : نسيبين
٥ - في ن : الهيولا
٦ - في ك : يصار
٧ - في ن : الرذائل
٨ - سقطت في ن

ملاحظته ذاته تقديساً للمتعالي سبحانه عنها الذي هو القصد الأول ما هو ثمرة كماله ذلك ، كما بيناه فيما تقدم ، أن وجود الشعاع (١) عن إشراق الشمس في وجه المرآة الصافية ضروري (٢) لا بد منه (٣) ، كما أن وجود الضوء من النار عند اشتعالها واضطرامها لا بد منه ، وذلك أن الموجودات في وجودها على ضربين : منها ما هو بقصد ، ومنها ما هو بغير قصد ، فالذي يكون بقصد مثل تركيب الشمس في الفلك الرابع ، الذي قصد بذلك وجود الحيوانات ، إذ لو كانت قد ركبت في الفلك الأعلى لما كان تكوّن (٤) عنها حيوان لضعف إسخانها،ولو كانت في الفلك الأدنى لما كان تكوّن عنها حيوان لفرط إسخانها، فقصد بتركيبها في الوسط أن يكون عنها الحيوان . والذي يكون بغير قصد مثل هلاك الحيوان وامتناع (٥) الأمر في النشوء في المواضع البعيدة عن الاعتدال بالحر المفرط والبرد المفرط فيها الحادث وجودهما بالشمس مع كون القصد بتركيبها في موضعها لأن يكون عنها الحيوان والنشوء لا لأن لا يكون . ولما كان الأمر في وجود الموجودات على هذا منه (٦) بقصد ، ومنه (٧) بغير قصد ، وكان وجود المنبعث الثاني الأول الذي هو الهيولى لا عن قصد أول كما بينا ، بل كوجود الثلاثة من الأعداد بوجود الواحد والأثنين من غير وقوع الثلاثة تحت القول ، كقولنا واحد واثنان التي جملتها هي الثلاثة التي تقع تحت القول (٨) الحاصل وجودها بغير قصد ، ولم تكن له درجة المتعالي عليه في الشرف والرتبة، عمدت العناية الإلهية الشائعة في العقول البرية من الأجسام بقصد ثان لما قد فات هذا المنبعث الذي هو العقل القائم بالقوة المعرب عنه بالهيولى عند الحكماء ، وفي السفة الإلهية باللوح ، شرف العقول القائمة بالفعل إلى أن جعلته أفضل شيء ، أمكن أن يكون منه دون تلك الرتبة متشبهاً بما فوقه في (٩)

---

١ – سقطت في ك
٢ – في ن : ضرورة
٣ – في ن : منها
٤ – في ك : يكون
٥ – في ك : وامناع
٦ – في ن : عنه
٧ – في ن : عنه
٨ – سقطت في ك
٩ – في ن : بالشرف

الشرف ، وبلغته كماله الذي يليق به بسريان أنوارها فيه ، حتى انتقل عن رتبة الإمكان الذي هو الكمال الأول في أن يقبل زيادة إلى رتبة الوجوب الذي هو الكمال الثاني فلا يقبل زيادة عليه ، ولا انتقالاً عن حاله ، ولا تكون وراءه نهاية يمكن بلوغها في القبول ، وهو حد الكمال الأول والثاني فجعل منها أشياء فاعلة وأشياء مفعولة فيها ، لتكون أسباباً لوجود ما يمكن وجوده منها [١] مطابقة بهذه الحالة لما عليه ما سبق عليها في الوجود والكمال من الموجود الأول فكان الفاعل منها المتحركات من السماوات والكواكب ، والمفعول فيها منها الطبائع والمواليد . كما أنها – أعني العناية الإلهية – المركوزة في الطبيعة السارية في الموجودات لإعطاء كل شيء حقه من الوجود لما حصل عن قصد العقول البرية من الأجسام في ترتيب ما اكتسبته الصورة منها مراتبه ، ووضعه في مراكزه التي يليق بالحكمة فيها من إعلاء السماوات وكواكبها ووضع الطبايع مواضعها لتكون عنها بأفعالها وانفعالاتها ، المواليد الثلاثة مواد لم تقبل الصور [٢] الشريفة لا بقصد منها لتكون كذلك بل لوجودها عن نسب غير شريفة [٣] وانحطاطها بذلك عن تلك المراتب التي فوقها ، وقصورها ببعدها عنها وانحصارها وضيقها ، عمدت بقصد ثالث إلى هذه المواد التي لم تقبل الصورة [٤] الشريفة فأعطتها صوراً تليق بها على ما توجبه الحكمة لتنحصر في أشخاص معدودة ، وينحرس بانحصارها الهواء من الفساد ، فيبقى الحيوان ، إذ لو بقيت تلك المواد على حالتها في العفونة كانت الأهوية بها تنفسد ويهلك الحيوان، فجعلت منها الأليق بالأمر من أشخاص [٥] الحيات والعقارب والذباب والبقّ، وغيرذلك من ذوات السموم، وكل ذلك حتى لا يبقى شيء مما وجد بالإبداع فيتعطل ، بل ليوجد أفضل الوجود الذي يليق به ، ولأن يعلم أن العناية في كل شيء من الموجودات إما سارية فيها من

---

١ – في ن : منه
٢ – في ك : الصورة
٣ – في ن : شريف
٤ – في ن : الصور
٥ – في ك : شخص

فوق ، فكان بذلك فعل ، الطبيعة على ما هي عليه من القوة السارية فيها من عالم الإلهية في الانعطاف على ما [١] حصل عن قصد العقول البرية من الأجسام السابقة عليها في الشرف ، ترتيب الأجسام المصورة من المواد التي لم يمكن أن يكون منها أجسام عالية ، وخلقها منها الحيوانات الشريفـة وإدخالهـا ما لم يمكن أن يكون منها ذلك في جمـلة الموجودات بضرب من الخلق حسب مـا يليق بها ، مشابهاً لفعل العقول البرية بما حصل عن قصد الإبـداع الذي هو المبدع الأول السابق عليها في الشرف تقديس [٢] المتعالي سبحانه وتسبيحه[٣] إياه وإحاطته بذاته واغتباطه بها ، من الهيولى التي لم تكن لها درجة المتعالي عليها في الشرف من العقل القـائم بالفعل ، ولا كانت في مثل منزلتها بأن جعلتها بما سرى فيها من أنوارها مشابهة لذواتها في الفعل وأسبابـاً لوجود غيرها، وأكسبتهاصوراً تليق بها من الأفلاك والكواكب وغيرها، والموجودات بتطابقها متوازنة ناطقة بتمام العناية بها في إعطائهـا كل شيء منها حقه الذي يليق به ، موجبة أن ما وجد عن الأول من الهيولى صار مادة للعقول البرية فيها تعمل، وما حصل عن العقول البرية فيما فعلته من عالم الجسم دون الأفلاك من المواد صار [٤] مادة للطبيعة فيها تعمل في إخراج المواليد ، وما حصل من الطبيعة فيما أخرجته من المواليد من المواد التي لم تقبل فكانت نهـاية الفساد انعطفت عليها بأن كفت شرها عن الحيوان ، وما قبل منها انتهت به العناية إلى ما بلغته كماله [٥] ليكون قائماً عند انتهاء الحركات أجلها واستتمام الأدوار أمرها [٦] سلام الله عليه فسبحان من كانت هذه عنايته ، وهذا [٧] صنعه ، والسكوت عنه بعد المعرفة بلوغ الغاية في تقديسه وتنزيهه [٨] .

---

١ – في ن : علاما
٢ – في ك : تقدس
٣ – سقطت في ن
٤ – في ن : صارت
٥ – سقطت في ك
٦ – في ك : امدها
٧ – في ن : وهذه
٨ – سقطت في ن

يصحح جميع ما أوردناه [١] من ذلك ويدل عليه ما يوجبه ميزان الديانة المنصوب بين أولياء الله لتحقيق الأشياء ومعرفتها من شهادته عنه ، كون الناطق في دار الجسم ذي نسبتين : نسبة الى عالم القدس بكون شرفه الذي هو الكمال الثاني منه وهي الاشرف ، ونسبة الى عالم الطبيعة بكون ذاته في وجوده الذي هو الكمال الاول منه ، بأن الإبداع الذي هو المبدع الاول والعقل الأول ذو نسبتين : نسبة إلى ما عنه وجد سبحانه وهي الأشرف ، ونسبة إلى ذاته ، وعن وجود الوصي عنه بنصه عليه وإقامته إياه مقام نفسه بالفعل[٢] وكونه من جنسه وشبهه[٣] ووجود الكتاب عنه ، وكونه معمولا فيه ، بأن الموجود عن المبدع الأول اثنان كما تقدم ذكره ، أحدهما مثله وهو العقل المنبعث عنه القائم بالفعل كهو مثل الوصي الذي هو شبه الناطق ، وهو القائم مقامه بالفعل ، والآخر لا كهو وهو القائم بالقوة الذي هو الهيولى المفعول فيها مثل الكتاب المعمول به القائم بما يجمعه من العلوم بالقوة ، وعن كون الكتاب لا كالناطق ولا كالوصي ، بأن الهيولى لا كالمبدع الأول ، ولا كالمنبعث الأول ، وعن كون الكتاب أصلا لوجود رسوم الشريعة وقانونها ودعائمها ، وكونه من الأئمة القائمين مقام الناطق في التعليم والسياسة كالمادة التي تعمل فيها الصناع يخرجون من العلوم التي هي صور المعلومات الأبدية ، بأن الهيولى أصل لوجود السموات والكواكب والطبائع ومواليدها وأنها تجري من العقول البرية مجرى المادة تعمل فيها وتوجد منها الأجسام المصورة المحسوسة ، وعن كون الكتاب في وجوده غير مجرد عن أحكام الشريعة وسننها [٤] بل وجوده بما يجمع السنن والأحكام معاً . بأن الهيولى وجودها لا وجود مجرد عن الصورة بل وجودها والصورة معاً . وعن كون الكتاب والشريعة وما جاء به الناطق وإن كان جامعاً للحكم متضمناً لها محتاجاً إلى من يقوم بالتعبير عنه ويعرب ، من الأئمة عليهم السلام

---

١ ـ في ك : اردناه
٢ ـ في ن : بالعقل
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : وسنتها

فيكون فاعلاً في النفس [١] قائماً بالفعل ، بأن الهيولى الموجودة عن المبدع ، وإن كانت ذات صورة ، فهي محتاجة إلى تأثير العقول المنبعثة فيها لتصير بسطوع أنوارها فيها قائمة بصورتها فاعلة في غيرها . وعن كون وجود ما جاء به الناطق وبسطه [٢] وأقامه من الوصي مقامه عن الناطق[٣] لا عن قصد منه لنيل الرياسة الدنياوية وحب الغلبة والقهر وطلب الملك العاجل ، بل عن قصده من إحاطته ذاته بذاته بما امتد إليه من الأنوار القدسية تقديس الله تعالى ، ونيل السعادة القصوى بالعبادة وإكمال الغير وحفطه ما ناله من الكمال الثاني بالمنزلة التي رقي اليها ، وانتصابه لما يدعو إلى البقاء بأن وجود الهيولى عن المبدع الأول لا عن قصد منه له ، على ما ذكرناه فيما سبق ، بل عن قصد التقديس والمسرة بذاته ، على الوجه الذي تقدم ذكره ، وعن قيام الناطق بتعليم الكافة واستفاضة بركته فيها واختصاص وصيه والقائمين مقامه من الأئماء بكل علومه حتى أنهم كهو في باب الكمال ، بأن نور الإبداع سار في الموجودات أجمع، وأن المختص بكونه مثل [٤] المبدع هو المنبعث الأول ، ومن كان في مثل [٥] حاله في الإنبعاث ، وعن نظر الناطق إلى ما جاء به ، وقرأه وعمله ، وانعطاف القائمين مقامه الموجودين عنه بنصه عليهم في تفريع فروعه وبسط أحكامه [٦] حتى صار في كونه [٦] عالماً برأسه ، وقيامه بأركانه من الشهادة والطهارة والصلاة والزكاة والصوم، والحج والجهاد والفقه والأحكام ، سبباً لوجود المواليد الروحانية كما صورناه ليعاين ، بأن العقول الخارجة عن الأجسام انعطفت على الهيولى فسرت أشعتها فيها ، فكان منها عالم الجسم بسمواته وكواكبه وطبائعه ، ليكون سبباً لوجود المواليد الجسمانية على ما صورناه ؛ وعن قصد الناطق والقائمين مقامه إلى سياسة الضلال والمنافقين ، الذين بعدوا عن قبول إشاراته وثقلوا عن النهوض بأعباء ملكوته ، وظهرت عداواتهم له خاصة عند تعليمه وصيه وتقديمه إياه على غيره بحسن إيمانه وقبوله ، ولم يمكن أن يكون منهم الحدود السفلية في

---

١ – في ك : الانفس
٢ – سقطت في ك
٣ – سقطت في ن
٤ – في ن : مثال
٥ – في ن : مثال
٦ – في ك : حكامه

عالم الدين والعبادة بالموعظة الحسنة التي فيها صلاحهم ، وإعطائهم ما يليق بهم باعتقاداتهم ، وتهواه نفوسهم[١] من دنياهم ، مثل المؤلفة قلوبهم حتى يكفوا عن الشر فيكون ذلك صلاحا لهم ولغيرهم ، بكونهم كذلك بأن الطبيعة أقبلت[٢] على المواد التي لم تقبل الصور الشريفة ، وكانت عفنة ببعدها عن مركز وجودها بها يتعلق فساد الهواء فأعطتها ما يليق بها من الصور[٣] فجعلت منها أشخاص الحيات والعقارب ، ولذباب والزنابير والبق وغير ذلك لئلا يعم هلاك الحيوان بفساد الهواء عنها ؛ وعن قصد الناطق والقائمين مقامه إلى أن جعل التابعين لهم بعضا منهم معلمين بمنزلة المؤثرين مثل الوصي والأئمة عليهم السلام ، وبعضا منهم متعلمين بمنزلة المؤثرين والمؤثر فيهم مثل الحجج والدعاة والمأذونين الذين يتعلمون ممن فوقهم ويعلمون من دونهم ، وبعضا منهم متعلمين بمنزلة المؤثر فيهم فقط ، بأن العناية السارية في دار الطبيعة من جهة العقول الخارجة جعلت[٤] بعض الأجسام شريفا مؤثراً مثل الأفلاك والكواكب ، وبعضها مؤثراً ومؤثراً فيه مثل الطبائع الأربع[٥] التي هي مؤثر فيها ومؤثرة في غيرها من المواليد ، وبعضها مؤثراً فيه فقط مثل المواليد التي هي مؤثر فيها من جهة السموات والكواكب والطبائع كلها . وإذا كانت موازين الديانة قد طابقت بقوانينها ووازنت هذه الموازنة بما أوردناه[٦] من أمر الموجودات السابقة في الوجود فقد ظهر صدق الناطق ورأفته ورحمته وهدايته ، وحق الطريق إلى المطلوب وصح ، وانحلت معاقد الشكوك في ذلك وثبت أن الهيولى هو شيء ما يمكن أن يقبل الصور فيكون بما قبله من الصور موجوداً للحس ، وأن وجودها عن الأول ضروري ، وأنها هي المعرب عنها باللوح الذي أودع كل الصور ، وأنها بكونها قائمة بالقوة لا بالفعل لا تشبه المبدع الأول ولا المنبعث الأول ، وانها تجري من تلك العقول الخارجة

١ – في ن : انفسهم
٢ – في ك : قبلت المواد
٣ – في ك : الصورة
٤ – في ن : فعلت
٥ – في ن : الاربعة الطبايع
٦ – في ك : اردناه

المنبعثة مجرى المواد التي[١] فيها يعمل الصناع ، وأنها لا وجود لها خارج النفس[٢] وجوداً مجرداً عن الصور[٣] بل وجودها كذلك في الذهن فقط ، ولا تدرك خارج النفس إلا مشغولة بالصور ، وأن منزلتها من الموجودات منزلة الثلاثة من الأعداد ، بكونها ثالثا في الوجود وإن كان غير[٤] واقع عليه العدد بالقول ، وموجوداً بوجود الواحد والاثنين ، وأن وجود السموات

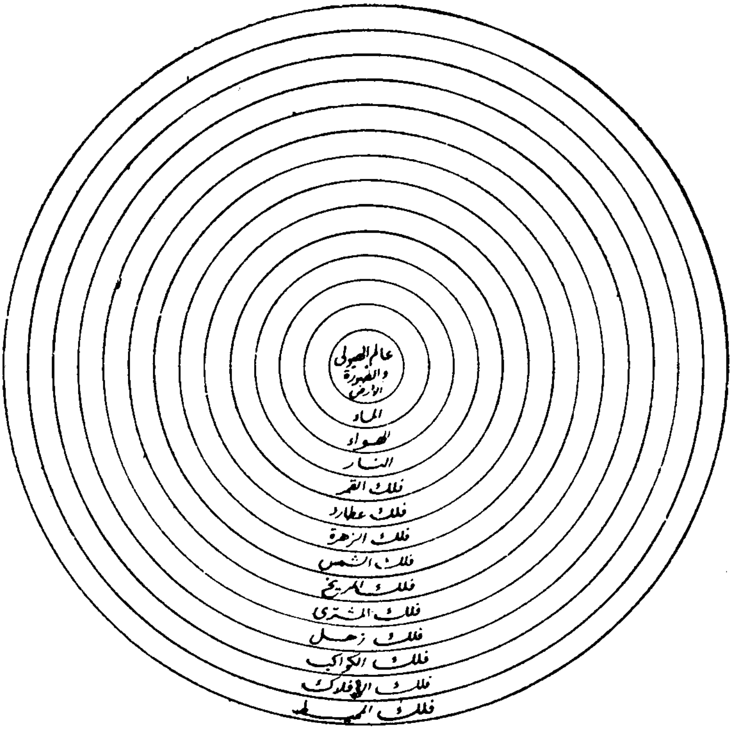

هذه صورة عالم الهيولى والعقول الخارجة عنها في تأثيراتها فيها ليكون منها عالم الطبيعة بتوفيق الله سبحانه

---

١ – في ك : اللواتي
٢ – في ن : الانفس
٣ – في ن : الصورة
٤ – في ك : غيره

والكواكب منها بقيام كل عقل خارج بإزاء كل منها، وسطوع نوره فيه[١] موازن لعالم الدين في وجود أركان العبادات من الكتاب بقيام كل حد بإزاء كل ركن منها، وعنايته له على ما صورناه فيما بعد. والحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي[٢] العظيم، ما شاء الله استغفر الله واستعينه، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. ثم الحمد لله وشكراً على ما رزقنا من جمال التباعة، وجعلنا من أهل الطاعة، وأقامنا[٣] ولأليائه واصفيائه وخزان علمه[٤] وبيوت أنواره أبوابا، معنا مفاتيحها وأقفالها، ومنه نسأل أن يختم لنا بخير[٥] ويجعل سبيلنا إلى خير برحمته وقدرته.

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : اقمنا
٤ ـ في ك : علومه
٥ ـ سقطت في ن

المشرع الرابع

« فى العلة التى لأجلها كان وجود ما وجد عن المبدع الأول الذي هو الموجود الأول لا من جنس واحد »

●

نقول : لما كان المتعالي سبحانه وراء ما تحصره سمة الوجود من الجواهر والأعراض التي وجدت بإبداعه سبحانه إياها ، وتعالى عن أن يكون مرتباً في الوجود، فيشاركه موجود فيكون ذلك آية موجبة[1] لما يكون تعلقها جميعاً في وجودهما به سبحانه عن ذلك ، كان الموجود عنه بالإبداع مترتباً في أول مرتبة من مراتب الوجود ، بكونه أولا في الوجود ، ولما كان الموجود عنه[2] تعالى بالإبداع مترتباً في أول مرتبة من مراتب الوجود. بكونه أولا في الوجود لم يجز لكون[3] وجوده عن الذي يتعالى عن سمة الجواهر والأعراض أن يكون ذا كثرة في ذاته بأن يكون منها شيء لا يشبه شيئاً منها لكون كثرته في ذاته على ذلك لوكانت معللة ما عنه وجوده موجبة ما تستند الهوية المتعالية سبحانها فيما هي هي إليه ، وما به يستحيل وجود الموجودات إن لم يكن متجرداً[4] عن سمة الوجود ما وجوبه محال : وذلك أن الكثرة في الذات بأن يكون منها شيء لا يشبه شيئاً[5] منها وجودها لا يكون إلا عن علة موجبة لها بأن تكون ذات كثرة بوجه من الوجوه : إما بالنسب أو بالمعاني ، إذ لا يجوز أن يوجد في المعلول إلا ما كان في علته موجوداً ، إو إفادته علة أخرى بما فيها ، ولو كان هذا الموجود الأول ذا كثرة بالذات لاقتضى كونه على ذلك أن يكون ما وجد عنه موجودة فيه الكثرة ، ولو كان ما وجد

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : منه
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ك : منفردا
٥ ـ في ن : شيء

عنه متكثراً لاقتضى وجوده كذلك هوية تتأول عليــه . ثم لو كانت تلك الهوية متكثرة أيضاً لاقتضت هوية أخرى ، وعلى ذلك إلى ما لا يتنـاهى ، حتى كانت الموجودات لا تستند في وجودها إلى ما يعطيها الوجود بثبـاته . وكونه[١] عرياً مما لا تتعرى منه الموجودات من تعلق بوجودها بما به وجودها الذى هو آية الحدث ، وكانت الموجودات بكونها لا تستند في وجودهـا إلى ما يعطيها الوجود بثباته على ما بينا وجودها محالا ، ولمـا كانت الموجودات موجودة ثبت أنها مستندة في وجودها إلى ما يباين الموجودات ، ولا يناسبها في شيء مما لها لا في كثرة بالذات ، ولا بالمعاني ، ولا في قـلة ولا في شيء من الأشياء المقولة[٢] على الجواهر والأعراض الذي[٣] بينا أنه إن لم يكن كذلك استحال وجود الموجودات . واذا كانت الموجودات وجودها عمن لا يحتمل كثرة ولا قلة ولا صفة من الصفات ، كان الموجود الاول غير متكثر بالذات ولا جائز ان يكون كذلك كما بينا. وإذا كان غير متكثر ولا جائز ان يكون كذلك ، وجب ان يكون شيئاً لا يكون من ذاته ما لا يشبه شيئاً منها ، بل محضاً كلا فرداً واحداً أحداً من جهة وجوده عن المتعالي سبحانه[٤]. ولما كان الموجود الأول فرداً أحداً على ما تقدم الكلام عليه في صدر الكتاب[٥]، لم يجز أن يكون الموجود عنه هذا الفرد الأحد الموجـود أولاً فـرداً واحداً بكون هذا الموجود الأول شاغلاً مرتبة الواحدية بسبقه في الوجـود إليهـا وكونها له حقاً. ولما لم يجز كان الموجود عن الفرد الأحد الواحد زوجاً الذي هو[٦] مرتبة ما يوجد بعد الفرد مقابلاً لما عليــه ذاتــه من النسبة التي لها بالإضافات لا بالذات ـ على ما بينا فيما سبق ـ فقد اتضح بذلك أن العـلة في وجود ما وجد عن المبدع الذي هو الموجود الأول لا مـن جنس واحــد

١ ـ في ك : لانه
٢ ـ في ن : المعقولة
٣ ـ في ن : التي
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ في ك : هذا الكتاب
٦ ـ سقطت في ك

سبحانيته المتعالي سبحانه[١] عن مرتبة الواحدية والأحديه التي هي آية اختراعه، وخلوصها للموجود الأول بالإبداع الذي يوجب كونه فيها أن يكون ما يوجد عنه لا من جنس واحد فيكون واحداً ، بل من جنسين متغايرين بالذات[٢] ليكون[٣] إثنين بحسب النسبتين التين هما يختصان[٤] بعلتهما على ما قدمنا الكلام في بابها . ولو كان الموجود عن المبدع الذي هو الموجود الأول واحداً ، وجنساً واحداً لاقتضى أن يكون ما وجد عنه[٥] الذي هو الموجود الأول هو المتعالي عن الواحدية والأحدية والأولية، الذي يكون الموجود عنه واحداً أولاً ، فلما لم يكن كذلك كان زوجاً ، فلما كان زوجاً وجب أن يكون لكل من الفردين االذين بهما ذات الزوج ما يباين به صاحبه ويغايره لتثبت الإثنينية وإلا فلا فرق ، فسبحانية من له الإبداع والأمر عن أن يكون مترتباً[٦] في مرتبة يستحقها ما وجد بإبداعه ، وخلوص المرتبة[٧] الأولية في الوجود للإبداع الذي هو المبدع هو علة لكون وجود ما وجد عنه المبدع الأول لا من جنس واحد . ثم كون الموجود الأول في الرتبة الثانية من الوجود علة لكونه لا من جنس واحد إذ تلك المرتبة مرتبة الإثنينية ، والإثنينية ، لا تصح إلا بوجود التغاير في الذات ، وأن يكون كل واحد من طرفي الإثنينية لا من جنس واحد . ثم كون المبدع الذي هو الموجود الأول جامعاً للنسبتين : إحداهما كونه بإضافته إلى ما وجد عنه إبداعاً وثانيتهما كونه بإضافته إلى ذاته مبدعاً ، يوجب بكونه علة للموجودات أن يكون الموجود عنه إثنين ، والإثنينية لا تثبت إلا بوجود التغارير ، فكون المبدع على ذلك علة لأن[٨] يكون ما يوجد عنه لا من جنس واحد يطابق ما ذكرناه من ذلك ، ويقطع الشهادة بصحته ما يوجبه[٩]

١ - سقطت في ك
٢ - في ن : الذوات
٣ - في ك : يكون
٤ - في ك : يختصمان
٥ - في ن : منه
٦ - في ن : مرتبا
٧ - في ن : الرتبة الاولى
٨ - سقطت في ن
٩ - في ن : يوجب

ميزان الديانة في السنة الإلهية ؛ وذلك أن الناطق لما كان في عالم الدين كالمبدع الأول في عالم الإبداع ، وكان في ذاته متكثراً بأن من ذاته ما هو عقل [١] ، ومنها ما هو شخص كان كونه على ذلك معللا لما عنه وجوده من عالم الإبداع الذي منه عقله [٢] ، والجسم الذي منه شخصه موجباً أن كلا العالمين اللذين هما علتان في وجوده يتعلق وجودهما بغيرهما الذي[٣] ليس بمثل لهما يكون تكثره في ذاته عن الكثرة التي فيهما ، وكون الكثرة التي فيهما موجبة لما يتعلق به وجودهما . ولما كانت الكثرة في ذاته وجودها عن الكثرة الموجودة في علتيه اللتين منهما وجوده ، قلنا إن الموجود الأول الذي هو المبدع بكونه نهاية للموجودات التي ليس وراءها من وجود يلزم أن يكون سبيله في الكثرة لا كسبيل الناطق في تكثره ، إذ لو كان تكثره كهو لكان سبيله في تعليل ما عنه وجوده سبيل الناطق الذي علل بكونه ذا كثرة بالذات ما عنه وجوده ووجب به [٤] ما وجوبه محال . وإذا كان سبيله في الكثرة لا كسبيل الناطق كان كونه أولاً في الموجودات ونهاية لها علة سالبة إياه الكثرة في الذات ليكون كونه على ذلك موجباً وجود الموجودات مثبتاً ما عنه وجوده ، متعرياً مما [٥] تلزم به آية توجب تأول غير عليه : فكون أولية الناطق في عالم الدين وسلامة هذه المرتبة التي هي الواحدية له بأن لم يترتب [٦] فيها من الحدود السفلية من يشغلها ، وتكثره في ذاته على ما قلنا التي هي العلة في أن يكون ما يوجد عنه إلا شيء واحد [٧] ، ولا من جنس واحد بل من جنسين حدود قائمة بالفعل وكتاب وشريعة قائمة بالقوة محتاجة إلى الحدود الذين يحفظونها بها ، وفيها موجب في ميزان الديانة أن أولية المبدع من الموجودات وسلامة هذه المرتبة [٨] التي

---

١ – في ك : فعل
٢ – في ك : فعله
٣ – في ن : التي
٤ – في ك : منه
٥ – سقطت في ك
٦ – في ن : يرتب
٧ – في ك : شيئا واحدا
٨ – في ن : الرتبة

هي الأحدية والواحدية له يتعالى من له الأمر والإبداع عنها ، وتكثره بالنسب [1] فهي العلة في أن يكون ما يوجد عنه لا شيئاً واحداً ولا جنساً واحداً بل جنسين : عقول قائمة بالفعل، وعقول قائمة بالقوة، فقد تبين بما أوردناه الحال في العلة التي لأجلها كان ما وجد عن المبدع الأول لا من جنس واحد . والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله [2] ، أستغفر الله وأستعينه وأتوكل عليه ، وأفوض أمري إليه إنه بصير بالعباد ، وأقول اللهم اختم لنا بخير واجعل منقلبنا إلى خير ، وسهل لنا الخير بحق محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم .

---

١ ـ في ن : بالنسبة
٢ ـ سقطت في ك

المشرع الخامس

« في الحروف العلوية التي هي المباديء الشريفة في عالم الانبعاث الأول، وعددها وما الذي وجد عن كل شيء[1] منها ، وكيف كان وجوده ؟ »

●

لما كان لأهل كل مطلوب ومر غوب فيه قوانين يرجعون إليها في معرفته وهي تجري منهم مجرى الميزان الذي به تعرف صحته في كونه مناسباً لنظام الحق ، مثل أهل اللغة الذين قانونهم في المعرفة بها وميزانهم في علم الخطأ والصواب في أقوالهم فيها ، النحو ، ومثل أهل الفلسفة التي هي معرفة معاني الوجود بزعمهم الذين ميزانهم فيها المنطق ، ومثل أهل الشعر الذين ميزانهم في معرفة انزحاف الشعر واستواء[2] العروض ، ومثل أهل المساحة الذين ميزانهم في معرفة كمية الأقطار وطولها وذوي المساحات : الذراع ، ومثل أهل الأوزان الذين ميزانهم الصنجات[3] والقبان ، كان لأهل الديانة والعبادة التابعين للذرية الطيبة موالينا أهل البيت صلوات الله عليهم ميزان به يعلمون ما يتعلق بأمر أديانهم[4] حقيقة ، ومن جهته يعرفون صحة ما جاءت به أنبياء الله ، ودعوا إليه في عبادة الله من معالم التوحيد ومعرفة مقامات الحدود ، وبكونه على صيغة تشهد لما يوافقها بكونه حقاً ، ولما يخالفها بكونه باطلا، وهو الذي يشوق إلى العقل فتعرف[5] به ما غاب عنها وما حضر ذلك آثار خلق الله من الآفاق التي تجمع عالم الجسم بما يحويه من متحرك وساكن، والأنفس[6] التي هي أولياء الله أجمع من نبي ووصي وإمام وتابع ، وما انزله من كتابه وأحكامه المؤسس أمرها على مثال ما سبق عليها في الوجود من

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ك : واستوائه
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ في ن : ليعرف
٦ ـ في ك : النفس

العوالم[١] ، الذي دل عليها بقوله تعالى وقوله الحق : « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[٢] » فما وافق خلق الله تعالى وطابقه من الأوامر والشرائع أخذوا به واثقين بأنه صحيح ، وما نافاه وخالفه منها اطرحوه[٣] عالمين بأنه سقيم ، وما غاب عن[٤] الحواس أخذوه على صيغته واعتقدوه على مثاله من قانون الشريعة ، وأصل الخلق .

ولما كان النبي صلى الله عليه وآله قد أقامه الله تعالى[٥] هادياً لعباده إلى ما فيه صلاحهم من العبادة بالعلم والعمل وأيده بملكوته فأكمله ليرم شعث نقصهم بكماله ، ويسد خلل عجزهم عن طلب مصالحهم دنياً وديناً بأفضاله ، ويتحمل عنهم والقائمون مقامه أثقال الطلب في ذلك الذي يؤودهم[٦] ولا يكلون له بذواتهم فيرد بهم مناهل التعليم منة منه تعالى عليهم وطولا ورحمة بهم كما قال تعالى وقوله الحق : « وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ[٧] » (الآية) الذي معناه في التأويل تعليما من الناطق لتابعيه أن المتعالي سبحانه وتعالى قد أوجد حدوداً له ، منهم في دار العقل[٨] ، ومنهم في دار الحس ، كل واحد منهم كجنة ، تحتوي العلوم الإلهية وذلك قوله تعالى : « وَهُوَ الذي أَنشَأَ جَنَّاتٍ[٩] » وأن من هذه الحدود من لا يحتاج في وجوده إلى غير يستند إليه فيه مثل قوله: « وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ[١٠] » ومنها من يحتاج في وجوده إلى

---

١ ــ في ك : عوالم
٢ ــ سورة ٤١ آية ٥٣
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ن : من
٥ ــ سقطت في ن
٦ ــ في ك : يودهم
٧ ــ سورة ٦ آية ١٤١ ، ١٤٢
٨ ــ في ن : الفعل
٩ ــ سورة ٦ آية ١٤١
١٠ ــ نفس الاية والسورة

غير يستند إليه فيه مثل قوله : «معروشات» وأن ثمرة هؤلاء الحدود التي هي العلوم وإفادتهم مختلفة ، فمنها ما يكون تأييدياً[١] عقلياً ، ومنها ما يكون تعليمياً حسياً بقوله: « وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ[٢] » وأن تعليم الأساسين ودعوتهما في زمانهما والفرعين في حينهما متشابه وغير متشابه بقوله : «وِالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ متشابهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهِ[٣]» ، فاستفيدوا منهم إذا قام واحد منهم بالدعوة إلى توحيد الله، وعبادته بالعمل والعلم بقوله : « كُلُوا مَنْ ثَمَرِهِ إذا أَثْمَرَ[٤] » وأخرجوا من حق الله بالقيام بإحياء الملة ورسومها التي هي حق الله في رقابكم لتؤدوه ولا تعدلوا عن الواجب في دين الله فيكون اسرافاً ، فإن الناطق والإمام في وقته القائم مقام الله تعالى في أرضه لا يرضى منكم ذلك ولا يؤثر لكم تكلف ما لم تكلفوا[٥] إياه فتكونوا من الزائدين في دين الله ما ليس من الدين، ثم قال تعالى :« وَمِنَ الأَنعامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً[٦] » أي أنه قد أقام من الحدود السفلية من يتحمل عنكم المشقة والتعب في طلب مظان الحق في دين الله فيرد بكم في التعليم[٧] والهداية مناهل البركات في توحيد الله ويقين عبادته ظاهراً وباطناً ، كما تتحمل الإبل عنكم الأثقال في الإسفار وعند الارتحال من الديار إلى الديار ، مثل الإمام المؤيد من السماء عليه السلام الذي يبسط بحدوده لكم من الشرح والبيان عن الرموز في شرح[٨] الدين ما يكون دثاراً لكم وفرشاً ، كما يعمل من وبر الأنعام وصوفها ما يبسط من الفرش ويتدثر به ، مثل الحجج والدعاة ، فاستفيدوا ممن أقام[٩] الله بين ظهرانيكم من الإئمة وحججهم أرزاقكم من علوم توحيد الله ومعالم عبادته ظاهراً وباطناً ، وغير ذلك على ما شرحناه في رسالتنا المعروفة «بالليلية» وجعله مثلاً للحد الأول لتكون من معرفته والإحاطة بمرتبته

١ – في ن : تأيدا
٢ – سورة ٦ آية ١٤١
٣ – في ن : متشابه سورة ٦ آية ١٤١
٤ – نفس الاية والسورة
٥ – في ك : تكلف
٦ – سورة ٦ آية ١٤٢
٧ – سقطت في ن
٨ – في ك : شرع
٩ – في ن : قام

الإحاطة بمعرفة ذلك الحد، فقال تعالى: «مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ[١]» الذي معناها في التأويل أن مثل الكلمة التي هي الحد الأول القائم بالفعل في عالم الإبداع كشجرة طيبة أي كالناطق القائم بالفعل في عالم الطبيعة، سلك صلى الله عليه وعلى آله، في التعليم والدلالة على الموجودات والهداية إلى اقتناء السعادات وتأليف الشرع وبسط السياسة الإلهية مناهج التشابه بالصانع فيما صنعه ليكون شرعه ـ لكونه ميزاناً للمعالم الإلهية ـ على صيغة موازنة مطابقة للخلق، فوضع بإزاء كل موجود سنة من السنن وأمراً من الأمور ليكون قد دل على ما علا[٢] من الحدود في دين الله وكيفية أمرهم في وجودها بما دنا وحضر منهم، وتحصيل بمعرفتهم الإحاطة بتلك الأشياء العالية وتصور مراتبها؛ وجعل القائمين مقامه مهيمنين على هذا العلم مختصين بفضيلته، وتابعيهم المنتسبين إليهم بحسن طاعتهم وعبادتهم لله تعالى. ولما كان ذلك كذلك اعتمدنا في[٣] الإستشهاد على صحة ما تقدم الكلام عليه من وجوب وجود حدود عالية ليست في جسم ولا بجسم، وتحصيل العلم بمراتبهم وإعدادهم بالحقيقة ميزان الديانة بالنظر في قانون الصنعة النبوية والسنة الإلهية، وازنين ما جاء به الناطق وأقامه من مراتب الحدود السفلية، وإيجاب الأمثال بمثلها بقوة ولي الله في أرضه صلوات الله عليه الممتدة إلينا، لنتصور وكيد العناية من فوق بمن في عالم الطبع، ونؤدي حق الشكر عليه؛ فحكمنا من مقام الناطق في هذا العالم وكونه عقلا تاماً سائساً لمن دونه، جامعاً للفضائل النبوية والأنوار الملكوتية مستغنياً عن غيره، وسبباً لوجود الحدود السفلية على أن في عالم الإبداع عقلا محضاً مبدعاً مستغنياً هو سبب لوجود الحدود العلوية خاصة، ولوجود الموجودات عامة، ومما وجد عنه وتركه صلى الله عليه وعلى آله فيما بين للأمة من كتابه وأحكامه، ووصيه الذي أقامه مقام

---

١ ـ سورة ١٤ آية ٢٤
٢ ـ في ن: على
٣ ـ في ن: بالاستشهاد

نفسه على أن الموجود عن ذلك العقل الأول اثنان ؛ وأن أحدهما أشرف من الآخر كشرف الوصي القائم بالفعل القيم بجميع ما جاء به على ما تركه ، ومن كونه تمامية دوره بأتماء سبعة ، وقيام كل منهم بنص[١] من تقدمه صاعداً إلى الأساس ، وعمل كل منهم في كل[٢] ركن من أركان الدين ودعائم الإسلام الذي[٣] جاء به الناطق لإظهار الحكم والمعارف المتضمنة تحته ، على أن الموجود عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة ، ووجود كل منها عن الآخر صاعداً إلى المنبعث الأول ، وأن كلا منها ساطع[٤] سار فيما وجد عن الأول من الهيولى والصورة التي منها وجود السموات والأرض وحركاتها ؛ ومن تمامية الدور بالسبعة بعد الناطق والأساس وقيام العاشر في مقام الناطق بالدعوة إلى أمر جديد في دور آخر على صيغة ما تقدم ، على وقوف الانبعاث عن وجود المثل عند انتهائه إلى العاشر من العقول ، وقيام العاشر مقام الأول في تدبير امر دار الجسم[٥] على تلك الصيغة ، ومن كون أئمة كثيرة كما بينا في رسالتنا المعروفة « بالوحيدة في المعاد » ، ورسالتنا المعروفة « بالواعظة » فيما بين الأتماء السبعة ، على أن بين العقول المنبعثة ملائكة كثيرين بحسب كثرة الأكر في دار الجسم ؛ ومن كون مراتب الأئمة شيئاً واحداً من الإمامة والكمال ، على أن مراتب العقول شيء واحد في كونها برية[٦] من الأجسام والمواد . ثم استشهدنا من الأعداد ومراتبها في الوجود فأعطت[٧] من ذاتها ما طابق ما أوردناه ، وذلك أن وجود الواحد كما كان بفردين هما عين ذاته أحدهما الوحدة ، والآخر حاملها ، وكان كل من الفردين يستحق من الفردانية ما يستحقه الآخر ، وكانا من هذه الجهة فرداً محضاً ،

---

١ – في الاصول والاحكام الاسماعيلية يجوز ان تنتقل الامامة من الاباء الى الابناء ، ولا تنتقل من اخ الى اخ ، ويكون انتقال الامامة بموجب النص من الاب بتعيين الابن ، والامام بما اوتيه من معرفة خارقة يستطيع ان يعلم متى يكون وقت هذا النص .

٢ – سقطت في ن

٣ – في ن : مما

٤ – سقطت في ك

٥ – في ك : جسم

٦ – في ك : بريئة

٧ – في ن : أعطت

ومن جهة كون أحدهما حاملا والآخر محمولاً فردين ، أوجبت الموازنة أن يكون المبدع الذي هو الواحد الأول في دار الإبداع وجوده عن فردين هما علة لوجوده، ومنهما عين ذاته أحدهما الحياة التي هي الكمال الأول ، والآخر ما يتبع وجوده الذي هو الكمال الثاني على ما بينا ، وكل من الحامل والمحمول يستحق من الإبداعية ما يستحقه الآخر ، وهما من هذه الجهة فرد محض [١] ، ومن جهة كون أحدهما حاملا والآخر محمولاً فردان ، كما أن الناطق في دار الطبيعة ، ذو نسبتين : نسبة إلى عالم القدس بصورته ، ونسبة إلى عالم الطبيعة بمادته ، فهو من جهة ذاته فرد بأنه واحد ومن جهة نسبته[٢] إثنان ، وإنما صار الإبداع فرداً من جهة وزوجاً من جهة لتقوم الدلالة بوجود الإزدواج فيه الذي هو آية الإختراع في الوجود على أنه لا أزلي الأول ، بل متناه في وجوده إلى مبدعه سبحانه ، وليستبين البرهان[٣] بوجود الفردانية فيه بأنه أول الإختراع . ولما كان محصول ضرب الفرد في الفرد واحداً كان ذلك موجباً أن الحاصل من طرفي الإبداع ــ أعني الفردين اللذين بهما عين الواحد ــ هو الواحد الجامع للوحدة والكثرة جميعاً ، هذا من جهة ، وهذه من أخرى . وإنما كان الفرد متقدماً على الواحد في الرتبة وعلة له لأن الفرد معناه في الواحدية أكثر ، فصار الفردان بذلك علة لوجود الواحد الذي هو ذات الفرد ، ولما كان محصول ضرب الواحد فيما عنه ذاته من الفردين اثنين ، كان ذلك موجباً أن يكون الموجود عن[٤] الإبداع الذي هو المبدع الأول بفعله في ذاته إحاطة بها ، ونظرة إليها التي هي على نسبتين وكالين إثنين ، وهما المنبعثان الأولان أولاً وثانياً : اللذان هما العقل الثاني القائم بالفعل ، والعقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة ، كما أن الموجود عن الناطق إثنان، الوصي القائم بالفعل مقامه، والكتاب الذي

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ك : سبته
٣ ــ سقطت في ك
٤ ــ في ك : من

هو إمام قائم بالقوة ، وهو بمنزلة الهيولى والصورة التي هي مادة تتضمن كل شيء . ولما كان الطرف الأول من الاثنين أجل من الطرف الآخر بقربه مما عنه[١] وجوده وبعد الطرف الآخر وإن كانا في الوجود معاً ، كان ذلك موجباً أن يكون أحد الموجودين عن[٢] المبدع بقيامه بالفعل إحاطة بذاته واغتباطاً بها الذي هو العقل الثاني أجل وأشرف من الآخر الذي هو الهيولى القائمة بالقوة المفعول به . كما أن الوصي القائم مقام الناطق هو أشرف من الكتاب المعمول به ، ولما كان محصول ضرب اثنين في إثنين أربعة ، وكانت مع الحاصل في الوجود ستة من واحد وإثنين وثلاثة وعشرة ، وكانت العشرة مكانها من[٣] العشرات كالواحد من[٤] الآحاد ، كان ذلك موجباً أن يكون ما وجد بالإبداع والإنبعاث من العقول الفاعلة في ذواتها بذواتها عشرة ، تم بها عالم الإبداع والانبعاث الذي هو المباديء الشريفة ، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الأول في عالم الإبداع الأول والإنبعاث الأول ، كما أن الموجود في الدور من الحدود العشرة أولها الناطق والوصي وسبعة من الأئماء الذين يتمون الأدوار الصغار[٥] ، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد . ولما كان وجود ما بعد العشرة على صيغة الآحاد إلى المئين ، كان ذلك موجباً أن يكون الموجود في عالم الجسم من المؤثرات بعدد الأعداد الموجودة في عالم الإبداع من العقول ، وعلى تلك الصيغة على ما ذكرناه[٦] من فلك الأفلاك ، وفلك الكواكب والافلاك السبعة ، وما دون فلك القمر الموازن للموجود في عالم الوضع

---

١ – سقطت في ن
٢ – في ك : من
٣ – سقطت في ن
٤ – في ن : في
٥ – الدور الصغير يعني الفترة التي تقع بين كل ناطق وناطق ويقوم فيها سبعة ائمة . اما الدور الكبير فيبتدىء من عهد آدم الى ظهور القائم المنتظر الذي يسمى دوره بالدور السابع ويكون بنفس الوقت متما لعدد النطقاء الستة . والدور يتألف من امام مقيم وناطق واساس له وسبعة ائمة يكون سابعهم متم الدور .
٦ – في ك : ذكرنا

من أركان العبادة بعدد الافلاك من الكتاب ، والاحكام الجامعة للحلال والحرام والشهادة والطهارة والصلاة ، والزكاة والصوم والحج ، والجهاد والطاعة للقائم مقام الله الذي هو الإمام . ولما كان وجود ما بعد المئين إلى الألف على مثال ما بعد العشرات إلى المئين ، كان ذلك موجباً أن يكون الموجود في عالم الدين من الرؤساء في كل دور المؤثرين في الأنفس بعدد المؤثرين في الاجسام العشرة ، مثل الناطق والاساس والأتماء السبعة والعاشر الذي تنتهي إليه المراتب على نحو ما يقابل وجودها في باب الآحاد من العقول . ولما كان لا وجود بعد الألف لمرتبة ينتهي إليها العدد لم تكن موجودة قبله ، كان ذلك موجباً أن لا يكون بعد القائم صلى الله عليه صاحب الدور السابع الظاهر بمرتبته التامة مرتبة [1] موجودة لم تكن قبله لكونه نهاية تجمع المراتب كلها ، كما يجمع الألف [2] مراتب الاعداد كلها ، ولما كان الأمر في وجود الموجودات على هذا النسق صارت الآحاد بإزاء عالم الوحدانية التي هي دار الإبداع ، والعشرات بإزاء عالم الجسم وما فيه ، والمئون بإزاء أدوار [3] النطقاء والحدود المنتهية إلى الألف الذي هو مرتبة القائم سلام الله وصلواته على تلك النفس الزكية العالية ، وصارت كل مرتبة من الآحاد والعشرات والمئين مركز الدائرة مثل الواحد الذي هو مركز الآحاد إلى العشرات ، والعشرة [4] جامعة لها وهي مركز العشرات إلى المائة ، والمائة جامعة لها وهي مركز المئين إلى الألف والألف جامع للكل الذي إليه تنتهي [5] جميع المراتب ، يقوم كل مركز تجاه عالم من العوالم التي قد صار كل منها علة لوجود غيره ، ومركزاً لوجود آخر سواه من عالم الإبداع وعالم الأجسام وعالم الدين والأنفس ، وذلك حقيقة ما ذكر في التوراة

١ – في ن : رتبة
٢ – في ك : ألف
٣ – في ك : الادوار
٤ – في ن : العشرات
٥ – في ك : تنهي

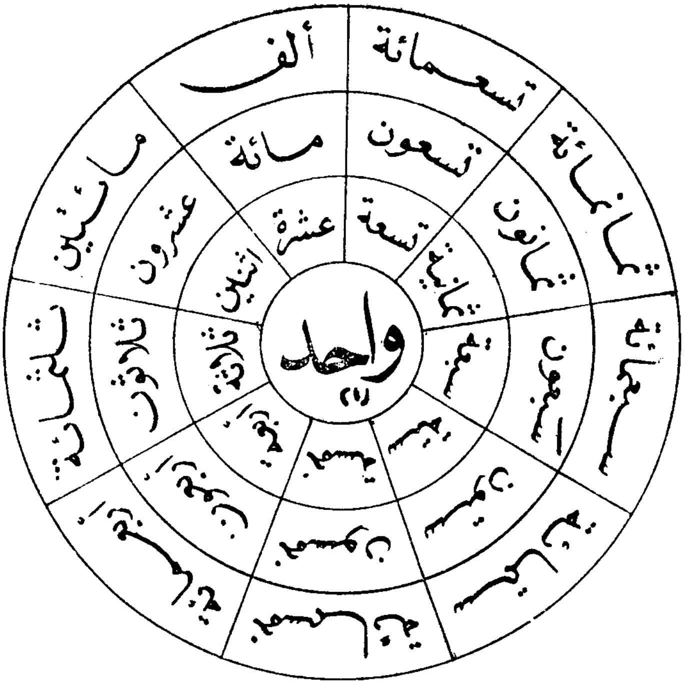

١ – جعل الكرماني الدائرة الاولى مركزها الواحد من الاعداد ومحيطها الالف ليبين كيفية التوازن والتطابق في الموجودات . وعلى هذا اصبح الواحد العلة لجميع الاعداد .

٢ – جعل من عالم الابداع ثماني دوائر كل دائرة مقابلة للاخرى وكل هذه الدوائر في دائرة واحدة مركزها عالم الابداع او العقل الاول ومحيطها القائم . واعتبر العقل الاول الذي هو المبدع الاول علة لوجود الموجودات العقلية حتى العاشر في الوجود الذي علته مركز الدائرة .

« بعشورا با أموروت بقرؤ هو عولوم وعالي عاسر ادبروت يا عمود هو عولوم وهو يوا اذيونوي لحزبرء هو عولوم » (بعشرة أوامر خلق العالم وعلى عشر كلمات يثبت العالم يكون الله لك كنوز العالم). والعقل الاول مركز لعالم العقول إلى العقل الفعال ، والعقل الفعال عاقل للكل وهو مركز لعالم الجسم من الاجسام العالية الثابتة إلى الاجسام المستحيلة المسماة عالم الكون والفساد ، وعالم الجسم جامع لفيض العقول وهو[١] مركز لوجود الأنفس[٢] الطاهرة التي هي أنفس النطقاء إلى القائم ، والقائم صلوات الله عليه جامع للكل الذي انتهى إليه ما سرى من بركة الإبداع على تمثل[٣] ذلك فتكون ثماني دوائر ، كل دائرة مقابلة للأخرى عالم برأسها ، ودائرة واحدة مركزها العقل الأول الذي هو عالم الإبداع ومحيطها القائم على ما صورناه ، ودائرة مركزها الواحد من الاعداد ومحيطها الألف ليوقف من جملتها على المراد ويتصور كيفية التقابل والتوازن ، والتطابق والتشاكل في الموجودات .

ولما كانت هاتان الدائرتان إحداهما للموجودات كلها مركزها الذي عنه وجد الكل هو العقل[٤] الأول الذي هو المبدع الأول الصائر علة لوجود الموجودات الحاصرة إياها مراتب الأعداد ، وكانت ذاته ذات أمور عشرة بها في الكمال هو[٥] ما هو كالجوهر الجسماني الذي هو ذو[٦] أعراض تسعة يقترن الواحد منها بالآخر هو في الكمال ما هو ، وجب من حيث كون العلة قائمة بإصدار[٧] معلولاتها إلى الوجود على ما تقتضيه طبيعتها أن يكون بكونه ـ أعني المبدع الأول ـ علة لكل أمر به هو ما هو خارجاً عنه[٨] موجود مترتب دونه قائم بالفعل به يتعلق

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : النفس
٣ ـ في ك : مثال
٤ ـ في ك : الفعل
٥ ـ سقطت في ن
٦ ـ سقطت في ك
٧ ـ في ك : بصدر
٨ ـ سقطت في ن

وجوده ، ومن حيث وجوب كون المعلول موجوداً عن علة حسب طبيعتها أن لا تكون زيادة في الوجود على ما أوجبته العلة لتلك الأمور التي كان عنها وجود المعلول ليطابق المعلول علته ، ولما كان ذلك كذلك وبلغ الأمر في الوجود والترتيب[١] إلى التاسع الذي هو العاشر في الوجود من المبدع الأول ، وكانت العلة قد وفت بحق كونها علة لوجود المراتب بصدور معلولاتها إلى الوجود ، وترتبها في مراتبها واحد دون آخر ، ولم يبق هناك[٢] من الأمور ما لم يترتب دونه في الوجود خارجاً عنه معلول ، وقف الوجود العقلي عن الإنبعاث باستيعاب الموجودات مراتبها في الوجود التي أوجبتها علتها ، وانتهى الأمر فيه

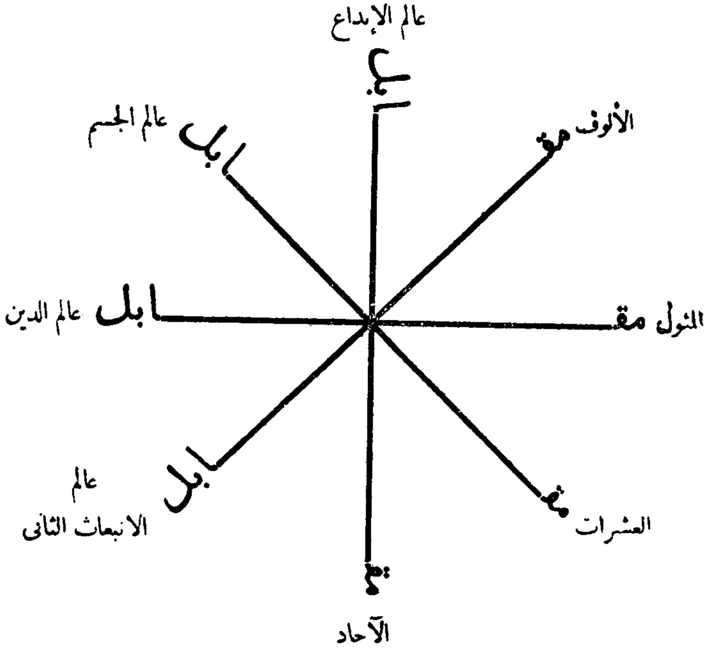

١ — في ن : المرتب
٢ — في ن : هنالك

إلى الغاية ، ولم يكن للعاشر مرتبة دونه[١] من جنسه إلا الذي بعد عن مركز الكمال من عالم الطبيعة فقام بأن يستجذب[٢] منهـــا ما كان في أفقه إلى ذاته بسطوع نوره فيه ، وأن يسوقه إلى كماله ، وعلى هذا كان وجود العالم الكبير على ما تقدم الكلام عليه ، وذلك أنه لما كان غـير ممكن أن يكون المبدع الأول الذي هو العلة الأولى بذاته علة قريبـة لكل شيء ممكن أن يوجد عنه ، ولا كان ممكناً أن يقبل الهيولي ذات الجسم ونهايتها القائم الجامع لكل[٣] موجود.

وثانيتها[٤] دائرة الاعداد القائمة بازاء كل واحد واقع عليه العدد[٥] على تقاسيمه مركزها هو الواحد الذي صار علة لوجود العشرات ونهايتها الألف، الجامع لكل عدد المئين والعشرات والآحاد .

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : يجذب
٣ ـ في ن : بكل
٤ ـ في ك : ثانيهما
٥ ـ سقطت في ن

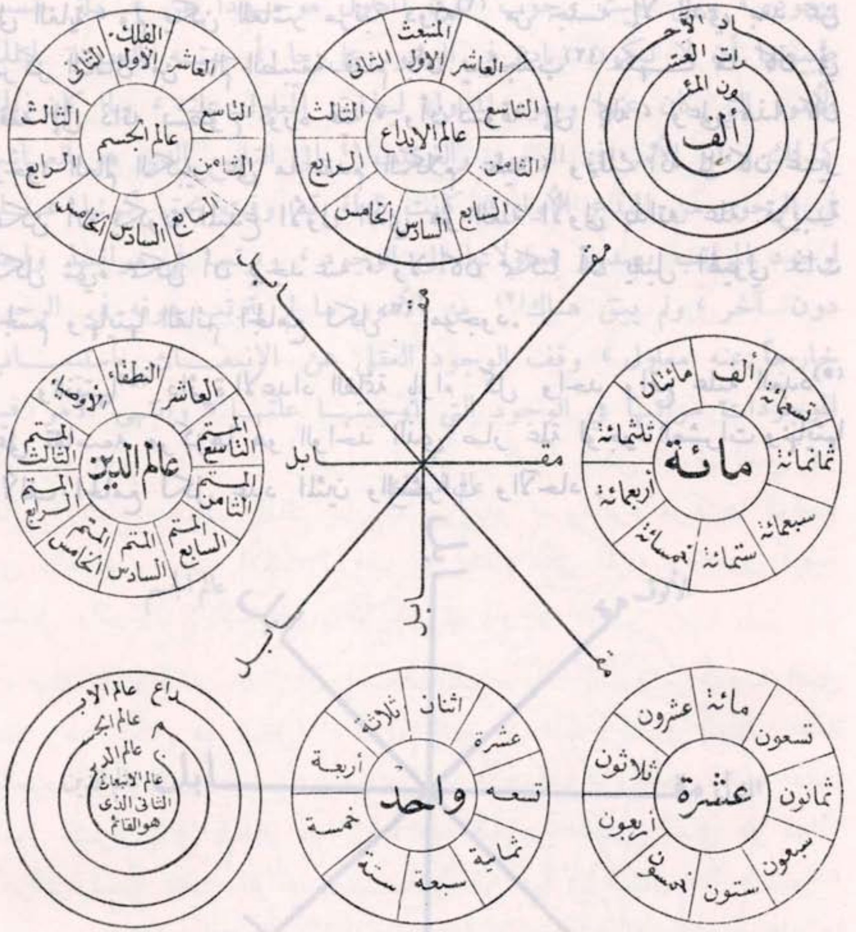

هذه عوالم أربعة للموجودات ذواتاً أربعة[١] يقابلها من الأعـداد ليوقف منها على كيفية التوازن والتطابق[٢] والتشاكل واتصـال[٣] الموجـود في الموجودات ويتبين أن المرتبة العاشرة تم بها عـالم الآحاد ، وصارت مركزاً لوجود المائة ، ثم المائة كذلك تم[٤] بها عالم العشرات وصارت مركزاً لوجود الألف . و كذلك ما يقابلها من العوامل ، والحمد لله الذي مَنَّ وعلم وهدى وبين.

١ — في ن : اربع
٢ — في ك : تطابق
٣ — في ك : تصل
٤ — سقطت في ن

المشرع السادس

« في العلة التي عنها وجب وجود الحروف العلوية عن المبدع الأول والمنبعث الأول عقولا سبعة مفارقة للأجسام ، ووقوف الموجود[1] عندها عن الإنبعاث »

●

نقول : لما كان لكل موجود سبب سابق عليه[2] يوجبه ويقتضيه ، وكان الإبداع الذي هو المبدع سبباً أولا وعلة لوجود الفيوض[3] جملة ، عمدت العناية الإلهية فجعلتها أبعاضاً[4] عشرة ، تلقاء أبعاض[5] عشرة من الأجسام العالية من الأفلاك الراتبة والكواكب الثاقبة ، والجسم المستحيل الذي دون الأفلاك ليكون بقبول كل بعض منها ما يليق به من البركة الفائضة حصول البركة لها كلها ، كالشيء الثقيل الذي لا يمكن حمله فيقسم بين عشرة فيصير كله بقيام كل من العشرة بحمل البعض منه محمولا ، فتكون الأبعاض كلها بأفعال عن سطوع أنوارها في المواد وقبولها منها أسباباً للنشأة التي هي إخراج أشخاص نوع الإنسانية إلى الوجود ، يدل على ذلك وينطق به ما يوجبه ميزان الديانة عن وجود مراتب الحدود السفلية الذين هم أرباب الحظوظ من البركات الفائضة ، وذلك على أن البركة الفائضة من دار القدس التي هي غذاء الأنفس، وبها تحصل في حيز الوجود ، وبها تنتقل الى مرتبة العقول ، لما كانت في الجلالة على حالة تقصر الأنفس[6] عن قبولها ولا تنتفع بها ما لا تجعل من جنسها وتقرب منها لنقصها ، عمدت العناية الإلهية رحمة بالأنفس فجعلت لها — أعني البركة — مراتب عشراً[7] لحدود عشرة على نظام : فكان أولهم الذي

---

١ — في ن : الوجود
٢ — سقطت في ك
٣ — في ك : الفيض
٤ — في ن : ابعادا
٥ — في ن : ابعادا
٦ — في ك : النفس
٧ — في ن : عشرة

هو اعلاهم مرتبة في الكمال والتمام مثل الناطق على أمر لا يمكن لأحد استفادة[١] منه بمجرده إلا من كان في مثل رتبته قريباً منه وفي أفقة مثل الأساس ، ثم الذي يليه دونه إلى العاشر الذي ليس دون رتبته إفادة إلارتبة الأنفس التي هي الأنفس القائمة بالاستفادة ، لكونه أقرب الاشياء منها ، وواقعاً في أفقها علواً عليها ، وأول درجة ترتقي إليها باستفادتها منه لتكون البركة بكونها في رتبتها على هذا النظام ، وقيام الحدود كلهم بما لهم منها محصورة ، وبفعل كل منهم فيها مسوقة إلى غاية تتمكن[٢] الأنفس معها من قبولها والارتقاء في درجاتها فتنجر بذلك إلى حيز الوجود والبقاء ، ولتكون الحدود بكونهم كذلك أسباباً للنشأة الأخرى التي هي إخراج الأنفس[٣] إلى الفعل ، وإعطاؤها مرتبة العقول ، ككون الأبعاض الجسمانية العشرة أسباباً للنشأة الأولى التي هي إخراج الأشخاص إلى الوجود ، على ما ذكرنا فيما سبق.

كما أنها ـ أعني العناية الإلهية ـ لما علت أن الأغذية التي منها تخلف[٤] على العالم الصغير بدل ما ينحل عنه وبها لقاؤه لا يقع الانتفاع بها إن وردت عليه ، وهي على حالتها التي عليها وجدت ولا تعتاض منها بشيء ما لم تجعل من جنسه وفي مثل حاله ، عمدت إلى الآلات ، منها خارج البدن ومنها داخله ، فخصت[٥] كلا منها بقوة على نظام لا يتمكن الواحد منها أن يقبل شيئاً فيفعل فيه ما لم يفعل فيه ما قبله مثل الفم وما يجمعه من الآلات أسناناً وغيرها الذي لا يقبل ولا يتمكن من مضغ ما لا تفعل فيه اليد ، ومثل المعدة التي لا تتمكن من هضم ما لا تفعل فيه الأسنان[٦] والفم فجعلتها وسائط فركبتها في العالم الصغير ليصير ما يغتذي به بفعل كل منها فيه بما له أن يفعل موافقاً المغتذى[٧] به فيقبله وينتفع به ، مثل الحنطة التي هي أجل ما يغتذي به بل أصله إذا عملت اليد بمعاونة غيرها فيها بما لها أن تعمل من أستخلاصها

---

١ ـ في ن : استفاد
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : النفس
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ في ك : حصت
٦ ـ في ن : اسنان
٧ ـ في ن : الغتذي

من سنبلتها وتهذيبها من غيرها ، ثم عملت فيها بطحنها واستخلاص لبها بالمناخل ، ثم عملت فيها بعجنها ثم بخبزها ، ثم بتلقيمها الفم وعملت الأسنان بمعاونة اللسان فيها بمضغها والبلوغ بها غاية تتمكن المعدة معها إذا وردت عليها أن تهضمها ، وعملت المعدة بمعاونة الأعضاء الأخر[١] فطبختها وهضمتها وبلغت بها غاية تتمكن الكبد من أن تقبلها وتعمل فيها إذا وردت عليها ففصلت بين اللطيف والكثيف منها ، وأحدرت الكثيف إلى أسافر البدن ليخرج ، والصافي إلى ناحية الكبد ، فعملت الكبد فطبختها وجعلتها دماً عبيطاً اغتذى البدن منه بالرواضع المهيأة له لذلك وانتفع به بعد هذه الأعمال كلها ، وهذه الاستحالات وقيام كل قوة مركبة في كل عضو بما لها أن تقوم به في ذلك ، ولو وصلت الحنطة بعينها وعلى صيغتها إلى الكبد التي هي مقسمة لغذاء البدن[٢] من غير أن تأتي عليها هذه الاستحالات واكتساب الأحوال التي بها تصير من جنس المغتذى بها لم يقع الانتفاع بها بل كان الاستضرار[٣] بها أكثر ، فصارت هذه الآلات وهذه القوى أسباباً لحفظ العين وتوليد المثل ، ولما كان ذلك كذلك وكانت مراتب[٤] الحدود المؤثرة في الأنفس ما يفيدها كما لها الذي فيه تمامها وانتقالها إلى درجة العقول خروجاً إلى الفعل من حد القوة وحصولا في حيز البقاء والأزل عن البركة الممنون بها عليهم في عالم الوضع الذي هو مجمع السنن الإلهية عشراً[٥] ، وجودها كلها عن أول منها ، وكل منها علة قريبة لوجود ما دونها ، ولم يكن بعد العشرة القائمة بالتعليم إلا المتعلم القابل لبركة فيضها ، كان ذلك عند الموازنة شاهداً بأن الموجود في عالم العقل من العقول المؤثرة فيما دونها هو عشرة وجود كلها عن أول منها ، وكل منها علة قريبة لوجود ما دونها بكون هذا النظام في الترتيب تابعاً لنظام ذلك الوجود على ما صورناه فيما تقدم[٦] في دائرة الإبداع ؛ وإذا

---

١ ــ في ن : بدن
٢ ــ في ن : اخر
٣ ــ في ن : اضرار
٤ ــ في ك : رتب
٥ ــ في ن : عشرة
٦ ــ في ن : قدم

كان ذلك كذلك فنقول : إن المراتب العشر[١] ثلاث منها كلية ، وسبع منها تابعة ، فالثلاث الكلية هي الرسالة التي هي إضافة البركة بتأسيس قوانين العبادة العملية الظاهرة بالتنزيل والشريعة التي هي أشياء كثيرة بها تصير الانفس إلى الوجود وتنال الكمال الاول ، ثم الوصاية التي هي قبول البركة بكليتها والقيام بها بجميع التنزيل وتأسيس قوانين العبادة العلمية الباطنية بالتأويل الذي يجمع أشياء كثيرة بها تتصور الانفس بالصورة الابدية وتنال كمالها الثاني . ثم الإمامة التي هي الامر وسياسة الامة كافة على سنن الدين ، تجمع أشياء كثيرة بها يتعلق عمارة الحرث والنسل ظاهراً وباطناً ، وجذب الانفس ألى الوجود ، وبذلك سماهم الله[٢] تعالى « أولي الامر » . والسبع التابعة هي أولاً : فصل الخطاب الذي يتعلق بالباب . وثانياً : الحكم في ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق وإظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالحجة ، ولذلك قال الله تعالى إخباراً عن منته على داود : « وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ[٣] » أذا كان حجة فعلت درجته فنال المنة بالبابية ، ، وثالثاً : الاحتجاج بالبرهان في إثبات الحدود العلوية ومراتبها في وجوداتها وتعريف المعاد الذي يتعلق بداعي البلاغ . ورابعاً : تعليم العبادة العلمية[٤] ونشر التأويل وتعريف الحدود الذي يتعلق بالداعي المطلق . وخامساً : تعليم مراسم العبادة العلمية وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغاراً وكباراً الذي يتعلق بالداعي المحصور . وسادساً : أخذ العهد والميثاق وتعريف رسوم الدين ، وآداب الدين الذي يتعلق بالمأذون المطلق . وسابعاً : المكاسرة والهداية إلى الحق والاعتصام بالحبل الذي يتعلق بالمأذون المحصور . وأن كل مرتبة من هذه المراتب العشر مالكة لما دونها ، ثم لا تنعكس كالناطق الذي يملك ما دونه[٥] من المراتب ، والوصي الذي

---

١ — سقطت في ك
٢ — في ن : العشرة
٣ — في ك : العملية
٤ — سورة ٣٨ آية ٢٠
٥ — في ن : دونه

ايملكما دونه ولا يملك ما فوق ، فالأعالي للأسافل للاعالي جزئيـــة ، مترتب كله على ما صورناه ليعاين .

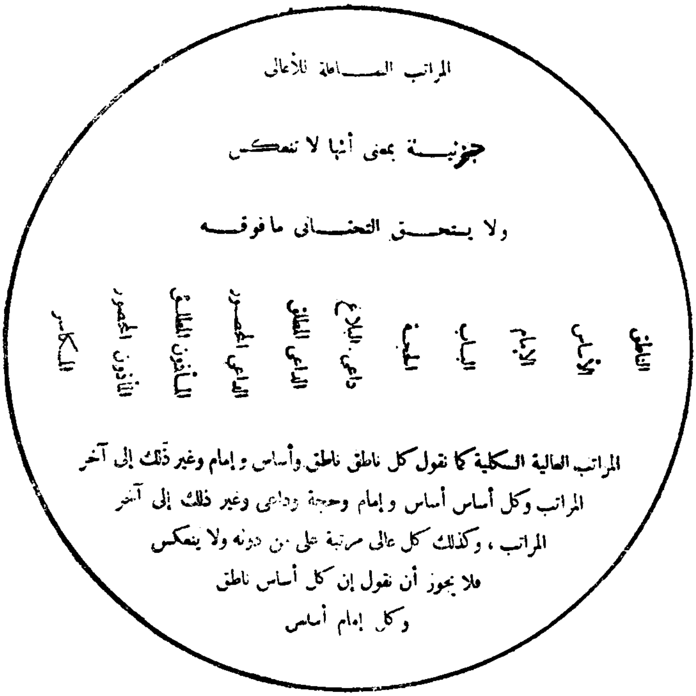

وأنه لما كان الناطق جامعاً للبركة محتوياً عــلى مراتبها كلهـــا ، وكان له التنزيل والتأويل والأمر وفصل الخطاب ، والحكم والإبــلاغ وتعريف الحــدود العلوية وتعريف الحدود السفلية وأخذ العهد والهداية[1] واختص منها بالتنزيل

---

١ – يظهر مما تقدم ان الكرماني قد خالف بعض من تقدمه من الدعاة والحدود في تنظيمات حدود الدعوة الاسماعيلية حيث جعل الحدود السفلية عشرة بينما جعلها غيره اثنا عشر حدا مطابقا لتقسيمات السنة ونراه – اي الكرماني – يحدد صلاحيات ووظائف كل حد من الحدود السفلية فيذهب الى ان الناطق وحده له الحق بان يملك ما دونه من المراتب لانه يمدها بالتأييد . بينما نراه يذهب الى ان الوصي يملك ايضا ما دونه من المراتب ولكنه لا يملك ما فوقه لان الاعالي للاسافل كلية ، والاسافل للاعالي جزئية وكهذا بقية المراتب والحدود فقد اعطاها الحق في امتلاك المراتب التي تقل عنها مكانة ومنعها من امتلاك ما فوقها . وذكر بان الناطق باعتباره مجمع المراتب كلها وكان له كل الخصائص التي لمن هم دونه من تنزيل وتأويل وامر وفصل الخطاب والحكم والابلاغ وتعريف الحدود العلوية والسفلية واخذ العهد والهداية ، فقد اختص بالتنزيل الجامع للشريعة ، واقام الاساس دونه للتأويل . ولقد طبق نظرية المثل والممثول على عالم الابداع او عالم الصنعة الالهية مع عالم الدين او عالم الصنعة النبوية فخرج بمطابقة العقول الابداعية العشر مع حدود الدين العشرة وخلص الى القول بان الامام الذي يقوم مقام الناطق بعد وفاته يصبح جامعا لكافة المراتب .

الجامع للشريعة الذي هو بعض منها ، وأقام الأساس دونه للتأويل كان كونه كذلك شاهداً في ميزان الديانة بأن الإبداع الذي هو المبدع الأول ذو مراتب عشر يختص منها بالتصوير الذي هو تكوين الصور[١] التي هي أعيان المباديء في الوجود عموما والفلك الأعلى خصوصاً ، ولذلك سماه الله في كتابه المصور وأن يترتب عنه دونه[٢] بالإنبعاث غيره ثانيا ، وكان كون الأساس جامعـاً للمراتب[٣] واختصاصه منها بالتأويل الذي هو بعض منها وإقامة الإمام دونه شاهداً بأن الموجود الثاني الـــذي ترتب دون[٤] الأول بالإنبعاث مـــالك للمراتب[٥] ويختص منها بالبرء الذي هو إعطاء ما حصل في الوجود مـــن الصور أليق شيء به على ما يوجبه نظم الحكمة عموما والفلك الثاني خصوصاً ولذلك سماه الله تعالى الباريء ، وأن يترتب عنه دونه غيره ثالثاً ، وكان كون الإمام جامعا للمراتب واختصاصه منها بالأمر والسياسة للأمة التي هـــو بعض منها ، وإقامته دونه الباب شاهداً بأن الموجود الثالث المترتب دون الثاني بالإنبعاث جامع للمراتب ، ويختص منها بالخلق الذي هـــو التركيب عموما والفلك الثالث خصوصاً ، ولذلك سماه الله تعالى في كتابه الخالق ، فجمع المراتب الثلاث في آية واحدة ونسبها إلى الأول فقـــال : « هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى[٦] » أي له المراتب التي دون ذلك ، وأن يترتب عنه دونه بالإنبعاث غيره رابعا ، وكان كون الباب جامعا لما دونه واختصاصه من مراتب البركة بفصل الخطاب الذي هو بعض منها وإقامته دون الحجة شاهداً بـــأن المترتب الرابع الذي هـــو دون الثالث جامع للمراتب دونه يختص منها ببعض ما به يوجد الموجودات في دار الجسم عموما وبالفلك الرابع خصوصا ، وأن يترتب عنـــه دونه بالإنبعاث غيره خامسا ، وكان كون الحجة جامعا للمراتب الـــتي دونه واختصاصه منها بالحكم الذي هو بعض البركة ، وإقامته داعي البلاغ شاهداً

---

١ ـ في ن : الصورة
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : بدون
٥ ـ في ك : للرتب
٦ ـ سورة ٥٩ آية ٢٤

بأن الموجود الخامس المترتب دون الرابع له المراتب التي دونه ويختص منها ببعض ما يوجد به المواليد في دار الجسم عموما وبلفلك الخامس خصوصا ، وأن يترتب عنه دونه بالإنبعاث غيره سادساً ، وكان كون الداعي قائماً بالبلاغ ودونه غيره[1] مترتب شاهداً بأن الموجود السادس المترتب دون الخامس له المراتب التي دونه ويختص منها ببعض ما يوجد به المواليد في دار الجسم عموما وبالفلك السادس خصوصاً وان يترتب عنه دونه بالإنبعاث غيره سابعاً[2] ، وكان كون الباقين[3] من الحدود على ذلك ، واختصاصهم بما قد اختصوا به وترتب من يقوم دون كل منهم إلى العاشر بحسب المذكور في كيفية الإنبعاث من وجود الموجودات شاهداً بأن يترتب عن كل واحد منهم غيره دونه ، ويختص بسماء إلى العاشر الذي صار تماما لعالم الإنبعاث ، وتأثيره[4] مختص بما دون فلك القمر من الأجسام المستحيلة والمتولدة على ما عليه حال الحد العاشر الذي هو المكاسر في تأثيره في الأنفس واختصاص فعله بجذبها إلى طريق الحق ، (والجدول على الصفحة التالية صورة جامعة لذلك تقريبا) .

وقد يوجب ميزان الديانة وزناً آخر يؤيد[5] ما قلناه ، وهو أن يجعل مكان الحدود دون النبي والوصي والأئماء السبعة في الدور ليكون كل منهم في عالم الدين بإزاء عقل موجود في عالم الإبداع فيكون عاشرهم القائم الذي يتمم الدور[6] ويقوم بنفسه في مرتبته يحكم في الأنفس كلها ، ويملك عالم الطبيعة ويحكم فيها ، ويكون هو الذي لا يترتب بعده مرتبة أخرى لكونه النهاية الثانية على ما تقدم من تصويره ؛ فقد بان بذلك أنه العاشر من الحدود السفلية لكونه نهاية لذوي المراتب التي عنها وبجميعها تكون المواليد الروحانية ولم يترتب دونه مرتبة ، وأنه ليس له إلا العناية بالأنفس في دار الطبيعة وجذبها إلى بيت العبادة لترتقي في الدرجات. وظهر بكون ذلك كذلك أن العاشر

١ – في ك : غير
٢ – في ن : سابع
٣ – في ك : الباقي
٤ – في ك : تأثير
٥ – في ن : يؤكد
٦ – يعني القائم المنتظر الذي يكمل الدور الكبير

الحدود العلوية		الحدود السفلية	
الموجود الأول هو المبدع الأول	الفلك الاعلى	الموجود الاول هو الناطق	رتبة التنزيل
الموجود الثاني هو المنبعث الأول	الفلك الثاني	الثاني هو الاساس	رتبة التأويل
الموجود الثالث	الفلك الثالث (زحل)	الثالث هو الإمام	رتبة الأمر
« الرابع	الفلك الرابع (المشتري)	الرابع الباب	رتبة فصل الخطاب (الذي هو الملك)
« الخامس	الفلك الخامس (المريخ)	الخامس الحجة	رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا
« السادس	الفلك السادس (الشمس)	السادس داعي البلاغ	رتبة الإحتجاج وتعريف المعاد
« السابع	الفلك السابع (الزهرة)	السابع الداعي المطلق	رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية
« الثامن	الفلك الثامن (عطارد)	الثامن الداعي المحدود	رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة
« التاسع	الفلك التاسع (القمر)	التاسع المأذون المطلق	رتبة أخذ العهد والميثاق
« العاشر	ما دون الفلك من الطبائع	العاشر المأذون المحدود الذي هو المكاسر	رتبة جذب الانفس المستجيبة

من الموجودات في عالم العقل هو نهاية العقول المنبعثة الصادرة عنها القوى في الأجسام لتكون عنها المواليد الجسمانية ، ولكونه نهاية وقف الانبعاث عنده[١] وأنه ليس له إلا العناية[٢] بعالم الكون والفساد ، ومواصلة ما يتهيأ منه للقبول ومرافدته كالعاشر من الحدود السفلية الذي[٣] ليس له بالأنفس[٤] وجذبها إلى العبادة والطاعة . ثم نقول إنه معلوم من المقدمات[٥] أنها إذا كانت مثل شيء ، وذلك الشيء مثل شيء آخر ، فذلك شيء ، الآخر مثل المقدمات[٦] ، وإذا كان ذلك كذلك ، وكان نظام ترتيب الحدود السفلية في عالم الدين مثل نظام الموجود في ترتيب الاجسام العالية وكان نظام الاجسام العالية بكونه معلولاً عن[٧] عالم الإبداع نسبياً للنظام الموجود فيه ومثلاً ، كان الموجود من الحدود السفلية مثل[٨] الموجود من العقول العلوية في عالم الإبداع والإنبعاث مثلاً بمثل، وثبت بما اوردناه ان الموجود عن الإبداع الذي هو المبدع الاول من العقول في دار الإبداع مثل الموجود من الحدود في عالم الدين لم يغادر منه شيئاً « مَا تَرى في خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تفَاوُتٍ[٩] » وهي الحروف العلوية الفاعلة ملائكة مقربون[١٠] سارية أنوارهم في عالم الجسم بتدبير المتعالي سبحانه[١١] فسبحان من تدبيره هذا التدبير ، ونظمه[١٢] هذه النظم[١٣] ، ولا إله إلا هو ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، أستغفر الله وأتوب اليه ، وأستعين بالله وبوليه في أرضه إنه خير مستعان وفوضت أموري كلها إلى الله، وتوكلت على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

---

١ – سقطت في ن
٢ – في ن : الغاية
٣ – سقطت في ن
٤ – في ك : النفس
٥ – في ك : متقدمات
٦ – في ك : متقدمات
٧ – في ن : من
٨ – في ن : مثال
٩ – سورة ٦٧ آية ٣
١٠ – في ن : قريبون
١١ – سقطت في ك
١٢ – في ك : التنظيم
١٣ – سقطت في ن

المشرع السابع [1]

« في أن الموجودات عن الإبداع الذي هو المبدع الأول بالإنبعاث وجودها لا بزمان ، وأن كلها صور محضة إلا الهيولى فإنها هي واحدة من جهة وكثيرة من جهة [2] أخرى ، وأنها لاتعقل إلا ذواتها ، وما تقدم عليها في الوجود ، وأن صورتها صورة الإنسان لا تتعداها ، نافذة أنوارها في الاجسام والأنفس فاعلة فيها وبها يتعلق وجود الموجودات »

●

نقول : لما كانت الأفعال تنقسم في وجودها ثلاثة أقسام : أولها الذي هو أشرفها وأكملها ما يكون لا بزمان ويختص [3] ذلك باسم الإبداع . وثانيها : الذي هو أوسطها ما يكون مع الزمان ويختص [4] ذلك باسم الإنبعاث . وثالثها : الذي هو أدونها وأخسها ما يكون بزمان ويختص [5] ذلك باسم الأحداث . وكان ما يكون بزمان هو الفعل الصادر عن [6] علة فاعلة معوقة عن فعلها ، إما من جهة ذاتها بكونها مشوبة بما يعوقها، أو من جهة المادة التي فيها تفعل بامتناعها عن القبول دفعة واحـدة أو كليهما ، وذلك يختص [7] بعالم الكون والفساد مثل الأمور الصناعيـة . وما يكون مع الزمان هو الفعل الصـادر عن علة فاعـلة في ذاتها أو غيرها مما هو على غاية القبـول ، وذلك يختـص [8] بالذوات الـبرية من الأجسام والأجسام العالية بكونها قائمة بالفعل . وما يكون لا بزمان

---

١ ـ في ن : « المشرع السابع من السور الرابع »
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ك : يخص
٤ ـ في ك : يخص
٥ ـ في ك : يخص
٦ ـ في ن : من
٧ ـ في ك : يخص
٨ ـ سقطت في ك

هو الفعل الصادر لا عن[١] علة فاعلة في ذاتها ولا في غيرها ، ولا عن[٢] علة معوقة في ذاتها ومادتها ، بل عن المتعالي سبحانه عن ذلك كله ، وكان الموجود في عالم الإبداع والإنبعاث لا عن علة فاعلة في ذاتها ولا في غيرها ، ولا عن علة معوقة في ذاتها ومادتها ، كان من ذلك الإيجاب بأن وجوده بلا زمان ، ثم وجود الأشياء في عالم الكون والفساد شيء بعد شيء من المواليد ، وفي عالم الدين كذلك شيء بعد شيء من فريضة بعد فريضة ، وسنة بعد سنة، وإمام بعد إمام، إنما هو للعوائق التي تعوق العلل الفاعلة عن أفعالها ، إما في ذواتها بأن تكون مشوبة بما منه يقع التعويق من المواد التي تقعدها من الفعل إلا بزمان ، أو في موادها التي فيها تفعل بأن تكون غير قابلة دفعة واحدة إلا بمدة وزمان كالشمس التي هي علة فاعلة للإسخان ، فاسخانها جسم الحجر القابل لفعلها الذي لا يكون نفوذ حرارتها فيه لضيق جوهره وتكاثف أجزائه ـ أعني الحجر ـ وتداخل بعضها في بعض لا بزمان ، لا كاسخانها جسم الهواء وذلك من جهة الجسم القابل لا من جهتها . ودار الإبداع ولإنبعاث لا عائق فيها لخلوها من المواد التي تعوق وتجردها منها ، وكونها صوراً[٣] محضة لا تتعلق بمادة ولا لها مادة فتحجزها[٤] عن الفعل ، وإذا كان لا عائق فيها فوجود موجوداتها لا بزمان ، بل دفعة واحدة مثل وجود اشراق بسيط الهواء عن[٥] ضوء الشمس لا بزمان ، وإضاءة النار البيت المظلم دفعة واحدة لا بزمان ، وكفعل الطبيعة في محاكاتها تلك الأفعال المرتفعة عن الزمان فيما تخرجه إلى الوجود ، مثل الطلع[٦] الذي تخرجه بكمه وحباته وأعذاقه في بدء أمره من الجمار معاً على أصغر شيء هيئة من غير أن تقدم شيئاً منه على شيء مما يتعلق بالكمال الأول ، وكالرمان

١ ـ في ن : من
٢ ـ في ن : من
٣ ـ في ن : صورة
٤ ـ في ك : تحجرها
٥ ـ في ن : من
٦ ـ في ن : الضلع

الذي تخرجه من الجلنار بحبابه وأقسام باطنه وقشوره على أصغر شيء صيغة [١] وأرق شيء جسما من غير أن تخرج منه شيئاً بعد شيء بل معاً ، ولما كان الأمر في وجود تلك الأشياء والمباديء على هذه الصيغة معاً ، وبالضد مما عليه وجود الحدود السفلية بكون تلك على غاية الكمال أولاً ، وهذه على نهاية النقصان أولاً ، استحال أن يكون وجودها بزمان ومدة . ثم كون الإبداع الذي هو المبدع الأول ذات الفعل الصادر عن المتعالي سبحانه ، وكونه قائماً بالفعل لا قائماً بالقوة فيكون بين كونه قائماً بالقوة وبين قيامه [٢] بالفعل إحاطة منه بذاته التي [٣] يتعلق بها وجود كل عقل منبعث تصور [٤] مدة وزمان ، يلزم أن يكون وجود الكل بوجود الإبداع معاً ، وإذا كان ذلك كذلك فلا زمان هناك في وجود الموجودات ووجودها كلها . ثم وجود الإنبعاث من الإبداع الذي هو المبدع الأول عن إحاطته بذاته واغتباطه بها فلم يوجد الإبداع الذي هو المبدع الأول ، ولا هو محيط بذاته ولا هو مغتبط بها ، بل وجد وهو كذلك محيط ومغتبط ، وكونه على ذلك يلزم أن تكون الموجودات عنه وجودها لا بزمان بل معاً . يدل على ذلك ويصححه شهادة عالم الدين من اقتران الوصاية بالنبوة والكتاب بالوصي . وقول النبي الناطق صلوات الله عليه « ألا إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف منه بيد الله ، وطرف منه بأيديكم ، فتمسكوا بهما فإنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما ، وقد سألت ربي أن يردا على الحوض كهاتين » وأشار بالمسبحتين من يديه جميعاً ، وقال : « ولا أقول كهاتين » وجمع بين المسبحة والوسطى من يده الواحدة إحداهما تسبق الأخرى ، الذي يدل بكونهما معاً على أن شيئاً في تلك الدار لم يتقدم وجوده على شيء من العقول القائمة بالفعل ، والعقول القائمة بالقوة ، بل

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ك : الذي
٤ ــ في ك : تصوره

وجود الكل معاً ، والساري فيه من العناية الإلهية يعطي كلا منها ما هو [١] أهل له . ثم أن تلك الموجودات مع كونها [٢] في وجودها معاً هي شيء واحد [٣] من جهة كونها حياة ، وبإحاطتها بذواتها عقلاً وأشياء كثيرة من جهة رتبها وشرفها وتكثرها على ما عليه حال [٤] عالم الجسم في موجوداته ، فإنها كلها شيء واحد من جهة كونه جسماً طويلاً عريضاً عميقاً ، وهي أشياء كثيرة من جهة صورها التي تخصها وتكثرها بأحوالها [٥] ، يشهد بذلك مطابقة المتقرر من جهة مراتب الحدود في عالم الدين القائمين بحفظه لذلك ، وذلك أن الأئمة عليهم السلام في الأدوار الصغار ، والنطقاء عليهم الصلاة والسلام ، في الأدوار الكبار ، من جهة كونهم نطقاء وأئمة كلهم شيء واحد لا يتفاضل أحد منهم على غيره ، لا ناطق على ناطق، ولا إمام على إمام، بكون كلهم في طبقة الكمال ودرجة التام كنفس واحدة ، ومن جهة أتباعهم والمتصلين[٦] بهم من الأنفس كثيرون يتفاضل الواحد منهم على الآخر ، الناطق على الناطق، والإمام على الإمام، فإن من كانت دعوته أعم والفضلاء في زمانه وبث دعوته أكثر فهو أفضل، إذ هو مجمعهم والوارد بهم على المنهل المورود الذي هو محشرهم ثم أنها—أعني العقول في دار الإبداع والإنبعاث ـ تعقل ذواتها وذوات ما يتقدم عليها ، وبحسب عقل كل منها ما فوقه في الرتبه تكثره ، كالخامس مثلا الذي تكثره أكثر من تكثر الرابع، بكون ما يلزم الخامس عقله[٧] من الأمور السابقة عليه في الوجود أكثر مما يلزم الرابع عقله من ذلك ، وكالرابع الذي تكثره بعقله ما فوقه أكثر من تكثر الثالث[٨] بما يعقله ما فوقه ، إذ كل من كان إلى الواحد أقرب فهو أبسط، ثم لا يلزمها عقل ما دونها إذ وجودها بوجود السابق عليها في الوجود

---

١ ــ في ن : من هو
٢ ــ في ك : كيانها
٣ ــ في ك : واحدا
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ في ك : بحوالها
٦ ــ في ك : المصلين
٧ ــ في ك : عن
٨ ــ في ن : الثلث

لا بوجود المترتب دونها من الوجود . يصحح ذلك[١] ما عليه قانون الديانة فيما يلزم الحدود معرفته ، والإقرار به من الحدود المتعالية عليها ، مثل الحجة الذي يلزمه الإقرار بمكان الباب والإمام والأساس والناطق ، ومعرفة مقاماتهم ومراتبهم ، ومراتب الحدود السابقة عليه في الرتب ومراتبهم ، ولا يلزمه الإقرار بدعاته ومعرفتهم ومن دونه مثل ما يلزمه من ذلك فيما فوقه ، إذ كاله في معرفته ما فوقه لا في معرفة ما دونه ، وكذلك الإمام والأساس والناطق، وعلى ذلك ساق الله تعالى ذكر المؤمن وفي ايمانه بقوله تعالى : آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ الآية[٢] » ليكون ذلك دلالة على ما يلزم المؤمن من الإيمان والإقرار بما يتقدم عليه من الحدود التي فوقه فيعلم أن تلك العقول تعقل ذواتها وذوات السابقين عليها في الرتبة إلى أن ينتهي إلى الأول الذي كفايته في إحاطة ذاته بذاته ولا تكثر هناك إلا بالنسبة والإضافة ، ثم أنها - أعني العقول - في دار الإبداع والإنبعاث مثل الانسان لا تتعدى صورها[٣] صورته ، وذلك أن من القانون والنظم في الحكمة[٤] أن تكون النهاية الأولى للامور تشبه الثانية منها ، والنهاية الثانية مثل النهاية الأولى منها ليكون بكون النهاية الثانية من طبيعة النهاية الأولى وجود التوافق والنظم والتوازن بين النهايتين منهما المؤذن باجتماع شمل الأشياء في وجودها التي متى لا تكون ذلك كذلك يبطل أن يكون للامور وجود ، إذ من شأن المثل المقاربة والإنبساط ، وشأن الضد المباعدة والانقباض ، ولا يجوز أن يكون الإنتهاء من الشيء إلى ما لا يكون من جنسه وقبيله لا النهاية الأولى ولا النهاية الثانية لخروج الأمر في الوجود عن نظام الحكمة وامتناع الأمر فيه ، فإن الاشياء وجودها بالتوافق لا بالتخالف والأول والآخر اللذان هما نهايتان أولى وثانية هما مثلان بهما

---

١ - سقطت في ن
٢ - سورة ٢ آية ٢٨٥
٣ - في ن : صورا
٤ - في ك : الحكم

يجتمع شمل الوجود الذي صارت النهاية الأولى أولا له ، والنهاية الثانية آخراً له ، وأقرب[١] الأشياء إلى الشيء الذي[٢] هو النهاية الأولى التي هي الاول ما كان في النهاية الثانية التي هي الآخر بأنعكاسه عليه ، واقرب الاشياء إلى الشيء الذي هو النهاية الثانية التي[٣] هي الآخر ما كان في النهاية الاولى التي هي أول بانعطافه عليه ؛ وليس يكاد يكون الإنعطاف والإنعكاس[٤] إلا بالملائمة التي متى فقدت بطلت الأولية والآخرية ، وإذا بطلت الأولية والآخرية فقد بطل الوجود ، إذ ثبوت النهاية الأولى التي هي الاول من الشيء في كونها منه وما يكون منه فهو مثله ، وكذلك النهاية الثانية التي هي الآخر ، وإذا لم يكن منه لم يكن مثله ، وإذا لم يكن مثله لم يكن له أول ، وإذا لم يكن له أول لم يكن له آخر ، وإذا لم يكن له أول ولا آخر فلا وجود ، ولولا أن النهايات من الأشياء تنتهي إلى ما يكون مثلها لما كان يوجد عن شيء مثله ، ولكان لا يوجد في الوجود شيء كان له قبل وجوده ، مثل الوجود بوجودنا[٥] أن أمر الموجودات على صيغة واحدة في وجودها لا تزيد ولا تنقص ، وأنه لا يحصل في الوجود ما لم يكن قبل وجوده مثله موجوداً قيام الدليل على أن النهايات الأولية انتهاؤها في الوجود إلى ما يكون مثلها من النهايات[٦] الثانية التي هي الأخرية ، وأن النهايات الثانية التي هي الأخرية انتهاؤها ، بالعكس إلى ما يكون مثلها من النهايات الاولية وذلك بانعطاف الأوائل على الأواخر وجذبها إليها على ما يكون عليه الحال في أول نقطة من الدائرة بكونها مثل آخر نقطة منها ، ومصير النقطتين مثلين في باب كونها نهايتين بهما اجتماع شمل الدائرة ، وإن كان للأولى منهما شرف الأولية ، وللأخرى شرف الأخرية ، وإذا كانت النهايتان من الموجود مثلين في باب كونها نهايتين ، مثل الولد والوالد اللذين كل منهما نهاية للآخر ،

---

١ ــ في ك : وقرب
٢ ــ في ن : التي
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ في ك : بوجوده
٦ ــ في ك : عن نهاية

وهما مثلان ، ومثل بذر الحنطة التي حبوبها مثل حبوب السنبلة وكل منهما من البذر ، وحب السنبلة نهاية للآخر ، وهما مثلان ، وكانت النهايتان للموجودات الأولى والثانية هما الإبداع الذي هو المبدع الأول والإنسان ، فهما مثلان ، وإذا كانا مثلين فصورة الأول منهما صورة[١] الآخر ، ولست[٢] أُريد بقولي الإنسان إلا من هو بالحقيقة إنسان ، مثل أصحاب الادوار وخاصة صاحب الدور السابع الجامع للنطقاء والأسس والأئماء[٣] *وتابعيهم على أمرهم الذين حازوا الفضائل وحووها فصاروا عقولاً قائمة بالفعل* ، لا من هم أشباه الإنسان بصورهم الجسمانية وهم وحوش وذئاب وقردة وخنازير وعقارب وكلاب بصورهم النفسانية الذين لا حظ لهم في دار الثواب . ثم أن كل علة فاعلة[٤] فإنها تعطي معلولها الذي هو نهايتها في صورتها ما به وجوده ، ولما كان دار الإبداع الذي هو المبدأ علة لوجود الموجودات ، وكان المعلول الذي انتهى[٥] إليه الوجود هو الإنسان ، كانت صورته التي عليها وجد هي الصورة التي اختص[٦] بها الإبداع صورة الإنسان ، ثم أن الإنسان لما كان ولد العالم الكبير بوجوده منه ، وهو بالموجود فيه الذي هو عنه جملته موازن له مطابق مشابه ، وكان العالم الكبير وجوده عن عالم الإبداع وهو مطابق له بالموجود فيه الذي عنه جملته وبه هو عالم ومشابه ومشاكل ، فعالم الإبداع وما فيه من العقول مثل الإنسان ، ولا يجوز أن تتعدى صور تلك العقول صورة الإنسان بكونه – اعني الإنسان – نهاية ما أوجبته العلة الاولى وما يكون نهاية في الوجود آخراً فهو مثل ما يكون نهاية في الوجود أولاً ؛ ثم لو تعدت صورتها صورة الإنسان لم يكن الإنسان نهاية الموجودات ،ولكان موجوداً ما كان به الإنسان متقدماً في الوجود عليه ، ولما بطل وجود ما يكون[٧] به الإنسان متقدماً عليه[٨] في الوجود ، ثبت أنه نهاية للموجودات

١ – في ك : صور
٢ – في ن : ولا
٣ – في ن : والمتمين
٤ – في ك : عاقلة
٥ – في ك : ينتهي
٦ – في ن : خص
٧ – سقطت في ن
٨ – في ك : له

ثانية لا يوجد وراءه شيء آخر ، وإذا كان الإنسان نهاية للموجودات ثانية والنهاية الثانية مثل النهايات الأولة[١] ، فالعقول التي[٢] هي المبادىء والنهاية الأولى في دار الإبداع صورها صورة الإنسان الذي هو النهاية الثانية في عالم النفس ، يصحح[٣] ما قلناه ويحكم به ما ثبت في عالم الدين من الروايات عن الناطق صلوات الله عليه أن الله خلق آدم أبا البشر[٤] على مثال صورة نفسه . ثم أن هذه العقول في دار الإبداع قواها وقوى الإبداع الذي هو المبدع الاول ـ أعني أنوارها ـ نافذة في دار الطبيعة سارية فيها إلى الأنفس[٥] التي هي النهاية ، وبها يتعلق وجود الموجودات ، على ما صورناه، وهي ـ أعني الأنوار السارية في العالم ـ تعطي الأنفس[٦] في بدء وجودها ما به تعرف الخير والشر ، وبه تميل إلى الجميل وتؤثره وترهب القبيح وتكرهه ، وأول ذلك قوة الحياء التي هي أول ما يظهر في الصبيان فيستحيون من القبائح[٧] ، ومنه يستدل على جواهرهم التي تكاد تكون عقولاً قائمة بالفعل باستعمال السنن الإلهية ، ومن كان حياؤه أكثر فعقله أوفر ،وهي ـ أعني العقول في دار[٨] الإبداع ـ هي التي تهذب الأنفس في عالم الجسم وتصلها إذا تهذبت ذواتها من أمارات الطبيعة وتكسبها الكمال والبهاء والهيبة والعلاء وتستخلصها وتشفق عليها شفقة الوالد على ولده ، ولذلك قال عيسى بن مريم عليه صلوات الله : « أنا ابن من في السماء » . وهذه صورة تعلق الموجودات بالقوة السارية من عالم الإبداع واتصالها بها قد صورناها في موضعها لتعاين . والحمد لله الذي قدر ذلك وقضاه ، وأجرى التدبير فيه على نظام الحكمة فأمضاه ، وسبحانه ولا إله إلا هو ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي[٩] العظيم . أستغفر الله وأتوب إلى الله[١٠] وافوض أموري إلى الله وأستعين بالله

---

١ ـ في ن : الاولى
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : يصح
٤ ـ في ك : البشرية
٥ ـ في ك : النفس
٦ ـ في ك : النفس
٧ ـ في ن : القبح
٨ ـ سقطت في ن
٩ ـ سقطت في ك
١٠ ـ في ن : اليه

وأتوكل على الله ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وحسبنا الله ووليه في أرضه ونعم الوكيل ، ونعم الهادي والمشفق والمعين ، ونسأله العصمة وأن يختم لنا بخير ويجعل منقلبنا إلى خير إنه جواد كريم ورؤوف رحيم .

السور الخامس

«في الموجود عن المباديء الشريفة التي هي الحروف العلوية من الطبيعة واجسامها العالية .» ويشتمل على سبعة مشارع

المشرع الأول

« في ماهية الطبيعة ، وأنها بذاتها في عالم الجسم من جهة جوهرها شيء واحد ، ومن جهة أفعالها في موادها أشياء كثيرة »

●

قد قلنا فيما سبق إن العقول البرية والذوات المتعالية لما حصل الشيء الذي هو الهيولى في الوجود لا عن قصد من الإبداع ليوجد عنه[١] العلة التى شرحناها ، ولم يكن له من الشرف[٢] ما لغيره من العقول القائمة بالفعل المنبعثة عن النسبة الأشرف التى في الإبداع الذي هو المبدع الأول أقبلت العناية الإلهية الجارية في الكل عليه فكان منه بسطوع أنوارها فيه ما أمكن أن يكون منه على مراتبه في الشرف . ونقول : إن ذلك[٣] الموجود الذي هو الهيولى كان شيئاً واحداً ذا جزءين في ذاته بهما وجوده ، منقسم كل جزء منهما إلى أقسام لها اسم واحد على العموم وأسماء كثيرة يختص كل واحد بكل قسم ، قسم منها[٤] على الخصوص ، ولكل جزء نسبتان نسبة بإضافته إلى ما عنه وجوده من عالم الإبداع الذي هو المبدع الأول بها هو واحد ، وذلك من جهة جوهره ، وبها تعلم ماهيته . ونسبة بإضافته إلى الموجودات التي به وجودها بها هو كثير ، وذلك من جهة أفعاله فيها : فالجزء الأول إذا نسب إلى ما عنه وجوده[٥] سلوكا طريق الإحاطة بماهيته فهو حياة

---

١ ـ في ك : منه علة

٢ ـ في ن : من شرف

٣ ـ سقطت في ن

٤ ـ سقطت في ك

٥ ـ في ن : وجده

بالفعل منبعثة من عالم القدس غير مستقلة في وجودها بذاتها ولا مجردة عن غيرها مما يرتهن وجودها به لوجودهـــا من نسبة غير مجردة فهي شائعة في عالم الجسم ، قد امتلأت السموات والأرض [١] منها فلا يخلو منها شيء ولا يغرب عنها شيء ، فاعلة فيه تعطي كل شيء منه كماله الأول الذي يتعلق بكونه موجوداً ، وإذا نسب إلى الموجودات التي به وجودها على العموم سلوكا طريق الإحاطة بفعله فهو [٢] محرك لكل شيء هو فيه كمال لوجوده بوجوده ، وعلى الخصوص الذي يكـون بحسب [٣] أفعاله في كل قسم قسم ، فهو إذا حرك الأجسام دوراً فلك ، وإذا حرك النار والهواء علوا خفة ، وإذا حرك الماء والشيء الثقيل إلى مركزه سفلا ثقل ، وإذا حرك النبات للنماء [٤] نفس نامية ، وإذا حـرك الحيـوان لطلب الملاذ نفس حية ، وإذا حرك الإنسان للإحاطة بالموجـودات نفس ناطقة ، والكل بكونه فاعلا طبيعة واحدة ، وبأفعاله في المواد المختلفة التي فيها يفعل كثيرة ، وذلك كالنفس في العالم الصغير التي هي واحدة بذاتها وباختلاف المواد المختلفة التي فيها تعمل [٥] كثيرة بأفعالها ، مثل أنواع الحيوان التي هي كثيرة من جهة المواد ، وواحدة من جهة كونها حيواناً ، ولها — أعني النفس — باختلاف أفعـالها في الشخص بكل حاسة حاسة اسم ، فهي إذا فعلت في الدمـاغ فمفكرة ، وإذا لاحظت في ذاتها ما حصل عندها من صور المحسوسات فهي حافظة ، وإذا قبلت عن الصورة [٦] الباصرة ما اصطادته من الصور فهي متخيـلة ، وإذا اشتاقت إلى الإنتقام بشتم وضرب فهي غضبية ، وإذا قرنت [٧] إلى ما تلتذ به وتخلف على البدن ما انحل عنه فهي شهوانيـة ، وإذا طلبت العلوم والعدالة فهي ناطقة ، وإذا أمسكت عما يكسبها رذالة ، وفعلت

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : حسب
٤ ـ في ك : للماء
٥ ـ في ن : تعامل
٦ ـ في ن : الصور
٧ ـ في ك : قرمت

ما يوافق أحكام السنن الوضعية النبوية فهي عاقلة ، مثل النجار الذي باستعماله كل شيء شيء من أدواته التي هي القدوم والمثقب والمنشار وغير ذلك له أسماء كثيرة وهو واحد ، وسيأتي بإذن الله الكلام على النفس في موضعه بما يتبين معه الخطأ في تقدير من يقدر أن النفس الغضبية غير النفس العاقلة بالذات .

والجزء الثاني إذا نسب إلى ما عنه [١] وجوده طلباً للإحاطة بماهيته فهي حياة بالقوة منبعثة من عالم القدس غير مستقلة في وجودها بذاتها، ولا مستغنية فيه عن الجزء الأول الذي هو الحياة القائمة بالفعل ، ووجود عالم الجسم منها مفعول فيها ، قابلة لفعلها تعطي كل موجود من ذاتها كماله الأول الذي يتعلق بكونه [٢] موجوداً بمشاركة زوجها . وإذا نسب إلى الموجودات التي منها وجودها على العموم فهو الجسم الطويل العريض العميق ، وعلى الخصوص الذي يكون بحسب قبول كل شيء منه فعل الفاعل : فهو إذا تحرك دوراً أفلاك وكواكب ، وإذا تحرك مستقماً نار وهواء وماء وأرض ، وإذا تحرك إلى الجهات كلها علواً وسفلا ويمنة وميسرة [٣] وقداماً وخلفاً من غير مفارقة مكانه وانتقال عنه نبات ، وإذا تحرك إلى الجهات كلها مع انتقال ومفارقة مكان فهو حيوان ، والكل طبيعة واحدة وجسم واحد ، وبحسب قبولها تأثير الفاعل صارت كثيرة ، وذلك كالخشب الذي هو مادة للنجار يعمل فيها فما قبل منه من فعل النجار بالقدوم فهو منجور ، وما قبل بالمنشار فهو منشور ، وما قبل بالمثقب فهو مثقوب ، والكل واحد بحسب الأفعال كثير [٤] ، ولكل من الجزأين في الموجود عنهما فعل وعطية ، فالجسم يعطيه [٥] ذاتاً قابلة ، والحياة تعطيه صورة فاعلة يتم بها وجوده، وفي مادته كماله الأول ،

---

١ ــ في ك : ما منه
٢ ــ في ك : بكيانه
٣ ــ في ن : ويسره
٤ ــ في ك : كثيرة
٥ ــ فى ك : يعطى

وبصورته ينال كماله الثاني .

يصح ذلك ويدل عليه من ميزان الديانة مطابقة أمر الساري[١] من عالم القدس حال الموجود في عالم النفس ، وذلك أن العقـول البرية من المواد لما كانت على ما ذكرنا ، انوارها ساطعة في الموجودات دونها في الرتبة عموماً ، ونور العاشر منها بإقباله على عالم النفس في عـالم الطبيعة لاستخلاصها نافـذ خصوصاً على ما تقدم الكلام عليه ، فتوجهت تلك الانوار نحو الأنفس بانتهاء الموجودات إليها وبكونها نهاية ثانية قائمة بالقوة لإخراجها إلى الفعل ، كانت تلك الأنوار شيئاً واحداً ذا جزأين في ذاته منقسم كل جـزء منها على أقسام لها اسم واحد[٢] على العموم ، وأسماء كثيرة لكل قسم من أقسام الجزأين على الخصوص ، ولكل جزء منها نسبتان : نسبة بإضافته إلى ما وجوده من عالم الإبداع الذي هو المبدع الأول بها يتأحد[٣] وتعلم ماهيته في جوهره ، ونسبة بإضافته إلى الأنفس التي به وجودها كاملا بها يتكثر بحسب أفعـاله فيها : فالجزء الأول اذا نسب إلى عالم القدس سلوكاً إلى معرفته فهو روح منه منبعثة شائعة في عالم النفس ، خصت بها أنفس زكية صارت بها عقولاً قائمة بالفعـل في الأنفس تعطي كلاً منها ما تستحقه من البركة والكمال الثاني الذي يتعلق بصورتها بحسب قبولها ، وإذا نسب إلى الأنفس في عالم الدين على العموم فهو محرك لكل منها إلى الشيء الأفضل الذي هـو كمال له على الخصوص الذي يكون بحسب رتبة رتبة ، وقسم قسم ، فهو إذا فعل في أعلى الأنفس رتبـة في تهذيبها فألف وأسس العبادة الظاهرة التي بها تتقوم الأنفس فهو ناطق ، الذي سمته السنة الإلهية رسولاً . وإذا قنن العبادة الباطنة التي بهـا تتصور النفس فـهو أساس ، الذي سمتـه السنة الإلهية شاهداً . وإذا أمر وساس السياسة التي بها تنقاد النفس[٤] للإستفادة فهو إمام ، الذي سمته السنة الإلهية مبشراً . وإذا فصل الخطاب فهو باب الذي سمته السنة الإلهية نذيراً . وإذا

---

١ ـ في ن : السري
٢ ـ في ك : يوحد
٣ ـ في ك : واحدا
٤ ـ في ك : الانفس

حكم وأول فهو حجة الذي سمته السنة الإلهية داعيـــاً ، وإذا تكلم بالحجـة والبرهان والبيان فهو داعي بلاغ الذي سمته السنة الإلهية سراجاً ، وعلى ذلك إلى العاشر .

والناطق بكونه قابلا للفيض كله[١] جامعاً لأنواره استحق هذه الأسماء كلها ورتبها ، وأعطى درجة الوسيلة بكونـــه واسطة من جهته تسري في الأنفس البركات والكل واحد[٢] ، وبأفعاله في الأنفس المختلفة كثـير ، على ما عليه حال الماء الذي عنه تكون الفواكه[٣] والثمار ، وبـه تسقى الزروع والأشجار كما قال تعالى: « وَجَنّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقى بِماءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَها على بَعْضٍ في الأكُلِ [٤]» إذا جرى في النخل كان تمراً ، وإذا جرى في الكرم كان عنباً، وإذا جرى في باقي الأشجار كان رماناً وتيناً وفرصاداً[٥] ، ولوزاً وجـوزاً وموزاً ، والكل واحد على اختلاف الأطعمـة والأشكال بحسب موادهـا ، ولذلك قال تعالى :« ونفضل بعضها على بعض في الأكل[٦] .

والجزء الثاني إذا نسب إلى عالم القدس فهـو روح منـه منبع شائعة في عالم النفس محتاج في وجودها إلى الجزء الأول مضبوط برسوم مرسومة وأعمال مهذبة فاعلة فيها في الأنفس مكسبة إياها الفضائل التي بها تتقوم ذاتها وتكمل الكمال الأول في اكتساب الفضيلة ، وإذا نسب إلى الموجودات من الأنفس التي منها وبها كالها على العموم فهو الكتاب الجامع للشريعة ومناسكها ، وعلى الخصوص الذي يكون بحسب أفعالها في النفس فعنـد إكسابها النفس فضيـلة الصدق هي الشهادة ، وعند إكسابها إياها الطهارة والنظافـة هـي الوضوء ، وعند إكسابها إياها القربى من الله بالتهيء هي الصلاة ، وعنـد إكسابها إياهـا

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : واحدا
٣ ــ في ن : الفاكهة
٤ ــ سورة ١٣ آية ٤
٥ ــ الفرصاد يعني التوت الاحمر
٦ ــ سورة ١٣ آية ٤

السخاء هي الزكاة، وعند إكسابها إياها العفة هي الصوم، وعند إكسابها إياها الشوق إلى الملأ الأعلى والأئمة والأنبياء هي الحج، وعند إكسابها إياها الشجاعة التي هي الصبر على الامور الدينية هي الجهاد ، وعند إكسابها إياها التواضع هي الطاعة ، وعند إكسابها إياها التحفظ[١] مما يوبقها من اكتساب الآثام هي[٢] الورع، وعند إكسابها إياها العلم والحكمة هي العبادة الباطنة ؛ والكل واحد ، وبالافعال كثيرة ، مثل النار التي هي واحدة بالذات وعند فعل الإحراق محرقة ، وعند فعل الإضاءة مضيئة ، وعند فعل التسخين مسخنة ، وذلك كله مطابق لما ذكرناه[٣] من أمر الطبيعة وماهيتها ، وبتطابق الأمر قد بان بما بيناه وأقمناه[٤] من ميزان الديانة ماهية الطبيعة ، وبان ببيانها ماهية غيرها ، وظهر بكون الأعمال مكسبة للنفس ما تتقوم به ذاتها وكون العلوم الدينية مكسبة إياهاما تتقوم به ذاتها وتنال كمالها أن الطبيعة تعطي بجسمها الموجودات عنها ذواتها جسما ، وبصورتها تعطيها صورتها نفساً ، وتوطئها لفعل العقول[٥] القائمة بالفعل في إخراجها إلى الفعل[٦] ، وأن أمرها بجسمها وصورتها في مطابقة الدين وأنواع العبادات واقتران[٧] البعض بالبعض على صورة[٨] لا تتفاوت أصلا على ما صورناه ليعاين توازنها وتطابقها حكمة بالغة تنطق عن قدرة بارعة سبحان مبدعها ، ولا إله إلا هو ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . أستغفر الله وأفوض أمري إلى الله وأستعين بالله وأتوكل على الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وحسبنا الله ونعم النصير ونعم المولى ونعم الوكيل .

---

١ – في ن : تحفظ
٢ – في ك : هو
٣ – في ن : ذكرنا
٤ – في ن : أقمنا
٥ – في ك : القول
٦ – في ن : العقل
٧ – في ن : قران
٨ – في ك : صور

عـــالم الطبيعة

مادة قابلة للصورة صورة متحركة لكل شيء فيه كمال

الاول : هو الفلك الاعلى الحاوي لكل ما في عالم الجسم

الثاني : هو الفلك الجامع على صورة الموجودات (١)

الثالث فلك	زحل
الرابع «	المشترى
الخامس «	المريخ
السادس «	الشمس
السابع «	الزهرة
الثامن «	عطارد
التاسع «	القمر
العاشر كرة(٢)	النار
الحادى عشر كرة	الهواء
الثاني عشر كرة	المـاء
الثالث عشر كرة	الأرض(٣)

الغيوم ذات الجسم الضباب(٥)

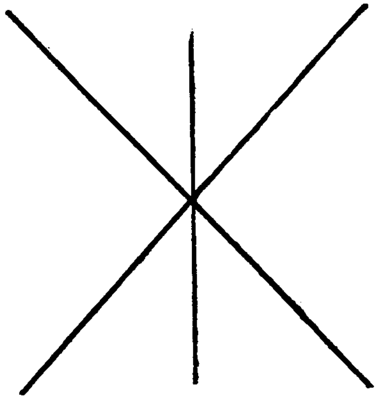

المعادن الحيوان النبات

عـــالم الدين

صورة عقلية

الاول : هو صورة حسية التنزيل الجامع لكل ما في عالم الدين

الثاني : هو الشريعة الجامعة لكل ما يعبد به الله تعالى

الثالث	الشهادة
الرابع	الطهارة
الخامس	الصلاة
السادس	الزكاة
السابع	الصوم
الثامن	الحج
التاسع	الجهـاد
العاشر	الطاعة
الحادي عشر	الحلال
الثاني عشر	الحرام
الثالث عشر	الاحكام (٤)

النقباء الظاهر الوحي والعباداة النقباء الباطن

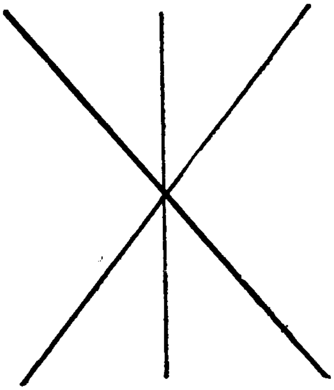

اهل الظاهر اهل الايمان اهل **الباطن**

العابدون بالعمل فقط العابدون بالعلم والعمل العابدون بالعلم فقط

---

١ ـ في ن : الوجودات

٢ ـ في ك : فلك

٣ ـ في ك : التراب

٤ ـ في ن : أحكام

٥ ـ في ن : الصباب

المشرع الثاني

« في أن للطبيعة نهايتين : نهاية أولة [١] محيطة بما هي علة لها بهـــا الوجود الأول الذي هو الكمال الأول ، ونهاية ثانية محاطة بما هي معلولة لها بها الوجود الثاني الذي هو الكمال الثاني ، وأن محلها بين النهايتين ، ومـــا هاتان النهايتان وما محلها ? وأن النهاية الثانية بما هي مركز عنه تتحرك المتحركات »

●

لما كان كل معلول له علة بها وجوده هي له نهايـــة أولة محيطة ، وكانت الطبيعة معلولة ، ثبت أن لها علة بها وجودها هي لها نهاية أولة[٢] محيطة بما هي علة ، ولما ثبت أن لها علة بها وجودها هي لها نهاية أولة[٣] محيطة بما هي علة ، وكان وجودها عن الإبداع الذي هو المبدع الأول والموجود الأول كان الإبداع الذي هو المبدع الأول والموجود الأول علة بها وجو ها[٤] هي لهـــا نهاية أولة محيطة بما هي علة ، وإذا كان الإبداع لها علة بها وجودها ونهاية أولة لها محيطة بما هي علة ، وكان وجودها بموضوعها[٥] الذي هو محل لهـــا كانت هي بكونها ذات موضوع في الترتيب الإلهي العـــام في الموجودات عند التوجه عن العلة التي هي النهاية الأولى المحيطة نزولاً نحو المعلولات التي هـــي السلوك إلى النهاية الثانية المحاطة بذاتهـــا في أول ما يلقى[٦] موجوداً من عالم الجسم الذي هو المحيط منه بكونه نهاية[٧] لا المعلول الذي ليس وراءه معلول

---

١ – في ن : أولى
٢ – في ن : أولى
٣ – في ن : أولى
٤ – سقطت في ك
٥ – في ك : وضعها
٦ – في ك : لقى
٧ – في ن : بنهايات

آخر فيكون مركزاً ونهاية ثانية . ولما كانت الطبيعة بعد ثبوت نهاية لها أولة محيطة بما هي علة لها في المحيط من الأجسام ، وكان عالم الجسم ذا أجزاء وسموات ونجوم ونار وهواء وماء وأرض[١] لم تخل أن تكون بكونها فيه إما منقسمة بحسب انقسام أجزائه فيكون كل جزء منها محيطاً[٢] بجزء منه ، أو غير منقسمة ، فتكون بكونها فيه محيطة[٣] بجزء منه تنبعث عنها قواها في الأجزاء كلها ، ويظهر فعلها فيها ، وبطل أن تكون منقسمة بانقسامه من وجهين : أحدهما أن أجزاء العالم غير متكافئة كالمتصور من أمرها أن السموات التي هي الأفلاك لا كالكواكب[٤] والكواكب لا كالنار ، والنار لا كالهواء ، والهواء لا كالماء ، والماء لا كالأرض والأرض لا كالكل ، ولا هي متشابهة في أحوالها كلها لتكون بكونها كلها شيئاً واحداً كهي في كلهابالذات ، وثانيها أن ذات الطبيعة التي هي الحياة المسماة النفس ليست بذات أجزاء في ذاتها فتكون منقسمة أو جائزاً انقسامها بذاتها بكونها لا جسماً ؛ وإذا بطل أن تكون منقسمة بذاتها لزم أنها في جزء واحد[٥] من أجزائه هو محلها ومركزها بذاتها ، وفي سائرها بقواها وأفعالها ، وإذا لزم أنها في جزء واحد من أجزاء العالم هو محلها ومركزها ، وكان المركز من الشيء قلبه وقطبه ، والجزء الذي هو أشرف من سائره ، وكان قلب الأجسام العالية والمختص[٦] بالشرف منها من الأجزاء المذكورة الشمس ، كانت الشمس هي مركز الطبيعة ومحلها ، فالشمس مركز الطبيعة موجودة عن[٧] النهاية الأولى المحيطة بما هي علة ، وهي بالإضافة إلى الأجزاء كلها لشرفها مركز فيه حلولها وبه كمالها واتصالها بدار الإبداع وقبول الفيض منها بالتشابه الذي هي في موازاتها ، وذلك أن الشمس تهيؤها لقبول بركات عالم الوحدة لا كتهيؤ غيرها من

---

١ ـ في ن : تراب
٢ ـ في ك : مختصا
٣ ـ في ك : مختصة
٤ ـ في ن : كالنجوم
٥ ـ في ك : جزء واحدا
٦ ـ سقطت في ن
٧ ـ في ن : من

موجودات[١] عالم الطبيعة ، ونجوع[٢] أنوار الحروف العلوية فيها لا كنجوعها[٣] في غيرها ، واتصال الموجودات بها لا كاتصال بعضها ببعض ، لكونها سابعة من الموجود الأول ، وكونها بذلك مركزاً تتوجه نحوه أنوار المؤثرات من خارج ويتوارد عليه[٤] الفيض ، ومصير ذاتها عند التشبه والتمثيل في دار الجسم كالإبداع الذي هو المبدع الأول في دار الوحدة ، وبذلك صارت حاوية لكل شرف وجد بالإبداع بضرب ثان تشابهاً ، ومؤدية ما يحصل لها من البركات إلى ما دونها والمتعلق وجوده بها لتكون عنها المواليد فهي مختصة بهذا الجزء الذي هو الشمس ، وأنوارها ساطعة في شيء شيء من موجودات العالم سارية قوتها فيها تفعل في كل شيء منها من أثرها ما لا تفعل من غيره بحسب قبوله منها ، على نحو ما يفعل السمك الذي يخص فعله وتحذيره بيد الصياد من دون غيره ، أو على نحو فعل حجر المغناطيس الذي يختص بالحديد من دون غيره الذي لا يقبل قوة جذبه[٥] . ثم نقول : إنه لما كان الإبداع الذي هو المبدع للطبيعة نهاية أولة محيطة[٦] بما هو علة لها وعنه وجودها الوجود[٧] الأول الذي يتعلق بكمالها الأول ، وكان الإنسان نهاية لها ثانية محاطة[٨] بما هو معلول لا يوجد وراءه معلول آخر ، وعنها وجودها الوجود الثاني الذي هو كمالها الثاني ، وإدا كان الإنسان نهاية ثانية محاطة فالطبيعة لها نهايتان إحداهما محيطة بما هي علة ، وأخراهما محاطة بما هو معلول ، والوسط محله على ما صور[٩] .

---

١ ــ في ك : الموجودات
٢ ــ في ك : نجوم
٣ ــ في ك : كنجومها
٤ ــ في ن : اليه
٥ ــ في ن : انجذابه
٦ ــ في ك : محاطة
٧ ــ في ك : موجود
٨ ــ في ك : محاطة
٩ ــ في ن : صوره

« هذه صورة النهايتين للطبيعة »

« هذه صورة كون الشمس في الوسط[١] سابعة الإبداع وسابعة الحيوان المختص بالنفس الحسية »

فقد تبين أن المبدع الأول نهاية أولة[٢] بأنه ليس فوقه ما يكون شيئاً وأن الإنسان نهاية ثانية بأنه ليس وراءه موجود آخر متأخر عنه كما كان هو متأخراً عما تقدم عليه ، ومعلول آخر بأنه مركز محاط[٣].

---

١ – في ن : بالوسط
٢ – في ن : اولى
٣ – في ن : محيط

ثم نقول إن الإنسان بكونه نهاية ثانية هو مركز عنه تتحرك المتحركات، وذلك أنه بكونه نهاية تنتهي اليها أشعة العقول البرية في دار الإبداع والإنبعاث وأنوار الأجسام المؤثرة في عالم الطبيعة فتشيع[١] فيـه فيصير بها عقـلاً قائماً بالقوة ، فينال من الكمال ما يصير به هو الإبداع شيئاً واحـداً ، وإن كان كل منهما يختص بمرتبة يباين بها صاحبه ، فهو مـن حيث كونه مـن القيـام بالفعل بعد ما كان عقلاً قائماً بالفعل والكمال على النهاية الـتي عليهـا الموجود الأول الذي هو النهاية المحيطة، كالموجود الأول، وفي الإستغناء عن الإستمداد من خارجه ، وعن الإستعانة بشيء هو كغيره كهو ، فهو إذا رجع إلى ذاته في معرفة ما يريد معرفته ، فكأنه قـد رجع إلى تلك الذوات العرية من[٢] المواد يكون ذاته كهي ، وهي كهو ، لا فـرق ولا بالمرتبـة ، وإن كان[٣] الإبداع الذي هو المبدع علة للموجودات والإنسان الذي هو المركـز بامتداد الأنوار من العالمين إليه مثل الإبداع ، وفي مرتبـة في[٤] الكمال ، فالإنسان من هذه الوجوه نهاية هي مركز داخل بـــه يتعلق الحركات وهـو المحرك ، والإبداع بكون الإنسان على هـذه الرتبة[٥] هو داخل خـارج لا يعرى من قوته شيء معلول ، فالطبيعة عن نهايتها الأولى لها الكمال الأول الذي يتعلق بوجود ذاتها ، وعـن نهايتها الثانيـة لها الكمال الثاني الذي يتعلق بكمالها في أحوالها ، ولها بذلك الغنية والكمال والأزل والبقاء . يصحح ما أوردناه[٦] ما ينطق به ميزان الديانة من قبيل الموازنة والمطابقـة الذي يوجب كون الناطق نهاية أولة محيطة بما هي علة عنها توجد الحـــدود المحركة للأنفس إلى العبادة والتوحيد في عالم الدين أن الإبداع الذي هو المبـدع الأول نهاية أولة محيطة بما هي علة عنهـا وجدت الطبيعة التي هـي النفس المحركة لعالم الجسم ، وكون الحدود في وجودها عن الناطق بوجود ما يجري منهـا مجرى الموضوع

١ ـ في ك : فتشبع
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : عن
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ في ن : المرتبة
٦ ـ في ك : اوردنا

الذي تعمل فيه من الكتاب والشريعة بأركانها ، أن الطبيعة وجودها بوجود موضوعها الذي تعمل فيه من الأفلاك والأركان ، وكون أركان عالم الدين كثيرة مثل الشهادة والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والطاعة[١] وليس للحدود منها شيء يختصون به لأنفسهم لا الصلاة ولا الزكاة ولا غيرهما إلا الطاعة التي هي لهم خاصة ، وبها يقبل الكل من الأمة ، وبها يقوم عالم الدين ، أن أقسام عالم الجسم كثيرة مثل الأفلاك والكواكب والأركان،وليس للطبيعة منها قسم يختص به ذاتها[٢] لا الأفلاك ولا غيرها إلا الشمس التى بها حياة الكل وبها عالم الجسم ، وكون الحي من عالم الدين والقابل للحياة من أجزائه بالذات الحدود الذين هم المؤثرون ، أن الحي من عالم الجسم والقابل للحياة من أجزائه بالذات الكواكب التي هي المؤثرة ، وكون الحدودفي قيامهم بأركان الدين وإحياء مراسمها وإخراج المواليد الروحانية وإظهارها، وإن كانوا في ذواتهم ذوي أمر ونهي فكلهم عن أمر واحد يصدرون وهو الناطق والقائم مقامه الذي عليه يدورون وعنه للفعل ينبعثون ، إن الأجرام العالية التي هي الكواكب وغيرها في تحريكها أقسام العالم وإخراج المواليد الطبيعية وتكوينها ، وإن كانت في ذواتها[٣] ذات حياة وتأثيرفحياتها وتأثيرها بأنوارها[٤] عن الشمس التي عليها تدور وعنها للفعل تنبعث ، وكون طاعة الإمام القائم مقام الناطق لازمة لمن في عالم الدين صغيرهم وكبيرهم ، ونفوذ أمره في واحد واحد[٥] منهم ، واختصاص كل واحد منهم فيها بشيء لا يختص به الآخر ، أن فعل الشمس نافذ في عالم الجسم وتأثيرها سار في شيء شيء منه،وأنه يختص كل شيء منه في قبوله بما لا يختص به إلا بحسب

١ ــ دعائم الدين المعروفة لدى الاسماعيلية كما وردت في كتبهم الفقهية وخاصة في كتاب دعائم الاسلام للقاضي النعمان هي : الطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد والولاية . وذهبوا الى ان الولاية افضل هذه الدعائم ، فان اطاع المؤمن الله تعالى واقر بالرسالة وقام باركان الدين كلها ثم عصى الامام ، او كذب به فهو آثم في معصيته ، وغير مقبولة منه طاعة الله وطاعة الرسول ، لذلك لا نستغرب اذا لاحظنا ان الكرماني يأخذ بالطاعة بدلا من الولاية .

٢ ــ في ن : ذواتها

٣ ــ في ك : ذاتها

٤ ــ سقطت في ن

٥ ــ في ن : واحدا واحدا

تهيئه . وكون الإمام الذي يتعلق[١] به أمر عالم الدين في الكمال كالناطق الذي عنه وجد الإمام كاملاً ، أن الشمس التي بها حياة العالم في كمالها في عالمها كالإبداع الذي عنه وجدت الشمس تشبيها ، وكون انتهاء الحدود وغاية أفعالهم ودعوتهم إلى الناطق والأئمة وغيرهم إلى القائم صلوات الله عليه الجامع لأنوار النطقاء وأدوارهم وعلوم الأولين والآخرين من الحدود موجب أن[٢] انتهاء أفعال المؤثرات من عالم الإبداع والشمس والكواكب والأجسام الدائرات[٣] إلى الإنسان الذي هو العالم الصغير الجامع بتركيبه ونفسه جميع الأمور السابقة وجودها عليه ، وكون القائم هو النهاية الثانية التي لا تكون وراءها مرتبة أخرى يوجب أن الإنسان هو النهاية في الموجودات فلا تكون وراءه مرتبة أخرى في الوجود . وكون القائم[٤] الذي هو النهاية الثانية بكونه آخر الحدود التي هي الكواكب في عالم الدين سيد الناس كلهم مطاعا هو المركز الذي بأمره يتعلق الكل ولأجله يتحرك موجب أن الإنسان الذي هو النهاية الثانية بكونه آخر الموجودات هو المركز الذي لأجله يتحرك الكل . هذا ما توجبه الموازنة في عالم الدين ، وأن الذي يؤيد ما ذكرناه تبيانا وبه إيقانا الموجود عليه[٥] حال العالم الصغير الذي هو ولد العالم الكبير ، والنهاية الثانية التي عليها تدور الأفلاك وغيرها دينياً وجسمانياً ، وذلك أن لعالم الدين مركزاً أولا ونهاية أولة وهو الناطق الذي عنه توجد الحدود القائمون فيه بدعوة الأنفس إلى العبادة واقتناء الفضيلة ، وللعالم الصغير مركز أول هو الطبيعة التي توجد نفسه[٦] القائمة بتحريك بدنه إلى بلوغ الأغراض[٧] ، وكما أن حدود عالم الدين وجودها بوجود ما يجري منها مجرى الموضوع الذي هو الكتاب والشريعة بأركانها ، فنفس العالم الصغير وجودها بوجود موضوعها الذي هو شخصها وجوارحها ، وكما أن حدود عالم الدين وأركان الشريعة

---

١ ـ في ك : يعلق فيه
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : الدائرة
٤ ـ في ن : القاتم
٥ ـ سقطت في ك
٦ ـ في ك : انفسه
٧ ـ في ن : اعراض

جميعاً وجودهما عن الناطق فنفس العالم الصغير وجسمها جميعاً وجودهما عن الطبيعة ، وكما أن عالم الدين ذو أركان كثيرة مثل الشهادة والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والفقه والحكم والطاعة ، وليس للحدود من جهة القائمين بهذه الأعمال شيء منها يختصون[١] لا الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا غير ذلك إلا الطاعة التي هي لهم وبها قبول سائرها وحياتها ، فالعالم الصغير ذو جوارح وأعضاء كثيرة ، وليس لنفسه من هذه الأعضاء شيء يختص به لا العين ولا الأذن ولا اليد ولا الرجل ولا غير ذلك مما ظهر وبطن إلا القلب الذي هو لها وتختص به[٢] وبه حياة الكل وحركة الكل ، وكما أن الحي من عالم الدين والقابل للحياة من بين موجوداته بالذات هم الحدود الذين هم مركزه ، فالحي من العالم الصغير والقابل للحياة من أعضائه كلها بالذات هو القلب الذي هو مركزه ؛ وكما أن الحدود في عالم الدين كثيرة ، وكلهم عن واحد[٣] يوجدون وهو الإمام ، فالأنفس في العالم الصغير كذلك كثيرة بأفعالها ، ووجود كلها[٤] وسائرها عن واحدة[٥]، وهي التي في القلب؛ وكما أن الحدود كثيرة والفيض يختص بواحد[٦] منهم في كل زمان والباقون بطاعتهم له ينالون الحظ منه ، فكذلك اجزاء القلب من العالم الصغير[٧] كثيرة والحياة تختص بجزء واحد منه ، وباقي الأجزاء بمجاورتها إياه هي حية ، وكما أن من كان من الحدود أقرب في القبول إلى الشخص الممنون عليه[٨] بالفيض والبركة فهو أشرف من سائرها ، فكذلك من كان من الأجزاء أقرب إلى الجزء الذي فيه الحياة فهو أشرف من سائرها ؛ وكما أن طاعة الإمام لازمة لمن في عالم الدين من صغير وكبير ، ونافذ أمره فيهم فاختص كل واحد منهم من أمره بما لا يخص به الآخر فكذلك قوة الحياة سارية عن القلب في أعضاء العالم الصغير كلها ، ويختص كل عضو من الأمور بما لا يختص به الآخر ؛ وكما

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ك : فيه
٣ ــ في ن : واحدة
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ في ك : في واحدا
٦ ــ في ن : بوحدة
٧ ــ يعني جسم الانسان
٨ ــ في ك : اليه

أن الإمام الذي هو نهاية ثانية لعالم الدين داخل عالم الدين مثل الناطق الذي عنه وجوده ، فنفس العالم الصغير التي هي النهاية الثانية من الموجودات داخل الموجودات مثل الطبيعة التي عنها وجودها ؛ وكما أن بكون الإمام في الكمال داخل عالم الدين مثل الناطق الذي عنه وجد الناطق خارج عالم الدين وداخل عالم الدين ، فكذلك بكون نفس العالم الصغير داخله مثل الطبيعة التي عنها وجدت الطبيعة خارج العالم الصغير وداخل العالم الصغير ؛ وكما أن الإمام الذي هو القائم مقام الناطق في عالم الدين وهو المركز الذي عليه يدور أمر الدين ظاهراً ، والحجة الذي هو القائم مقام[1] الوصي خادم له في إقامة الدعوة إليه باطناً ، فالقلب في العالم الصغير هو المركز الذي عليه يدور أمر الشخص ظاهراً ، والدماغ خادم القلب في التمييز وإفادة الحس باطناً ، وكما أن الحدود الذين هم من جهة الحجة معاً ، هم القائمون باستجرار[2] الأنفس إلى طاعة الإمام خدمة له في عالم الدين ، فالحواس التي يتعلق أمر إحساسها بالدماغ والدماغ معاً قائمة[3] باصطياد المعارف من خارج وأدائها إلى النفس خدمة للنفس في العالم الصغير ، وهذا توازن العالم الصغير والعالم الكبير . لعالم الدين على اختصار ، وإذا كان التوازن والتطابق موجودين بين العوالم ، وكان عالم الدين مثل العالم الصغير ، والعالم الكبير مثل عالم الدين ، فالعالم الصغير مثل العالم الكبير لا يغادر[4] منه شيئاً ، فالطبيعة قد ظهرت أنها في الوسط بين النهايتين اللتين إحداهما الإبداع ، وثانيتها[5] الإنسان الذي هو الجامع للفضائل الذي[6] تنتهي اليه أنوار المؤثرات من العوالم كلها ، وهو عقل قائم بالفعل منبعث من طريق الإنبعات الثاني قد جرى فيه ما جرى في الأول من الكمال فقام بكونه نهاية ثانية بإزاء النهاية الأولة هو[7] بالحقيقة القائم سلام الله على ذكره الذي إليه نهاية النطقاء والأسس والأئمة والتابعين من الحدود في

---

١ ــ في ن : قيام
٢ ــ في ن : في اجرار
٣ ــ سقطت في ك
٤ ــ في ك : لا يغار
٥ ــ في ك : وثانيهما
٦ ــ في ن : التي
٧ ــ في ك : هي

عالم العبادة والتوحيد من أول الدهر إلى آخره الـــذي هو أول الأدوار . فالعوالم كلها متعلق بعضها ببعض متسلسل على النظام الذي توجبه الحكمـــة الإلهية الذي إن تحرك مثلاً متحرك أو سكن ساكن كان موجوداً ذلك المعنى في الكل فيكون بتطابق الكلمة شيئاً واحداً ، فالطبيعة بنهايتها أعلم العلماء ، وأطب الاطباء وهو الملك المقرب المسلم إليه تدبير أمر عالم الجسم . المعرب عنه في السنة الإلهية بالكرسي ، فسبحان من له هذه المملكة ، ومن تدبيره هذا التدبير ولا إله إلا هو أستعينه وأستنصره وأتوكل عليه ولا حـــول ولا قوة إلا بالله وبوليه في أرضه سلام الله عليه وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المشرع الثالث

« في أن للطبيعة علماً ، وما ذلك العلم ؟ وانها جامعة للفضائل بالجزء الذي هو نهايتها الثانية لها وأن لها الغنية والكمال باتصال[1] بعضها ببعض »

●

لما كان كل معلول بكونه من جنس علته يوجد له أثر[2] ، وأن كان في الرتبة دونها ، مثل مالها من أفعالها وأحوالها إلا ما يوجب خلوه منه أو وجوده فيه علة أخرى ، وكانت الطبيعة بوجودهـا عن الإبداع الذى هو المبدع معلولة له ، كانت الطبيعة ـ بكون المبدع الذى هو علة لهاعالماـ عالمة ، ولما كان المبدع الأول مجرداً وخلواً بريا[3] من المواد والموضوعات كانت الطبيعة بكونها لامجردة محضة مثل المبدع بل ذات موضوع يحيطهـا في العلم منزلة بكون الموضوع سبباً عائقاً عن رتبة العقول البرية [4] من المواد في الإحاطة ، ولما كانت الطبيعة وكونها ذات موضوع يحطها[5] في العلم منزلة ، وكان العلم علمين : علمـاً أولاً بالإضافـة إلينا يتعلق بالكمال الأول الذي يختص بحفظ الموضوعات ومصالحها التي بانحفاظها[6] وجود صورها الفاعلة فيها ، وعلمـاً ثانيا يتعلق بالكمال الثـاني الذي يختص بتأييد الصور والذوات[7] المحضة ومناهجها ، وكانت الطبيعة ذات موضوع كان علمها الذي لها هو[8] العلم الأول الذي يختص بحفظ الموضوع الذي لحاجتهـا في وجودها إلى وجود

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : أثره
٣ ـ في : بريئا
٤ ـ في ك : البريئة
٥ ـ في ن : يحيطها
٦ ـ في ك : في انخفاضها
٧ ـ في ن : والذات
٨ ـ سقطت في ن

الموضوع الذي لولاه لما كان لها في الوجود حظ[١] وكونهـا إلى العلم الأول الذي به يتعلق انحراس الموضوع الذي به يتعلق وجودهـا أحوج منها إلى العلم الثاني الذي يتعلق بكمالها ، وذلك أنها لما كان وجودها بوجود موضوعاتها ولم يكن لموضوعهـا عـلم يحرس به ذاته بكونه لاعقلا ، لزم أن يكون لقرينته[٢] التي هي الطبيعة من العلم ما يحرس موضوعها ، فيكون بانحراس موضوعها انحراسها هي من حيث أنها لم تكن عالمة بذلك لكان ممكناً أن يحترق بعض أعضاء الحيوان في نومه وهـو لايحس بذلك ولا يعلمه فيتعطل عليه آلته وأعضاؤه التي بها يجر[٣] المنافع ويدفع المضار، وكانت تخرب بنيته فيهلك ، ولما كان ممكنا ذلك ، وكان فيه خراب الموضوع الذي به وجودها جعلت العناية الإلهية للطبيعة العلم الأول الذي به تحفظ موضوعهـا في جبلة ذاتها أولاً ليثبت به وجودها فيكون بانحفاظه انحفاظها ، وبانحفاظها وقوع الإمكان في اكتساب[٤] العلم الثاني له ذلك ليؤيد ذاتها ويغنيها بنيل الكمال عن موضوعها ، ويحفظها من الإنحلال والفساد بفساد مادتها التي بوجودها[٥] وجودها ، ولذلك ماصـارت النفس النامية التي تختص[٦] بالنجم والشجر إذا أرسلت عروق موضوعها في الأرض فإنها ترسلهـا إلى الجانب الذي تلقي فيه نداوة المـاء الذي يحفظ عليها موضوعها الذي هو جسمها ، إذا وصلت العروق إلى حجر أو شيء صلب تعوجت[٧] عنه إلى حيث يمكنها النفوذ فيه فتوجهـت نحو الرطوبه فعـل الحيوان المتحرك لطلب ما يحفـظ به بدنه وحياته إذا لم يجد طريقاً إلى ذلك طلب طريقاً آخر ، وكذلك النفس[٨] الحسية في البهائم فأنها تأكل ما ينفعهـا وتأبى عن أكل ما يضرها ويفسد عليها أبدانها من المآكل ، وتهرب من بين يدي ما يضرها من الدواب حفظا لأشخاصها التي بها وجودها ، وكذلك النفس المعدنية فإنها تمازج الأجسام

---

١ ـ في ك : حظه
٢ ـ في ن : لقرينه
٣ ـ في ن : مجر
٤ ـ في ك : اكساب
٥ ـ في ك : بوجوده
٦ ـ في ن : تخص
٧ ـ في ن : تعرجت
٨ ـ في ن : الانفس

التي تحفظ عليها موضوعها وتخالطها وتوافقها ولا تمازج ما يفسد عليها موضوعها مثل الزئبق الذي يعرفه الصواغون[١] فإنه يمازج الذهب بكون كل منهما محبا للآخر بالتشابه الذي بينهما والتشاكل فلا يفسد أحدهما جسم الآخر ، وهو لايمازج الحديد لاستضرار كل منهما بالآخر ولايخالطه حتى لو ترك الجسم الثقيل من الحديد على ما هو أقل ثقلا منه من الزئبق لما مكن الزئبق من غوص الحديد فيه والإقامه فوقه ، ولوترك القليل من الذهب فوق الكثير من الزئبق لغاص فيه ولأحبه في ذاته لما بينهما ، ولهما من العلم الأول بما يوافق كلا منهما صاحبه ، ومثل حجر المغناطيس الذي يتحرك إليه الحديد لاشتداد قوته بمجاورته للملاءمة التي بينهما ، ولولا اختصاصها بالعلم الأول لكانت النفس النامية ممكنا أن ترسل عروق الأشجار إلى حيث لا تلقى نداوة الماء فكانت تهلك ، والنفس الحسية التي في البهائم ممكنا ان لا تمتنع من أكل[٢] ما يضرها في أشخاصها من الحشائش فكانت تهلك ، وكانت إذا وصلت إلى رأس بئر ممكنا أن لا تمنع نفسها عن[٣] الوقوع فيها فكانت تقع وتهلك ، والنفس المعدنية التي في الحديد ممكنا أن لا تمتنع عن ممازجة الزئبق فكان الجسم يهلك ، فبعناية من الحكيم جعل لها العلم الأول لحفظ وجودها الأول .

فأما العلم الثاني فيتعلق بأحوال النفس وكمالها الثاني الذي لها في اقتنائه السعادة الأبدية والبركات السرمدية ، ولها به التأزل والتعقل[٤] والإستغناء به عن الآلات والموضوعات ، فإنها تناله بالإكتساب والتعليم من جهه أولى الكمال والأزل الذي هو المعلم الهادي [٥] المنون عليه من السماء بقصد ثان [٦] والخلو الطبيعة التي هي النفس من هذا العلم الثاني ، قال الله تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً [٧] » أي لا تعلمون شيئاً من الكمال الثاني

١ ـ في ك : أكلها
٢ ـ في ن : من
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سقطت في ك
٥ ـ في ن : ثاني
٦ ـ سورة ١٦ آية ٧٨

الذي هو العلم الثانى الذي بتعلق بالأديان والإعتقادات التي بها تكمل النفس وتصير عقلا ، وهو يستفاد من جهة الأئمة الهداة من أهل البيت صلوات الله عليهم . ولما كان ذلك كذلك كان سبيل هذا العلم الثاني لا كسبيل ذلك العلم الأول ، بكون ذلك العلم الأول موجوداً بكل نفس في أول وجودها من الحيوان وغيرها إلا آحاد تمتاز وتختص لعلل موجبة تزول بعد حين فتلحق بغيرها ، وكانت الطبيعة التي هي مجمع الأنفس وقواها ، وما كان من جنسها الموجود في عالم الجسم لها علم وذلك العلم هو العلم الأول الذي يتعلق بمصالح موضوعاتها وأشخاصها وموادها التي بها وجودها وفيها نشوءها ولا تحتاج في ذلك العلم إلى معلم ، ومن ذلك غلطت المعتزلة والبراهمة فحسبت أن الإنسان لا يحتاج في معرفة التوحيد إلى معلم ظناً منهم أن هذا العلم كالعلم الأول الذي يوجد في الطبع ويوهب أولاً لكل ذي نفس مثل علم الخنفساء والدبيب الذي به يهرب من وقع النعل فأخطأوا في اقتدائهم بآرائهم نعوذ بالله من اتباع الرأي والهوى في دين الله .

ثم هذا العلم الأول الذي للطبيعة فليست كيفيته فيما هو خارج من الإنسان ككيفيته فيه بكون العلم الأول للإنسان بيقين ومعرفة ثابتة في ذاته[١] قبل مواقعته الأشياء ، وقبل فعل ما فيه مصلحة شخصه ، وبعد ذلك فبروية وخبرة بأنه يجب أو لايجب وهذا العلم فيما هو خارج عنه لا[٢] على هذه الصورة بل هو له على حالة نسميها مشاكلة فيما له وجود بأن يشاكل كل شيء بما يشاكله ويليق به ، ويميل كل شيء إلى ما هو من جنسه والأشبه به ، وفيما هو من طريق الوجود بأن يحن إلى ما به كماله في وجوده فينهض إليه من جهة المادة مستعيناً بها ، ولذلك صارت[٣] القوة الفاعلة التي هي الطبيعة تهيء للمواليد ما يشاكلها وتحتاج إليه في كمالها الذي يليق بها ، إذ

---

١ ـ في ن : ذواته
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ك : صيرت

لا يحتاج المحتاج إلى شيء لا يشاكله ، بل حاجته إلى ما يشاكله ويليق به ويتم في كونه ذلك العين فيعتضد[١] به في وجوده ، والطبيعة محتاجة في وجودها إلى مواد وبحسب موادها تهيء الصورة التي تليق بتلك المواد وتشاكلها على أمر إذا لم تكن مشاكلة نسميه مخالفة فيما له وجود بأن يخالف كل شيء مالا يشاكله ويهرب منه ، وفيما هو في طريق الوجود بأن لا يحن[٢] إليه ولا يحتاج ، فالمشاكلة والمخالفة الموجودتان في الوجود خارج الإنسان طبعاً هو علمه[٣] بغير روية ، ثم أن الطبيعة مع اختصاصها بالعلم الأول فهي جامعة للفضائل التي هي العلم الثاني بنهايتها الثانية ، وذلك أن الفضيلة لما كانت بمقتضى الشريعة النبوية المكسبة بمناسكها وأعمالها سائرها في النفس من اعتكف عليها ودان الله تعالى بها وأدى حقوقها بإقامتها في نفسه وجسمه هي الصدق المقرون[٤] وجوده في النفس بإطلاق اللسان في الأخبار والشهادات[٥] بالحق ، والطهارة في النفس والجسم بتجنب الرذائل والنجاسات المقرون[٦] وجودها في النفس بالوضوء ، والقربة من الحدود العالية والسفلية المقرون وجودها في النفس بأعمال الصلاة ، والدعاء والتسبيح والتحميد والسخاء المقرون وجوده في النفس بإيتاء الزكاة والخروج من حقها ، والعفة والأمانة والورع المقرون وجودها في النفس[٧] بالصوم ، والشوق إلى الملأ الأعلى وادكار[٨] المعاد المقرون وجوده في النفس بمشاهدة مواطن العبادات وحضورها من المشاهد الكرام وبيت الله الحرام والمساجد العظام لقضاء مناسك الإسلام ، والشجاعة المقرون وجودها في النفس بالثبات في الأمور الدينية المسمى بالجهاد ، والتشبه بالحدود والملأ الأعلى المقرون وجوده في النفس بطاعة الإمام والاقتداء به في العبادتين والتزام الأوامر الدينية فيها ، والحكمة التي هي موازنة الموجودات بعضها ببعض المقرون وجودها للنفس

---

١ ــ في ن : اعتضد
٢ ــ في ن : لم يحنوا
٣ ــ في ك : علة
٤ ــ في ن : المعرون
٥ ــ في ن : الشهادة
٦ ــ في ن : المعروف
٧ ــ في ك : الانفس
٨ ــ في ك : ذكر

بمعرفة التأويل الذي هو العبادة الباطنة والجمع[1] بين العلم والعمل والإحاطة بالموجودات الجسمانية وغير الجسمانية ؛ وكان المعتكف عليها بالحقيقة والمتدين بها لله تعالى الإنسان الذي هو الناطق والقائمون بإحياء مراسم العبادات ، كان الإنسان باعتكافه على هذه الأعمال جامعاً للفضائل كلها وحاوياً للسعادات بأسرها . ولما كان الإنسان باعتكافه على الأعمال كلها التي تجمعها الشريعة ، ومحافظته على أداء الأمانة فيها جامعاً للفضائل كلها والسعادات التي هي الكمال الثاني ، وكان الإنسان نهاية ثانية للطبيعة ، فالطبيعة نهايتها الثانية التي هي الإنسان جامعة للفضائل التي هي الصدق والطهارة والقربة والسخاء والعفة والورع والأمانة والشوق والتشبه بالملائكة العلى والشجاعة والحكمة وما يتبع ذلك من لواحقها . ولما كان الإنسان جامعاً لهذا الفضائل ، وكان الإنسان هو النهاية الثانية التي ليس[2] وراءها موجود آخر ، ولم يكن بعد القائم حد آخر ولا مرتبة أخرى ، كان الإنسان المشار إليه بالحقيقة هو القائم سلام الله على ذكره ، فالقائم هو المركز الذي انتهت إليه أنوار المؤثرات[3] من خارج العالم وداخل العالم ، وإذا كان هو المركز فالإبداع هو المحيط ، وهما نهايتان على مثل ما يتضح من الصورة التالية . فقد بان بذلك أن كمال الطبيعة واحتواءها على الفضائل بالإنسان والإنسان كمال للطبيعة على كونه من الطبيعة ولها به الغنية والكمال والإستغناء .

يصحح ذلك ما يوجبه ميزان الديانة ومراتب الحدود في الملة ، وذلك أن الحدود في عالم الدين كما بينا كالطبيعة المحركة للأجسام المؤثرة فيها بها : فكون وجود الحدود في عالم الدين بوجود الكتاب والشريعة وأركانها التي هي موضوع الحدود ، ولولاها لما كان للحدود وجود الذي يوجب كونهم محتاجين في وجودهم إلى الكتاب[4] والشريعة ، وأركانها أن يكونوا عالمين أولاً[2] بعلم الموضوع الذي هو الكتاب والشريعة التي بوجودها وجودهم

---

١ ــ في ن : جمع
٢ ــ في ن : لا
٣ ــ في ن : المتأثرات
٤ ــ في ك : كتاب

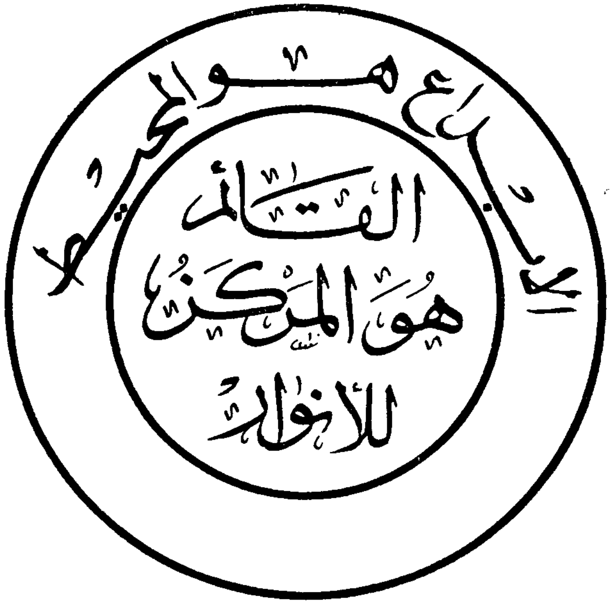

لتنحفظ(١) فيكون بانحافظها انحفاظهم يوجب(٢) أن الطبيعة تعلــق وجودها بوجود موضوعها لها العلم الأول الذي يتعلق بمصالح الموضوع الذي بوجــوده وجودها لينحفظ فيكون بانحفاظه انحفاظها ، وذلك أن الحدود لو لم يكونوا عالمين بالكتاب والشريعــة وأركانها التي بها وجودهم في عـــالم الدين حدوداً لتنحفظ من الفساد لكان ممكناً أن تتعطل بعض المناسك والرسوم من قوانين الكتاب والشريعة ، وكان بتعطل ذلك خراب بيت العبادة الذي يــؤدي إلى بوار الحدود وزوالهم ؛ ولما كان ذلك كذلك لم يجز أن تكون الحــدود إلا عالمة أولاً بالكتاب والشريعة وأعمالها التي يكون للنفس بها الوجــود الأول لحاجتها في استجذاب(٣) الأنفس وإقامة عمــارة بيت العبادة إلى الكتـــاب والشريعة ، مثل الدعاة الذين إن لم يكونوا عالمين بظاهر الكتاب والشريعــة والحجج التي يعتمدونها في الهداية منها لم يطــرد لهم فعل فيما ترقبوا فيــه من

١ ــ في ن : لتحفظ
٢ ــ في ك : واجب
٣ ــ في ك : اجذاب

منازل عالم الدين ، ولا يكون لهم حظ في اقتناء السعادة الأبدية بل ليسوا بحدود لعالم الدين . وكون الأمر في الحدود على ذلك يوجب أن تكون الطبيعة لو لم يكن لها العلم الأول الذي يتعلق بحفظ موضوعها لما كان لها وجود ، وكون كال الحدود كلهم وفضيلتهم بإمامهم الذي هو مركزهم في عالم الدين في الأدوار الصغار وبالقائم الذي هو النهاية الثانية في الأدوار الكبار يوجب أن الطبيعة جامعة للفضيلة بنهايتها الذي هو الإنسان الذي هو النهاية الثانية من الإبداع وكون كيفيه العلم الأول للحدود بالكتاب والشريعة لا ككيفية العلم الأول للناطق والقائمين مقامة الذي هو مركز الحدود بكون العلم الأول للناطق والقائمين مقامه بالكتاب والشريعة علماً تأييدياً ثابتاً عندهم قبل[1] الكتاب والشريعة وبعدهما ، وبما يجب ولا يجب وبما يبدل[2] وينسخ وبما يحكم وما يثبت ظاهراً وباطناً ، وكون العلم الأول للحدود العالمين في عالم الدين من جهة الإمام الذي هو المركز بالكتاب والشريعة تعلما عارضياً[3] به يصح العمل ، يوجب أن تكون كيفية علم الطبيعة الذي هو العلم الأول لا ككيفية العلم الأول للإنسان ، بكون كيفية العلم الأول للطبيعة مشاكلة بأن تميل وتحن على ما ذكرناه من غير روية سابقة على ذلك العين المقصود بأنه يجب أو لا يجب . وكون كيفية[4] العلم الأول للإنسان هو موافقة للشيء على علم بأن ذلك يجب أو لا يجب أو هو راكب فيه الخطر ، وكون عالم الدين بحدوده والموجود فيه من أوضاع الحكمة والعبادة والكتاب والشريعة وقيام كل واحد منهم بما له أن يقوم به فيه مرافدين بعضهم بعضا حاملين بأجمعهم أثقال الملكوت وقابلين بجماعتهم أنوار القدس الفائضة فيهم سادين بعضهم مسد بعض ، قائمين باللوازم في الله أصاغرهم لأكابرهم، وأكابرهم لأصاغرهم ، متصلين بالموافقة الموجودة فيما بين كل منهم ، والذي يليه أواخرهم بأوائلهم كاملا تاما مستغنياً بكله[5] محفوظا في نظامه، يوجب أن عالم الطبيعة

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ك : يتبدل
٣ ــ في ن : عرضيا
٤ ــ في ن : كيفه

بأجسامه وأركانه والموجود فيه مواليده وقيام كل شيء منه بمـا له أن يقوم به فيه من المؤثرات تأثيراً ، ومن القابلات قبولا ، ومن المستحيلات استحالة، ومن الثابتات ثباتا واتصال[١] بعضها ببعض على ما هي عليه من النظـام المحكم كامل تام مستغن[٢] بكله محفوظ على هيئته . فبالتوازن والتطابق الموجودين والشهادة القائمة بهما قد ثبت أن للطبيعة علما ، وأن ذلك العلم عـلم أول[٣] وأن كيفية علمها فيما له وجود إما مشاكلة وميـل وموفقة ، وإما مخالفة[٤] ومنافرة ، وفيما هو في طريق الوجود حنين إلى ما به كمالها وشوقها[٥] وأن لها الفضيلة بنهايتها الثانية ولها الغنية والكمال . والحمد لله وسبحان الله ولاإله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ما شاء الله وأستغفر الله وأفوض أمري إلى الله والشكر لله ولوليه في أرضه صلوات الله عليه على ما رزقنـــا وأنعم به علينا ولا توفيق ولاسعادة إلا بالله خالق الكل ، وحسبنـا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

---

١ ــ في ن : وايصال
٢ ــ في ن : مستغني
٣ ــ في ك : اولى
٤ ــ في ك : مخلف
٥ ــ في ك : وشوق

المشرع الرابع

« في الكرسي الذي هو الملك المقرب الذي هو المحرك المتحرك الأول بما هو محرك ، الذي هو الصورة المحركة لما هي فيه المسمى الفلك ، وسبب كونه محركاً ومتحركاً وأنه داخل الجسم ، وما سبب كونه داخل الجسم ؟ ».

●

نقول : لما كان الكلام على عالم الطبيعة مرتبطاً بالكلام على ما وراءها في دار الإبداع والملائكة المقربين فيها بكونها مشتركة ، وكان لها[1] وجهان أحدهما بما هو محرك ، وثانيها بما هو متحرك ، وكان الفلك الأعلى هوالموجود الأول منها ، قلنا عليه من جهة ما هو محرك الذي يتصل بالكلام علىالملائكة المقربين إنه لما كانت الحركة في الجسم المتحرك لا مما به كونه جسما ، ولا كانت مما نعده في حده فيكون الجسم طويلا عريضا عميقاً متحركاً ، كان وجود الحركة فيه لا من ذاته ، وإذا كانت الحركة لا من ذاته كانت من[2] غيره ، فالغير الذي هو منه الحركة لا جسم بكونه غيراً ، وإذا كان الغير لا جسماً فلا يخلو أن يكون في تحريكه الجسم إما داخله وإما خارجه ، ويمتنع أن يكون خارجاً[3] بأمتناع كون الجسم متحركاً من محرك يحركه من خارجه وهو غير ذي[4] جسم لحاجته في تحريكه إياه إلى أجزاء من جنس ما يحركه الذي هو الجسم بما يلقاه بذاته فيحركه ، وهو ليس بذي[5] أجزاء ، ولا بذي[6] جسم جملة بكونه غير جسم ، وإذا امتنع بكون ما هو خارج عنه غير جسم ولا ذي أجزاء أن يكون متحركاً ، وكان الفلك

---

١ ـ في ن : له
٢ ـ في ك : عن
٣ ـ في ك : خرج
٤ ـ في ن : بذو
٥ ـ في ن : بذو
٦ ـ في ن : ولا بذو

الأعلى الذي هو نهاية الأجسام جسماً متحركاً لزم أن تكون حركته من محرك هو[١] داخله ، وأن يكون هذا المحرك لا جسماً[٢] ، فالمحرك للفلك الأعلى المعرب عنه في السنة الإلهية بالكرسي هو المحرك الأول للجسم بكونه فيه ، وهو المتحرك الأول بحركة ذلك الجسم المعرب عنه في السنة الإلهية بالعرش ، ولذلك يقال عند حد الطبيعة أنها مبدأ حركة وسكون في الشيء الذي هو فيه بالذات ، وذات هذا المحرك هي الحياة السارية عن عالم الربوبية المعرب عنها[٣] بالصورة التي وجودها بالإنبعاث من عالم الإبداع مع الهيولى على النسبة الموجبة وجودهما على ذلك بأن تكون إحداهما فاعلة والأخرى مفعولة فيها على النظام الموجود عليه حال الموجود[٤] الأول الذي هو الإبداع على ما عليه طبيعة النسبة بكونها مفعولاً وذاته لاكذات العقول في التجرد من المواد صوراً[٥] محضة ، بل هي من شيئين بهما وجوده : أحدهما الهيولى والأخرى الصورة ، سماهما عالم الدين الكرسي والعرش ، وهيولاه التي هي جسمه في التهؤ والموافقة والإنبساط لصورتها على أمر يكاد أن يكون كهي لشدة اتحادهما بما شاع فيها من نور الوحدة بقربه منها ، واستعلاء حكم الصورة عليها حتى كأن كليهما شيء واحد[٦] لا مخلص لأحدهما عن الآخر ، ولذلك صار أبدياً لا يتغير ، ولولا أنها كذلك في الموافقة والتشبه بها لما تحرك عنها ، إذ كان في الانبساط على حالة وافقها عليها وعنها كان تشبه إحداهما بالأخرى ، فصارا كشيء واحد ، آثار الزوجية في ذاته قائمة ، وهي من جهة هذا الشيء الذي ليس[٧] في طبيعته كلياً كالصورة تلزمه الحركة ، وذلك أنه لما لم يكن بكلية صورة مجردة قائمة بالفعل مثل العقول البرية[٨] من المواد ، كما ذكرناه من علته ، لم يجز أيضاً أن يكون جسماً كله لأمرين:

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ك : لا جسم
٣ ـ في ن : عنه
٤ ـ في ك : الوجود
٥ ـ في ن : صور
٦ ـ في ن : واحدا
٧ ـ سقطت في ك
٨ ـ في ك : البريئة

احدهما كون النسبة التي عنها وجوده على أمرين موجبين بكونهما علة أن يكون معلولها على أمرين بها كماله. وثانيهما أنه لو كان جسماً كله من غير أن يكون منه مما به كماله ما يكون من جنس العلة الفاعلة فيحركه عند[١] نهوضه للفعل الذي لا يتم إلا بهما جميعاً اضطراراً لإرتباط وجود أحدهما بالآخر فيكون بكونه كذلك لوجود أشياء سواه سببا لما كان يمكن أن يتحرك عن الإبداع الذي هو المبدع المحرك الأول الذي هو خارج عنه مفارق ، وهو – اعني المبدع – لا جسم ولا ذو جسم ، وكان لا يكون إلى وجود الموجودات الجسمانية سبيل إذ من شأن الجسم إذا خلا مما يحركه من داخله أن لا يتحرك مما هو خارج عنه مفارق إلا مما هو ذو جسم مثله ، لما ذكرناه ؛ ولما كان الإبداع الذي هو المبدع الأول والملك الأول خارجا عن الجسم مفارقا ، ولم يكن مثله لزم لما لم يكن مثله أن يكون الإبداع الذي هو المبدع الأول بذاته علة قريبة لوجود[٢] ما في الإمكان أن يوجد عنه مما يجب أن يكون ، وأن يترتب[٣] دونه مما وجد عنه ما يكون علة لوجود ما سواه ، وأن يوجد فيه مما به كماله ما يكون من جنس هذا المفارق الخارج عنه القائم بالفعل ليكون[٤] بكونه من جنسه فاعلا فيكون باقترانهما في الوجود إذا نهض لما يوجبه كماله حدوث الحركة التي بها يتعلق وجود الموجودات[٥] في عالم الجسم وبها يصير محركاً متحركاً لا عن قصد منه لأن يكون متحركاً ، ولا لأن يكون محركاً ، بل لأن يقدس المتعالي سبحانه[٦] وما عنه وجوده الذي فيه فرحه[٧] وحبوره وكماله ، فكان الذي في هذا الموجود الأول من الهيولى الذي هو من جنس ما هو خارج عنها مما لا جود[٨] لها إلا به هو الحياة المعرب عنها بالصورة التي هي العاقلة لذاتها ولذات ما هي فيه من الجسم ،

---

١ –
٢ – في ك : لموجود
٣ – في ن : يرتب
٤ – في ن : يكون
٥ – في ن : الموجود
٦ – سقطت في ن
٧ – في ك : فرحته
٨ – في ن : لا وجود

إذا نهض لفعل ما يوجبه كما له من استدامة المسرة بالتقديس والتحميد تحرك بحركته المتحرك من جسمه ، ولما كان ذلك كذلك قلنا إن سبب كون هذا المحرك ناهضاً للفعل الذي تلزمه[١] الحركة فيكون متحركاً هو أنه لما كان هذا المحرك المتحرك الأول من شيئين يعقل بأحدهما بكونه من جنس ما يعقل ، وكانت غايته وكماله الثاني الذى به يتعلق بقاؤه وقيامه بالتقديس والتمجيد والتحميد وفيه سروره وبهجته ودوامه في عقل ما به وجوده من الموجود الأول السابق عليه في الوجود فأحاط بذاته من جهة ما يعقل فعقلها وعقل الموجود السابق عليه في الوجود الذي به كماله، اغتبط بذلك أشد اغتباط[٢] وكان له من الحبور والمسرة بكماله الذى ناله بعقله ما هو[٣] خارج عنه ، ومصادفته ذاته على أكمل الأحوال والجمال الذي يليق به أعظم حبور واعظم مسرة فصار عقله لذلك صورة في ذاته مقومة له بها قيامه بالفعل كاملا في التقديس والتمجيد والتسبيح ، وبها اغتباطه ومرته بما هو عليه من صيغة البقاء والسرمد محركة إياه إلى ما له أن يتحرك إليه من استدامة الغبطة والمسرة من فعله ، إذ الصور[٤] أبداً فاعلة بما هي له صورة ، وإذا كانت الصورة محركة إياه لزم أن ينبعث للفعل الذي يقتضي كماله ، وإذا لزم أن ينبعث للفعل لزم بفعله في جسمه الذي به تمامية ذاته[٥] أن تحدث عن نهوضه بجسمه لإصدار الفعل الحركة في جسمه ، وإذا لزم أن تحدث الحركة في جسمه لزم أن يكون بكونه فيه متحركا كحركة الملاح عن السفينة ، حركة عرضية طارئة عليه من جهة جسمه عن قصد ما يوجبه كماله على نحو ما يحدث للنفس من الحركة عند طلبها المسرة[٦] بالإنتقام أو العبادة لله وتقديسه ، واستعانتها في ذلك بأبعاض[٧] جسمها ، فكانت تلك الحركة بكونه أشرف موجود من الهيولى والصورة أشرف الحركات وبدوام فعله ما يوجبه الكمال من التقديس والتمجيد[٨] والتحميد والمسرة والإغتباط والإبتهاج أدوم الحركات

---

١ ــ في ك : تلازمه
٢ ــ في ن : اعتبط
٣ ــ
٤ ــ في ن : الصورة
٥ ــ في ك : ذاتية
٦ ــ في ك : الحسرة
٧ ــ في ن : بابعاد
٨ ــ سقطت في ك

فالسبب في حركة المحرك المتحرك الأول هي تلك الصورة المعقولة عن المبدع الأول التي هي المحركة لما هي له كمال إلى ما فيه دوام غبطته وبقائه من التسبيح والتقديس ، وبهذه الصورة الشائعة في الغير المنفعل بها صار المحرك الأول الذي هو المبدع والموجود الأول محركاً أولا ، وبها صار المحرك المتحرك الأول العاقل لها متحركاً أولاً ، ولكون هذا المحرك المتحرك الأول ذا مادة صار أمره بخلاف ما هو بريء[١] من المواد من العقول الموجودة بالإبداع والإنبعاث ، إذ ذواتها كلها عقول ، وليست ذات هذا المحرك المتحرك الأول عقلا ، بل منها ما هو عقل ، ومنها ما ليس بعقل ، على ما ذكرناه ، ولذلك من الأمر ما صار مستغنياً[٢] في الفعل بما هو فيه ، يصحح ذلك كله الموجود عليه حال المحرك الذي هو المتحرك الثاني في دار الطبيعة الذي هو الناطق الذي غايته وكماله الذي به قيامه بالفعل مقدساً ممجداً ، وفيه غبطته وبهجته وفرحه وسروره وبقاؤه ودوامه في إحاطته بما تقدم عليه وجوده وعقله إياه من الحدود ، واحداً واحداً إلى المبدع الأول الذي هو المبدع[٣] الأول ، واتصاله بعالم الإبداع اتصالاً كلياً فإن عقله هذه الأمور وإحاطته بها هي صورة في ذاته مقومة لها بها قيامه بالفعل في التقديس والتمجيد والتحميد[٤] والعبادة واستيفاء السعادة والمسرة والبهجة بالمنزلة ، فإذا كان ذلك صورة في ذاته فالصورة محركة فاعلة بما هي له كمال ، وصورة تلزم القيام بفعل ما يوجبه الكمال من التقديس والتمجيد والتحميد[٥] وبسط السياسة لإكمال الغير التي هي[٦] ثمرة الكمال ، وإذا لزم القيام بالفعل لزم بكونه غير مستغن فيه عن الإستعانة بما به تمامية ذاته من جسمه حدوث الحركة في جسمه ، وإذا لزم حدوث الحركة في جسمه لزم بكونه فيه أن يكون متحركاً ، وإذا بفعله متحركاً ومسرته في فعله العبادة والتسبيح

---

١ - في ن : بري
٢ - في ن : مستغني
٣ - في ن : المبدئي
٤ - سقطت في ك
٥ - سقطت في ك
٦ - في ن : الذي هو

والإصلاح والإستصلاح[١] والتأله ، فهو لا يفتر أصلا استدامة لمسرته فيصير بذلك محركا للغير إلى العبادة والتأله متحركا بنفسه إلى ذلك ، فالعلة في حركة *هذا المحرك المتحرك الثاني هي تلك الصورة المعقولة عن الحدود العلوية التي* هي كماله وبها المتحرك الأول محرك أول ، والمتحرك الثاني محرك ثان ، وليس سبيل الحدود العلوية سبيل الناطق والحدود في دار الطبيعة إذ تلك الحدود عقول لها الكمال الأول والثاني معاً ، وليس من ذاتها ما ليس بعقل بل هي عقول عاقلة لذاتها وذاتها معقولة لها ، والناطق غيره من الحدود السفلية في دار الطبيعة عقول خارجة من القوة إلى الفعل ، ومن ذاتها ما ليس بعقل مثل أشخاصها ، وعقلها للأشياء[٢] إنما هو بصورتها التي هي النفس المرتقبة من درجة كونها طبيعة إلى درجة العقول بعقلها إياها لا بأشخاصها ووجودها الأول الذي هو كمالها في وجودها بأشخاصها معا ، وكذلك المحرك المتحرك الأول وجوده بجسمه معا ، ولما كان ذلك كذلك كان في حالة المحرك المتحرك الأول موازنة حال المحرك المتحرك الثاني بكونه متحركاً ثانياً وحركتها عن الصورة المقومة لذاتها المحركة لهما إلى فعل ذوي الكمال ، وفعل كل منهما تسبيح وتقديس « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً »[٣] وإذا كان الأمر في المتحركين سواء ، وكان المحرك المتحرك الأول غائباً عن الحس بذاته حكمنا عليه بمثل ما عليه حال المحرك المتحرك الثاني الواقع الحاضر للحس بذاته ، فقلنا إن كون المحرك المتحرك الثاني الذي هو الناطق أشرف المتحركين في عالم[٤] الدين من الحدود يوجب أن المحرك المتحرك الأول في عالم الجسم أشرف المتحركات ، وكون حركة الناطق في الدعوة إلى العبادة أشرف حركات الحدود كلها يوجب[٥] أن تكون حركة المحرك المتحرك الأول أجل الحركات ، وكون دعوته إلى أمر

١ – في ن : الاصلاح
٢ – سقطت في ن
٣ – سورة ١٧ آية ٤٤
٤ – في ن : علم
٥ – في ك : يجب

لا يتناهى فينسح بل يبقى ويدوم لا تبديل لكلمات الله ، يوجب أن تكون حركة المتحرك الأول لا تتناهى[١] بل تكون أبدية لا تتغير ، وكونه من بين الحدود كلها مختصاً بالدعوة إلى العبادة الظاهرة التي تعم الناس كلهم من عالم وجاهل ، وإن كان لكل اعتقاد غيرها يوجب أن تكون حركة المتحرك الأول حركة واحدة تعم محركي الأجسام كلها ، وأن المحرك لكل جسم يختص بحركة غيرها ، وكون الناطق قائما بالدعوة وتعليم النفس[٢] ، وكون وجهه إلى أساسه القابل منه أنوار العلم كلها يوجب أن تكون تلك الحركة — أعني حركة المتحرك الأول — وجهها من المشرق إلى المغرب الذي فيه تغيب الأنوار الجسمانية ، وكون الدين على دعوتين : دعوة ظاهرة بها قيام الناطق الذي هو مشرق الأنوار ودعوة باطنة بها قيام الأساس الذي هو مغرب الأنوار ومقرها يوجب أن الحركات فوقنا حركتان : حركة من المشرق إلى المغرب وهي أعلى[٣] الحركات وأشرفها وتختص بالفلك الأعلى ، وحركة من المغرب إلى المشرق وهي تختص بما دون فلك الأفلاك الذي هو فلك الكواكب ، فقد بان بأن بالتطابق صحة القولين في المحركين المتحركين ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ونور عقولنا ببركات موالينا صلوات الله عليهم وإقبالهم علينا ولا إله إلا هو ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . أستغفر الله[٤] وأفوض أموري إلى الله[٥] إنه بصير بالعباد عليه توكلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه ختم الله لنا ولإخواننا في مشارق الأرض ومغاربها بالخير ، وجمعنا على التقوى وجنبنا الردى بمحمد وآله الأئمة الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

١ — في ن : تنهي
٢ — في ك : الانفس
٣ — سقطت في ك
٤ — في ن : استغفره
٥ — في ن : اموري اليه

المشرع الخامس

« في العرش الذي[١] هو المحرك المتحرك الأول بما هو متحرك « الذي هو الفلك الأعلى ، وأنه جسم ، متحرك بما هو جسم[٢] وما يتلوه من الأجسام العالية وأعدادها الشريفة ، وأن الأفلاك ساكنة بكليتها ومتحركة باجزائها »

●

لما كان المحرك المتحرك الأول ذا أمرين بهما هو هو ، وكان كلامنا عليه في الباب الذي تقدم من جهة ما هو محرك يتعلق بالصورة التي هي أحد الأمرين اللذين بهما وجود[٣] ذاته ، كان كلامنا في هذا المشرع عليه من جهة ما هو متحرك الذي به تمامية ذاته ، ويتعلق بالجسم فنقول :

لما كانت آية الألوان والأشكال والأقطار[٤] والحركات لا توجد إلا لما يكون جسماً ، وكانت الكواكب[٥] موجودة لها هذه الأمور ، كانت الكواكب أجساماً ، وإذا كانت الكواكب اجساماً وكانت لها حركتان : حركة ذاتية هي لها عن مباديء حركاتها التي هي فيها بالذات من المغرب إلى المشرق ، وحركة أخرى لها من المشرق إلى المغرب في اليوم والليلة دفعة واحدة ، وكان ممتنعاً أن يكون المحرك الذي يحركها من داخلها إلى المشرق[٦] هو المحرك الذي يحركها إلى المغرب في حال واحدة بامتناع الأمر في أن يكون عن المحرك الواحد حركتان متضادتان في متحرك واحد على حال ، واحدة لزم بوجوب هذه الحركة المخالفة لحركتها الذاتية[٧] وجود

---

١ ـ في ن : «الذي هو الملك القرب للذي»
٢ ـ في ن : « والذي هو الجسم المتحرك بما هو فيه المسمى الفلك الاعلى »
٣ ـ في ك : موجود
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ في ن : النجوم
٦ ـ في ك : مشرق
٨ ـ في ن : ذاته

محرك خارج عنها وعنه كونها متحركـة إلى الغرب ، وإذا لزم وجود محرك خارج عنها وعنه حركتها ، وكان لا يتحرك جسم من محرك خارجه[١] وهو غير ذي جسم متحرك على ما سبق الكلام عليه فيما تقدم ، لزم أن يكـون هذا المحرك الذي هو خارج عنها وعنه طرأت عليها الحركـة إلى المغرب هو ذو جسم متحرك ، وإذا كان ذا جسم متحرك ولم تكن دار الإبـداع ذات جسم فيكون عنه متحركاً ، لزم أن يكون ما هو خارج[٢] عنها فلكـاً آخر[٣] مثله بل أبسط ، فيكـون هو الفلك الأعلى الذي هو نهايـة لدار الطبيعة ، فالفلك الأعلى هو جسم متحرك بما هو جسم يجري من محركـه الذي هو فيه مجرى الهيولى والموضوع وجد بالإنبعاث من عـالم الإبداع الذي هو المبدع عن النسبة التي هي منه دون النسبة الفاعلة التي هي له وذات هذا الذي صار بما فيه من محركه متحركاً لا كذات[٤] مـا هو مقترن به ـ وهو محركه ـ الذي به كماله في إضاءته وتجرده ، بل هو دون ذلك بحسب النسبتين اللتين عنهما وجودهما من ذات المبدع الأول وصورته[٥] ، أعني المتحرك الذي هو الفلك كصورة دائرة محيطة بكل موجود في دار الطبيعة ، ويتلوه الفلك الثاني الذي يجمع أجسام الكواكب كلها التي منها كان[٦] الاستدلال على وجود هذا الفلك الأعلى ، وتليها أفلاك سبعة طبيعية كلها شيء واحد[٧] في كونها أجساماً متحركة وصوراً محركة ، وفي خلال هذه الأفلاك أفلاك أخـر[٨] صغار بها يستقيم دوران الجميع وينتظم وهي بجميعها الكبار والصغار بكونها غير منتقلة بكليتها عن أماكنها ولا زائلة عنها معدودة فيما يكـون ساكناً ، وبكون أجزاء كل منهـا منتقلة متبدلة[٩] عن أماكنهـا في حركتهـا هي معدودة فيما يكون متحركـاً ، كحجر الطاحونة[١٠] الدائرة في مكانها التي

---

١ ـ في ك : خارج
٢ ـ في ك : خارج
٣ ـ في ن : اخير
٤ ـ في ك : كذوات
٥ ـ في ن : وصورة
٦ ـ سقطت في ن
٧ ـ في ك : واحدا
٨ ـ في ن : اخيرا
٩ ـ في ك : مبدلة
١٠ ـ في ك : الطاحون

بكليتها لا تنقل ، وبأجزائها من جانب إلى جانب تتحول .

يصحح ذلك ما كان منه الإستنباط والإستدلال[١] على الموجودات من ميزان الديانة التي هي السنن الإلهية في عالم الدين ووضائعه[٢] وموجودات رسومه التي يوجب تعلق وجود الدعوة الباطنة التي هي قصد الأساس تأويل ما حصرته الدعوة الظاهرة التي هي قصد الناطق للتأله وإكمال الغير بوجود الدعوة الظاهرة التي لولاها لما كانت أن يكون تعلق وجود حركة الفلك الثاني الذي هو فلك الكواكب إلى المغرب بحركة فلك أعلى منه هو غيره ، وهو الفلك الأعلى . بكون الأساس قائماً برسوم الدعوة الظاهرة[٣] التي هي من ترسيم الناطق وإفادته ، وبرسوم الدعوة الباطنة التي هي قسطه خاصة والإستفادة من الناطق ، أن يكون للفلك الثاني حركتان حركة بحركة الفلك الأعلى إلى المغرب التي تماثل الإفادة ، وحركة تختص بذاته إلى المشرق التي تماثل الإستفادة . وكون الحدود في عام الدين في حضانة تعليمهم من جهة الأئمة الهادين ومن دونهم قائمين بحكم الدعوتين جميعاً جارين على رسومها[٤] ظاهراً وباطناً ، إفادة واستفادة ، أن تكون الأفلاك التي دون الفلك الثاني كلها يتحرك حركتين : حركة ذاتية إلى المشرق وحركة بحركة الفلك الأعلى من المشرق إلى المغرب ، وكون الكتاب الذي جاء به الناطق معمولاً به من جهة المقترن به من العترة الطاهرة العاملة فية أن يكون الفلك بما هو جسم متحركاً من جهة المقترن به من الصورة[٥] الفاعلة فيه . وكون الكتاب والعترة جميعاً جزءين لعالم الدين بهما ذاته ووجودهما عن الناطق أن يكون المحرك المتحرك جميعاً بهما ذات الفلك ذاتاً ، وأن وجودهما عن الإبداع الذي هو المبدع ، وكون الكتاب جامعاً للشريعة الجامعة لأمور أحد عشر التي هي : — الشهادة والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والطاعة

---

١ — سقطت في ن
٢ — في ن : ووضعه
٣ — سقطت في ك
٤ — في ن : مرسومها
٥ — في ك : الصور

والحلال والحرام والأحكام ، أن يكون الفلك الأعلى جامعاً للفلك الثاني الذي هو جامع للأفلاك السبعة[١] والطبائع الأربع . وكون كل ركن من أركان الشريعة جامعاً للأمور كثيرة بها هو ركن مثل الطهارة التي تجمع أموراً مثل الاستنجاء والمضمضة والإستنشاق والغسل والمسح وغير ذلك وبها هي الطهارة، أن تكون للأفلاك الكبار أفلاك صغار بها يتم دوران الكبار . وكون كل ركن من ذلك مقترناً بما يتضمنه من المعاني التأويلية المحفوظة بالحدود القائمين به أن يكون لكل[٢] متحرك من هذه الأفلاك محرك مقترن به[٣] يتم ذاته . وكون القائمين بهذه الأركان وبسط ما يتضمنها من هذه العلوم الإلهية التي بها حياة الأنفس هم أئماء سبعة تجمع اثنين وأربعين إماما[٤] أن يكون لكل فلك من الأفلاك الكبار أفلاك صغار عددها مثل ذلك . وكون تمامية عالم الدين وكماله وغنيته وكفايته بالكتاب والشريعة والقائمين بهما من الأئمة والأئماء والحدود دونهم فلا يحتاج إلى غير يوجب أن تكون تمامية عالم الطبيعة بأفلاكها ونجومها وطبائعها ، وهي فاعلة بجميعها ساكنة لا تحتاج إلى غيرها ، وكون أبعاض عالم الدين محتاجة في وجوده إلى وجود غيره أن يكون عالم الطبيعة بأفلاكها ونجومها متحركة بأجزائها لحاجة بعضها إلى بعض في الفعل . فقد ظهر بتطابق الحالتين في العالمين ، وتوازنها صحة الأمر ، وعمار الخلق الذي[٥] هو أكبر شهادة شاهداً للصنعة النبوية بالحق ، والصنعة النبوية شاهدة للخلق[٦] بصحة الكون . والحمد لله الذي قدر فهدى[٧] ومنح وأعطى ، ونور العقل وأضاءه ، وبين الحق وأناره ، وسبحانه ولا إله إلا هو ، وأستغفر الله وأتوكل على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن[٨] ، اللهم اختم لنا بالخير بحق[٩] محمد وآله الطاهرين .

---

١ ــ في ك : السبع
٢ ــ في ن : في كل
٣ ــ في ك : فيه
٤ ــ في ن : واربعون امام
٥ ــ سقطت في ن
٦ ــ في ك : الخلق
٧ ــ في ك : فاهتدى
٨ ــ في ن : يكون
٩ ــ في ن : في حق

المشرع السادس

« في أجسام الأفلاك وخصوصاً الفلك الأعلى ، وأنها أبسط أجسام دار الطبيعة ، وأنها محكمة لاتبيد[1] ولاتستحيل عما هي عليه في جميع أحوالها ، ولا تقبل صورة غير ما هي[2] لها »

●

لما كان كل موجود بما هو موجود مخصوصا — من أحواله التي بها كماله في وجوده — بما يليق به على ما يوجبه النظام الإلهي من جمع كل شيء إلى ما هو أولى به ، وكانت الأجسام العالية[3] مختصة بالحركة الدورية أشرف الحركات ، كان من ذلك العلم بأن اختصاص هذه الحركة التي هي أجل الحركات بتلك الأجسام إنما هي لكونها أشرف الأجسام ، وإلا عاد الأمر بأن يكون خارجا عن الترتيب الإلهي كونه فيما لا يليق به ، ولما كانت تلك الأجسام أشرف الأجسام ، ولها من الحركات أشرف الحركات ، وكان من القوانين أن كل ما كان أخلص[4] من الحركات وأبرى منها فهو أبسط ، وكان الجسم الأعلى الذي هو الفلك الأول له حركة واحدة وما دونه له حركات ، كان منه الحكم[5] بأنه أبسط الأفلاك جسماً وأشرفها أمراً : فالأفلاك أجسام شريفة ، وأشرفها الفلك الأعلى وهو أبسطها جسما ، ولايجوز أن تلحقها استحالة عما هي[6] عليه موجودة لكونها على صيغة لا يهتدي أليها الفساد ، وذلك بكونها آلات أولة[7] وأسباباً متقدمة لوجود

---

١ ـ في ن : لا تفسد

٢ ـ في ن : ما هولها

٣ ـ في ك : الغالية

٤ ـ في ن : خلص

٥ ـ في ك : الحكمة

٦ ـ في ك : هو

٧ ـ في ن : اولى

أشياء منتظرة ، وعللا قريبة لوجودها يتعلق بها وجوده ، وبواسطتها كونه والعناية بأحكام الآلات التي بها يتعلق وجود الأفعال المقترنة بوجود الموجودات ، ألزم للحكيم الصانع أن يحكمها أحكاماً تسلم به من الإستحالة والفساد الذي يضطر الصانع إلى إعادته ثانياً ، فغير جائز أن يكون أمر يلزم الحكيم الصانع في الحكمة فيتركه ولا يفعله ، وإذا لم يجز ذلك لزم أنه قد أحكمه ، وما يكون محكما لا يستحيل ولايفسد[١].

ثم لو جاز أن تستحيل هذه الآلات بأن تتغير عن الصيغة التي بها هي أسباب لوجود الموجودات الطبيعية لكان ما وجدت عنه بكونها على ذلك من الإستحالة ناقصا بقصوره[٢] عن إيفائها الكمال الذي به تبقى[٣] محفوظة لا تتغيز مع إرتفاع الوسائط بينها . وبينه ولما كانت تلك الأجسام التي هي الآلات وجودها من دار الإبداع ولا واساطة[٤] بينها وبين المبدع الذي هو الموجود الأول ، وكان عالم الإبداع عالم الكمال ، كان محالاً أن يعتور الموجود عنه من ذاته تغير لكونه كاملاً ، وإذا كان محالاً أن يعتورها التغير[٥] والإستحالة بكونها كاملة في ذاتها فهي[٦] باقية على حالتها في ذاتها التي خلقت عليها من كونها سبباً لوجود الموجودات ، ثم أنها لو كانت مما يستحيل لكانت الإستحالة تدخل عليها لا دفعة واحدة ، بل بزمان وشيء بعد شيء ، وكان إذا دخلتها الإستحالة شيء منها بعد شيء يبطل منها بحسب ما دخل عليها من الإستحالة من أفعالها في المواليد وإخراج الأشياء إلى الوجود بقدر ما استحال وبطل منها ، وكان إذا بطل من أفعالها شيء كان يعدم من الموجودات شيء بحسب[٧] ما عدم[٨] من العلة الموجبة وجوده . ولما كانت الموجودات على حال وجودها لا زائدة ولا ناقصة بطل أن تكون لأسبابها

---

١ ــ في ك : لا يبيد
٢ ــ في ك : بتقصيره
٣ ــ في ن : تبق
٤ ــ في ن : ولا وسط
٥ ــ في ك : التغيير
٦ ــ سقطت في ن
٧ ــ في ن : حسب
٨ ــ في ن : انعدم

التي بها وجودها استحالة ، ثم أنها لو كانت مستحيلة فاسدة لكانت الإستحالة التي هي الفساد لا تخلو أن يكون حدوثها فيها إما من داخلها من جهة مادتها أو من خارجها بمجاورة ضد لها ، وبطل أن تكون الإستحالة تدخل عليها من جهة مادتها بكونها لا من أشياء متضادة مثل مواد الموجودات تحت فلك القمر في تضادها ، وبكونها شيئاً واحداً محضاً مثل صورتها ومحروساً[١] من أن يدخل عليها من جهة حركاتها فساد بكون حركتها حركة دورية[٢] متشابهة متناسبة لا اختلاف فيها ولا تضاد. وبطل أيضاً أن تدخل الإستحالة عليها من خارجها بمجاورة ضد لها بكونها في أفق ما بعدها تشابهاً وتلائماً وكون ما يجاورها من الأجسام منفعلا عنها لا فاعلا فيها . وإذا كانت الاستحالة من وجهين وبطل الوجهان فلا استحالة لها ، ثم أن الاستحالة تلحق الأشياء القائمة بالقوة عند حركتها نحو كمال ليس لها فتناله وعند قصدها غايتها التي هي قيامها بالفعل ، وتناهيها في القبول والإنتقال[٣] من حال إلى حال إلى حد تقف عنده فلا تكون استحالة بعده ، وحركة تلك الأجسام لا حركة نحو كمال ليس لها لتناله ، بل حركتها حركة ذي الكمال[٤] الذي يتعلق بالفعل في غيره وإيفائه ما له أن يوفيه بوساطته ، وإذا كانت حركة تلك الأجسام حركة ذي الكمال لا حركة إلى الكمال فلا استحالة في ذواتها. فالأجسام العالية أشرف الأجسام وأبسطها ، ومحال فسادها واستحالتها ، ثم لا يجوز أن تقبل صورة غير الصورة التي لها لكونها في الكمال على أمر لا تحتاج إلى زيادة ، وذلك أن قبول الصورة لا يكون إلاّ للمادة ، والذي يجرى من تلك الموجودات مجرى المواد قد شغلته الصورة فشاعت فيه فانتهى به إلى حد لا قبول له بعدها إذ ذلك أمارات[٥] الأجسام فإنها تنتهي في القبول إلى حد تمتنع به عن قبول شيء آخر ، وإذا كانت تلك الأجسام قد

---

١ ـ في ك : محروس
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ك : وانتقال
٤ ـ في ن : ذات الكمال
٥ ـ في ن : علامات

شغلت من الصورة بما لها أن تشغله فلا قبول لها بعدها صورة أخرى ، ثم إن توارد الصور على المواد لا يكون إلا من جهة الفواعل[١] بها فتكون تلك المادة مادة لها تفعل فيها وتكسبها الصور ، وتلك الأجسام قد ارتفعت عن أن تكون مادة لها تفعل فيها بنيلها الكمال عند الإبداع والإنبعاث أولاً وهي من الفواعل ، وإذا كانت من الفواعل فمحال أن تنفعل في المستقبل وإذا كان محالاً أن تنفعل بقبول صورة أخرى[٢] فلا قبول لها لصورة أصلا .

يصحح جميع ذلك ما يوجبه ميزان الديانة من أحوال الموجودات، وذلك أن كون الكتاب أشرف الأشياء الموجودة المعمولة بها في عالم الدين يوجب أن الأفلاك العالية وخصوصاً الفلك الأعلى بجسمه أشرف الأجسام المتحركة وأبسطها . وكون الكتاب على غاية الإحكام والإعجاز في النظم بعيداً عن الاختلاف يوجب أن الأفلاك العالية وخصوصاً الفلك الأعلى بجسمه على غاية الاحكام بعيد من[٣] الفساد والإستحالة. وكون الناطق والقائمين مقامه أشرف من الحدود السفلية الذين دونهم يوجب أن الأفلاك العالية بصورتها وأجسامها أشرف من الأجسام التي دونها، وكون الناطق والقائمين مقامه قائمين بالتقديس وفعل أولي الكمال بلا فتور ولا قعود عنه يوجب أن الأفلاك لا تفتر عن حركاتها[٤] وفعلها فعل أولي الكمال في إخراج المواليد[٥] الطبيعية أصلاً . وكون الناطق والقائمين مقامه غير قابلين صورة[٦] غير ما عليه صورتهم في الكمال ولا منتقلين عما تصوروه من أمر الدين والعبادة يوجب[٧] أن الأجسام العالية غير قابلة صورة غير ما عليه صورتها . وكون الكتاب والشريعة على صيغة واحدة لا تحتاج مع كمالها إلى زيادة ولا إلى نقصان ، يوجب أن الأجسام

١ ـ في ك : الفعل
٢ ـ في ن : اخر
٣ ـ في ن : عن
٤ ـ سقطت في ك
٥ ـ في ن : مواليد
٦ ـ في ك : صور
٧ ـ في ك : توجب

العالية لا تحتاج مع كمالها إلى زيادة فيها بصورة أو نقصان فيهـــا بصورة ، وكذلك حال تلك الأجسام العالية الشريفة لخلق السماوات والأرض[٨] اكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون . فسبحان خالقها ولا إله إلا هو وأستغفره، وأستنصره وأتوب إليه وأتوكل عليه، وأفوض أمري إليه، إنه بصير بالعباد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم العزيز الحكيم .

٨ ـ في ن : والتراب

المشرع السابع

« في أحوال الأجسام العالية وما يجري عليه أمرها في حركاتها وأقسامها وأفعالها التي هي الأسباب [1] في وجود الموجودات الطبيعية »

●

لما كانت الأجسام العالية لها أحوال وأفعال بها يتعلق وجود الموجودات الطبيعية ، وبمعرفتها ترتقي النفس إلى تصور الذوات الإبداعية ، ولم يكن في الإمكان إدراك تلك الأشياء من جهة الحواس لبعدها منها . ولا في استطاعة الإحاطة بها من ذوات العقول الطبيعية لنقصها [2] ، وكان الله تعالى برحمته قد دلنا على من نستنبط منه علم مالا نعلمه بقوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون [3] » رجعنا في معرفة علم الأفلاك في حركاتها وأعدادها ومراتبها ودرجاتها وبيوتها وجميع ما يتعلق بها إلى أولياء الله الذين هم آل محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو الذكر ، وإلى الشرائع النبوية والسنن الوضعية التي هي ميزان أهل الديانة التابعين[4] لها في معرفة ما يراد معرفته ليكون من تصورها بحسب ما توجبه قوانينها اليقين الذي لا يعتريه شك ؛ فقلنا إن كون الناطق مختصاً بدعوة ظاهرة على الدعوات كلها يوجب أن الفلك الأعلى له حركة واحدة مستولية[5] على ما دونها من الحركات كلها ، وكون الناطق متحركاً من محرك هو داخله يوجب أن للفلك الأعلى محركاً ومحركه داخله ، وكون بقاء متحرك الناطق الذي هو داخله باتصاله بما هو خارجه الذي هو الهواء واستمداده منه بالنفس[6] يوجب أن بقاء محرك

---

١ — في ن : السبب
٢ — في ك : نقضها
٣ — سورة ١٦ آية ٤٣ و٢١/٧
٤ — في ن : تابعين
٥ — في ك : متولية
٦ — في ك : في النفس

الفلك الذي هو داخله باتصاله بما هو خارج عنه الذي هو دار الإبداع واستمداده منها الفيض . وكون وجه الناطق من الإفادة إلى وصيه الذي هو مغرب علمه يوجب أن حركة الفلك الأعلى إلى المغرب ، وكون الدعوة الظاهرة خالية عن بيان مراتب[١] الحدود العلوية والسفلية ، يوجب أن الفلك الأعلى ليس فيه كوكب ، وكون الأساس الذي هو دون الناطق في الإستفادة متوجهاً إلى الناطق الذي هو مشرق علمه يوجب أن حركة الفلك الثاني الذي هو دون الفلك الأعلى إلى المشرق ، وكون دعوة الأساس جامعة لبيان مراتب[٢] الحدود كلها الثابتة، وفيها يوجد ذلك يوجب أن الفلك الثاني جامع للكواكب كلها الثابتة ، وكون الناطق جامعاً لجميع صور الموجودات العقلية السابقة في الوجود عليه، يوجب أن الفلك جامع لجميع الصور الطبيعية التي يتعلق به[٣] وجودها ، وكون ما حواه الناطق بكليته[٤] منقسماً بين اثنى عشرهم أصحاب له يوجب أن الفلك بما يجمعه من الصور مقسوم باثنتي عشرة قسمة ، وكون كل من الصحابة جامعاً لبعض ما حواه الناطق من الصور والمعلومات الدينية فمنهم من جمع كثيراً ومنهم من جمع قليلاً ، يوجب أن كل قسمة[٥] من الأقسام الأثني عشر قد جمع صوراً فمنها ما جمع كثيراً ومنها ما جمع قليلاً ، وكون بعض الأصحاب عقيما في الدين لا ولد له ، وبعضهم له أولاد كثير[٦] يوجب أن من أقسام الفلك التي هي البروج ما هو عقيم لا يكون لمن يولد به ولد ، ومنها ما هو كثير الأولاد لمن يولد به ، وكون بعض الحدود الذين هم الأصحاب[٧] صادقي اللهجة ، وبعضهم كاذبين يوجب أن من البروج التى هي أقسام الفلك ما هو صادق ومنها ما هو كاذب ، وكون بعض الحدود — أعني الأصحاب — مستقيم الطريقة في عبادة الله ، وبعضهم

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : رتب
٣ ــ في ن : بوجودها
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ في ك : قسم
٦ ــ في ك : كثيرين
٧ ــ سقطت في ك

معوجي الطريقة فيها يوجب أن من البروج ما هو معوج ، ومنهـا ما هو مستقيم ، وكون بعض الحدود – أعني الأصحـاب – ثابتين[١] على العهـود والمواثيق وبعضهم غير ثابتين، يوجب أن من البروج التى هي أقسام الفلك ما هو ثابت ومنها ما هو منقلب ، وكون بعض الحدود أبالسة ذئاباً يضلون من اقتبس علم الدين منهم[٢] ويهلكونه ، وبعضهم ملائكة يهـدون المستهدين ويخلصونهم من الضلال بالتعليم ، يوجب أن في الفلك درجـات هي آثار مظلمات من يولد بها يكون شقياً، ودرجات نيرة مضيئة سعيدة من يولد بها يكون سعيداً ، وكون الحدود في الأدوار الكبار سبعة يوجب أن الأفـلاك دون الفلكين الأول والثاني سبعة ، وكون أئمة ستة في كل دور صغـير ، يوجب أن لكل فلك من الأفلاك السبعة ستة أفلاك صغار أُخر بهـا تدور الكبار ؛ وكون الدعوة قائمة أبداً بالناطق والأساس ، والإمـام والحجة ، وبولايتهم واتباعهم في دين الله، توجد المواليد الدينية ، يوجب أن في الأفلاك مواضع أربعة قائمة بها يكون وجود المواليد في دار الطبيعة ، وكون الناطق والأساس أشرف من الإمام والحجة يوجب في أن موضعين مـن الأربعـة أشرف ، وكون الناطق المستولي على الكل والأساس الذي به تتعلق حيـاة أهل الدعوة أشرف من الإمام والحجة، يوجب أن الموضع الذي في وسط السماء هو العالي[٣] على ما دونه ، وموضع الطالع الذي تتعلق به حياة المواليد أشرف من وتد الغارب ووتد الارض ، وكون تصرف الحـدود كلها مـن الناطق وغيره في التعليم والهداية على العبادتين علماً وعملاً يوجب أن دوران الأفلاك كلها بما فيها على القطبين الشمالي والجنوبي ، وكون عدد القـائمين بحفظ مراسم التعليم في الدور سبعة يوجب أن المؤثرة من الكواكب في عالم الطبيعة سبعة ، وكون الناطق مشرقا يضيء عالم الدين بعلمه وسياسته، وبه وبدعوته

١ – في ك : نابتون
٢ – في ن : عنهم
٣ – في ك : العلي

تتحرك الأنفس[١] لنيل الكمال الأول والثاني، يوجب أن تكون الشمس المضيئة لعالم الطبيعة بها وبتأثيرها تتحرك المواليد الطبيعية إلى الوجود الذي هو الكمال الأول ، وكون أنوار الناطق وعلمه لا عن مثل له جسماني بل عن تخصيص العناية الإلهية[٢] إياها بها انبعاثاً ، وكون الناطق متولياً من مراتب الدين تأسيس[٣] رسوم العبادة الظاهرة وحدها، يوجب أن الشمس لها بيت واحد ، وكون الأساس من مراتب الدين تأسيس[٤] رسوم العبادة الباطنة وحدها ، يوجب أن يكون القمر له بيت واحد ، وكون العبادتين الظاهرة والباطنة مقترنتين معا يوجب أن بيتي الشمس والقمر في الفلك أحدهما يجنب[٥] الآخر، وكون الناطق في جميع أحواله ثابتا على الظاهر من الأمور فقط على ما يقتضيه مقامه من جميع الكافة ، يوجب أن بيت الشمس ثابت ، وكون الأساس من تعليمه وتأويله منتقلا[٦] من تأويل إلى تأويل ، ومن بيان إلى بيان آخر يوجب أن يكون بيت القمر منقلباً ، وكون الأساس متولياً لأمور عالم الدين وإخراج المواليد الروحانية إلى الوجود يوجب أن يكون القمر هو المتولي لأمور عالم الكون والفساد وبه يتعلق وجود المواليد الطبيعية في الوجود ، وكون الأساس مستفيداً من الناطق ومستمداً من جهته، وما علمه فن تعليمه إياه حصل له ، يوجب أن القمر مستمد من الشمس وضوؤه من جهتها لا من ذاته ، وكون كل من الحدود دون الناطق والأساس قائمين بتعليم العبادتين جميعا، والدعوة اليهما والعمل بهما ظاهراً ذا وجه واحد، وباطنا ذا أوجه[٧] ، يوجب أن لكل كوكب من الكواكب بيتين، أحدهما ثابت على حال واحدة ووجه واحد ، والآخر منقلب[٨] على أوجه كثيرة في الدلالة ، وكون مقام الناطق في عالم الدين محفوظاً بالإمام لا تبطل دعوته ولا تنعكس[٩] يوجب أن

---

١ ـ في ن : النفس
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ك : تأسس
٤ ـ في ك : تأسس
٥ ـ في ن : يجب
٦ ـ سقطت في ن
٧ ـ سقطت في ن
٨ ـ في ك : انقلب
٩ ـ في ك : تعكس.

الشمس لا رجوع لها ولا تنعكس في سيرها ، وكـون مقام الأساس في عـالم الدين محفوظا بالحجة لا تبطل دعوته ولا تنعكس ، يوجب أن القمر لا رجوع له ولا يبطل سيره بالإنعكاس فيه ، وكون الحدود قائمين في عالم الدين بالأمر والنهي[١] عاكفين على مراسم الناطق دائرين في جميـع أحوالهم حيث دار ، يوجب أن الكواكب المؤثرة في عالم الطبيعة تدور حول الشمس كونها متعلقة بها ، وكون الحـدود في تعليمهم المستجيبين وتعريفهم أمر أديانهـم إذا انهوا فيه معهم إلى مراتب العقول الإبداعية والإنبعاثية التي هي غاية الموجودات[٢] التي تحصرها مراتب الأعداد الاثني عشر ، ولم تكن لهم قدرة على تصوير تلك الأشياء في أنفس المتعلمين ، رجعوا في تفهيمهم ذلك والتمثيل لهم إلى مرتبة الناطق ومقامه الثابت في عالم الدين والأنفس، وبينوا لهم مراتب تلك الأشياء المعولة من هذه الأشياء المحسوسة المعلومة ، ليسهل عليهم معرفتها فيستقيم لهم الأمر في التعليم ، يوجب أن للكواكب رباطات من الشمس إذا انتهت بسيرها اليها التي أكثرها مائة وعشرون درجة التي هي اثنا عشر عقدا، وأقلها عشرون درجة التي هي عقدان[٣] وعجزت عن إتمام أفعالها ببعدهـا رجعت الى لقـاء الشمس في الإستمداد منها لإكمال ما سبق من تأثيرها فيه ، وكـون الناطـق والأساس والإمام والحدود دونهم أفلاكاً ونجوماً نفسانية بهـا توجد المواليـد الروحانية في عالم الدين ، يوجب أن الأجسام العالية هي الأفـلاك ونجـوم جسمانية بها توجد المواليد الطبيعية في عالم الجسم ، وكون ألولاية في عالم الدين أمراً يسعد الدعاة الفضلاء القائمين بالعبادتين جميعا ويزيدهم مرتبة وشرفـاً في المعاد باكتسابهم فيها بتعليم الأنفس[٤] وبهدايتها طريق الحق السعادة ويشقى دعاة السوء الجهال المخلين بالعبادتين أو إحداهمـا ، ويزيدهم ضعة وهبوطـاً وشقاوة في دار المعاد باكتسابهم فيها - بتعليم الأنفس مـا ليس مـن الدين ،

---

١ - سقطت في ن
٢ - في ن : الوجودات
٣ - في ك : عقلات
٤ - في ن : النفس

والعدل[١] بهم عن طريق الحق – الشقاوة ، يوجب أن في الفلك موضعاً يسعد الكواكب السعيدة بزيادته في سعادتها ، وينحس المنحوس منها زيادة في نحوسها ، وهو الرأس عند المنجمين ، وكون العقول في عالم الدين أمراً يضع من منزلة الدعاة الفضلاء والعلماء[٢] والحدود القائمين بالعبادتين المتصرفين على الأمر والنهي وينقص من شقاوتهم الأبدية بتعطلهم عن التعليم وقعودهم عن الهداية والتفهيم الذي هو طريق الإكتساب وينقص من شقاوة الجهال منهم والمنافقين الذين ينصبون أنفسهم بغير أمر للرياسة والتعليم بتعطلهم عن اكتساب ما يزيدهم شقاوة في الآخرة بتعليمهم ما لم يؤمروا به ، وتكلفهم[٣] في الدين ما لم يكلفوا ، يوجب أن في الفلك موضعاً بإزاء الموضع الذي يعطي السعود زيادة سعادة ، والنحوس زيادة نحس ، وقبالته هو موضوع[٤] ينقص من سعادة الكواكب السعيدة ، وينقص من نحوس الكواكب النحسة ، وهو الذنب. وكون ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وآله من الكتاب والشريعة ومراسم العبادة بالعمل كالجسم من عالم الدين والقائمين فيه من الحدود كالنفس منه ، وفعل كل من الشريعة والحدود القائمين بها في الأنفس المتعلمة كالاً لها بالشرائع ورسومها بإكسابها[٥] إياها الفضائل الخليقة التي تتعلق بتقويم النفس، والحدود القائمة بها بإكسابها إياها الصور العلمية التي تتعلق بتصوير النفس واستتمام أمر عالم الدين بذلك ، يوجب أن الاجسام العالية بصورها الفاعلة تعطي كلاً من المواليد ما به يتم وجود الأجسام باعطائها إياها ذاتا[٦] بها يتعلق الكمال الأول والصور الفاعلة بها باعطائها إياها نفساً بها يتعلق كمالها الثاني في الوجود الأول ، وبجميعها تم عالم الطبيعة ، وكون الأنفس في عالم النفس قابلة كل ما يلقى إليها وتعلم، يوجب أن الاجسام السفلية التي دون الأفلاك مستحيلة بقبولها الصور[٧]، وكون الأنفس للحدود المعلمين في عالم الدين كالهيولى يعملون

---

١ – في ك : وعدل
٢ – سقطت في ك
٣ – في ن : وتكفلهم
٤ – سقطت في ن
٥ – في ك : اكتسابها
٦ – في ن : ذواتا
٧ – في ن : الصورة

فيها بإيداعها الصور العلمية فيكون عنهـا ملائكة دينية وشياطين مـردة بحسب قبولها منهم ، يوجب أن الأجسام التي تحت[١] الأفلاك كمادة وهيولى للأفلاك والكواكب تؤثر فيها وتودعها الصور التي تليق بها فتكون[٢] عنهـا مواليد محمودة ومذمومة بحسب قبولها عنها، وكون النطقاء في عالم الدين ثلاثة منهم اوائل مثل آدم الذي هو أول من وضع الشريعة ، ومثل نوح الذي هو أول أولي العزم ، ومثل إبراهيم الذي هو أول في إكمال الدين، وثلاثة منهم روادف يقوم كل واحد منهم بإزاء واحد منهم يجدد شريعته ، ويظهر قوته ، ويبسط في الأنفس قدرته ، يوجب أن الكواكب ثلاثة علوية وثلاثة سفلية يقوم كل منها بإزاء واحد منها في قبول قوته وفعله وبسطه في عالم الطبيعة ، وكون الثلاثة التي هي روادف تمامية لأمر الثلاثة التي هي أوائل ولولاها لما قام — أعني للاوائل — فعل ولا حصل عنها في عالم الدين مواليد روحانيـة يوجب أن الكواكب الثلاثة التي قامت[٣] بإزاء الكواكب الثلاثة العلويـة لولاها لما وجد عنها مواليد في الطبيعة ، وكون مقامات[٤] الحدود محفوظة في عالم الدين والنفس لا تزول ولا تبطل ، يوجب أن الأفلاك والكواكب كلهـا محفوظة من التغير .

فهذه أحوال الأفلاك الجسمانية التي أوجبتها الأفلاك النفسانية من ميزان الديانة على إيجاز ، ولولا المخافة[٥] من وقـوع الكتاب إلى من لا يستحق وقوعه عليه لأوردنا على هذه الطريقة سير الكواكب الدينية وطوالع الأفلاك العلمية ، وإقامة الهياجلات والكدخدات النبوية من عجائب العلوم والأسرار في معرفة الاشياء الأبدية في عالم القدس ومعاد النفس ومنازلهـا ومراتبها ، وما يكون لها وعليها فيه على حسب ما يعمله المنجمون في معرفـة الأشياء الطبيعية ما يتبين معه غزارة بحور علوم أولياء الله عليهم السلام ، لكنه لما

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ن : فتتكون
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ك : مقام
٥ ــ في ن : المخاقة

كانت هذه العلوم وسلوك هذه الطريقة مما يختص بالنبوة والرسالة وليس لأمثالنا التعرض له تركنا تصريحه إلا تلويحاً وسيكون لكتابي هذا شأن من الشأن عند طلوع كوكب الصبح الذي يجلي الظلام ويبين مرتبة الإمام ، ولكأني بقاريء هذا الكتاب إذا انتهى[١] إلى هذا الباب تجرد لطلب هذا العلم العلي الذي هو المقصود المخصوص[٢] به الأنفس الطاهرة عليها السلام والبركات ، وأقول إنه إن كان قارئه حقاً أخانا أو صفياً من إخواننا فسيطلع عليه بقراءة كتب الديانة واستيعاب[٣] ما جمعناه في رسائلنا على ما يدل عليه الفهرست ، فقد رددناه فيها ليلتقطه الفهم[٤] والدين الذي هو أخونا حقاً بحرصه على اقتناء السعادة بإقامة العبادتين ظاهراً وباطناً ، ثم لأن لا يصل إليه المنافق الذي لا يعبد الله تعالى ويستجيز التقصير في العبادة علماً وعملاً . والله يجمعنا وجماعة الإخوان المخلصين في دار القدس ويعيننا على ما فيه رضاء وليه في أرضه بمنه ورأفته، وسبحان الله ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي[٥] العظيم أستغفر الله وأفوض أمري إلى الله ما شاء الله استعنابالله[٦] وهو حسبي ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : المخصص
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ك : فهم
٥ ـ سقطت في ن
٦ ـ في ن : به

السُّورُ السَّادِسُ

« في الموجود عن الأجسام العالية من الأجسام السفلية وأحوالها »
ويشتمل على سبعة مشارع

المشرع الأول

« في المادة الأولى[1] التي عنها تكون الأجسام »

●

نقول : لما كان الأمر في وجود الهيولى على ما تقدم ذكره من انعطاف[2] الذوات العرية[3] من المواد عليها لتجعل منها الأشبه في الحكمة مما يمكن أن يكون ما سبق شرحه ، وكان في الإمكان أن يوجد منها ما يكون في حاله وكاله واستغنائه في وجوده عن المواد – مثل المبدأ الأول – أخيراً لما امتنع أن يكون منها أولاً ، جعلت العناية الإلهية بالقصد الثاني منها ما يكون مؤدياً وجوده الى وجود ما أوجبت الحكمة وجوده أخيراً ، فأقامت منها أجساماً عالية من أفلاك وكواكب[4] وأعطتها كمالاتها التي تليق بها فيما قصدت ، وركبتها في غاية الإحكام فعل الحكيم الذي يعتني أولاً في فعله باستجادة أدواته التي بها يتم فعله في كل مادة قبل استجادة المهنة التي فيها يعمل لتكون بجودتها موجوداً فعلها في القوابل[5] على غاية الإتقان وغاية النظام ، إذ الآلات والأدوات لذوي الصناعات متى كانت لا على غاية الجودة ولا على حالة يكون منها قبول تام ، أدى ذلك إلى كثير من النقصان في كمال فعله ، كالقلم للكاتب الحاذق في كتابته وجودة خطه ، وكالكاغد وغير ذلك مما يتم به كتابته الذي متى كان فيه نقصان بعيب فيه دخل على كتابته وخطه من النقصان لأجله ما لا يدخل عليها إذا كان صحيحاً سوياً ، ولذلك وجب في الحكمة استجادة الآلات وإحكامها ليكون بكمالها الفعل بها تاماً ، ولما

---

١ – سقطت في ك
٢ – في ن : اعطاف
٣ – في ك : العارية
٤ – في ك : والنجوم
٥ – في ن : القابل

أقامت منها الأجسام العالية وأعطتها كالاتها ولم يكن القصد فيها أن يجعل الكل أفلاكاً وكواكب[١] إلا ما كان ممكناً وجوده أخيراً من موجود يقوم بذاته غير محتاج إلى مادة يستند إليها في بقائه ، لزم بوجود ما وجد منها وامتناع الأمر في وجود الأفعال الصادرة عن كل موجود انبعاثي قائم بالفعل إلا فيما يكون قابلاً لها من المواد أن يبقى منها ما يكون مادة قابلة يتعاقب عليها الفعل وتتوارد عليها التأثيرات من جهة المتحركات التي أقيمت من جنسها ليكون بقبولها الفعل منها وجود المقدر في الحكمة أن يوجد بوجودها كذلك ، مثل الحديد الذي هو في صناعة الحدادية[٢] موضوع قابل لفعل الحداد وهو – أعني الحديد – من جنس الآلات والأدوات التي هي المطارق والعلاة والكلبتان والمبرد وما يجري مجرى ذلك من أدواته التي بها يتم فعله ومنه أصلحت ليكون بقبوله آثار الصنعة وجود المقدر أن يوجد بوجوده كذلك من أنواع ما يعمل من الحديد ، ولما لزم أن يبقى من الهيولى والصورة ما يكون مادة وموضوعاً تتجه نحوها آثار المؤثرات فتجري منها في وجود المواليد عنها مجرى الأنثى من الذكر ، قلنا إن هذا الذي منه يبقى لهذا الباقي الذي هو الهيولى في وجودها وانبعاثها عن الموجود الأول ذات صورة رافدة إياها الوجود كما أنها لها بها الوجود ، إذ لا وجود لإحداهما[٣] إلا بوجود الأخرى ، ولا لهما وجود إلا معاً بكون وجودهما عن نسبة هي في ذاتها زوج معرب عنها بالمبدع الذي يقتضي إبداعاً ، وما بالإبداع هو مبدع ، فلا الهيولى سابقة في وجودها على الصورة ، ولا الصورة سابقة في وجودها على الهيولى ، بل هما ذات واحدة ، هي في ذاتها جزءان بهما ذات الجسم جسم على كون الصورة أشرف من المادة لتعلق الفعل بها ، وعلى كون كل منهما – أعني الهيولى والصورة – في ذاته غير جسم ، فلا الهيولى بمجردها[٤] جسم

---

١ – في ن : النجوم
٢ – في ن : الحدادة
٣ – في ك : لاحدهما
٤ – سقطت في ن

ولا الصورة بمجردها[١] جسم أيضاً ، لكنهما باعتضاد كل منهما في الوجود بالآخر على أمر ينافي ذاتيهما إذ كانتا في حالهما الأولى لا كهما في حالهما الثانية عند البحث ، إذ هما في الأولى خاليان مما صار لهما في الثانية من الطول والعرض والعمق من الكمية التي سبيل حدوثها لها كالسبيل في حدوث كيفية السواد عند الجمع بين العفص والزاج اللذين لا سواد في ذاتيهما وهما بجملتهما ذات قابلة للصور[٢] المتضادة قائمة بالقوة لما تصير بقبولها صورته قائمة بالفعل مثل الخشب للسرير . وإذا كان ذلك كذلك فاللازم بقاؤه من جملة الهيولى والصورة بعد ما جعل أجساماً عالية مرتبة في مراكزها كالآلات ، وإن كان لا قبل ولا بعد ولا تقدم لشيء منها على شيء إلا عند ترتيب الكلام عليه بكونه هيولى وصورة ، هو كالأجسام العالية الكائنة من الهيولى والصورة ، إلا أنه بكونه دونها قائماً لقبول آثارها كالمادة لذوي الصناعات التي تقبل الآثار ، بل كالأنثى القائمة لقبول قوى الذكر ، وأشعة الأجسام العالية متوجهة إليها ، وهي التي تكسبها الكيفيات فصارت بهذه الأمور ممتازة عنها وإن كان الكل من طبيعة واحدة وذوي أقطار ، فتلك أجسام عالية مؤثرة[٣] بحركاتها ثابتة بأعيانها غير مستحيلة في ذواتها حافظة صورها وموادها[٤] ، وموادها بكمالها صورها ، وهذه أجسام سافلة قابلة آثار المتحركات عليها بذاتها زائلة في طباعها[٥] مستحيلة في كيفياتها مهيئات للانفعال ، فاعل بعضها في بعض ، فاعلة في الموجودات عنها ، متوجهة موجوداتها في القبول الى ما لها أن تقبل من الأعراض التي فيها كمالها المقصود بهذا الترتيب المحكم والنظم الحسن ، وذلك كالحديد الذي هو دون الآلات المعمولة قائم بقبول الصور زيادة على ما كان عليه موجوداً في ذاته من الصورة التي بها وجوده جسماً ، وإن كان الكل من جهة كونهما حديداً شيئاً واحداً

١ ـ في ن : مجردها
٢ ـ في ن : للصورة
٣ ـ في ك : متأثرة
٤ ـ في ن : ومواها
٥ ـ في ن : بطبعها

لا يتقدم أحدهما الآخر فيكتسب بالوارد عليه من تأثيرات الآلات[١] من جهة الصانع الذي هو أحد الآلات أيضاً صوراً كثيرة بها يبلغ ما له أن يبلغه ، فكانت الآلات التي هي السندات والمطارق وغيرها بمنزلة الأجسام العالية لا تنفعل[٢] في الفعل عن المفعول فيه ، فإنها قد قصد في صنعتها لحالة تبقى معها فاعلة لا تنفعل ، والحديد الذي هو المعمول[٣] به بمنزلة المادة التي ذكرناها التي تنفعل في الفعل عن الفاعل ، مثل المسن الذي ينفعل في فعله تحديداً للسكين عن الفاعل فيه الذي هو السكين .

يدل على صحة هذه الأمور ، ومعرفة أحوال هذه الأجسام وتأليفها وكونها فاعلة ، ومنفعلة معيار الخلقة وميزان الديانة ، لكون قواعدها مسلوكاً بها في تقريرها وترسيمها من جهة الصنعة النبوية مسلك الصنعة الإلهية: وذلك أن الأنفس في عالم الطبيعة لما حصلت في الوجود عن أسبابها المتقدمة عليها في الوجود ، وكانت في التهيؤ للقبول والارتقاء الى موازاة المبدأالأول ، ونيل درجة العقول في القيام والاستغناء في الوجود عن المواد على ما هي عليه من الحالة التي ليست لشيء تقدم عليها في الوجود من الهيولى والصورة ، عمدت العناية الإلهية في جذبها الى هذه المرتبة التي هي غاية القصد فيما أوجبت الحكمة وجوده على حسب ما ذكرناه في باب الهيولى والصورة إلى إقامة أسباب بها تنال هذه المرتبة وتحصل قائمة بالفعل برية من المواد ، كما أقامت الأسباب أولا في إخراج النفس[٤] إلى الوجود فجعلت منها النطقاء والأوصياء والأئمة عليهم السلام ، وأعطتهم الكمال أولا كما أعطت الأجسام العالية كمالاتها أولا ، كما ذكرنا في باب الحروف العلوية ، لأن ينبعث عنها مثلها ، وأيدتهم بالفيض والبركات[٥] ليكونوا أسباباً في إرقاء باقيها الى درجة العقول ، وحفظها من

---

١ ــ في ك : الافلاك
٢ ــ سقطت في ك
٣ ــ في ك : المفعول
٤ ــ في ن : الانفس
٥ ــ سقطت في ن

الدثور[١] معلمين لها وموصلين إليها ما به تنال هذه المنزلة ، وباسطين لهـا ما تنشأ عليه من رسوم العبادتين ما يكسبها التعلق به الفضيلة والكمال ، فكان كون النفس[٢] الموجودة بالأسباب المنصوبة لإخراجها إلى الوجـود الأول في عالم الطبيعة أصلاً في عالم الدين منها يكون النطقاء المرسلون والأوصياء والأئمة الهادون ، ومنها يكون الحجج والدعاة المعلمون ، ومنها يكـون المتعلمون القابلون منهم موجباً أن الهيولى والصورة الموجودتين بالإنبعاث من عالم الإبداع وجوداً أولا أصل في عالم الطبيعة منهـا تكون الأجسام العاليـة والكواكب الكاملة الفاعلة ، ومنها تكون الأجسام السفلية الفاعلة المنفعلة ، وعـن جميعها تكون مواليدها القابلة . وكان وقوع العلم بأن الاختيـار إذا وقـع على بعض الأنفس وخص بالكمال ليكون سبباً لكمال باقيها بقي بعضها خالياً من الكمال محتاجاً إلى الاستفادة ، موجباً للعلم بـأن الاختيار والتخصيص بالكمال إذا وقع على بعض الهيولى والصورة فجعل [٣] أسباباً في وجـود الموجودات أبقى منها ما هو خال عن الصورة التي بها كماله ، وهو الذي يسمى المادة ، وكان كون النفس الموجودة عن حركات الأجسام العاليـة واستحـالات الأجسام السفلية قبل نشوئها في الملة ، واعتقادها أمراً من أمور الشريعة ، ومصيرها ذات رتبة في عالم الدين خالية من المعالم الدينية عاطلة ، موجباً أن المـادة الموجودة دون الاجسام العالية قبل تصورها بصور الاركان ، ومصيرها ذات رتبة في الوجود الحسي في العالم الطبيعي خالية من الصور المقومة عاطلة منها، وكان كون الأنفس في وجودها دون الناطق والقائمين مقامه باقية لا مرتبـة لها في الشرق مثلهم ، لها علتان : علة قريبة هي اختصاص النطقاء والقائمين مقامهم بالمراتب العالية كمالا وتماما ، وامتيازهم بها منها ، وعلة بعيدة هـي النسبة المبدعية[٤] الموجودة في الإبداع الذي هـو في الشرف دون النسبـة الإبداعية ، موجباً أن المادة الخالية من الصور التي منها الأجسام السفليـة في

---

١ ـ في ك : الاندثار
٢ ـ في ن : النفوس
٣ ـ في ن : جعل
٤ ـ في ن : الابداعية

وجودها دون الافلاك لها علتان : علة قريبة هي اختصاص الافلاك التي هي الاجسام العالية بالكمال ، وامتيازها منها به ، وعلة بعيدة هي النسبة الموجودة الإبداعية ، وكان كون الناطق والقائمين مقامه من الحدود في التعليم في عالم الدين مختصين من بين الأنفس بالكمال والتمام ليكونوا بذلك مؤثرين في باقي الأنفس بالهداية والتعليم فتكثر المواليد الروحانية، موجباً أن الأجسام العالية مختصة من بين الأجسام كلها بالكمال لتكون بكمالها مؤثرة في باقي الأجسام السفلية وتكثر المواليد[1] الطبيعية، وكان امتناع الأمر في أن تكون الأنفس كلها كاملة مثل الناطق، ومؤيدة غير محتاجة لوقوع الاستغناء بالموجود منهم فيما قصدت الحكمة لإنالتها[2] الكمال عما سواهم ، موجباً أن امتناع الأمر في أن تكون الأجسام كلها كواكب وأفلاك لاكتفاء الحكمة بقدر الموجود منها فيما قصدت الحكمة فيها ، وكان كون الأمر في أن الانفس كلها لو كانت مرتبة في مرتبة الناطق لكان ما بطل في الوجود من المراتب أكثر مما حصل في الوجود منها ، بكونها لو كانت كذلك مرتبة واحدة ، وباقي المراتب[3] في عالم الدين التي بها تستتم[4] الحكمة كان لا وجود لها ، وكان ذلك مؤديا الى وجود النقص في حكمة الحكيم ، موجباً أن الهيولى لو جعلت كلها أجساما عالية من كواكب وأفلاك، لكان ما بطل في الوجود من الموجودات أكثر مما حصل في الموجود منها بكونها لو كانت كواكب وأفلاكاً فقط موجوداً واحداً واثنين ، وكانت الاركان ومواليدها على أنواعها واشخاصها ، وعجائب الحكمة فيها التي تستتم[5] الحكمة في وجود النفس لا وجود لها ، ولكان وجود ذلك على ذلك نقصاً في حكمة الحكيم ، وكان كون النفس في وجودها ذاتها حياة وقدرة جزأين بهما ذاتها ولا وجود لإحداهما دون الاخرى على كون كل منهما في ذاته غير نفس ، موجبا أن الجسم في ذاته هو هيولى وصورة جزآن بهما

---

١ ـ في ك : الوليد
٢ ـ في ك : لنيلها
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ن : تسم
٥ ـ في ك : رتبها

ذاته ووجودهما معاً ، وليس ولا واحد من جزأيه اللذين بهما جملته جسم ، وكان كون الانفس دون النطقاء والائمة القائمين مقامهم منتقلة عن رتبتها[١] ومرتقية بآثار العلم والاستفادة إلى ما هو أعلى منها موجبا أن المادة لذات الصورة دون الاجسام العالية قابلة آثارها ومنتقلة عن طبائعها إلى ما هو أشرف منها باكتساب الصورة ، وكان كون الانفس دون الحدود في عالم الدين ذات علم أول ، موجباً أن المادة لذات الصورة التي هي الجسم المطلق لها علم أول على السبيل الذي بيناه فيما تقدم، فهذا من قضايا موازنة عالم الدين لغيره على اختصار وإمساك عن بسط الكلام في التنزيل والشريعة وما تنطق به دلالتها في ذلك ، ومن كان له جوهر ملائم لجوهرنا[٢] استمرت بهذه الطريقة في الاستنباط خواطره ، واحتدت في الإدراك بصائره ، فرأى ما تركناه[٣] له نصيبا لفكره ، ففكر مهذباً به نفسه ممداً إيانا بالدعاء والترحم أوقات خلواته بنفسه في مناجاته، حامداً الله تعالى الذي من علينا وعليه بأوليائه مصابيح الظلام الذين أضاءوا لنا طرق الهداية . وعند ذلك نقول لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحان الله والحمد لله ، أستغفر الله ، وأفوض أمري إلى الله ، والصلاة على خاتم الأنبياء محمد وعلى عترته الطاهرين أمير المؤمنين[٤] وآبائه الائمة الهادين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

---

١ ـ في ن : أولى
٢ ـ في ن : لجواهرها
٣ ـ في ن : تركنا
٤ ـ يعني الامام الحاكم بامر الله الخليفة الفاطمي

المشرع الثاني

« في الأركان الأربعة ، وأحوالها « وصورها الطبيعية[1]» الفاعلة ، وكيفية اتصال بعضها ببعض والفرق بينها وبين الأجسام العالية »

●

قد سبق من الكلام على الهيولى والصورة ، وما قصد في ترتيب الأجسام العالية منها وجعل منها زوجاً لها قابلاً آثارها لتكون من بينهما المواليد الجسمانية المقصودة في إظهار الحكمة ، ما يكون إخبار الناطق عن الله سبحانه تعالى في خلقه سبحانه حواء من ضلع آدم زوجاً له، وقول الله تعالى: « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى[2] » وقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء[3] » دليلا بصحته ناطقاً ، وعلى كون الأمر كذلك شاهداً صادقاً ، ونقول : لما كان الجسم محدوداً ذا أجزاء متناهية إلى ما ينفصل به عما سواه ، وكان الجسم السماوي قد صارت له صورة تأحد بها ، هي كال له به انفصل عما دونه من جسم فلا يقبل صورة غير ما له الذي هو نهايته في قبوله ، ومن طبيعته الحركة دوراً على ما تقدم شرحه ، ولما لم يكن لما دونه من الجسم ماله صارت قوة حركته على ما دونه بمجاورته له فاعلة فيه حركة وحرارة بها ينقسم أربعة أقسام هن أركان العالم : فأولها ما تكون تلك الحركة والحرارة فيه على النهاية مثل البيت الذي فيه النار من الحمام تشبيهاً ، وثانيهما[4] ما تكون تلك الحركة والحرارة فيه دون ذلك على

---

١ ـ في ن : وصورة الطبيعة
٢ ـ سورة ٤٩ آية ١٣
٣ ـ سورة ٤ آية ١
٤ ـ في ن : ثانيها

الترتيب مثل البيت الثاني من الحمام ، وثالثها ما تكون تلك الحركة والحرارة فيه دون ذلك ترتيباً فيكون البرد فيه أظهر مثل البيت الثالث من الحمام ، ورابعها ما تكون الحرارة والحركة فيه ضعيفة خفية لا تظهر للحس مثل البيت الرابع من الحمام الذي هو الأول منها عند الدخول لا يتميز عما هو خارج عنه .

فأما الركن الأول فنقول : إن ما كان موجوداً في أوائل العقول وجوبه فلا نحتاج في إثباته إلى تكلف دليل ، وحركة الجسم السماوي دائماً موجودة للذهن والعلم بأن الجسم إذا تحرك حركة يحركه ما يماسه من جسم ثابت ، وليسية الخلاء في عالم الطبيعة معلومة لا تحتاج إلى تطلب دليل ، وإذا كان الجسم السماوي متحركاً ، وما دونه من جسم مماساً له وكان منه العلم بأنه بقوة حركته عليه يفعل فيه الحركة ، وإذا كانت قوة الحركة عليه فاعلة فيه الحركة كانت الأجزاء المماسة له بدوام الحركة كلها متحركة ، وإذا كانت الأجزاء المماسة كلها متحركة وكانت الحركة علة لوجود الحرارة كان من ذلك العلم بأن الحرارة تظهر فتشيع في تلك الأجزاء الدائمة عليها الحركة شيعاناً[1] يستوعبها فيجعلها باتصال الحركة عليها ودوامها وتزايد الحرارة إلى النهاية ناراً ، مثل المشاهد من حال الحديد ، إذا استولت عليه حركات المطارق التي هي من جنسه ودام وقعها واتصل في مصيره بما يحدث فيه بذلك من الحرارة المتزايدة ناراً متقدة ، فإذا كان ذلك كذلك فأول جسم مجاور للجسم المتحرك السماوي بالحادث فيه من الحركة والحرارة على النهاية نار ، ولكونه كذلك سببان . أحدهما سابق عليه مفارق ، والآخر ملازم له مطابق ، فأما السابق عليه رتبة فهو العلة التي لأجلها صار كذلك وهي حركة المتحرك دائماً ، وأما الملازم له فهي أمور منها تحرك كل أجزائه تموجاً عن تلك الحركة الدائمة عليه ، ثم الحرارة التامة الحادثة فيه عن تلك

١ ـ في ك : شعاعا

الحركة الدائمة ، ثم ما يتبع الحرارة التامة من اليبوسة والضياء[١] ، وذلك كله كيفيات صارت طبيعية لتلك الأجزاء الموجودة هي فيها ، وإذا كان ذلك كذلك فالحركة والحرارة بما يتبعها من توابعها[٢] طبيعيات للنار تحرك الأجسام التي دونها بحركة ذاتها ، وتكسبها الحرارة على ما عليه حالها فيما انطبع عليها من هذه الأمور لأن الحركة على الدوام موجبة للحرارة التامة ، والحرارة التامة موجبة لانبساط الأجزاء ، وما كان كذلك فهو طبيعي ، فالنار بحركتها التي في اجزائها تحرك الأجسام ، وبالحرارة التي لها تبسط الأجزاء وتعوقها عن التقبض ، وصورتها الفاعلة منها هي الحرارة المكتسبة عن الجسم المتحرك عليها ، ومن شأنها أن تجذب ما دونها باليبوسة إلى طبيعتها ، ولذلك يستعان[٣] بها في إرقاء المياه من قعر الآبار إلى سطح الأرض وغير ذلك ، وتجذب[٤] الرطوبات المستكنة في قعر الأجسام المعدنية من باطنها إلى ظاهرها فتصير رطباً سيالاً ، وكذلك الرطوبة المستكنة في العيدان المستولية عليها اليبوسة تظهرها فيصير لدناً ، وحركتها في حيز غيرها حركة مستقيمة نحو مركزها .

وأما الركن الثاني منها فنقول : إن الجسم لما كان متناهياً[٥] في قبول ما يقبله إلى حد يمتنع عن قبول زيادة عليه ، وكان قد قبل ما دون الجسم الدوار بطرفه الأعلى من خاص[٦] المتحرك عليه بجسمه المماس له حركة أفادته بدوامها حرارة تامة شائعة فيه ، كان من ذلك الحكم بأن هذه الحرارة تنفذ في باقي الجسم ، إذ من شأن الحرارة النفوذ فيما ينفعل عنها نفوذاً ينتهي في البعد عن الأجزاء التي قد قبلت الحرارة على النهاية التي هي الطرف المماس للجسم المتحرك السماوي إلى حيث تتغير تلك الحرارة التامة ضعفاً فتبطل صورة حركتها وحرارتها فتكون ببطلان صورة الحرارة في تلك الأجزاء على

---

١ ـ في ن : والضوء
٢ ـ في ن : تبعهما
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ن : تنجذب
٥ ـ في ك : متناهي
٦ ـ سقطت في ن

حالة لا تحرق ، على ما نشاهد من حال الحديد الذي يضرب بالمطارق ضرباً متتابعاً متوالياً في مصير موضع الوقع بما يحدث منها فيه عن حدة حركة الوقع من الحرارة أولاً فأولاً ، كالجمرة التي هي نهاية الأجسام أن تكون ناراً، ونفوذ الحرارة عن تلك الأجزاء النارية في باقي جسم الحديد نفوذاً على تدريج ينتهي في بطلان صورتها إلى حيث تعتدل فيه فلا تحرق ، فكان الجسم الذي تكون الحرارة على مقدار لا يحرق [١] ولا يؤلم مسه[٢] اجزاؤه الأكثر منها متحركة في ذاته حركة تموج ، والأقل[٣] منها ساكنة سكون تعرج ، وحركته إذ كان في حيز غيره حركة مستقيمة إن كان فوق مركزه هبوطاً إليه مثل نار الصواعق والشهب ، وإن كان دون مركزه صعوداً إليه مثل ما يكون عند الزلازل في بطن الأرض وهو المسمى هواء يشاكل النار بطرفه الأعلى حرارة تامة ، ويشاكل ما دونه بطرفه الأدون ، وإنما كان كذلك لأنه بقوة الحرارة التامة التي فيه، وبها يشاكل النار يجذب ما دونه إلى حيزه لتبطل صورة الحرارة الممتدة إليه بدوام الحركة ، فيصير المجذوب الملائم له المتكيف به الذي نسميه رطوبة سبباً لاعتدال تلك الحرارة الغالبة على ما تفعله القوة النامية في الأشجار إذا اشتدت عليها حرارة الشمس من جذب الرطوبات بالرواضع التي لها المسماة العروق إلى فوق وأعالي أغصانها وأطرافها لدفع تلك الحرارة[٤] حفظاً لذاتها ، فتصير تلك[٥] الرطوبة مادة تكون الأوراق في الشجرة وثمرها وكالوقاية لها من الحر .

واما الركن الثالث منها : فإن الحرارة لما كانت نافذة في الجسم عن الجسم الكائن ناراً فانتهت في نفوذها إلى حيث اعتدلت فيه فكان هواء ، قلنا إن الحرارة في نفوذها في الجسم إذا ضعفت بالبعد عن منبعها وانحطت عن

---

١ ـ في ن : لا ينحرف
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : واقل
٤ ـ في ك : المرارة
٥ ـ سقطت في ن

الاعتدال صار الأكثر المتحرك من الأجزاء في المعتدل بقربه من النهاية المفرطة فيما ضعفت الحرارة فيه لتزايد بعده ساكناً ، والأقل الساكن من الأجزاء في المعتدل لبعده عن النهاية المفرطة فيما ضعفت فيه الحرارة بتزايد[١] بعده متحركاً ، إذ ذلك نظام الوصل بين المتعادين ، فكان هذا الذي أكثر[٢] اجزائه ساكناً وأقلها منه متحركاً في ذاته هو الماء بطرفه الأعلى يشاكل الهواء بما تحرك منه رطوبة ، وبطرفه الأدون يشاكل ما دونه بما سكن منه برودة ، ويتحرك حركة مستقيمة هابطاً إلى حيث يفصل بين الهواء والأرض ، وبجملته هو هدف لأحكام الحرارة الساطعة عن الجسمين فوقه فيه ، فيكون أبداً بالحرارة المحيطة به صاعداً منه إلى حيز الهواء ما تعتدل به حرارته .

وأما الركن الرابع منها : فإن الحرارة فيه خفية ، والحركة كذلك فيه غير ظاهرة ، فكان بذلك في البعد من الجسم الكائن ناراً وحصل عن كل نور في ذلك ظلمة في هذه ، وعن كل حركة ظاهرة في ذلك سكون في هذه ظاهر ، وعن كل لطافة في ذلك كثافة في هذه ، مع كون الذوات كلها جسماً ، وذلك هو جسم الأرض بطرفها الأعلى تشاكل الماء برودة وبطرفها الأدون تشاكل النار يبوسة ، وأجزاؤها مجتمعة إلى مراكزها لحفظ ذواتها وصورها في الوجود ، وآثار الحرارة وأنوار الكواكب متوجهة نحوها وهي في الوسط تعمل الحرارة فيها وتخرج منه بخارات من باطنها تتولد فيها عن الرطوبات المجاورة إياها ، فتكون تلك البخارات أسباباً لأكوان عائدة بمصالح مواليدها ، وحركة الجزء منها إلى الجزء الذي هو منها مركز للأجسام كلها الدائرة عليها والمحيطة بها . يصحح جميع ذلك ما يوجبه ميزان الديانة التي[٣] هي المعيار المعتمد فيما يراد معرفته من أمور الموجودات ، فكان كون الأنفس دون الناطق

---

١ ـ في ن : في زايد
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ن

والقائمين مقامه في عالم الدين مرتبة في مراتب أربع ، بعضها أول قائم بتعليم العبادات الظاهرة العملية ، ومنازل الحدود السفلية التي بها تتهذب النفس وترقى إلى المعالي الأبدية ، وبعضها ثانٍ قائم بتعليم العبادات الباطنة العلمية ومنازل الحدود العالية ، التي بمعرفتها تنال السعادة السرمدية ، وبعضها ثالث فى طريق التعليم والتنبيه واكتساب الفضيلة وقبول العلم وإقامة العمل وإحسان الاتباع ، وبعضها رابع في طرق النفار وقلة الائتمار والقبول[1] والتردد بين الشك والنفاق وهو المقصود بالإصلاح ، وجميع ذلك الحجج والدعاة ومن دونهم وعن جملتهم توجد المواليد الروحانية بتأثير بعضها في بعض . وانتقال بعضها إلى مراتب بعض موجباً أن الاجسام دون الافلاك في عالم الكون والفساد مرتبة في مراتب أربع : بعضها لطيف[2] نافذ فعله فيما دونه ومن شأنه الحركة إلى العلو وهو النار ، وبعضها متحرك إلى الوسط وهو الهواء ، وبعضها كثيف ومن شأنه الحركة إلى السفل[3] وهو الماء ، وبعضها هو الذي تدور عليه المتحركات الفاعلات وتنفذ إليه القوى منها وهو الأرض ، ومن جملة هذه كلها توجد المواليد الطبيعية بتأثير بعضها في بعض واستحالة بعضها إلى بعض . وكان كون القائمين دون الأئمة عليهم السلام في عالم الدين بقبول أنوار العلم والملكوت أربعة : ثلاثة منهم متعلمون ومعلمون ، وهم الباب والحجة والداعي ، وواحد متعلم وهو نفس البشر ، موجباً أن الأجسام القائمة دون الافلاك التي هي الاجسام المؤثرة بقبول آثارها أربعة : ثلاثة منها مؤثرة فيها ومؤثرة وهي النار ، والهواء ، والماء ، وواحدة منها قابلة آثار الكل ، وهي الارض . وكان كون[4] الإمام الذي هو بمنزلة الناطق في قيامه بما يوجبه كماله مؤثراً من جملة من حوله من الاصحاب والاتباع في رجل واحد هو أقرب الناس إليه وأشبه الناس به جسماً ونفساً فيقبل عليه بالإضافة والتعليم والارتقاء إلى درجة الكمال الذي

---

١ ــ في ك : وقبول
٢ ــ في ن : خفيف
٣ ــ في ن : الاسفل
٤ ــ سقطت في ك

به هو يستنير جوهره ، ويعلو كل نفس دونه وبـه تحصل المعرفـة بالأمور الشرعية والسياسية ، وبه تقع القدرة على جذب من دونـه من الانفس إلى المراتب ديناً ودنيا ، فيقيمه بتهذيبه إياه باباً له ، موجباً أن الجسم السماوي في حركته التي يوجبها كماله يؤثر في أقرب الاجسام إليـه وهو الذي يماسه[١] ويجاوره تأثيراً يفيده حرارة بهـا يستنير جوهره ؛ ويعلو كل جسم دونه ويبلغ ما له أن يبلغه بحسب الحركة الدائمة عليه ، وبها يجذب ماهية الاجسام إليه لينال ما له أن يناله ، فيجعله بدوام حركته عليه ناراً على ما ذكرناه من حال الحديد ووقع المطارق . وكان كون الباب دون الإمام قائماً بقبول كل فوائد الإمام مستنيرة قوى نفسه كلها بتأييده موجباً أن النار دون الجسم المتحرك عليها قابلة كل حركة الفلك متحركة أجزائها كلها لطيفة . وكان كون مرتبة البابية وإن كانت واحدة فإنها تجمع أربعة[٢] من الحُرُمْ يشتركون فيها ، موجبـاً أن النار وإن كانت جسماً واحداً فإنها في ذاتها ذات أمور أربعة : الحرارة والحركة في ذاتهـا والضياء واليبوسة . وكان كون كل باب من الأبواب الحُرُمْ يتعلق به من أمور الدعوتين[٣] في عالم الدين ظاهراً وباطناً مـا لا يتعلق بالآخر ، والمتقدم عليهم منهم العارف بفصل الخطاب التي هي الأمـور السياسية التي بوجودها وجود جماعتهم[٤] ، موجباً أن كل أمر من الأمور الاربعة التي في النار يتعلق به في عالم الطبيعة من أمورها علواً وسفلاً ما لا يتعلق بالآخر والمتقدم في الرتبة منها على غيره هو مـا يكون بوجوده سائرها وهو الحرارة التامة . وكان كون الحجج الاربعة الذين هم الابواب الاربعة الحُرُمْ غير معروفين فيما بين أهل الدعـوة لكونهم على أمر لا يمكنهم التظاهر بهذه الرتبة سياسة ، ولا توجد إلا آثارهم في غيرهم من

---

١ ـ في ن : يمسه
٢ ـ في ك : اربع
٣ ـ يعني الدعوة العملية الظاهرة والدعوة العلمية الباطنة
٤ ـ في ك : اتباعهم

الحجج والدعاة والمأذونية ، موجباً أن نفس النار التي دون الجسم الدوار في مركزها غير مرئية ، لكونها محتجبة عن الابصار حكمة بالغة ، فلا يوجد إلا آثارها في غيرها مثل الهواء والماء، وكان كون الحجج دون الائمة في وجودهم عنهم متعلقين بهم مستفيدين منهم آخذين عنهم قائمين بقبول العلم ونشره فيمن دونهم ومختصين في عالم الدين والتعليم بالعلوم الإلهية ، موجباً أن النار دون الاجسام العالية التي هي الافلاك وجودها عن الافلاك وتعلقها في كونها ناراً بحركة الافلاك[١] وهي آخذة القوة منها ومؤدية إلى ما دونها ومختصة بالحركة . وكان كون الحجج في وجودهم لهم علتان : علة قريبة خاصة هي الإمام وتعليمه ، وعلة بعيدة عامة لهم ولغيرهم هي الناطق الذي هو المبدأ لعالم الدين ومن فيه ، موجباً أن النار في وجودها لها علتان : علة قريبة خاصة هي الافلاك وحركتها ، وعلة بعيدة عامة لها ولغيرها هي المبدع الاول الذي هو المبدأ[٢] للموجودات كلها .

وكان كون الحجة بما هو مضاف إلى الإمام هو باب متأحد[٣] المرتبة في عالم الدين ، وبما هو مضاف إلى من هو دونه هو حجة مشترك المرتبة في عالم الدين ، موجباً أن النار بما هي مضافة إلى الأفلاك في وجودها ركن[٤] من أركان العالم تتأحد بمرتبتها، وبما هي مضافة إلى من دونها اسطقس يشاركها باقي الاسطقسات في كون الجميع أسباباً لوجود المواليد . وكان كون الحجة بما هو باب له في طاعته للامام إخلاص[٥] محض يدعوه إلى التقرب إليه أبداً ، وبما هو حجة له في سياسته اهتمام بمن دونه يدعوه إلى إصلاح أمرهم بالإفادة والتعليم موجباً أن النار بما هي ركن لها في حركتها خفة هي صورة لها باعثة إياها

---

١ ـ في ن : الفلك

٢ ـ في ك : مبدأ

٣ ـ متأحد المرتبة : يعني لا يتولى هذه المرتبة في الدعوة الاسماعيلية الا شخصا واحدا فقط .

٤ ـ في ن : ركنا

٥ ـ في ن : خلاصا

على اللحوق بمركزها أبداً طلبا لمقاربة الأفلاك ومجاورتها ، وبما هي اسطقس لها حرارة هي صورة فاعلة فيما هو دونها من الاجسام مؤثرة فيها. وكان كون الباب في توفره على من دونه من الحجج بالإفادة والتعليم قاصراً عن الرتبة التي بها يمكنه إرقاءهم إلى رتبته فيجعلهم مثـله إذ كان ذلك يتعلـق بالإمام الذي عنه تكون هذه المرتبة ، وبتأييده إياهم يترتبون فيها ، موجباً أن النـار في تأثيرها[١] فيما دونها من الجسم بحرارتها قاصرة عن الرتبة التي بها تتمكن من التأثير فيما يجاورها تأثيراً كليا فتجعله مثلها ناراً إذ ذلك مختص بالجسم السماوي الفلكي الذي يفعل فيما يجاوره بحركته الدورية التي ليس للنار مثلها فتجعـل ما يجاورها ناراً . وكان كون الباب في معرفته بالامور وفصل الخطاب حلا وعقداً على حالة يعجز عن مثلها من دونه ، موجباً أن النار في نفوذ قوتهـا وإحاطتها بحرارتها بكل ما دونها من الاجسام على حالة يعجز ما دونها مـن الهواء والماء عن مثله مثل نفوذ الحرارة من جسم النار في جسم الحديـد ، وعجز[٢] الهواء وغيره عن النفوذ فيه . وكان كون الحجة في الاستفادة مـن الباب سابقاً على من دونه ومن جهته تكون حياة المواليد الروحانية ، وبمـا عنده من العلوم الإلهية نشوؤهم ، موجباً أن الهواء الذي هـو دون النار مستفيد حرارته منها وسابق في قبول الحرارة على ما دونه من الاجسام ومن جهته تكون حياة المواليد الطبيعية وبما فيه من قوة الحرارة المعتدلة يكون نشوؤهم . وكان كون الحجة له من الأمر في اهل الدعوتين مـا للباب إلا ما متعلق بالأمر الظاهر[٣] المنوط بالحكم . فيكون بذلك لا كل أمور الدعوتين[٤] إليه كالباب ، بل لا أكثر منها ولا أقـل ، لا موجباً أن الجسم الذي دون النار الذي هو الهواء له من الحرارة ما للنار إلا الحدة والسلطنة التي يكـون بها الإحراق ، فيكون بذلك لا كل اجزائه متحرك كالنار بل الاكـثر منهـا والاقل هو الساكن . وكان كون الحجة مشاركاً للباب في استنباط التأييد من

١ ـ في ك : بناتيرها
٢ ـ في ن : وجز
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ سقطت في ن

أنوار الإمامة ، وإن كان الباب سابقاً بالرتبة فيه عليه ، موجباً أن الهواء مشارك للنار في اكتساب الحرارة من حركة الأفلاك ، وإن كانت النار سابقة عليه. وكان كون مرتبة الحجة وإن كانت واحدة فالمترتب فيها أنفس كثيرة تشترك فيها وعددها التام ثمانية[1] ، والأشرف منهم من استقامت طريقته في دينه واعتدل اعتقاده في العبادتين ، فلا يميل إلى إحداهما دون الأخرى ، ودعا إليها على ما بيناه في كتابنا المعروف «بمعالم الدين» وقام بحكم الدعوة وساس أهلها بالتربية على نظام يحرسهم من ظهور النفاق فيهم ، فتهلك جماعتهم لا من يتغير بأن يشرك بولي الله أو يخرج[2] عن أمر ولي الله ، أو يعلم ويدعو بغير أمر ولي الله ، أو يبخل بما يعلمه على مستحق من أولاده ، أو يمنع مرتبة من مراتب الدعوة من يستحقها ، أو يصير أنثى بعد أن كان ذكراً أو تأخذه العزة إذا فتح الله عليه باباً من العلم فلا ينسب ذلك إلى بركات من هو مستنداً إليه من ولي الله ، موجباً أن الهواء وإن كان واحداً من حيث كونه جسماً لطيفاً شفافاً ذا حرارة ورطوبة فإنه في ذاته أهوية ثمانية : أحدها وهو أشرفها هواء معتدل في حرارته ورطوبته تنشأ فيه وتتربى المواليد الطبيعية ، وثانيها هواء زائدة حرارته على رطوبته في الإعتدال ، وثالثها هواء زائدة رطوبته على حرارته عن الإعتدال ، ورابعها هواء ناقصة حرارته عن الإعتدال محفوظة رطوبته في الإعتدال ، وخامسها هواء ناقصة رطوبته عن الإعتدال محفوظة حرارته في الإعتدال ، وسادسها هواء خارج عن[3] الإعتدال في حرارته ورطوبته بالزيادة ، وسابعها هواء خارج عن الإعتدال في حرارته ورطوبته بالنقصان ، وثامنها هواء معتدل في حرارته ورطوبته لكنه فاسد بأعراض[4] لاحقة عن أمور عرضية . وكان كون الحجج قد تتغير أحوالهم في اعتقادهم بأمور تظهر فيهم ثغرة لشكوك تعرض لهم غلواً

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ك : خرج
٣ ــ في ن : من
٤ ــ في ن : بعرض

وتقصيراً ، فيتخيل إليهم ما هو غير صحيح بأنه صحيح ، وما هو غير واجب بأنه واجب ، وما هو واجب صحيح بأنه غير واجب وغير صحيح ، فيهلك معهم عالم من الناس بالنفاق وسوء الإعتقاد ، وقد يثبتون على إستقامة طريقتهم اعتصاماً بالأمر فيعيش في ظل تعليمهم عالم من المؤمنين ، موجباً أن الأهوية قد تفسد بأعراض تلحقها فتخرج عن حد الإعتدال إما بزيادة أو بنقصان على ما ذكرناه ، فيهلك كثير من النبات والحيوان ، وقد تثبت في حال الإعتدال فيحيا بها كثير [١] من الحيوان والنبات على ما بيناه . وكان كون الحجة معدناً لعلم التأويل الذي هو موازنة الأمور الدينية بالموجودات[٢] التي بمعرفتها تحيا الأنفس حياة أبدية ، وعنده يوجد بيان ما يرد إليه من لفظ التنزيل وتبيانه فيجعل المشتبه من أمور الدين واضحاً لمستفيدين[٣] وهو مقسم العلم بكونه في وقت الإمام كالأساس في وقت الناطق ، موجباً أن الهواء معدن الحرارة المعتدلة ، التي بها حياة الحيوان وبها تنبت الأرض النبات وتعقد المعادن ، وبه تعذب وتطيب البخارات المالحة والمنتنة والمرة ، التي ترتفع إليه فتصير ماءً عذباً وقطراً زلالا طيباً . وكان كون الحجة في قيامه بقوة علمه يجذب كل مستحق في دعوته ويرفعه ويعلي مرتبته موجباً أن الهواء بحرارته يجذب كل جسم متهيىء للبساطة فيعليه. وكان كون الحجة في نفوذ أمره فيمن[٤] دونه من الدعاة وغيرهم بما اختص به على أمر يعجز عنه الدعاة وغيرهم ، موجباً أن الهواء بحرارته ينفذ فيما دونه من الأجسام نفوذاً يعجز عنه الماء كما عجز هو عما نفذت فيه قوة النار أن ينفذ فيه على ما ذكرناه[٥] من نفوذ قوة الحرارة في الحديد . وكان كون قوة الحجة وتأييده الذي به يصير فاعلاً في الأنفس تعليماً ورقماً، وبه تنفتح عليه أبواب العلوم هو تولية الإمام إياه وثبوت

---

١ ــ في ك : كثيرا
٢ ــ في ن : الوجودات
٣ ــ في ن : للمستفيدين
٤ ــ في ك : في من
٥ ــ في ك : ذكرنا

الولاية له ، موجباً أن الهواء صورته التي بها يصير فاعلاً فيما دونه هي الحرارة .

وكان كون الدعاة دون الحجة مرتبة واحدة ، والمترتب فيها بحسب كل أمر من أمورها دعاة كثيرون ، وسبيلهم في استقامة الطريقة سبيل الحجج على ما ذكرناه موجباً أن الماء دون الهواء من حيث كونه جسماً سيالاً ذا رطوبة ماء واحد ، وبحسب كيفياتها[١] مياه كثيرة عذب ومالح ومر وحامض وغير ذلك وحالها في الإعتدال والخروج عن الإعتدال كحال الهواء . وكان كون كل مراتب الدعوة في التعليم لا يتعلق بداع واحد بل بجماعة فيكون بذلك الأقل منها هو الأشرف ، وما دونه هو الأكثر ، موجباً أن الماء دون الهواء لا كل أجزائه[٢] متحرك ، بل الأقل منها متحرك والأكثر منها هو الساكن . وكان كون الداعي في نفوذ فعله فيمن دونه من الأنفس تعليماً وتصويراً بما امتد إليه من القوة على حالة تعجز عنها الأنفس لذواتها ، موجباً أن الماء بالمتحرك من أجزائه له نفوذ فيما دونه من الأجسام نفوذاً تعجز عنه الأرض كما عجز هو عما نفذ فيه الهواء كالأرض يعمل فيها الماء فينفذ بأجزائه المتحركة فيها نفوذاً يعجز عنه بعض منها أن ينفذ في بعض . وكان كون عماد قوة الداعي في دعوته هو ما تنقاد به النفوس وتقبل ، من الأخذ بمناسك الدين وتعليم ما يكون موجباً لقوانين العبادتين الكاسبتين الفضيلة لا ما يبطلها أو واحدة منهما ، موجباً أن صورة الماء التي هي الفاعلة فيما دونه[٣] هي الرطوبة التي بها تنبسط أجزاء الأرض فتخالطها وتميز عن يبوستها. وكان كون الداعي سبباً للأنفس في حياتها الأبدية قريباً، موجباً أن الماء سبب[٤] قريب لحياة الأرض وخضرتها[٥] وكان كون الداعي راجعاً أبداً

---

١ ــ في ن : كيفيتها
٢ ــ سقطت في ك
٣ ــ سقطت في ك
٤ ــ في ن : السبب
٥ ــ سقطت في ن

فيما لا يعلمه ويشتبه عليه إلى بيان الحجة الذي يزيل الشك عنه ويزيده إيقاناً، موجباً أن الماء راجع إلى الهواء صعوداً إليه بالبخار فيزيل عذوبة الهواء ملوحة ما كان مالحاً من الماء فتجعله عذباً ، وما كان عذباً تزيده عذوبة وسلاسة[١] . وكان كون الداعي فاعلاً فيمن دونه من البشر كسراً عليهم اعتقادهم ، وجذباً إياهم إلى بيت العبادة مؤثراً فيهم بجودة تفهيمه وتلخيصه ليكون منهم العلماء والحدود ، موجباً أن الماء حركته إلى ما دونه من المركز مؤثر فيهم[٢] برطوبته وتحليل أجزائه لتكون عنه الأكوان[٣] وكان كون الأنفس دون الدعاة والحجج والحدود قابلة آثار التعليم منهم موجباً أن الأرض دون الماء والهواء والنار والأجسام العالية بأجزائها العالية قابلة آثارها. وكان كون الأنفس لا قدرة لها على تعليم ذواتها[٤] ولا لها إلا القبول[٥] من غيرها والتعلم منه ، موجباً أن الأرض لا قدرة لها على فعل في ذاتها إلا القبول من غيرها من الأجسام التي فوقها[٦] .

وكان كون الأنفس ببعدها عن أرباب التأييد وقلة علمها مجتمعة على حفظ أديانها ورسوم متعبداتها موجباً أن الأرض ببعدها عن النهاية الأولى وخلوها مما اختص[٧] به الأجسام العالية اجتمعت أجزاؤها فتكاثفت على ما ذكرناه فيما تقدم . وكان كون الأنفس في قبولها من المعلمين يحصل منها الحجج والدعاة وأهل الظاهر موجباً أن الأرض بمجاورة الماء ومخالطتها إياه وقبولها تأثير الأجسام يحصل منها الحيوان والنبات والمعادن . وكان كون الأنفس هدفاً لآثار التعليم من جهة الحدود العالية عليها، موجباً أن الأرض مجمع لأنوار كل[٨] جسم عال عليها بأجزائها الظاهرة للهواء . وكان كون الأنفس غاية قوتها القبول والانطباع موجباً أن الأرض غاية قوتها الفاعلة القبول والإنفعال. وكان

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : مؤثرا فيها
٣ ــ في ن : « لتكور عنه الاكوار »
٤ ــ في ن : ذاتها
٥ ــ في ك : القول
٦ ــ سقطت في ن
٧ ــ في ن : خص
٨ ــ في ك : كامل

كون كل نفس في فرحها بما تناله من جهة الدعاة والحجج وأبواب الأئمة من العلوم مهتزة جذلة موجباً أن الأرض تهتز فرحاً وتخضر بما ينالها من رطوبة الماء وحرارة الهواء، وأنوار الأجسام المتحركة عليها. ثم نقول زيادة في كيفية[١] وجود أحوال هذه الأجسام في تمايزها واتصال بعضها ببعض على كونها بكيفياتها متعادية[٢] ، إنه لما صار الطرف الأول من الجسم المماس للفلك بدوام الحركة عليه ذا حرارة تامة لزم أن يكون الطرف الآخر منه البعيد من مماسة الجسم المتحرك الذي هو نهاية الأجسام المسمى الأرض ببعده عن فعل الحركة فيه ذا برودة تامة ، كما أن الباب الذي هو في عالم الدين دون الإمام أول لما صار بقبول آثارالتعليم وإفادة الإمام إياه بقربه منه إذا علم بالأمور الدينية السياسية لزم أن تكون الأنفس التي هي البعيدة عن قبول فوائد الإمام بتقدم الغير عليها كلها ذات جهل بالأمور الدينية . ولما[٣] كانت الحرارة والبرودة ضدين ، وكان من شأن الحرارة والبرودة النفوذ في الأشياء الجسمية وأن تغلب إحداهما الأخرى بحسب قوتيهما، وكانت الحرارة مادتها بحركة الأفلاك متصلة، والبرودة مادتها بلا وجود ما يمدها واقفة ، لزم أن تعمل الحرارة بقدر توارد مددها وانحفاظها بوجود علتها في البرودة التي هي في الطرف الآخر فتحلل بقدر قوتها عليها وضعفها ما يجاورها منها، فيكون ذلك المتحلل في تحلله مكتسباً كيفية نسميها الرطوبة، فتكون هواء وماء، كما أنه لما كان العلم والجهل ضدين وكان من شأن العلم والجهل الفعل في الأنفس ، وأن يغلب[٤] أحدهما الآخر بحسب قوتيهما ، وكان العلم بتعليم الإمام وفيض بركاته إلى العموم والإشتمال[٥] والجهل بوجود مراسم التعليم إلى الضعف[٦] والزوال لزم أن يكون علم الباب يعمل في جهل الأنفس فيعلم منها من تقارب قبوله ، فيكون بما يكتسبه من الكمال بمعرفة مراتب الحدود العلوية والسفلية وتأويل العبادة

---

١ ــ في ك : كفة
٢ ــ في ن : تعادية
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ك : يغالب
٥ ــ في ن : والشمال
٦ ــ في ن : الضف

العملية حجة وداعياً[١] . وعلى هذه الموازنة يوجب كون الباب غير معلم سائر الناس إلا من قرب منه قبل من دون من بعد ، أن الحرارة التي في النار عن حركة الفلك غير نافذة في كل أجزاء الأرض إلا فيما قرب منها وظهر لها من دون ما بعد وخفي . وكون الدعوة الظاهرة تامة في أسبابها سياسة وهداية أن الحرارة تامة في كيفياتها يبوسة ورطوبة . وكون الأمور السياسية في وجودها تابعة لأمور الدعوة الظاهرة التي هي العبادة العملية، والدعوة الباطنة التي هي العبادة العلمية ، أن اليبوسة في وجودها تابعة لوجود الحرارة التامة والبرودة التامة . وكون الدعوة الباطنة تامة في أسبابها سياسة وتعليما أن البرودة تامة في كيفياتها يبوسة ورطوبة . وكون التربية والهداية في وجودها تابعة لوجود الدعوة الظاهرة والدعوة الباطنة أن وجود اليبوسة تابع لوجود البرودة التامة والحرارة التامة ، فالدعوة الظاهرة التي هي العبادة العملية على الحرارة التامة والسياسة التابعة في وجودها للدعوة الظاهرة الحافظة لنظام الأمور على اليبوسة التابعة في وجودها للحرارة التامة[٢] الحافظة لصور[٣] الأجسام ، والدعوة الباطنة التي هي العبادة العملية التي تتأول عن الدعوة الظاهرة ، وتعدل كل موجود فيها وضعاً في موضعه على البرودة التامة التي تعدل الحرارة التامة فتكون فيها الحياة والتعليم والعلوم[٤] والهداية إلى الولاية التابعة في وجودها للدعوة الباطنة التي تجمع الأنفس إلى طريقة واحدة في توحيد الله تعالى[٥] فتجعلها شيئاً واحداً ، على الرطوبة التي تصل أجزاء الجسم الكثيف بعضها ببعض ، وذلك يوجب عن كون الباب جامعاً لأمور الدعوة الظاهرة التي هي الأمور الشرعية والأمور السياسية ، أن النار جامعة لطبيعتين هما الحرارة واليبوسة . وعن كون الحجة جامعاً لأحكام الدعوة الظاهرة وتعليم الدعوة الباطنة التي هي العبادة العلمية أن الهواء جامع لطبيعتين

---

١ ــ في ك : وداعي
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ن : لصورة
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ سقطت في ن

هما الحرارة والرطوبة . وعن كون الداعي جامعاً للدعوة الباطنة التي هي العبادة العلمية والتعليم والهداية إلى الولاية أن الماء جامع لطبيعتين هما البرودة والرطوبة . وعن كون[١] المؤمن قائماً بالولاية ومناسك[٢] الشرع التي تتبع أحكام السياسة ، وما يكلف من طاعة الحدود أن الأرض باردة يابسة قائمة لقبول أشعة النجوم حافظة لجميع ما تستودع. فالأنفس متصلة من جهة الدعوة الظاهرة التي هي الأمور الشرعية والولاية بالباب بكونهم شركاء فيها، والباب متصل بالحجة من جهة السياسة بكونهما شريكين فيها، والحجة متصل بالداعي من جهة التعليم والدعوة الباطنة التيهي الأمور العقلية بكونهما داعيين، والداعي متصل بالأنفس من جهة التعليم والولاية ، فكان اتصال الأجسام الأربعة بعضها ببعض بكيفياتها[٣] ، على مثل ذلك تشبهاً بالأمور السياسية التي تدور على أربعة: ملك ووزير، وعامل، ورعية ؛ فالملك ملك بطاعته للإمام، ثم بوزيره وحواشيه وجنوده ورعيته، والوزير وزير بحواشيه وعماله وأهل مملكته، والعامل عامل بوكلائه ورعيته ، والرعية رعية بجماعتها . فالملك نافذ الحكم والأمر في الكل، منيع الجانب[٤] عالي السلطان عظيم الهيبة صعب المزاولة[٥] والمجاورة مثل النار في نفوذ حكمها فيما دونها من الأجسام ومنيع جانبها بسلطان إفراط حرارتها وصعوبة الأمر في مزاولتها ومجاورتها، والوزير باتصاله بالملك مثل الملك نافذ الأمر منيع الجانب عظيم الهيبة، وباتصاله بمن دونه سهل قريب مثل الهواء الذي بطرفه الأعلى المجاور للنار مثل النار منيع الجانب بالهيبة والسلطنة وإفراط الحرارة ، وبطرفه الذي يلي الماء معتدل سهل ، والعامل باتصاله بالوزير نافذ الأمر لكنه لا مثل الملك ولا مثل الوزير بل دونهما ينفذ[٦] أمره فيمن يليهم فقط ، مثل الماء الذي نفوذه في الأجسام لا مثل النار ولا مثل الهواء بل ينفذ في الأرض فقط ، والرعية لا أمر لها ولا اتصال بالعامل والوزير

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ن : بالولاية مناسك
٣ ــ في ن : بكيفياها
٤ ــ في ك : الجنب
٥ ــ في ك : مزاولة
٦ ــ سقطت في ن

والملك إلا بالائتمار[١] والطاعة والإتباع[٢] والقبول والانقيـاد لأحكام السياسة مثل الأرض التي لا تنفذ في شيء نفوذ غيرها ، ولا لها اتصال بالنار والهواء والماء إلا بقبول أحكامها وأفعالها وتأثيرها وحفظ ذاتها بذاتها، فكانت الرعية على ذلك[٣] متصلة بالملك « من جهة الطاعة للإمام والقبول منـه[٤] » على ما يصرفه عليه من الأحكام كاتصال الأرض بالنار من جهة اليبوسة وقبول آثارها ومتصلة بالعامل من جهة الائتمار له إلى ما يدعوها إليه ، والعامل متصـل بالوزير من قبل طاعته له وقيامه بحمل الأموال إليه كاتصال المـاء بالهواء من قبل الرطوبة التي يجذبها الهواء منه[٥]، والوزير متصل بالملك بالولاية التي جاءته من جهة الملك في الحماية كاتصال[٦] الهواء بالنار بالحرارة التي هي فيه من جهة النار ، والملك متصل بالإمام القائم مقام الله بما يقبله من أمر الإمام من الحماية والذب[٧] كاتصال النار بجسم الفلك الدوار وقبولها منه تأثير حركتها عليه ، وصورة ذلك أجمع في اتصال البعض بالبعض على ما صورناه في الصفحة التالية والحمد لله رب العالمين .

١ ـ في ن : بائتمار
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ك : تلك
٤ ـ سقطت هذه الجملة بكاملها من النسختين
٥ ـ في ن : الواء فيه
٦ ـ في ك : كاتصار
٧ ـ في ك : ودب

صورة اتصال الطبائع

الحرارة جامعة للهواء والنار

الهواء يجمع الرطوبة والحرارة

الماء يجمع البرودة والرطوبة

النار تجمع الحرارة واليبوسة

الأرض تجمع البرودة واليبوسة

والرطوبة جامعة للماء والهواء

واليبوسة جامعة للنار والأرض

والبرودة جامعة للماء والأرض

صورة اتصال الحدود

الدعوة الظاهرة التي هي الأمور الشرعية الجامعة للمؤمنين والأبواب

المؤمن يجمع الدعوة الظاهرة والباطنة

الداعي يجمع الدعوة والتعليم

الباب يجمع الدعوة والأمور السياسية

والحجة يجمع الولاية والسياسة والدعوة

التعليم الجامعة للدعاة والمؤمنين

السياسة والولاية الظاهرة الجامعة للأبواب والحجج

الدعوة الباطنة الجامعة للحجج والدعاة

صورة الأمور السلطانية

طاعة الإمام جامعة للملوك والرعايا

الرعايا تجمع الإعطاء والطاعة

العامل يجمع الجباية والإعطاء

الملك يجمع الطاعة والسياسة

الوزير يجمع السياسة والجباية

الجباية جامعـــة للوزراء والعـــمال

الإعطاء جامع للعمال والرعايا

السياسة جامعة للملوك والوزراء

والذي يقع به الفرقان بين هذه الأجسام وبين الأجسام العالية فهو أن تلك الأجسام لا تستحيل وهذه تستحيل ، وتلك فعالة في هذه مؤثرة ، وهذه لا تفعل في تلك ولا تؤثر ، وحركة تلك دورية شريفة لا تنتهي ، وحركة هذه مستقيمة تنتهي ، وتلك مصورة وهذه مصورة دل على ذلك وأوجبـه ميزان الديانة وهـو أن أنفس النطقاء والأوصياء والأئمـة عليهم السلام لا كأنفس من دونهم من الحدود[١] وغيرهم لأنها معصومة ثابتة وأنفس من دونهم من الحدود غير معصومة تستحيل[٢] إلى الخير والشر ، وتلك الأنفس علامة مؤثرة ومن دونها متعلمة مؤثرة فيها ، وعـلم أولئك صلوات الله عليهم من جهـة الحـدود العلوية تأييدي متصل لا ينتهي كالحركة الدورية ، وعلم الحدود تعلمي ينتهي ، والأنفس كلها من الناطق والحدود وغيرهم من جهة كونها من دار الطبيعة شيء واحد ، فهذا ما أوجبه ميزان الديانة من أمور الأركان .

---

١ ــ في ك : حدود

٢ ــ سقطت في ك

والحمد لله الذي هدى الأمة بالأئمة البررة[1] ، وأنعم علينا بهم أدلة ورواداً، ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وسبحان الله وأستغفر الله ، وافوض أمري إلى الله إنه بصير بالعباد . ما شاء الله كان وحسبنا الله وحـده ونعم الوكيل ، وصلى الله على الدوحة الشريفة والشجرة الزكية محمد وعلى والأئمة الطاهرين المهديين وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

---

١ ـ في ن : بررة

المشرع الثالث

« في حركات الأركان الأربعة ، وأنها لا ثقل لها في مراكزها ولا لون ، وأنها هي الوسائط للأنفس في إدراك[1] المحسوسات »

لما كان عالم الجسم سارياً فيه أمر محرك لما هو فيه يسمى الطبيعة على ما شرحناه فيما تقدم ، وكان ما تحت الأفلاك جسماً، ثبت بكونه جسماً أنه ذو أمر محرك إياه تلزمه به الحركة ، وإذا كان ذا أمر محرك إياه تلزمه به الحركة فالحركة له لازمة ، وإذا كانت الحركة له لازمة قلنا إن حركته حركتان: حركة في ذاته بأجزائه تموجاً تكون[2] في ركن أكثر وفي آخر أقل ، وفي ركن أظهر أثراً وفي آخر أخفى على حسب العلل الموجبة لها بها تكون الإستحالة . وهي تنقسم إلى حركتين : حركة بها تنتهي في أحوالها إلى غايتها قياماً بالفعل ، وحركة بها ينتهي فيها راجعاً إلى القوة ، يسميان بأسماء كثيرة، وحركة إلى حيزه المخصوص به على استقامة لها جهتان : جهة صعوداً وجهة هبوطاً بحسب[3] مراكزها في علوها وسفلها ، فالتي تكون في ذاته بأجزائه تموجاً فهو مثل أجزاء الهواء التي ترى في الجو عند وقوع ضوء الشمس في كوة بيت مظلم يموج بعضها في بعض طولا وعرضاً وعمقاً ، وعن ذلك تداخل الأجزاء في أطراف الأركان المماسة[4] بعضها بعضاً ، وتمازجها وتولد المواليد الثلاثة منها ، والتي تكون إلى حيزه على استقامة وتختلف[5] جهاتها بحسب مراكز الأركان فمثل حركة الهواء المحبوس في وعاء تحت الماء عند إطلاقه

---

١ ــ في ن : ادارة
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ك : حسب
٤ ــ في ن : الماسة
٥ ــ سقطت في ن

تحركا إلى حيزه فوق الماء صاعداً ، ومثل حركة الحجر المرفوع إلى مركز الماء وحيز الهواء عند إطلاقه تحركاً إلى سطح الأرض التي هي مركزه هابطاً ، ومثل حركة النار في الزبالة وفي الحطب إلى فوق نحو مركزها، ولا تكادتوجد هذه الحركة له وخاصة النار عند حصوله في حيز غيره إلا في الندرة وعند القوة الحادة التي لا يفعل فيه معها ذلك الحيز ولا يستوعبه ويرده ، وذلك أن لكل ركن من الأركان التي هي الأجسام دون الأجرام[1] الدائرة مركزاً له يختص به ، وذلك المركز إنما صار مركزاً له بطبيعة موجبة كونه له مركزاً لا ينفك منها ولا يفارقها ، وأمر لولاه لما تمايز من غيره ، وكون الأمر على ذلك يوجب العلم بأن كلاً منها لا يفارق مركزه لتغاير طبيعة المراكز ، وإذا كان لا يفارق مركزه لتغاير[2] طبيعة المراكز فلا يوجد في حيز غيره إلا بأسباب مانعة إياه عن خاص[3] مركزه رابطة حافظة لعلة الغيرية التي لا توافقه ، مثل النار التي لا توجد في حيز الهواء إلا بمعالجة رابطة إياها بما لها تعلق به من شمع ووقود وسليط وما يشاكل ذلك ، ومثل الهواء الذي لا يوجد في حيز الهواء أو حيز الماء إلا بوعاء يحبس فيه مثل قربة وجرة وغيرهما، ومثل الحجر الذي لا يوجد في حيز الهواء أو حيز الماء إلا برباط يحفظ فيه ، وإذا كان لا يوجد في حيز غيره إلا بأسباب مانعة رابطة على ما ذكرناه فكونه كذلك يوجب أنه إنما كان لا يوجد في حيز غيره إلا برباط يحفظه لكونه ــ أعني الحيز ــ لا على طبيعته التي توافقه فيستغني بها عن الهرب منه إلى ما يوافقه من طبيعته ، وما يكون وجوده على ذلك فعند عدمه الأسباب الحافظة عليه وجوده في ذلك الحيز المانعة إياه عن حيزه ينطلق متحركاً إلى حيز مركزه الذي هو كله حركة مستقيمة ، هذا إن كانت له قوة في اللحوق، وسلم أن لا يستغرقه ذلك الحيز فيرده عن حال كونه بالفعل إلى حيز القوة ،

١ ــ في ن : الاجسام
٢ ــ في ك : لتغير
٣ ــ في ن : خواص

مثل النار المضبوطة في جوف الهواء بالشيرج والشمع والوقود التي لضعفها عن اللحوق بمركزها عند تخلي ذاتها من العقال يستغرقها الهواء ويردها عن كونها قائمة بالفعل ناراً إلى القوة فتصير هواء ، لكون الأركان — وإن كانت بإضافة كل منها إلى ما يعلوه قائمة بالقوة — قائمة بالفعل فيما يكون فيه على ما نشاهده من فعل الماء بما يحصل فيه ، وفعل الهواء بما يحيط به ، وفعل النار بما يحصل فيها ، ومثل الهواء الذي ينحصر عن البخارات المتولدة في جوف الأرض عن كثرة الرطوبة والحرارة إن كانت له قوة خرج صاعداً نحو مركزه ، وإن كان ضعيفاً لا يستطيع خرق الأرض بقوة ، والنفوذ في أجزائها بقي في مكانه فاستغرقته الأرض فصار مادة لكون المعادن والأكوان ، وإنما صار ما تستغرقه الأرض وترده إلى القوة في الهواء الذي ينحصر في جوفها مادة توجد[١] عنها المعادن والأكوان ، ولم يوجد عما يستغرقه الهواء من الجسم الناري ويرده إلى القوة موجود ، ولا كون لكون الهواء جسماً سيالاً لا يقبل صورة فيحفظها على جهتها حفظ الأرض ، حكمة بالغة ، فلو كان لا سيالا كانت الأصوات تشغل الهواء وتبقى فيه ، فكان الطريق إلى المعارف بذلك من[٢] طريق السمع يبطل مثل البوق إذا ضرب ، وشغل الصوت الحادث عنه الهواء لم يكد يسمع أحد في ذلك الهواء المشغول بذلك الصوت شيئاً، ويبطل طريق السمع لأن الأكوان لا تكاد تكون إلا بتعاون الأركان وتمازج قواها وقبول جميعها آثار الأجرام العلوية ، وما هو محصور في جوف الأرض فواصل إليه من قوى الأركان، وما يصير به شيئاً واحداً قابلا لآثار الأجرام فيكون كوناً ، وما هو محصور[٣] في الهواء فلا يكاد يصل إليه من القوى ما يصير لممازجته كوناً لسيلان جوهره ، فليست للأركان حركة إلا على ذلك ، ثم لا ثقل لها في مراكزها ولا وزن ، وذلك بين عند التأمل ، « فإن[٤] الثقل »

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ك : عن
٣ ـ في ك : محصورا
٤ ـ في ن : فالثقل

إنما يحدث من الركن فيما يؤخذ عنه إلى حيز غير حيزه ، فيجاذب الآخذ بما فيه مــن القوة الحافظة التي فيه فيجد من ذلك ما يؤوده[١] إن كانت قوته دون ذلك المقدار المأخوذ قياساً على ذي القوة الذي[٢] يتعب من يروم أخذ شيء منه يجري منه مجرى البعض ، وذلك معروف عند من مارس الأمــور الهندسية ، فإن إنساناً لو أخذ قربة فملأها ماء وطرحها في حوض مـــاء ثم وزن ذلك المقدار من الماء الحاصل في القربة في جوف الماء بالموازين والصنجات لما كان له وزن ولا ثقل إلا مقدار وزن القربة التي هي مــن جنس الأرض الجاذبة نفسها إلى حيزها ، ولكان إذا أخرج من حيز الماء إلى حـــيز الهواء وجد له ثقل يجذب القوة منعاً أن تفرق بينه وبين كله فيحدث بالمخــرج إياه من حيزه عن ذلك أمر يؤوده[١] ويثقله ، وكذلك لو أخذ قربة[٣] فنفخ فيها فملأها هواء واستوثق منرأسها حبساً للهواء فيها ثم وزنها بما فيها لما كان لمافيها من الهواء وزن بكونه في حيز نفسه كما لم يكن للماء في حيز نفسه وزن عند وزنه ، ولكان إذا جذبه[٤] إلى حيز الماء لا يتأتى له ذلك إلا بتعب وثقــل يجذبه إلى ذلك الحيز، وعلى ذلك نقول : إن الهواء لو كان في حيز النار لطار منها سافلا إلى مركزه سفول الحجر من حيز الهواء إلى مركــزه ، وكذلك الماء لو قهر في حيز الهواء لسفل حتى يعود إلى مركزه ، فالثقل والخفــة في الأجسام الطبيعية عند جذبها من مراكزها قوة طبيعية مانعة لما هي فيه أن لا يكون في حيزه ، ولا ثقل للأركان ولا وزن لها في مراكزها ، وهي مع كونها[٥] كذلك فالنار والهـــواء والأرض أسباب ووسائط أولة في إدراك المعارف ،وذلك أن الإنسان يدرك الموجودات القريبة أولا بحواسه، وحواسه لا تعمل إلا بوجود الأركان واستعانتها بها، مثل الأذن التي لا تسمع الأصوات المفهومة وغير المفهومة إلا بوساطة الهواء الذي لولاه لما سمعت شيئاً منها بدليل

---

١ ــ في ن : يوده
٢ ــ في ك : التي
٣ ــ في ن : قرابة
٤ ــ في ن : اخذ
٥ ــ سقطت في ك

أنها لا تسمع إذا لم تكن بينها وبين[١] الاصوات فسحة هواء مع سلامتها ، ومثل العين التي لا تبصر الألوان والأشكال إلا بوساطة الهواء أولا ثم ضوء النار ثانياً اللذين لولاهما لما أدركت شيئاً منها بدليل أنها لا تبصر وضوء النهار أو ضوء النار معدوم ، ولا تبصر إلا أن يكون بين العين وبين المبصر[٢] فسحة هواء مع سلامتها ، ومثل الشم الذي لا يتم إدراكه الروائح الطيبة وغيرها إلا بالهواء الذي متى عدم بطل الاستنشاق ، ومثل اللمس[٣] الذي لا يتم إحساسه باللين والخشونة والحرارة والبرودة وغيرها وما له أن يدركه إلا بالأرض واستقراره فيها التي لولاها لما تمكنت هذه الحاسة ولا غيرها من أفعالها ، فالأركان على ذلك الثلاثة منها واسطة أولة بها يكون اصطياد المعارف وبوساطتها يتمكن من اكتساب إعلان الملاذ الحسية ، ثم أن الأركان يختص من[٤] بينها الهواء والماء بأن لا يكون لهما لون في ذاتيهما عوناً للنفس على إدراك كيفية ما تدركه بوساطتهما اللذين لو كانا ذوي لون لكان يلتبس عليها معرفته ، فإن العلة في إدراك ألوان الاشياء على حقائقها خلو الهواء من لون له في ذاته ومن رائحة فينطبع فيه لون ما يلقاه ورائحته فيؤديه إلى القوة الباصرة والقوة الشامة ، ولو كان لهما لون أو طعم أو رائحة لما أديا إلى الحاسة إلا ما في ذواتهما من دون ما يلقيانه ويجاورانه ، كما لا يؤدي الزجاج الذي له لون من لون ما فيه شيئاً إلا ما له في ذاته من حمرة كانت أو خضرة أو غيرها ، وإنما ليس لهما ذلك[٥] لحركة أجزاء جوهرهما وسيلان عنصرهما.

يصحح ما ذكرناه من ذلك ويثبته ما ينطق به ميزان السنن الإلهية ومعيار الصنعة النبوية في الموازنة التي كان كون الحدود في الدعوة دون الأئمة عليهم السلام منبعثة للفكر في الأمور الشرعية والرموز الوضعية طلبا للفضيلة واستنباطاً للعلوم الإلهية ، موجباً أن للأركان في العالم دون الأجسام العالية

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : البصر
٣ ـ في ن : اللس
٤ ـ في ن : ان
٥ ـ في ك : تلك

حركة في ذاتها، وكان كون الحدود في استنباط العلوم الإلهية والمعارف الدينية التي هي العبادة الباطنة على مراتب : فمنهم من يكون استنباطه لقوته فيه أكثر وحظه من العلوم أجزل ، ومنهم من يكون من ذلك أقل ، موجباً أن الحركة في الأركان على مراتب : ففي بعضها أكثر وأظهر للحس ، وفي بعضها أقل وأخفى . وكان كون انبعاث الحدود للفكر[١] استنباطاً للمعارف[٢] الإلهية وطلباً للفضيلة انبعاثين : انبعاثا من جهة فكرها في ذواتها استنباطاً للعلوم الإلهية من الوضائع النبوية وذلك يكون من داخل علمها[٣] ، وانبعاثا من جهة ارتقائها في مرتبتها إلى مرتبة هي لها بالطبع المستفاد علماً وعملا ، موجباً أن حركة الأركان حركتان حركة من جهة تموج[٤] أجزائها في ذاتها ، وحركة من جهة كون أجزائها في حيز[٥] غيرها لحوقاً بذاتها التي هي من طبيعتها وكان كون الداعي المترتب في مرتبته من الدعوة الهادية — وإن كانت منزلته[٦] في العلوم منزلة الحجج بالقوة — لا يكاد يرتقي إلى مرتبة الحججية بالفعل إلا في الندرة، وعند القوة المفرطة في الطلب والاجتهاد في العلم والعمل موجباً أن البخارات المتولدة في الأرض من كثرة الرطوبات والحرارة لا تكاد تلحق بمركز الهواء إلا في الندرة وعند تزايد قوتها واضطرابها طلباً للحوق[٧] بمركزها . وكان كون الداعي المترتب في مرتبته من الدعوة إن كانت له قوة وانبعاث للطلب نال مرتبة الحججية ، وإن لم يكن له ذلك بقي في مرتبته فصار سبباً قريباً للمواليد[٨] الروحانية ، موجباً أن البخارات في الأرض إن كانت لها قوة تحركت ولحقت بمركز الهواء ، وإن لم تكن لها قوة بقيت في مكانها فصارت[٩] مادة قريبة لكون المواليد الجسمانية .

---

١ — سقطت في ن
٢ — في ك : للعارف
٣ — في ن : علها
٤ — في ن : تروح
٥ — سقطت في ك
٦ — في ن : منزلة
٧ — في ن : لحوق
٨ — في ن : للواليد
٩ — سقطت في ك

وكان كون الكائن في حضانة التعليم في الدعوة من المستجيبين إذا رقي إلى مرتبة منها لا يستحقها إن لم يحفظ رتبته بعناية سقط لاحقاً بمنزلته التي هي له من طبيعته ، موجباً أن جزءاً من أجزاء الأرض لو رفع إلى حيز الهواء والماء الذي ليس من طبيعته ولم يحفظ بعناية لسقط لاحقاً بما يكون من طبيعته .

وكان كون مراتب الدعوة على صيغة لا يستقر فيها من الحدود من ليس من أهلها إلا ويسقط ، موجباً أن مركز الأركان على طبيعة لا يستقر فيها من الأجسام ما ليس من طبيعتها إلا ويزول عنها . وكان كل حد[١] من الحدود السفلية دون الأئمة عليهم السلام في مرتبته قائماً بالفعل وهو بالإضافة إلى المترتب قوته منهم ذلك المترتب بعينه قائم بالقوة مثل الحجة الذي هو في مرتبته من الدعوة حجة قائم بالفعل وهو بالإضافة إلى المترتب فوق الذي هو الباب باب بالقوة[٢] ومثل الداعي الذي هو في مرتبته من الدعوة داع بالفعل وهو بالإضافة إلى المترتب فوقه الذي هو الحجة حجة بالقوة ، موجباً أن كل ركن من الأركان التي هي دون الأفلاك في مركزه قائم بالفعل وهو[٣] بالإضافة إلى الركن الذي يعلوه[٤] ويحيط به عين ذلك الركن بالقوة ، مثل الهواء الذي هو في مركزه قائم بالفعل وهو بالإضافة إلى الركن الذي يعلوه[٥] وهو النار نار بالقوة ، ومثل الماء الذي هو في مركزه قائم بالفعل وهو بالإضافة إلى الركن الذي يعلوه وهو الهواء هواء بالقوة . وكان كون الحدود في مراتبها مواتية على ما يراد منها ولا منازعة لها ولا امتناع على أحد[٦] في مرتبته من مراتب الدعوة إلا إذا ريم قصدهم « بعزل عن[٧] » مراكزهم ومراتبهم ومنع عن اكتساب الفضيلة أو بخس حظهم بأن يعدل مما يتعلق بهم من أمور الدعوة

---

١ ـ في ن : حدا
٢ ـ في ن : القوة
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ك : يعلو
٥ ـ في ن : يعلو
٦ ـ في ك : احدا
٧ ـ في ن : عزل

الهادية بشيء عنهم إلى غيرهم ، موجباً أن الأركان في مراكزها مواتية لما يراد منها فلا ثقل لها إلا إذا توزعت بمنع إياها عن مركزها الذي فيه قيامها بالفعل وبعدول بعض منها عن مركزه إلى مركز غيره إما إلى فوق فمثل الأرض والماء ، وإما إلى تحت فمثل الهواء . وكان كون الحدود في الدعوة لا تعتقد ما تعرفه من مذاهب المخالفين والأضداد ومختلف أقاويلهم في ضلالهم بل تورده مسامع أهل الدعوة وتبطلها بحججها المستنبطة بكثرة النظر والإستفادة موجباً أن الأركان مثل الهواء لا يقبل الأصوات المختلفة والروايح[١] المتغايرة ولا يشغل ذاته بها بل يؤديها إلى حواس البشر فيبطلها بكثرة حركة أجزائه وسيلان عنصره[٢] . وكان كون رتبة الحجة والداعي في عالم الدين رتبة دينية تأويلية خالية من تعاطي الرموز والتعريضات التي هي حجاب على ما تحتها من العلوم صيانة لها وهي خصوص[٣] لمرتبة النطقاء والأئمة عليهم السلام والأبواب صافية من أحكام الهوى الذي هو قائد المخالفين وإمامهم ، لا غبار عليها من قضايا المذاهب المختلفة للأضداد والمخالفين في ضلالهم التي هي أسباب الرياسات[٤] الدنيوية وهي الطريقة المثلى عند أهل الظاهر والمجاز ، موجباً أن مركز الهواء والماء مركز خال من الألوان والروايح[٥] والطعوم المختلفة المرغوب فيها عند طالب الدنيا . وكان ترتيب الداعي في الدعوة ومصيره بالمعاهدة والتربية سبباً قريباً لوجود المواليد الروحانية ، موجباً أن البخار الحار الرطب الذي هو من جنس الهواء في حصوله في جوف الأرض المحيل إلى ذاته ما يجاوره امتزاجاً هو سبب قريب لوجود المواليد الجسمانية . وكان كون الحدود فيما تعرفه[٦] من مذاهب المخالفين ومختلف أقاويلهم[٧] في الضلال لو كانت معتقدة له لكان مانعاً ذلك منها أن يعرف أهل الدعوة حقائق

---

١ ـ في ك : الروائح
٢ ـ في ك : عناصره
٣ ـ في ن : خاصة
٤ ـ في ك : الرئاسات
٥ ـ في ك : الروائح
٦ ـ في ن : يعرفونه
٧ ـ في ن : اقوالهم

المعارف الإلهية ولكان لا يوجد عنده إلا ما كان قد اعتقده من ذلك، موجباً أن تكون الأركان لو كان لها لون أو كانت قابلة للأصوات والروائح[١] حافظة لها لكان ذلك مانعاً أن يعرف أولو الحواس شيئاً من المحسوسات على حقيقته ، ولكان الإنسان لا يسمع شيئاً من الأصوات بالمحفوظة فيه منها ولا يحس بلون إلا باللون الموجود فيها . وكان كون الحدود في عالم الدين وسائط بها يعرف أهل الدعوة حقائق الأمور ومن جهتها يدرك علم المعقولات[٢] ومنازل آيات الله وحدوده ، موجباً أن الأركان في العالم واسطة بها يعلم أهله ظاهر الأمور ومن جهتها يدرك علم المحسوسات المدركة بالحواس الخمس[٣].

فتلك شهادات السنن الإلهية في الوضائع النبوية بتطابقها للأمور الموردة من حال الأركان. والحمد لله الذي أتانا من حكمته، وتولانا بنور كلمته، وهدانا إلى ينابيع رحمته ، بسابغ نعمته، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله أستغفر الله وأفوض أمري إلى الله ما شاء الله حسبي الله ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، والسلام عليهم أجمعين، وعلى جماعة إخواننا التابعين لنا في اعتقادنا على وجه الدهر، اللهم اختم لنا بخير ديناً ودنيا بحق محمد وآله عليهم السلام .

---

١ ـ في ن : الروايح

٢ ـ في ك : المقولات

٣ ـ في ك : الخمسة

المشرع الرابع

« في الأركان الأربعة وأنها في ذواتها باقية ، وفي كميتها محفوظة لا تزيد ولا تنقص ، وأنها مستحيلة بأطرافها[1] بعضها إلى بعض »

●

نقول: إن كل ما كان بقاؤه يتعلق بشيء هو غيره ما دام ذلك الشيء باقياً فهو باق ، ولما كان وجود الأجسام على ما تقدم عليه الكلام يتعلق بوجود ما هو باق ، وكانت الأركان وإن كانت صورها متباينة أجساماً ، فهي ببقاء ما يتعلق وجودها به باقية ، وإذا كانت باقية ، وهي بذواتها وكيفياتها فاعلة في ذواتها بتواتر زيادات من العنصرين اللذين هما الحرارة والبرودة، وبحسب[2] العلل الموجبة لهما حتى تكون إحداهما ببعض أجزائها غالبة وبعضها مغلوبة ، كان منه العلم بأن الإستحالة في أطرافها موجودة ، وإذا كانت الإستحالة في أطرافها وأبعاضها موجودة، فنقول إنها تنقسم إلى أن تكون تلك الإستحالة من العنصرين ولواحقهما على اعتدال هو على مراتب كثيرة قرباً منه وبعداً فتكون منه بحسب تلك المراتب بقربها من الإعتدال[3] المواليد الثلاثة على اختلاف أنواعها وأشخاصها ، وإلى أن تكون تلك الإستحالة لا على اعتدال فيكون مفرطاً بحسب ما عليه القوة الغالبة مثل الحر[4] المفرط الذي يغير بعض أجزاء الهواء فيشعله ناراً فتهلك المواليد ، ومثل البرد[5] المفرط الذي يغير بعض أجزاء الهواء فتهلك المواليد ، ومثل الرطوبة المفرطة التي تحدث في بعض أجزاء الهواء فيكون عنها الطوفان فتهلك المواليد ، ومثل اليبوسة

---

١ ــ في ن : بطرقها

٢ ــ في ن : وحسب

٣ ــ في ك : اعتدال

٤ ــ في ن : الحرارة

٥ ــ في ن : البرودة

المفرطة التي تستولي على بعض أجزاء الهواء فتنشف[١] الرطوبات كلها فتهلك المواليد ، ثم لا يجوز ان تكون الإستحالة على حالتيها اعتدالا وإفراطاً تحدث في كل الأركان ، بمعنى أن نفس ذلك الركن يستحيل كله بل في أجزاء منها هي في أطرافها[٢] ، وأن كل واحد منها تنفعل[٣] عن الأخرى بأطرافها المجاورة لها ، فإذا استحال منها شيء فلا يكاد يبقى ذلك المستحيل على حالته التي استحال إليها بل يستحيل عنها ، لأن العلل الموجبة لوجود الإستحالة فيما استحال هي العلل بعينها في وجود استحالة المستحيل أيضاً ، فيكون في هذا ثم في هذا ليكون سبباً للأكوان ، إذ لو لم تستحل لما وجد كون غيره ثم لا يجوز أيضاً أن تنقص عن كمية الركن بقدر ما استحال منه ولا أن تزيد في المستحال إليه من الركن الآخر ، لأن العوض عن المستحيل من الركن ينساق إلى الركن ، وذلك بين في الموجودات ذوات الإستحالة ، مثل المستحيل من الأرض إلى جنس المواليد في عوده إليها عوضاً عما يتكون منها أما في الحيوان فبالموت ، وأما في النبات فبالتهشم ومصيره أغذية للحيوان[٤] وعوده أخيراً إلى ما منه كان ، وأما في المعادن فبالتصدي والانحلال أجزائه في النار والتراب فيكون مثل الدولاب[٥] يأخذ منه من جهة ويرد إليه من جهة أخرى ،ومثل الماء فإنه بالإسخان الدائم ترتفع منه البخارات وتستحيل هواء وسحاباً وبقدر ما يرتفع منه يرد عليه العوارض بالأمطار ، وكذلك الحال في الهواء والنار فإن القدر الذي يستحيل[٦] من الهواء بالعلل الموجبة والأسباب التي تقدم القول فيها فيصير ناراً مثل الشهب يحصل له العوض بما يستحيل إليه ، وبقدر ما يرطب الهواء ببعض منه ينشف بعض بعضاً منه في موضع آخر ، وبقدر ما ينحل من طبيعة الأرض فيصير ماءً ، فإن الأرض تعتاض من الماء ما يتحجز منه ويعود إليها ، ومثل ذلك قائم في العالم الصغير

١ ـ في ك : نشفت
٢ ـ في ن : اطراف
٣ ـ في ن : تفعل
٤ ـ في ك : للحيوانات
٥ ـ في ن : الدواب
٦ ـ سقطت في ن

فإنه إذا أخذ من خارجه شيئاً فيجعله غـذاء له انحل عنه بإزائه شـيء من بدنه حتى يكون المأخوذ عوضاً من المنحل ، والشيء محفـوظ لا يزول ولا يتغير على هذا الوجه ، حكمة بالغة ، تسفر عن وجه قدرة بارعة فسبحان الله تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

يصحح ما ذكرناه ما أقامه الله تعالى [١] من بيناته ميزاناً عدلاً ومعياراً حقاً في عالم الدين الذي هو الطريق إلى تحقيق معرفة الأشياء ، فنقـول : إن وجود الإنتقال في عالم الدين بين الحدود الذين هم أركانه بأن ينتقل أحدهم من مرتبة إلى مرتبة أخرى يوجب إستحالة الأركان بعضهـا إلى بعض بأطرافهـا ويوجب وجود ضلال بعض الحدود في بعض الأوقات ، وإبداعهم المـذاهب الردية التي تهلك بها الأمم ، إن الهواء قد يتغير بزيادة حرارة فيهلك عالم من المواليد الطبيعية . ويوجب وجود القصـور في بعضهـم عن أداء الواجب في الدعوة قلة علم وورع وديانة، وأمانة المؤدي لتابعيه إلى الهلاك. أن الهواء قد تغلب على بعض أجزائه البرودة فيهلك بها عالم من المواليد ، ويوجب وجـود ارتفاع بعض الحدود إلى منزلة الأبواب [٢] فتعلو منزلته . والمأذون إذا دعي قاصداً مفاوضة من يدعوه على نحلته ومذهبه أولا ليكون بمفاوضتـه إياه على مذهبه وبيانه نقصان ما في يده فاعلاً فيه بقوله وتشيـع [٣] في نفسه قوة علمه فيجذبه إلى درجة الإتصال ، أن الماء في ممازجته الأرض يصير في مثل حالها مقارنة في كثافتها ليكون بإستحالته [٤] ومشاكلته إياها وقبول فعله لإنجذابها لما يكون عنه في المواليد وذلك هو الإستحالة . ويوجب كون عـدد الأدوار الكبار والأدوار الصغـار في عالم الدين كاملاً محفوظـاً في كميتـه من الزيادة والنقصان أن الموجود من الأجسام العالية والسفلية والأركان الأربعة التي هي: النار، والهواء، والماء، والأرض، في عالم الطبيعة محفوظة في كميتها من الزيادة[٥]

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : الباب
٣ ـ في ك : وتشع
٤ ـ في ن : باحالته
٥ ـ في ن : الزيارة

والنقصان إلى الأبد ، فهذه موجبات القضايا النبوية الناطق بها ميزان الديانة الذي يوازن[١] خلق الله تعالى فلا يغادر منه شيئاً ، والحمد لله الذي جعلنا من التابعين للأنفس الزكية، ورزقنا من ثمرات الشجرة العلية ، ونجانا بطاعة الأئمة الذين هم منابع البركات [٢] الأبدية ، ولا إله إلا الله سبحانه لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله أستغفر الله وأفوض أمري إلى الله، وأسأله العصمة والتوفيق، والصلاة على خير الأنام محمد وآله الأئمة الكرام، اللهم اختم بخير ديناً ودنيا بمنك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

---

١ ــ في ك : يوازي

٢ ــ في ن : بركة

المشرع الخامس

« في العلة الموجبة كثافة الأجسام وكثرة أجزائها »

●

نقول : لما كان كل شيء في الوجود له علة سابقة عليه موجبة إياه ، وكان الجسم في ذاته وجوده بأجزاء عنها ذاته كان لكونه ذا أجزاء ووقوعه في الوجود بخلاف ما عليه وجود عالم الإبداع[1] من جهة كونه لا جسماً له علة موجبة ، ولما كانت له علة موجبة وكان وجوده عن المبدع الذي هو الموجود الأول ، كان المبدع الذي هو الموجود الأول له علة ، ولما كان المبدع الذي هو الموجود الأول له علة لم يكن ما يوجب من ذاته وجود موجود عنه وجوده في ذاته ذا أجزاء غير النسبة المبدعية التي له . وذلك أن الموجود الأول جامع لنسبتين شريفتين إحداهما على ما بينا فيما تقدم كونه بإضافته إلى ما عنه وجوده إبداعاً ، وثانيهما كونه بإضافته إلى ذاته[2] مبدعاً ، وهو من جهة إضافته إلى الذي وجب عنه الموجودات سبحانه فرد ، ومن جهة كونه مبدعاً زوج [3] مزدوج ما يجري منه مجرى الموضوع ذو أمرين هما كمال أول وكمال ثان بهما ذاته وشرفه من هذه الجهة التي هي كونه مبدعاً دون [4] الشرف الذي له أولاً بكونه إبداعاً ، لتعلق كونه مبدعاً بإضافته إلى ذاته التي لا وجود لها إلا بإستنادها فيه إلى الإبداع لا إلى المبدع ، وهذه النسبة الثانية المبدعية التي هي له هي في الشرف لا كتلك النسبة الأولى[5] الإبداعية التي له ، ولما كان ذلك كذلك وكان الإبداع الذي هو المبدع الأول علة لوجود الموجودات لزم بكونه علة أن يكون الموجود عنه

---

١ ـ في ن : ابداع

٢ ـ في ك : ذواته

٣ ـ في ن : زواج

٤ ـ سقطت في ن

٥ ـ في ك : الاولة

شيئين عن النسبة الاشرف عقلاً فرداً محضاً شريفاً ، وعن النسبة الأدون زوجاً ذا أجزاء بحسب النسبتين على كونها جميعاً في الإنبعاث واحداً ، ككون الموجود الأول بنسبته في الإبداعية واحد ، وكان كون المبدع الأول الذي هو النهاية الأولى من حيث المبدعية ذا أجزاء من جهته التي بينا ، وإن كانت أقل من القليل هو العلة لوجود الاجزاء الكثيرة في الموجودات التي في النهاية الثانية ، بكون وجود الموجودات عن عللها – بحسب ما ذكرناه في باب كيفية الإنبعاث – من ملاحظتها ذواتها وتكثر الموجودات في الوجود وتضاعفها بملاحظتها ونظرها إلى ذواتها كتكثر الأعداد[1] من ضربها في ذواتها ، مثل الإثنين اللذين إذا ضربا في ذاتهما حصلت الأربعة ، ومثل الثلاثة التي إذا ضربت في ذاتها حصلت تسعة ، ومثل الأربعة التي إذا ضربت في ذاتها تصير ستة عشر . فضرب هذه في ذواتها كتكثر تلك بذواتها [2] وإحاطتها بها ، والمضروب في ذاته هو نهاية أولة والخارج من الضرب هو نهاية ثانية ، والنهاية الثانية كثرتها أكثر من كثرة النهاية الاولة؛ وذلك معلوم موجود أن أقل القليل في النهاية الأولة يكثر مثله في النهاية الثانية بكون النهايات الأولة عللاً للوجود ، وبكونها عللاً للوجود وجود كثرة المعلولات التي هي في النهايات الثانية أمر ضروري مثل الحركة اليسيرة في النهاية الأولة الذي هو الأمر تحدث عنه في النهاية الثانية التي هي المأمور حركات كثيرة بكثرة الوسائط ، ومثل الحبة الواحدة من البذر التي هي النهاية الأولة يوجد عنها حبوب كثيرة[3] في السنبلة التي هي النهاية الثانية ، وإلا فلا تكون عللاً [4] .

ثم لما كان الجسم معلولاً عن العلة الأولى ، وكان هذا المعلول ذا كثافة قلنا في علة الكثافة ووجودها أن الكثافة ليست مما يحدث في الموجودات عن

---

١ – في ن : العدد
٢ – في ن : بذاتها
٣ – في ك : كثير
٤ – في ن : علة

علل موجبة هي غير الموجودات، بل لأمر يختص بها ويلزمها، وذلك أن الموجود في المعلولات من أحوالها وجوده فيها إما أن يكون عن علل هي غيرها مثل الإنسان الذي وجوده إنساناً يتعلق بما يكتسبه بالعبادتين علماً وعملاً اللتين هما علة الإنسانية[١] هي غيره، وإما أن يكون عن أمر يلزمها من دون عللها مثل ما يوجد في بشرة الأبدان التي تلقى الشمس كثيراً بقلة التوقي منها من السواد الذي وجوده فيها لا عن وجود سواد في الشمس بل أمر يخص الأبدان بقربها من الحر[٢] وتغير المزاج عنه، وباطل أن تكون الكثافة وجودها في الموجودات عن علة موجبة لها هي غير عين الموجودات، كما كان وجود كثرة أجزاء الجسم في النهاية الثانية من علة هي غيرها بخلو العلة الموجودة عنها الموجودات من أمر يوجب هذه الحالة من الكثافة في معلول ومعلولاتها، ولما بطل أن تكون الكثافة في الأجسام عن علة سابقة عليها هي غيرها ثبت أن وجودها عن ذوات أجزائها، وإذا ثبت أنها عن ذوات[٣] أجزائها لم يكن وجه وجود الكثافة إلا عن تراكم الأجزاء في الموجودات ببعدها عن المبدع الأول الذي هو عين الإبداع، وتعذر[٤] الأمر عليها في أن تكون مثل ما تقدم عليها في الوجود لكثرة الوسائط وقيام العوائق، وعجز تلك الموجودات بأجزائها الكثيرة عن حفظ ذاتها على الحالة التي هي أشبه بما علاها في المرتبة منها بما دونها فتجمعت الأجزاء كلها وتراكمت تعاوناً على حفظ وجودها هرباً من الفساد فضاق جوهرها فصار كثيفاً، على ما يوجد عليه حال الهواء الذي هو بسيط بالشائع[٥] فيه من الحرارة التي بها كماله وصورته إذا عدم الحرارة في موضع من المواضع «ببعد الشمس[٦]» عنه وغلبة البرد عليه، وعجزه عن حفظ أجزاء ذاته على الحالة التي هو بها أشبه بالنار التي هي عالية عليه بالمرتبة في البساطة من تجمع أجزائه تلك وتراكمها[٧] بعجزه عن أن يبقى على الحالة

---

١ ـ في ك : الانسان
٢ ـ في ك : الحرارة
٣ ـ في ك : ذات
٤ ـ في ن : وتعذار
٥ ـ في ن : بالشايع
٦ ـ في ن : بالشمس
٧ ـ في ك : وتركها

الأولى في البساطة ، فصار بعد كونه بسيطاً ما كثيفاً ، وعلى ما نشاهده من أمر الماء الذي هو بسيط بالإضافة إلى الأرض ، وكثافته لا ككثافة الأرض ، إذا عدم الحرارة من جهة برد الهواء ببعد الشمس وكثرة الغيوم وعجز أجزائه الكثيرة عن حفظ ذاته على الحالة التي هو بها أشبه بالهواء الذي هو أعلى منه مرتبة في البساطة ، تجمعت أجزاؤه بالساري فيه من العناية الإلهية، وتراكمت لتتعاون على حفظ ذاته هرباً من الفساد ، فضاق جوهره بتداخل أجزائه بعضها في بعض وتراكمها[1] ، وصارت جميع أجزائه مجتمعة متعلقاً بعضها ببعض حاناً بعضها إلى بعض شائقاً، فكان بعد بساطته جماداً كثيفاً، وكذلك لما كانت الأرض في الوجود على أبعد البعد ، وفي النهاية التي لا بعدها نهاية ، كانت أجزاؤها مجتمعة كثيفة متداخلة متراكمة تائقاً بعضها إلى بعض إن أخذ منها جزء تحرك إلى كله هربا من الفساد ، فعل الجماعة البعيدة عن رئيسها وسائسها التي قد علمت من جهة بعد رئيسها أن في تفرقها هلاكها فتجتمع على حفظ جمعها بأن لا تفترق فتهلك كلها ، فيكون باجتماع بعضها إلى بعض ، وتعلق بعضها ببعض ، وشفقة[2] بعضها على بعض ، وميل جماعتها « إلى الاجتماع والهرب[3] » من التفرق ، انحفاظها[4] من الهلاك ، فعلة وجود الكثافة في موجودات عالم الجسم وتراكم أجزائها ببعدها عن علة وجودها ، وعلى ذلك يلزم في الموجود عن نسبة كون المبدع مبدعاً أن يكون الموجود عنه أولاً هو أشبه به مما بعد منه ، مثل الأجسام العالية وخاصة الفلك الأعلى الذي بقربه منه هو أشبه به مما بعد منه من الأجسام السفلية في الدوام والبقاء وعدم الاستحالة[5] والتغير لقلة أجزاء موضوعة ، وتأخذه بصورته[6] حتى كأنه شيء واحد بصورته وأن تكون بقربها مما عنه وجودها لا يحتوي عليها من الانحصار والضيق ما احتوى على الأجسام السفلية ببعدها ، وأن تكون

١ ــ في ك : وتركها
٢ ــ في ن : وشفق
٣ ــ في ن : الى الهرب
٤ ــ في ك : حفاظها
٥ ــ في ن : استحالة
٦ ــ في ك : بصورة

تلك أبسط وأشرف وهـذه أضيق وأكثف « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون[١] » فقد بان بما أوردناه أن العلة في كثرة أجزاء الجسم هي البعد عن العلة المبدعية على الجهة التي بيناها ، وفي اجتماع الأجزاء وتكاثفها وتراكمها هو بعدها عن نهايتها الأولة على السبيل الذي بيناه . يطابق ذلك ويوجبه ويشهد به ميزان عـالم الدين الذي هـو الطريق إلى المعارف الذي يوجب كون الناطق جامعاً لنسبتين إحداهما كونه بإضافته إلى عالم الإبداع الذي منه كماله الثاني وثانيتهما كونه باضافتـه إلى دار الطبيعة التي منها كماله الأول نفساً ، أن يكون العقل الأول الذي هو الموجود الأول والعلة الأولى[٢] ذا نسبتين إحداهما كونه بإضافته إلى الذي عنه وجد سبحانه إبداعاً ، وثانيتهما كونه باضافته إلى ذاته مبدعاً على ما سبق ذكره. ويوجب كـون الناطق من جهة كونه عقلا فرداً محضاً ، ومن جهة كونـه نفساً مشوباً بموضوعه كثيراً ذا قوى ، أن يكون العقل الأول من جهة كونه إبداعاً[٣] فرداً محضاً ومن جهة كونه « مبدعاً ذا كثرة[٤] » ويوجب كـون الناطق بما يجمعه من النسبتين الموجبتين القلة والكثرة نهاية أولة ، أن يكون العقل الأول[٥] الذي هـو المبدع الأول والموجود الأول بما يجمعه من النسبتين الجامعتين القلة والكثرة على ما شرحناه نهاية أولة . ويوجب كون الناطق الذي هو النهاية الأولى[٦] الجامعة للكثرة علة لوجود الأكثر من تلك الكثرة مـن السنن الإلهية والوضائع النبوية والحدود القائمة بالتعليم في عـالم الدين ، وكثرة الأنفس المتعلمة التي هي النهاية الثانية في بعدها منه ، أن العقل الأول الذي هو المبدع الأول والموجود الأول الذي هو النهاية الأولة الجامعة للكثرة علة لوجود الأكثر من تلك الكثرة من الصنعة الإلهية من الأفلاك الدوارة[٧] ،

---

١ ــ سورة ٤٠ آية ٥٧
٢ ــ في ن : الاولة
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ن : « ابداعا بكثرة »
٥ ــ في ن : الاولى
٦ ــ في ك : الاولى
٧ ــ في ك : الدائرة

والكواكب المؤثرة في عالم الجسم ، وكثرة أجزاء الأرض المؤثرة فيها التي هي النهاية الثانية في بعدها منه ، إذ وجود المعلولات[١] عن عللها أمر ضروري وتكثرها عنها لازم ، وإلا خرجت العلة أن تكون علة ، ولا يكون وجود ، وإذا كان ذلك موجوداً في عالم الدين فقد وجب أن تكون العلة في وجود الأجزاء الكثيرة في الأجسام هي النسبة اللازمة للمبدع الذي هو للموجودات علة على الجهة التي بيناها مقابلة مثلا بمثل ؛ والذي يوجب أن الكثافة في الأجسام وجودها فيها عن ذواتها لا عن علل موجبة هي غيرها في ميزان الديانة وجود الخلاف والضلال في عالم الدين بعد النبي صلى الله عليه من جهة الأنفس[٢] المتصلة بوضائعه وسنن أحكامه ، ولا وجود له في أيام حياته صلى الله عليه ، وذلك أن الخلاف والضلال الذي في عالم الدين كالكثافة في عالم الجسم ، والاتفاق والهدى كالبساطة فيه ، والأنفس المقابلة فيه كالأرض ، ولما بعدت الأنفس عن الناطق الذي هو علة وجودها في عالم الدين بتركها أمره وراء ظهورها ، وأخلت بطاعة القائمين مقامه بخروجها عن نظام الأمر والنهي فانقطعت عنهم ، وعجزت عن سلوك مناهج الدين الذي يحفظ عليها بركات النبي صلوات الله عليه ، ويؤديها إلى النجاة ومناهل السعادات ، وقصرت عن الكمال في الدين الذي يعلقها « برباطات[٣] أبدية » احتاجت ضرورة إلى حفظ أديانها فاعتمدت آراءها وعقولها التي زادتها بنقصها بعداً وضلالا ، فاختلفت وضلت . وكون ظهور الاختلاف والضلال في الناس بعد الناطق ببعدهم عنه بنبذ الامر ، وتركهم أمر القائمين مقامه[٤] وخصوصا في الامة العاصية موجباً أن الكثافة في عالم الجسم وخصوصاً في الارض التي هي بمنزلة الضلال والخلاف في عالم الدين ظهرت[٥] من جهة أجزائها الكثيرة عن بعدها عن النهاية الاولة الذي[٦] هو الموجود الاول الذي هو علة الموجودات بتراكمها

١ — في ن : المعلوات
٢ — في ن : النفس
٣ — في ن : « برطبات ابدي »
٤ — سقطت في ك
٥ — في ك : ظهر
٦ — في ن : التي

واجتماعها حفظا لوجودها . وكون الامة متفقة ولا وجود للخلاف في أيام النبي صلى الله عليه موجباً أن لا وجود للكثافة في دار الإبداع ، وكون التابعين للناطق والقائمين مقامه بتصرفهم عن أمره ونهيه أهدى سبيلاً، وأقرب إلى الملأ الاعلى وأشرف[١] منزلة ممن خالف وبعد ، موجباً أن الاجسام القريبة من المبدأ الاول الذي هو المبدع الاول هي أبسط وأشرف بتطابق مما بعد منه وكثف لتطابق ذلك كله وشهادته بالتقابل ، فقد تبين أن العلة في الكثرة والكثافة في النهاية الثانية من الموجودات ما أوردناه .

والحمد[٢] لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

١ ـ في ن : وشرف
٢ ـ في ن : والحد

المشرع السادس

« في أن الأرض غير كرية وما علتها ، وما المستحق منها أن يكون مركزاً للجسم المحيط ،وما شكلها ،وأن الأجزاء الظاهرة منها للهواء لها حركة بها ينتقل ماء البحار ، وما تلك الحركة ، وأن منها ما ينعقد جبالاً شواهق وما علتها[1] »

●

قد أوضحنا فيما سبق ، من كيفية كون الأجسام التي هي دون الفلك مركزها ناراً وهواء وماء وأرضاً ، وشرح أمورها مما تصورها بعد يغني ، إلا أن الأمر فيما نريد أن نتكلم عليه ونسوق البيان إليه فيه لما كان من جنس ما قد تكلم عليه ، أعدنا فقلنا : إن الطرف المماس للجسم المتحرك دوراً المسمى فلكاً من الجسم الذي دونه بقربه الأقرب لما صار بقبوله أثره حاراً تام الحرارة متحرك الأجزاء على ما بيناه صار[2] الطرف الآخر الغير المماس[3] للفلك الذي هو الجسم المتحرك عليه دوراً من البعد الأبعد بارداً تام البرودة ساكن الأجزاء ، بكون ما كان[4] موجوداً لذلك الطرف بقربه من الأمور التي بها صار متحرك الأجزاء معدوماً لهذا الطرف الآخر لبعده فكانت الكيفية التي هي البرودة التامة الموجبة[5] كثافة الأجزاء وسكونها مختصة بهذا الطرف الذي هو في البعد الأبعد من الجسم المتحرك اختصاص الكيفية التي هي الحرارة التامة الموجبة بساطة الأجزاء وحركتها بذلك الطرف الذي هو في القرب الأقرب من الجسم المتحرك[6] ثم قلنا إن ما يكون وضعه من

---

١ ــ في ك : علته
٢ ــ في ن : صارت
٣ ــ في ن : الماس
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ في ك : الواجبة
٦ ــ في ن : المحرك

الشكل الكري[١] في البعد الابعد منـــه حيث لا بعد بعده فالخطوط من سطحه[٢] إليه تكون متساوية بانتهائه فيه وسطاً إلى حد إن تجاوزه امتنعت الخطوط منه أن تكون كلها متساوية ، وما تكون الخطوط من سطحه إليه متساوية فشكله يكون كرياً بكونه حافظاً لنسبة منه ، ولما كان ما يكون الخطوط[٣] من سطحه إلى الشيء الكري المحيط بها كلها متساوية كري الشكل، وكان ما يخرج من سطح الأرض من الخطوط إلى الفلك الأعلى بكونها منه في البعد الأبعد غير متساوية ، كان منـــه الحكم بأن شكل الأرض غير كري وذلك لعلو بعض أجزائهـــا على بعض علواً يخرج تلك الأجزاء العالية على الاجزاء التي هي بالحقيقة مركز الفلك الاعلى[٤] من أن تكون من جملة المركز، إذ من شرط المركز وحده أن تكون الخطوط منه إلى المحيط كلها متساوية، وما يكون كذلك فيكون شكله كرياً لا يعلو جزء من أجزاء سطحـــه على غيره ، بل تتساوى[٥] كتساوي سطوح المرايا ، وحال سطح الارض لا على ذلك ، بل عالية أجزاء منها وسافلة أجزاء على مـــا نشاهده من علو بعض أجزائها وهبوط بعضهـــا ، وبتصوره أيضـــاً من قبل الخطوط التي تخرج من سطوح تلك الأجزاء العالية والسافلة أن الخط الخـــارج إلى ا. سم المحيط الأعلى من السطح لعالي من الأرض أقصر من الخط الخارج من السطح السافل، وأن الخط الخارج إلى الجسم المحيط الأعلى من السطح السافل من الارض أطول من الخط الخارج من السطح العالي منها ، وأن مـــا يكون كذلك فلا يكون من حد ما يكون مركزاً وما لا يكون من حد ما يكون مركزاً فلا يكون كرياً ، وما لا يكون كرياً فهو الذي يكون سطحه عالي الأجزاء وسافـــل الأجزاء ، هذا ولو كانت الأرض كرية لكان الماء محيطاً بها من جهاتها كلهـــا إحاطة جسم النار بالهواء وجسم الفلك بالنار لكون مركزه عالياً عليها ، ولما

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : حظه
٣ ــ في ك : الحظوظ
٤ ــ سقطت في ك
٥ ــ في ن : تساوي

وجدنا الماء غير محيط بها من جهاتها كلها كان من ذلك العلم بأنها غير كرية ، وأن الأجزا التي تستحق أن تكون مركزاً للجسم المحيط منها غير الأجزاء الظاهرة للهواء . ولما كان الأمر[١] على ذلك قلنا إن الأجزاء التي تكون مركزاً من الأرض للجسم[٢] الأعلى التي قد صارت محلا للبرودة التامة والسكون[٣] التام قد أحاطت المياه بها من جهاتها كلها احاطة كرية ولا يداخل أجزاءها الماء من « مداخلته[٤] للأجزاء » العالية عليه بكون مركز الماء فوقها فما يحصل داخلها من الماء مثلا وفرضاً فسبيله في طلبه مركزه كسبيل غيره إذا حصل في حيز غيره من باقي الأركان ، ثم أن الموجود في باقي الأركان الثلاثة التي هي الماء والهواء والنار من الأمر الذي به صارت سطوحها كرية[٥] متساوية الأجزاء غير موجود في الأرض لتكون كرية السطح ، وذلك أن النار والهواء والماء بالنافذة فيها من قوة الجسم[٦] المتحرك عليها بساطة ما بها صارت سطوحها كرية مشكلة بشكل الدائر عليها من الأجسام العالية عليها ، وحركة أجزائها لتداخل أجزاء بعضها في بعض عند لقاء سطح الجسم الكري مناسباً له مثل الطين[٧] الرطب الذي تتداخل أجزاء سطحه فيتشكل سطحه بما يلقاه من سطح إن كان سوياً فسوياً ، وإن كان غير سوي فبحسبه ، كنقش الفص وطين الختم والارض بالمستولى عليها من البرودة الحادثة في أجزائها ببعدها عن لقاء الجسم المتحرك التي[٨] بها تكيفت أجزاؤها فتكاثفت فاقدة ذلك ، وإذا كانت البساطة غير موجودة لها كانت أجزاؤها غير مناسبة لأجزاء الجسم الذي يلقي سطحها ، وإذا كانت أجزاؤها غير مناسبة لأجزاء الجسم الذي يلقى سطحها فالأرض بجملتها غير كرية ، فما وليها كان كذلك وإنما كان كذلك لان العناية الإلهية لما سرت في الاجسام

---

١ ـ في ن : امر
٢ ـ في ك : الجسم
٣ ـ في ن : سكوت
٤ ـ في ن : « مدخله الجزاء »
٥ ـ في ك : كروية
٦ ـ سقطت في ن
٧ ـ في ك : الطب
٨ ـ سقطت في ن

قصداً للحكمة فيها فأقامت منها الأجسام العالية الفاعلة[١] والأجسام السافلة المنفعلة[٢] – على ما بيناه فيما تقدم – لاخراج المواليد الثلاثة[٣] التى غايتها الإنسان المنبعث الثاني العائد كالمنبعث الاول بما أوجبته الحكمة الموجبة وجوده طريق الحكمة من طبائعها بمرافدة الأركان ومعاونة بعضها بعضاً بالتمازج والتعادل والمفاعلة والتفاعل ، علمت أن سطح الأرض إذا كان كريا مثل سطح النار والهواء ومقدراً أن يكون مركز الماء فوق سطح الارض أحاط الماء به من جهاته كلها إحاطة الأجسام العالية به فلا تصل قوة النار ولا قوة الهواء إلى الأرض وصول قوة الماء إليها ، فيكون حصول هذا الحال مانعاً في صدر المراد المطلوب كونه ، إذ الحكمة موجبة أن لا وجود للمواليد إلا باجتماع قوى أربع: النار، والهواء، والماء، والارض، وفي إحاطة الماء بسطح الأرض من جهاتها كلها بطلان وجودها بانقطاع قوى النار والهواء عن الأرض ، فجعلت هيئة الارض مع كونها مركزاً ببعض أجزائها غير كرية، ليكون بكونها كذلك لها أطراف عالية على مركز الماء فلا يحيط بها فيكون للقوى كلها اجتماع واتصال فتظهر منها المواليد الثلاثة التي غايتها الإنسان المراد وجوده على النحو الذي نراه من فعل الحكيم الحاذق في عمل البناكين لمعرفة الأوقات للساعات اقتداء بصنع الله فيما خلقه الذي جعله من إتقان الصنعة على صيغة ما ينفعل انفعالاً يؤدي إلى محرك أول من تركيب[٤] الآلات التي تحدث عنها الحركات، وإقامة الصور بطرح البنادق ويجعل البعض من الآلات محركاً وبعضها محركاً متحركاً معاً ، وما يعلم من الآلات أنه اذا كان سطحه مستوياً يبطل به غرضه المطلوب جعله مقعراً في المحرك المتحرك ، وما يعلم أنه إذا كان مقعراً أفسد المراد به جعله[٥] مستوياً ، وما يعلم أنه إن كان ثقيلاً لم يتحرك سريعاً جعله خفيفاً، وما يعلم أنه إن كان مربعاً في شكله عوق المراد جعله كرياً. ولما

---

١ – في ن : الفعالة
٢ – في ن : المفعلة
٣ – في ك : الثلاث
٤ – سقطت في ك
٥ – في ن : جله

كانت الحكمة قد منعت الأرض أن يكون شكلها شكلاً كرياً لما كان فيه لو كان من بطلان المراد في إقامة السموات والأركان قلنا إن الأجزاء الخارجة عن حد ما يكون من الأرض مركزاً للفلك الأعلى « التي هي اطراف[١] » الأرض الظاهرة للهواء وبها صارت غير كرية هي التي قد صارت تماماً لأسباب كمون الحيوان والنبات والمعادن لكونها على مركز الأرض خارجة وإلى حيز الهواء طالعة وبذلك لقوى ما علاها قابلة والآثار كلها فيها مجتمعة متمازجة ، وأن لهذه الأجزاء حركة عرضية بها يتبدل ما كان عالياً منها لاقياً سطح الهواء وحر الشمس وقوى السماء فيصير سافلاً ، وبها تنتقل[٢] مياه البحار على تطاول الأيام والدهور من مواضعها إلى غيرها فيخرب مكان وينعمر[٣] مكان ، وذلك أن الحركة تحدث في هذه الأجزاء التي تلقى سطح الهواء لا من ذاتها بل تحدث من حركة الرياح بها ونسفها إياها ، وجريان المياه بها عن الأمطار في الأودية وامتداد السيول بها فتنصب إلى البحار فتمتلي[٤] بها على تعاقب الليل والنهار كما نرى في أفواه الأودية المنصبة إلى البحر[٥] من جريان ما ساقته منها إليه فيعلو الماء بقدر ما تأخذ الأجزاء الجارية مع المياه إلى البحر من مكانها في قعر الماء وأطراف الأرض وتضغطه علواً يصل الماء به إلى مواضع الأجزاء المتقعرة التي لم تكن فيه وينصب عن مواضع ، كذلك ينخرب[٦] مكان وينعمر[٧] مكان ، وإنما كان كذلك لأن كل جزء من هذه الأجزاء الخارجة عن المركز التي بها صارت الأرض غير كرية حفظاً من النار والهواء والماء يأخذه بهذه الحركة الحادثة فيها بالعرض أخذ الأعراض حظوظها من الموجود بالمواد التي يتعاقب عليها ، على ما شرحناه فيما سبق ، فإذا أخذ ما على سطح الأرض حظه من النار والهواء والماء زال عن مكانه بحركة المياه وهبوب الرياح

---

١ ـ في ن : « الذي باطرافه »
٢ ـ في ك : تنقل
٣ ـ في ن : يعمر
٤ ـ في ن : تمتليء
٥ ـ في ك : البحار
٦ ـ في ن : يخرب
٧ ـ في ن : يعمر

عن مواضعها وقام مقامها غيرها آخذاً حظه منها ليكون العدل في ذلك قائماً ، فليس جزء من هذه الأجزاء بأن يلقى الهواء وحرارة الشمس فتتكون عنها المتكونات أولى من غيره ، ولا بأن لا يكون فيكون تحت الماء أولى من غيره بتقدير عزيز حكيم سبحانه[١] ، فالأجزاء بترافد الأمكان وتعاونها بأن تترطب تارة وتجف أخرى وبأن تحمى تارة وتبرد أخرى تنعقد الجبال والمعادن بحسب الكيفيات الغالبة عن الفلك الموجبة للمزاجات ، فيسيل[٢] من بينها الأمطار ما لا يكون منعقداً ، وتبقى مكانها شاهقة في السماء إلى أن تتناهى في اليبوسة التي بها انعقدت إلى نهايتها فتنحل حينئذ فتصير رملاً ثم تصير ترابا ، وتلزم بعده الأجزاء عن ذلك حركتان حركة للقيام بالفعل ، وحركة للعود إلى القوة ، وذلك حركة الكون والفساد ، ثم إن من هذه الجبال ما يكون مقراً للماء ومخزناً له يحفظه بأجزائه الصلبة ، وتوجد فيه بذلك الأشجار والنبات ، ومنها ما يكون عادماً للماء ولا يوجد فيه لا ماء ولا نبت ولا شجر . يصحح ما ذكرناه شهادة ميزان الديانة الذي به تنفتح الأبواب المغلقة وتزول عن الخواطر الشبه المعلقة الذي يوجب كون أنفس البشر بجملتها مركزاً للحدود في عالم الدين تتوجه[٣] نحوها تأثيراتهم بالتعليم ، أن الأرض بجملتها مركز للمؤثرات في عالم الجسم تتوجه نحوها أنوارها للتوليد ؛ ويوجب كون أنفس البشر منقسمة إلى ما هو عالي الرتبة قريب من المعلمين بقبوله العلم والحكمة ، وإلى ما هو سافل الرتبة بعيد من المعلمين بأن لا يقبل ولا يتعلم أن الأرض منقسمة إلى أجزاء عالية قريبة من المؤثرات بقبولها آثارها إلى أجزاء سافلة منها بعيدة عن المؤثرات بأن لا تقبل آثارها أصلاً[٤] . ويوجب كون الأنفس من البشر التي لا تقبل العلم أصلاً لنجاستها وضيق جوهرها بكونها في البعد الأبعد[٥] من الحدود في عالم الدين

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : فينسل
٣ ـ في ك : توجه
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ سقطت في ن

طبعاً مثل الأتراك والزنج والبربر وأمثالهم الذين ينافون بطباعهم من تطلب المعارف العقلية ، ولا يرغبون في تفهم الأمور الدينية التي هي المركز بالحقيقة للحد الأعلى الذي هو الناطق ، أن الأجزاء من الأرض التي لا تقبل التأثير أصلا ، ولا تنفعل لتداخل أجزائها بعضها في بعض بالبرد المستولي[١] عليها لكونها بالحقيقة في البعد الأبعد من المؤثرات في عالم الجسم الذي هو المركز للفلك الأعلى . ويوجب كون الأنفس القائمة بقبول آثار التعليم من البشر في عالم الدين من جهة الحدود الذين هم أهل الظاهر بقربهم منها عالية الرتبة على من دونهم وعليها يدور الأمر والنهي المرسومان في عالم الوضع والأصل المقدور[٢] ووجوده منهم من الخلق الجديد آخر الأدوار أرسل الرسل وأقيمت الشرائع والأئمة ، أن الأجزاء القائمة من الأرض بقبول التأثيرات في عالم الجسم من جهة الاجسام العالية بقربها منها عالية على ما دونها من الاجزاء[٣] التي استولت عليها البرودة وعليها يتعاقب الليل والنهار ولأجل المقدور وجوده منها من الخلق التام المهيأ للقبول التام أقيمت السموات والكواكب دائرة عليها. ويوجب كون حال العامة وأهل الجهل والغباوة مع كل رسول في دوره من جميع وجوهها حالة واحدة لا تزيد ولا تنقص، أن حال المركز في بعده من المحيط من جهاته كلها حالة واحدة لا تزيد ولا تنقص. وذلك حقيقة ما قال الحكماء إن الخطوط[٤] الخارجية من المركز إلى المحيط كلها متساوية ، كما قال النبي صلى الله عليه: « كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة » ويوجب كون العامة وذوي الأنفس البليدة التي هي بالحقيقة محل تعليم الناطق والحدود في عالم الدين في اعتقاداتهم أشرف الاعتقادات بأن لهم خالقاً لا يختلفون في إيجابه متشبهين بمن فوقهم من الحدود فيه ، أن الأجزاء من الأرض التي هي في الحقيقة مركز للفلك الأعلى في تشكلها بأشرف الأشكال الذي هو الكري متشبهة بما فوقها من الأجسام. ويوجب كون أنفس

---

١ ــ في ك : المتولي
٢ ــ في ن : المقدر
٣ ــ في ن : الاجزا
٤ ــ في ك : الحظوظ

البشر عامة بعلمائها[١] والطالبين للعلوم الشريفة مختلفة ذات آراء واعتقادات متغايرة غير مؤتلفة في الأديان ، أن الأرض بأجزائها الخارجة عن المركز منها اللاقية للهواء شكلها ذو أطراف متباينة غير كروية . ويوجب كون الحدود في عالم الدين في تصورهم أشرف[٢] المعارف الذي هو التوحيد والجواهر الإبداعية والإنبعاثية متشبهين بمن فوقهم ، أن النار والهواء والماء في تشكلها بأشرف الأشكال الذي هو الكري تشبه الأجسام العالية التي فوقها في عالم الجسم ، ويوجب كون القابل من أهل الظاهر آثار الهداية وسنن العبادتين في عالم الدين من جهة الحدود فيه مؤمناً عالي الرتبة على من دونه ممن لا يقبل وعنهم يكون[٣] المواليد الروحانية ، أن القابل من جملة ما على المركز من أجزاء الأرض آثار المؤثرات في عالم الجسم من الكواكب مزاج عالي الرتبة على ما دونه مما لم يقبل معتدل عنه تكون المواليد الطبيعية . ويوجب كون أهل الأيمان القائمين برسوم العبادتين العالين على غيرهم ممن هو دونهم في معرفة الحقائق وأداء الفرائض أقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في عالم الدين من أهل الظاهر وممن دونهم ، أن ما على مركز الأرض من الأجزاء القابلة آثار المؤثرات أقرب إلى الجسم الأعلى في عالم الجسم من الأجزاء التي لا تقبل مما هو دونها . ويوجب كون أهل الظاهر في طلبهم مناجاة الحدود واتصالهم بهم واستفادتهم منهم تامية الأسباب في كون المواليد الروحانية ، أن الأرض في علوها طلباً للقاء الهواء وحرارة النار بأجزائها الخارجة على المركز منها وقبولها تأثيراتها تامية الأسباب في كون المواليد الطَبيعية . ويوجب كون الجامعين لعلوم الدعوة الهادية في عالم الدين من جهة الوحي والحاوين للمعارف الإلهية اثني عشر[٤] حجة يجمع كل حجة منها من دونه من الدعاة والمأذونين والأجنحة ، أن العامر من الأرض اثنتا عشرة أرضاً يجمع كل منها الكور والبلدان والقرى . ويوجب كون أبواب أصحاب الأدوار في عالم الدين سبعة

---

١ ـ في ن : بعلاها
٢ ـ في ن : شرف
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ن : عشرة

مثل شيث وسام واسماعيل ويوشع وشمعون وعلي وحجة القائم[١]. أن أقسام الأرض وأقاليمها سبعة[٢] ويوجب كون أهل الدعـوة قسمين: مؤمـن خالص، ومنافق مارق. أن الأرض قسمان : عامر مسكون ، وخراب غير مسكون. ويوجب كون المنافقين أكثر من المؤمنين المخلصين ، أن الأرض الخراب أكثر من المسكون العامر . ويوجب انتهاء الأمر في المنافقين وأهل الشر إلى البوار وفي أهل الإيمان والخير إلى الكثرة في آخر الأدوار ، أن الخراب من الأرض ينعمر بكثرة أهل الخير. ويوجب كون أهل الدعوة الهادية غـير مجموعين إلى الناطق بما يكون من تعليم الحجج والدعاة وتأثيراتهم فيهـم بـل إلى صاحب الدور السابع كما قال تعالى : « قل إن الأولين والآخرين . لمجموعين إلى ميقات يوم معلوم[٣] » أن الأجزاء التي تلقى الهواء وتقبل تأثير المؤثرات حركتها إلى البحر لا من ذاتها بل عن علة تحرك الهـواء رياحاً وجريان الماء أودية وسيولاً عن الأمطار النازلة من السحاب . ويوجب كون المؤمن في الدعـوة باستفادة العلوم وقبول تأثير الدعاة ظاهراً وباطناً قد يرتقي ويصير حجة ثابت المقام ، أن بعض أجزاء الأرض بقبول تأثير الكواكب[٤] وطلوعها عليه وغروبهـا عنه ، ومصيره تارة رطبا وتارة يابساً يصير جبالاً ثابتة . ويوجب كون بعض الحجج[٥] جامعاً لعلوم الدعوة الظاهرة من دون علوم الدعوة الباطنـة ولا يكون عنه المواليد الروحانية ، أن بعض الجبال لا يكون فيه الماء ولا يكون فيه نبت ولا حيوان ، ويوجب كون بعض الحجج جامعاً لعلوم الظاهـر والباطن وتكثر أولاده[٦] الدينية ، أن بعض الجبال قد يكون مقراً للمـاء فيكون ذا أشجار وأثمار . ويوجب وجود الأنفس الأبية مـن استفادة العلم

١ - يعتبر الاسماعيلية هؤلاء اسس واوصياء وحجج لنطقاء الادوار الصغيرة الذين هم : آدم وحجته شيث ، نوح وحجته سام ، ابراهيم وحجته اسماعيل ، موسى وحجته يوشع ابن النون ، عيسى وحجته شمعون الصفاء ، محمد (صلعم) وحجته علي بن ابي طالب (ع) وحجة القائم المنتظر (ع) .

٢ - في ن : سبع

٣ - سورة ٥٦ آية ٤٩ ، ٥٠ .

٤ - في ك : النجوم

٥ - في ن : الحجة

٦ - في ن : ولادته

والحكمة ووجود إعراض الدعاة عنها بمعرفتها أنها لا ينجع فيها قولها ، أن في الأرض أجزاء بما هي مركز للجسم الأعلى في غاية البرودة لبعدها عن الأجسام المتحركة ولا يداخلها الماء مداخلته فيما سواه من الاجزاء العالية عليها بكون[١] مركزه فوقها . ويوجب كون انتقال الدعوة النبوية والأخلاق والعادات الشريفة من قوم إلى قوم ، ومن بطن إلى بطن مثل انتقال الدعوة النبوية من أولاد اسحق بن ابراهيم إلى أولاد إسماعيل بن ابراهيم وانتقال الشجاعة التي في اليونان إلى العرب ، وانتقال الملك والحكمة التي كانت للفرس إلى العرب ، أن خراب بعض الأراضي وعمارة بعضها على مر الأيام . ويوجب كون تصور الحدود أشرف المعارف بتهيئها[٢] لها لاكتسابها وقرب ما هو مفقود في الأنفس الأبية ببعدها ، أن الأركان تشكلها بأشرف الأشكال التي هي الكرى يتهيأ لها لاكتسابها وقرب ما هو مفقود في أجزاء الأرض ببعدها . ويوجب كون الوصي والقائمين مقامه من الحجج في تأملهم منازل الحدود ومراتبهم في الاستحقاق يحرمون منافقاً بركات العلم الإلهي ويسقطونه من مرتبته، ويرقون مؤمناً ويرفعونه في منازل الأبرار ، أن الأرض بأجزائها حركة بها تخرب مواضع وتنعمر[٣] مواضع ، ومصير من قبل من أهل الظاهر[٤] فوائد الحدود وقام بحق العبادتين مواليد روحانية تسعد[٥] باللذات الأبدية ، ومن لا يقبل منهم فأقام على عبادة واحدة[٦] مصيره إلى ظلمة الضلال الملحقة إياه للعذاب الأليم ، يوجب أن ما يقبل من أجزاء الأرض تأثيرات المؤثرات بقبول الفيض يصير حيواناً طبيعياً ، وما لا يقبله يجريه الماء إلى ظلمة البحار . وكون أنفس البشر بالإضافة إلى النبي والوصي والأئمة عليهم السلام بكمالهم وشرفهم خسيسة لا قدر لها ، يوجب أن الأرض بإضافتها إلى الأجسام العالية بعظمها ووسيع فسحتها لا قدر لها ووضيعة لا شرف لها ، ويوجب كون نفس النبي صلى الله عليه من عالم الدين مختصة من جملة أنفس البشر لقبول فيض عالم الإبداع من

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ن : وتهيئها
٣ ــ في ن : تعمر
٤ ــ سقطت في ك
٥ ــ في ن : تسعو
٦ ــ في ك : وحدة

جهة العقـل الأول بوساطة العقل الثاني قبولاً تاماً لا يساويها فيه نفس غيرهـا وعن ذلك يكون تدفق[١] العلوم منه وفيضها ، أن من أجراء الأرض ما هو مختص بأن يكون من جملة سائر أجزائها قابلاً تأثير الأجسام العالية من جهة الشمس بوساطة القمر قبولاً تاماً لا يساويه فيه غيره ، وعن ذلك يزداد مـاء البحر فيفيض. فهذه شهادة ميزان الديانة للأمور الموجودة في الأرض ونطبقه بها مقابلة وموازنـة . والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وعليه نتوكل ، وبه نستعين ، ولا إله إلا هو ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

---

١ ـ في ن : تدف

المشرع السابع

« في أن الماء غير محيط بسطح الأرض ، وما علته ؟ وأن له زيادة ونقصاناً في البحر وما علته [1] ؟ وأن صورة الظاهر منه للهواء صورة إنسان »

●

قد سبق لنا من الكلام فيما تقدم ما يوضح أن الأرض بجملتها غير كرية الشكل بالأجزاء الطالعة منها للقاء الهواء تامية للأسباب التي توجد بها المواليد على ما اقتضته العناية الإلهية المصروفة إلى إظهار ما في مضمار الحكمة أن يوجد إلى الوجود[2] التي لولاها ، أعني الأجزاء اللاقية للهواء بخروجها عن مركز الماء التي بها صارت الأرض غير كرية الشكل لما كان للمواليد وجود ، ونقول : لما كان شكل الأرض غير كري للأجزاء الطالعة منها لقبول تأثير الأجسام فوقها ، وكان الماء بين الهواء والأرض مركزه ، وكان من طبيعة كل ركن أن لا يعدو مركزه عالياً ولا سافلاً ، كان منه العلم بأن الماء لا يعلو[3] الأجزاء العالية على مركزه التي في علوه عليها تعديه عن مركزه ، وإذا كان لا يعلوها فالماء غير محيط بسطح الأرض . وذلك أن الأجزاء الطالعة على المركز قد شغلت حيز[4] الماء بكونها فيه وعالية عليه ممتنعة عن أن يغمرها ، ولما امتنعت الأجزاء العالية بعلوها عن أن يحيط بها ويغمرها ، ولم تكن له قدرة على العموم بسطحها ، وكانت تلك الأجزاء بقربها من الأجسام المتحركة

---

١ ـ سقطت في ن

٢ ـ في ك : الموجود

٣ ـ في ن : لا يعل

٤ ـ سقطت في ك

ووصول قواها إليها بمجاورتها لها وقبول آثارها متخلخلة[١] وفي تراكمها مختلفة نفذ فيها دائراً بالأجزاء التي هي من الأرض مركز للجسم الأعلى طالباً لحقه[٢] وموضعه ، فصار محيطاً بها من هذه الجهة وغير محيط بسطحها من جوانبها كلها للأمر المذكور ، ولا يكاد ينفذ في الأجزاء التي هي دونه لكون هذه الأجزاء التي هي مركز للجسم الأعلى دون مركز الماء ، كالهواء دون النار ، والماء دون الهواء ، وامتناع الأركان أن تكون في حيز غير حيزها طبعاً فلا يداخلها أصلاً حتى أننا لو فرضنا من مداخلته إياها مثلاً على ما نشاهد مداخلته للأجزاء الطالعة على تلك الأجزاء التي هي الوسط لعلمناه[٣] بالحقيقة متحركاً عنها إلى حيزه حركة الهواء من تحت الماء إلى حيزه ، فالماء بذلك كري الشكل، ولما كان للماء أمور كثيرة[٤] فيها اختلاف للمعتمدين على عقولهم في اصطياد المعارف من دون من نصبه الله تعالى للتعليم علماً ، رجعنا في الإستشهاد على ما أوردناه منها صحة ، وفي الكلام على ما يلزم تبيانه جملة إلى ميزان السنن الإلهية ومعيار الوضائع النبوية المنصوب[٥] من جهة من اختاره الله تعالى قائداً ، واصطفاه لهم في طلب الزلفى[٦] رائداً محمداً عليه السلام لما بعثه من الحدود في الدعوة الهادية في إدراك المطلوب في دين الله تعالى وعبادته علماً وعملاً ، فكان كون الشريعة وحدودها غير نافذ حكمها في الأنفس ولا عامة لها ، موجباً أن الماء غير محيط بسطح الأرض كله . وكان كون نفس البشر غير منفكة من الرسوم الدينية التي هي من جنس الشرائع التي بها تحفظ الدماء والفروج ، وإن كانت لا كالأحكام بالملة الحنفية ، موجباً أن الماء محيط بما هو «مركز للجسم الأعلى[٧] » وإن كانت إحاطته في بعض المواضع بكونه تحت الاجزاء

---

١ ـ في ن : متخللة
٢ ـ في ن : حقه
٣ ـ في ن : لعلناه
٤ ـ في ك : كثير
٥ ـ في ن : المنصوبة
٦ ـ في ن : زلفى
٧ ـ في ك : « مركزا للجسم اعلى »

الطالعة من الأرض لا كإحاطته في غيرها عموماً . وكان كون اعتقاد الدعاة والحدود في توحيد الله تعالى وعبادته مثل اعتقاد من فوقهم من الحدود العالية ، موجباً أن شكل الماء كري مثل شكل الأجسام العالية فوقه . وكان كون وضائع الشريعة بأركانها وسننها وحدودها وإحاطتها بمن تحتها مشابهة للعالم الكبير الذي هو مثل العالم الصغير الذي هو الإنسان ، موجباً أن شكل الماء الظاهر للهواء في إحاطته بالأرض يشبه شكل جثة الإنسان ، ويوشك أن يكون البحر الفاصل بين أرض فارس وأرض العرب الذي ينتهي إلى البصرة هو كرجل منه . وكان كون الدعوة الظاهرة التي هي رسوم[1] العبادة العملية أمثالاً ورموزاً موجباً أن ماء البحر مالح ، وكان كون الوضائع في الدعوة الظاهرة التي هي رسوم الشريعة والعبادة العملية أمثالاً ورموزاً بمجردها لا يفيد النفس كمالاً ، موجباً أن ماء البحر بكونه[2] مالحاً لا تنبت به الأرض نباتاً . وكان كون الظاهر على الوضائع في الدعوة الظاهرة من الرسوم والأحكام والحدود فيها هو السياسة التابعة لها في وجودها ، موجباً أن الغالب على ماء البحر هو الملوحة التامة التابعة للبرودة التامة . وكان كون الحدود في الدعوة الظاهرة من العلم برسومها وأحكامها على أمر إذا سئلوا ما طريق الجواب فيه بما يكون هداية للسائل في دفع الشبه بينوا ذلك وأوضحوه ، موجباً أن ماء البحر من اليبوسة على حالة إذا حركه المحرك بالليل أضاء كأنه يتوقد في دفع الظلمة . وكان كون وجود صنعة[3] المناسك الشرعية في الدعوة الظاهرة ورسومها في كونها رموزاً وأمثالاً عن الناطق بأن يجعلها كذلك ليوافق أحكام جنس البشر فيقبلها فيطرد حكم السياسة ، موجباً أن وجود الملوحة في ماء البحر عن فعل الشمس بتسخينها إياه وارتفاع الألطف منها ليكون عذبا ،

---

١ ـ في ن : وسوم
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : صيغة

وبقاء الأكثف ليكون موافقاً لطبيعة الأجزاء التي هي محل البرودة التامة فيتشبث البعض بالبعض . وكان كون الرموز والأمثال في الدعوة الظاهرة التي لا تقبلها النفس على ظاهرها ، ولا تفيد بمجردها كالاً إذا ردت إلى الحجة فأولها بوضعه إياها موضعها صار[١] ما يورده مقبولاً مفيداً للكمال، موجباً أن ماء البحر الذي لا يكون عنه زرع ولا نبت[٢] بمجرده إذا ارتفع بالتسخين إلى حيز الهواء فعمل فيه فرده بالمطر صار عند ذلك تقبله الأرض ويكون عنه الزرع والنبات . وكان كون وجود علم الوصي ودعوته عن علم النبي صلى الله عليه ودعوته ، موجباً أن الماء العذب عن ماء البحر وجوده. وكان كون ما يوجد في الدعوة الظاهرة من كلام النبي عليه السلام وأمثاله إذا رد إلى الحجج والدعاة فوضعوه[٣] مواضعه تأويلاً موافقاً لأحكام العبادتين فصار علة لوجود المواليد الروحانية ، موجباً أن ماء البحر إذا ارتفع بالبخار إلى حيز الهواء فيصير حلواً موافقاً لطبيعة الحياة فينزل فتتولد به المواليد الطبيعية، وكان كون ما يفيض من جهة الحجج من العلوم مستقراً إما في نفس متهيئة لأن تكون حجة فيحفظ التعليم غيره. وإما في نفس مؤمن فيحفظه في ذاته بإخلاصه لمذاكرته إخوانه فيظهر منها بذلك فيحيي به أهل الدعوة،موجباً أن الماء إذا نزل بالمطر في وسال فغاض[٤] في الأرض حصل إما في موضع مستحجرفيحفظه أو في تربة طيبة لزجة متداخلة الأجزاء فتحفظه فتنبع منه العيون بتوارد[٥] مدده فتحيي به المواليد الطبيعية. وكان كون علم العبادة العملية أعم وأكثر من علم العبادة العلمية في عالم الدين موجباً أن الماء المالح[٦] أعم وأكثر من الماء العذب . وكان كون العلم في عالم الدين علمين : علم العبادة العملية المختلفة بكثرة الآراء والاعتقادات بكونها رموزاً وأمثالاً لا تفيد بمجردها كالاً ولا توجد عنها مواليد روحانية ، وعلم العبادة العلمية بكونه ملخصاً ولا مختصاً بأن يرد كل شيء منه إلى أوله

---

١ ـ في ن : صر
٢ ـ في ك : نبات
٣ ـ في ن : ووضعوا
٤ ـ في ن : فغاص
٥ ـ في ن : بموارد
٦ ـ في ك : الملح

وهو يفيد الكمال، وتوجد عنه المواليد الروحانية، موجباً أن الماء ماءان: ماء مالح منبوع لا يكون به زرع ولا نبت، وماء عذب غير منبوع به يكون الزرع والحيوان. وكان كون الظاهر الذي هو العبادة العملية مفيداً للنفس الفضائل الخلقية التي تتعلق[1] بمصالح الدنيا في النفس والجسد، والباطن الذي هو العبادة العلمية مفيداً للنفس فضيلة الكمال الذي يتعلق بمصالح النفس، موجباً أن ماء البحر يفيد الأرض قوة في عقد المعادن التي فيها الصلاح العاجل، والماء العذب يفيدها القوة في إنبات النبات وإخراج الحيوان. وكان كون طالب العلم في طلبه إياه من الدعوة الظاهرة من دون الدعوة الباطنة واقعاً في اختلاف[2] وتحير وضلال، موجباً أن طلب المنافع للطالب طلبه إياها من البحر بالسباحة في مائه دون ركوب السفينة هلاكاً. وكان كون التنزيل والشريعة جامعين للعلوم الشريفة كلها من العلم بالتوحيد، والعلم بعالم العقل، والعلم بعالم الطبيعة والعلم بعالم النفس، والعلم بحدود دين الله، والعلم بالمعاد وغير ذلك من الموجودات، موجباً أن ماء البحر يجمع الجواهر الثمينة ياقوتاً ودراً وزبرجداً وزمرداً ولؤلؤا ومرجاناً وغير ذلك من[3] الموجودات، وأصناف الجواهر ذهبا وفضة وغيرهما. وكان كون الحدود في عالم الدين مخرجين من عالم الدين الذي هو علم التنزيل والشريعة كل علم حسن[4] مكنون فيها بتأويلهم، موجباً أن الغواصين في البحر يخرجون منه كل جوهر ثمين بغوصهم. وكان كون الدعوة وحدودها أماناً لمن دخلها والتزم بها وبأحكام عهودها من الضلال واختلاف الأهواء والآراء في ظاهر الشريعة، موجباً أن السفينة وربانها أمان لمن ركبها من الهلاك باختلاف الرياح في البحر. وكان كون الدعوة الظاهرة التي هي العبادة العملية لها قوة في وقت تنبسط بها علومها وأحكامها وضعف في وقت تلغى معه رسومها وأعلامها، موجباً أن للبحر مداً ينبسط به ماؤه ويكثر،

---

١ - في ن: تعلق
٢ - سقطت في ن
٣ - في ك: عن
٤ - سقطت في ك

وجزراً ينقبض به ماؤه وينقص . وكان كون الدعوة الظاهرة لها في كل دور من الأدوار السبعة في كل ظاهر وباطن قوة وضعف ، موجباً أن لماء البحر في كل يوم من الأيام السبعة ولياليها مداً وجزرا . وكان كون « ما يظهر من[1] » الحجج في آخر كل دور لهم صغير من العلوم ظاهراً وباطناً أكثر مما يظهر في أوائل الأدوار ، موجباً أن لماء البحر في الشهر زيادة ونقصاناً يزيدان[2] على ما يكون في كل يوم وليلة في الزيادة زيادة، وفي النقصان نقصان. وكان كون ما يظهر من العلوم في تمام الأدوار أكثر مما يظهر في أول الأدوار صغاراً وكبارا ، موجباً أن لماء البحر في السنة زيادة ونقصانا يزيدان[3] على ما يكون في كل شهر . وكان كون وجود فيض العلوم في عالم الدين في الناس كلهم عن الناطق موجباً أن زيادة الماء في البحر من بين الأجزاء كلها عن موضع فيه مخصوص بأن يفور منه فوراً . وكان كون علم الناطق الفائض منه العلوم عن قبوله فوائد[4] الأول بوساطة الثاني قبولاً يزيد فيه على غيره ، موجباً أن زيادة الماء عن الموضع المخصوص هي عن قبوله تأثير الشمس بوساطة القمر قبولاً يزيد فيه على غيره . وكان كون النبي عليه السلام باتصال أنوار الأول به بوساطة الثاني[5] اليه مثل الأول فاعلاً في ذاته فكراً في المطلوب فيصير علمه به كثيراً يحتاج له إلى حملة يحملونه ، موجباً أن ذلك الموضع من ممر القمر على نسبة إذا لقيه اتصلت أنواره التي هي عن الشمس سطوعا[6] به فيصير سبباً لغليان الماء وزيادته في ذاته فيحتاج من المكان إلى أكثر مما كان له وهو التأثير على نحو ما يكون من المرآة الحراقة المقعرة[7] التي إذا جعلت بحذاء الشمس قبلت نور الشمس وفيضها قبولاً تاماً وأدته[8] إلى ما تلقاه

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : يزيدا
٣ ــ في ن : يزيدا
٤ ــ في ن : فائدة
٥ ــ في ك : الثان
٦ ــ سقطت في ن
٧ ــ سقطت في ن
٨ ــ في ك : فأدت

فأحرقته ، فهذه قضايا ميزان الديانة بمطابقتها للموجودات من حال المـــاء على اختصار[١] .

والحمد لله حمد استكانة وخضوع ، وإذعان وخشوع ، وصلى الله على سيد البشر ، وخاتم النذر ، محمد نبيه وآله الطاهرين .

١ ـ في ن : اختصاره

السور السابع

«في الموجود عن الاجسام العالية والسفلية نارا وهواء وماء وأرضاً من المواليد الثلاثة التي هي المعادن والنبات والحيوان. ويشتمل على أربعة عشر مشرعاً»

المشرع الأول

« في المادة الثانية التي عنها تكون المتولدات بما هو مزاج »

●

قد قلنا فيما سبق في كيفية وجود الأركان عن المادة الأولى[١] ، وبينا من طريق الوضائع الشرعية النبوية حق الأمر فيها واستحالتها ؛ ونقول : إن الأركان في ذواتها لا تضاد فيها فيحدث التضاد الموجود في جملة كل جسم منها التغيير[٢] والاستحالة من ذواتها ، وإنما تظهر وتحدث الاستحالة فيها من خارجها بفعل كل منهما بكيفيته اللازمة له في الآخر بحسب قوته الحار منها في البارد ، واليابس منها في الرطب وبالعكس ، وانفعال إحداها عن الأخرى فيكون لها مع كلها في استحالتها مفاعلة عنها ، يكون امتزاجها وبها تتولد منها المتولدات التي هي بصورتها لا عن عين أحد منها ، وأنها بالإكتساب الثاني هي المادة الثانية لوجود الموجودات ، ولها في وجود ما يوجد عنها حالان : أحدهما فعل بعضها في بعض بكيفياتها وقبولها القوى السماوية ، وثانيها انفعال كل منها عن الآخر بحسب نقصانه عن الغالب منها[٣] ، ويستحق الموجود منها بحسبها[٤] اسمين : أحدهما عن فعلها بمداخلة بعضها في بعض وإفضاء بعضها إلى بعض وهو المزاج ، وثانيها عن انفعالها واستحالتها ومصيرها في حال ثان بها يمتنع أن يكون واحداً منها وهو الممتزج ؛ وهو من جهة مزاج ، ومن جهة ممتزج ، ومن جهة ما هو مزاج علة ، ومن جهة ما هو ممتزج معلول . ولما كانت الأركان الأربعة والمؤثرات السبعة[٥] والأفلاك

---

١ ـ في ن : الاولة

٢ ـ في ك : تغير

٣ ـ سقطت في ن

٤ ـ في ن : بحسب

٥ ـ في ك : السبع

الدائرة جميعها علة لوجود ما يتعلق وجوده بها فيما دون فلك القمر ، وكانت العلل موجبة في معلولاتها من الكثرة أكثر مما تقتضيه ذاتها منها ، كانت الكثرة بكونها أولاً في واحد[١] منها من الأفلاك والنجوم والأركان التي كل منها في الأصل علة ، ثم بكونها ثانياً في أحوالها الكثيرة ، ثم بكونها ثالثاً في مصير ذواتها كلها كذات واحدة وكعلة واحدة علة موجبة من كثرة المزاجات التي عنها تكون الموجودات ما يفوت الإحصاء ، وذلك أنه لا وجود لموجود في عالم الإستحالة إلا عن الأركان الأربعة وقواها جميعها ، والأركان مستحيلة بعضها إلى بعض ، يفعل بعضها في بعض ، ويغالب بعضها بعضاً بحسب الأمور الموجبة ، فتوجد عنها بمفاعلاتها مزاجات كثيرة تتضاعف عند حركات الأجسام بصورتها لاكتساب ما من شأنه[٢] قبوله من الأمور التي فيها كالها أشخاصاً ، وعند فعل[٣] الفواعل فيها من الأجسام العالية صوراً عن كل حالة منها لكثرة الحركات الحادثة عن[٤] المتحركات منها وتأثيراتها بأشعتها في كل حال لها بطلوعها منها وغروبها عنها ومسامتتها[٥] لها وبعدها عنها صعوداً في أوجاتها، وقربها منها هبوطاً إلى حضيضها في أفلاكها ، وما يتجدد من أحوالها في رجوعاتها واستقاماتها ومقاميها الأول والثاني . وكونها شمالية وجنوبية ، ومصيرها في دستورياتها ، وكونها في بيوتها وحدودها ووجوهها[٦] وشرفها وهبوطها ووبالها ومثلثاتها ونوبهراتها وذريجاتها وتشريقها وتغريبها وأمكنتها ن أوتاد الفلك في كل لحظة ، وابتزازها واستعلائها وسقوطها عن المطالع[٧] رما يكون من مناظرة بعضها بعضاً تسديساً وتثليثاً وتربيعاً[٨] ومقابلة .تضميا ، واجتماع كل منها في برج برج أكثرها ، وكلها كذلك على تعاقب لدهور ، وبسقوطها عن طبائع الأركان تضاعف الأعداد عند ضربها في ذواتها

ـ في ن : واحدا واحدا
ـ سقطت في ك
ـ في ن : عقل
ـ في ن : من
٥ ـ في ك : مسامتها
٦ ـ سقطت في ن
٧ ـ في ن : مطالع
٨ ـ في ن : وتريما

فتتكثر تكثر الكثرة الموجودة في الأعداد بحسب قربها من الواحد فتصير من الكثرة إلى الحد الذي يفوت الإحصاء ، فيكون بذلك عند ترتيب الموجودات في الكون عنها مزاج ما يوجد عن الأركان أولاً أخص بها وأقل تركيباً مما يوجد عنها ثانياً ، ومزاج ما يوجد عنها ثانياً على ذلك أقرب إليها وأقل تركيباً مما يوجد عنها ثالثاً ، حتى ينتهي في كثرة المزاجات التي بها التراكيب إلى حد لا يغادر مما أوجبته[1] الحكمة واقتضت وجوده شيئاً ، وإلى نهاية هي الغاية المقصودة في الكل التي لا بعدها غاية مثل مزاج الأمور العلوية الموجودة عنها سحاباً وغيره الذي هو أخص بها وأقرب وجوداً عنها وأقل تركيباً من مزاج المعادن الموجودة عنها التي هي أبعد منها وأكثر تركيباً وأكثر أنواعاً، ومثل أنواع[2] المعادن الموجودة عنها التي هي أقرب إليها وأقل تركيباً وأقل أنواعاً من مزاج النبات الذي هو أبعد منها وأكثر ترتيباً وأكثر أنواعاً، ومثل مزاج النبات الذي هو أقرب إليها وأقل تركيباً وأنواعاً من الحيوان الذي هو أبعد منها وأكثر تركيباً وأكثر أنواعاً ، ومثل مزاج الحيوان الذي هو أقرب إليها وأقل تركيباً من الإنسان الذي هو أبعد منها وأكثر تركيباً من كل ما تقدمه في الوجود ، وجملة هذه المزاجات الكثيرة مزاجان : أول وثاني ، فالأول منها ما تكون عنه الأمور العلوية من سحاب وضباب وشهاب وغير ذلك التي هي وإن كانت متولدة عنها فإنها عون للطبيعة على فعلها وكآلاتها ، والثاني ما تكون عنه ذات[3] المواليد الثلاثة التي لا يتم كونها إلا بالأول منها وينقسم ذلك إلى أربعة وعشرين ينبوعاً عنها يتركب[4] المزاجات الكثيرة التي بها يكون وجود أشخاص الأنواع الواقعة تحت أجناس المواليد على ما يأتي عليه الشرح في الكلام على الممتزج . يصحح ذلك ويحققه أحكام الترتيب الإلهي في عالم الدين الذي هو ميزان المعارف بالموازنة الذي كان وجود المفاعلة بين الحدود في عالم الدين إفادة واستفادة ومذاكرة ومحاجة ، موجباً

---

١ ـ في ن : وجبته
٢ ـ في ن : مزاج
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ك : تركب

وجود المفاعلة بين الأركان ممازجة . وكان كون استعمال الأنفس في عالم الدين رسوم العبادتين واستفادتها واعتلاقها بحكم الطاعة للحدود فيه هو الدين، موجباً أن قبول أجزاء الأرض قوى النار والهواء والماء والأجسام العالية هو المزاج الذي هو الممازجة . وكان كون الحدود العلوية والسفلية بإفادتها واستفادتها علة لقبول الأنفس فوائدها ، موجباً أن الأفلاك[1] والنجوم والأركان بفعلها وانفعالها علة لوجود المزاج[2] وكان كون ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله من الأمور الوضعية بكونه رموزاً وأمثالاً يمكن تأويلها على وجوه كثيرة علة لكثرة الإعتقادات ، موجباً أن الأركان وما فوقها بكونها ذات كثرة وهي علة هي العلة لوجود كثرة المزاجات . وكان تعلق وجود المواليد الروحانية بإقامة أحكام الدين بالعلم والعمل اكتساباً للفضيلة ، موجباً أن تعلق وجود المواليد[3] الطبيعية بوجود المزاج . وكان كون الجمع بين العبادتين في عالم الدين من غير أن يكون الميل إلى إحداهما أكثر منه إلى الأخرى هو الدين المرضي[4] الصحيح المحمود عند الله وعند أوليائه ، موجباً أن اجتماع القوى بفعل الأركان بعضها في بعض من غير أن يكون أحدهما غالباً هو المزاج الصحيح[5] المحمود المعتدل . وكان كون الأنفس في عالم الدين منقسمة إلى شيعي ومرجيء ، موجباً أن[6] المزاجات مع كثرتها تنقسم إلى معتدل وغير معتدل. وكان كون عبادة من يجمع العبادتين في عالم الدين[7] علماً وعملاً أشرف من عبادة من يترك إحداهما، موجباً أن مزاج المتولد في عالم الطبيعة باعتدال أجزاء الأركان فيه أشرف من مزاج المتولد فيه بنقصان منها . وكان كون كثرة الآراء والإعتقادات وأعمال العبادات وعلومها في عالم الدين وكثرة كل عمل في ذاته، وكل نوع من العلوم فيه كثرة تفوت الإحصاء، موجباً أن كثرة

---

١ ـ في ن : الكواكب
٢ ـ في ن : مزاج
٣ ـ في ن : الواليد
٤ ـ في ن : الراضي
٥ ـ سقطت في ك
٦ ـ في ن : في
٧ ـ في ك : الدار

مزاج المواليد في عالم الطبيعة ، وكثرة مزاج كل مولود منها بأشخاصها كثرة تفوت الإحصاء . وكان كون المؤمن بإيمانه له أمران : أمر هو مواصلة من فوقه في الله وقبوله الفوائد من الحدود فيه ، وأمر هو عمله وانطباعه لمن فوقه والإئتمار[1] وارتقاؤه إلى المراتب ، موجباً أن الأركان لها فعل[2] بمواصلة بعضها بعضها وقبول كل منها قوى الأجسام العالية عليها، وانفعال باستحالاتها إلى المواليد . وكان كون الحدود في عالم الدين من جهة إفادتها هي المفيدة ومن جهة استفادتها هي المستفيدة ، موجباً أن الأركان من جهة مفاعلتها هي المزاج ومن جهة انفعالها هي الممتزج . وكان كون الموجود في عالم الدين من المواليد بعضه أعوان في التعليم ، وبعضه متعلمون مستفيدون ، موجباً أن المزاج مزاجان : أحدهما مادة لما يكون عوناً للطبيعة في الفعل ، وثانيهما مادة للمواليد . وكان كون الموجودين في عالم الدين في استفادتهم وإفادتهم ومعارفهم مترتبين مختصين كل منهم في معرفة الموجودات[3] بأكثر مما يختص به من تقدمه ، ومن القرب بأكثر من[4] بعده حتى يكون استفادة من يكون في آخر المراتب وجوده جامعة للكثرة التي لا كثرة بعدها أكثر منها معرفة بالحدود كلها وبالأمور المتعلقة بالدين ممن تقدم عليهم وجوده ، موجباً أن الأركان في عالم الطبيعة ومواليدها في أفعال «بعضها في بعض[5]» مترتبة في الوجود وأن مزاج كل مولود منها أخص مما تقدمه في الوجود مما هو بعده وأكثر تهيأ للتركيب وأكثر استعداداً لأن يكون أكثر أعضاء وأقوى مما سبق عليه في الوجود . وكان كون الأخص بوجوده عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام من جملة علومهم الذين هم ينابيع وجود المراتب في الدعوتين ظاهرة وباطنة أربعة وعشرين باباً وبإفادتهم واستفادتهم توجد المواليد الروحانية ، موجباً أن الأخص في

---

١ ــ في ك : واتمار
٢ ــ في ن : فل
٣ ــ في ن : الوجودات
٤ ــ في ن : عن
٥ ــ في ن : « بعضها ببعض »

وجوده عن الأجسام العالية والسفلية بفعلها وانفعالها الذي هو المزاج أربعة وعشرون مزاجاً وعنها توجد المواليد الطبيعية ، فهذه قضايا ميزان عالم الدين موازنة ومطابقة في المزاج ، والحمد لله حمد الشاكرين وصلواته على رسوله سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المشرع الثاني

« في الموجودات في حيز الهواء من الآثار بما هو[1] ممتزج وأحوالها »

●

لما كان لا وجود لموجود دون فلك القمر إلاّ عن المادة، وكانت المادة مادة لأول صورة تكتسبها ثم تكون بصورتها المكتسبة أولاً مادة لصورة أخرى ثانية ، وكانت الأركان قد حصلت لها صورة بتفاعلها وتأثيرات المؤثرات فيها أولة[2] هي المزاج ، كان المزاج بصورته مادة أخرى لصورة أخرى ثانية هي الممتزج ، وذلك أن المادة المسماة مزاجاً قد حصلت لها بالإكتساب عن تفاعل[3] الأركان الأربعة بكيفياتها الأربعة وبتأثير الأجسام العالية فيها حالة بها امتنعت عن أن تكون عين أحد الأركان التي منها وجودها بإضافات بعضها إلى بعض تمازجاً واستحالة عن عينها ، وبها قد امتنعت أيضاً أن تكون معدودة في المتكونات التي مصيرها إليها إلاّ بأمور تحصل لها، وصورة تختص بها باكتساب ثان ، مثل المضوغ[4] الحاصل في المعدة من خبز ولحم وبقل وتمر وماء، الذي هو لا يشبه عين أحد هذه الأشياء التي بها وجوده بإضافة بعضها إلى بعض ، ولا هو معدود أيضاً فيما يصير إليه ويكتسب صورته من دم ولحم ، وعظم وشعر ، وظفر وجلد وعصب ، وغير ذلك .

وإذا كان ذلك كذلك فلها في هذه الحالة وإن كانت هي بعينها[5] نفس ما يتكون منها رتبة ثانية لم تكن لها في الأول ، وهي أقرب إلى

---

١ ــ في ن : هي
٢ ــ في ن : أولى
٣ ــ سقطت في ك
٤ ــ في ك : الموضوع
٥ ــ في ن : بينها

المتكون من الأركان ، فهي مادة ثانية للمتكونات متهيئة لقبول ما لها أن تقبله من الصور بحسب استعدادها وغلبة الغالب فيها منها على غيره من الأربعة التي منها وجودها ، ولما كان المزاج مادة ثانية للمتكونات ، وكان الكلام عليه مطرداً من جهة ما هو مزاج بكونه فعلاً ، ومن جهة ما هو ممتزج بكونه منفعلاً ، وكان الكلام عليه بما هو مزاج قد سبق قلنا عليه[١] بما هو ممتزج أن المزاج بانقسامه إلى أول وثان يقتضي أن يكون الموجود عنه موجودين أولاً وثانياً ، فالأول منهما ما كان كلامنا عليه في هذا المشرع من الأمور الموجودة في حيز الهواء الذي هو السحاب[٢] الذي ليس هو بنار ولا ماء ولا أرض، ولا أحد الكيفيات الأربعة، بل أمر من بينها وجميعها، وجوده بالتسخين الدائم الواصل إلى الجسمين البسيطين بمعاونة العلويين ، متنوع إلى أنواع ، وهو سبب لوجود المواليد ولأكثر الحوادث في الهواء بل كلها، ولذلك قلنا إنه أول، ولما كان الإستشهاد على وجود هذه الأمور المراد معرفتها من[٣] طريق الديانة وميزانها الذي به تتحقق الأمور عند أولياء الدين وحزبه، قلنا إن كون السبب في وجود داعي البلاغ في عالم الدين وارتقائه من بين أهل الدعوة رتبة البيان وإقامة البرهان فيض علوم الأئمة من جهة الحجة تعليما وقبوله واعتلاؤه بذلك ذرى[٤] العلاء يوجب أن سبب وجود السحاب في عالم الطبيعة نفوذ قوة التسخين من جهة الأجسام العالية فيا دونها وارتفاع الأجزاء القابلة لها منها إلى العلو[٥] . وكون الحدود في الدعوة سابقة في وجودها على غيرهم[٦] في عالم الدين عند الترتيب بكونها سبباً لوجودهم فيه ، يوجب أن السحاب سابق في وجوده على غيره في عالم الطبيعة بكونه سبباً لوجود ما فيه من المواليد . وكون داعي البلاغ بكونه جامعاً للمعارف الدينية قيماً بإقامة البراهين من الآفاق والأنفس على ما يسأل من أمر الدين مثالا ووزنا ، ذا

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : عن
٤ ـ سقطت في ك
٥ ـ في ن : العلاء
٦ ـ في ك : غيارهم

فيض وشرح وبيان يحيى به المؤمنون معرفة بالأمور الإلهية وإحاطة بعلوم مكنونة ، وتكثر به المواليد الروحانية ويصيرون علماء بعد كونهم جهلاء ، يوجب أن السحاب بكونه ذا رطوبة ينحدر عنه الماء مطراً فتكثر به المواليد الطبيعية وتحيا به الأرض بعد موتها. وكون دعاة البلاغ لا كلهم بمنزلة واحدة في البيان والتعليم بل منهم من هو في الغاية علماً وتعليماً، ومنهم من يكون عالماً ولا يكون له لسان وتعليم ، ومنهم من هو دون ذلك ودونه إلى من له الاسم بلا علم ولا تعليم ، يوجب أن من السحاب منه ما يكون ذا رطوبة وفيض عام ومنه ما يكون دون ذلك إلى أن يكون سحاباً مثل الدخان ولا رطوبة فيه ، فلا يكون عنه مطر . وكون داعي البلاغ إذا كان فيه قصور عما توجبه مرتبته من إقامة البراهين على ما يراد من جهته ولا يفيض منه علم، صار ذلك سبباً لظهور النفاق في أهل الدعوة وهلاك المواليد الروحانية، يوجب أن السحاب إذا كان ذا نقص في الرطوبة[1] ولا ينزل عنه غيث صار ذلك سبباً لظهور القشف[2] في النبات والحيوان ، وهلاك المواليد الطبيعية . وكون دعاة البلاغ إذا اجتمعت بحضرة الحجة فامتحنهم بمسائل قائمين بالاحتجاج كل منهم بقدر علمه، ويكثر بذلك كلامهم وبيانهم فتظهر من بينهم حقائق[3] الأمور الإلهية فيكون ذلك فيضاً لأهل الدعوة في عالم الدين فيقبلونه ويحيون به ، يوجب أن السحب إذا تراكمت في حيز الهواء جرت بينها الريح فيحدث من نفوذها صوت الرعد ولمعان البرق فيضيء وينزل الغيث عن حدة حركة الرياح فيها فتقبله أجزاء الأرض فتحيا به ، وذلك أن الهواء مأول[4] على الحجة ووجود السحاب في الهواء على حضور دعاة البلاغ عند الحجة ، فالريح إنما هو الهواء المتحرك وجريان الريح فيما بين السحاب امتحان الحجة دعاة البلاغ بمسائل . وما يوردونه من بيان وبرهان كله تسبيح لله وتمجيد له وتوحيد وعبادة له قال الله تعالى: «ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته[5]»

---

١ ـ في ك : الرطابة
٢ ـ في ن : الشفا
٣ ـ في ن : حقاق
٤ ـ في ن : مول
٥ ـ سورة ١٣ آية ١٤

وكان كون داعي البلاغ إذا أظهر خيـانة فرأى الحجة في وقته لأمر أراده مصلحة لأهل الدعوة في عالم الدين فيرده إلى صيغة الظـاهر من كلام النبي والأئمة عليهم السلام ، يوجب أن السحاب إذا أمطر فحمله الهواء شمالاً بارداً جعل ذلك المطر برداً وثلجا . وكون إفاضة الباب في قيامه بما يوجبه كماله وقبول من دونه منه من الحجج[1] سبباً يدعو الحجج إلى بسط العلوم الإلهية في أهل الدعوة فيصير ذلك أمراً عاماً لمصالح المواليد العقلية ، يوجب أن الأجسام العالية في حركتها تحرك ما دونها من الأجسـام حركة تنزل هابطة في أجزائها إلى الهواء فتصير ريحاً هاباً لمصالح المواليد الطبيعيـة وهو ريح الشمال الحادث عن حركة المتحركات . وكون استفادة أهل الدعوة ممن فوقهم من الدعاة والحجج للإفـادة وبسط العلوم التأويلية فيصير ذلك أمراً خـاصاً عائداً بمصالح المواليد الروحانيـة ، يوجب أن من صعود البخارات من الأرض طالعـة إلى حيز الهواء تحدث في الهواء حركة زائـدة فيصير ذلك ريحا هاباً لمصالح[2] المواليد الطبيعية وهـو ريـح الجنوب الحادث عن صعود البخارات من تخوم الأرض . وكون التقاء إفادة الحـدود من دونهم واستفادة من دونهم ممن فوقهم سبباً لاستنتاج وجوه كثيرة مختلفة ظاهراً وباطناً[3] في الجواب ، يوجب أن من التقاء حركة الأجزاء الصاعـدة من الأرض إلى حيز الهواء وحركة الهواء من جهة حركة الأجسام العالية الهابطة في الهواء تحدث عنها رياح مختلفة بحسب قوتها . وكون دعاة البلاغ مظهرين[4] في عالم الدين بانبساط قـوى الأئمة ووصولها إليهم من مراتب الحـدود في عالم الإبداع المعرب عنها في الآية بقوله : « فكان قاب قوسين أو أدنى[5] » مـا يعجب المتأمل عقلاً وحساً وديناً ، يوجب أن السحاب بقبوله ما انبسط مـن شعاع الشمس يتلون بألوان حسنة حمـرة وصفرة وخضرة على هيئة قوس قزح

---

١ ـ في ن : خجج
٢ ـ في ن : لصالح
٣ ـ في ن : وباطن
٤ ـ سقطت في ك
٥ ـ سورة ٥٣ آية ٩

فتظهر لأهل العلم فيعجبون منها . وكون إظهار دعاة البلاغ هذه العلوم في آخر الأدوار الصغار وأوائلها من جهة الأئمة عليهم السلام ببسطهم العلم خصوصاً ، وفي آخر الدور السادس وانقضائه وأول الدور السابع وإقباله من جهة القائم وخلفائه عموماً ، يوجب أن يكون ظهور هذه الألوان التي هي القوس في آخر السنة وانقضاء أيام البرد وأوائل السنة الجديدة وإقبال الربيع. ووجود ارتقاء « بعض أهل الدعوة »[١] في عالم الدين في أوائل الأدوار إلى المرتبة البابية بإخلاصه وقبوله نور الإيمان ارتقاء يتميز به عن أكفائه فيكون له صيت وذكر وأتباع فينذر بالحوادث في عالم الدين مثل يحيى بن زكريا ، يوجب أن بعض ما يرتفع من البخارات إلى حيز الهواء قد يتهيأ مزاجاً لقبول الآثار فيقبل قبولاً يتميز به عن غيره فيصير كالكواكب له ذنب يدل على حوادث في عالم الطبيعة. وارتقاء بعض أبناء الدعوة إلى رتبة الحجحية ولحوقه بمرتبة البابية فلا يكون له ثبات قدم في مرتبته باعتراء شك أو شبهة فيما يعتقد فيسقط منها فيعود راجعاً إلى مرتبته الأولى فيهلك بمكانه من استفاد منه ، يوجب أن مزاجاً قد يحصل في حيز الهواء ثم يستعلي[٢] فيصير في الطرف الأعلى من الهواء قرب النار، فيشتعل[٣] فيه فلا يكون له ثبات هنالك لكثرة أجزائه الأرضية فيه فينقض راجعاً هابطاً إلى الأرض بكونه منها فيكون صاعقة يهلك بها من أصابته . وكون المرتقي إلى رتبة الحجحية من أهل الدعوة في عالم الدين اللاحقة بمرتبة البابية قد يبقى مخلصاً موقناً ثابتاً « على سنة الإعتقاد[٤] » ، وإن كان لا ثبات لقدمه في رتبة الدعوة ولا يسقط من مرتبته في الدين والإيمان بل يكون سائحاً في الأرض مضيئاً طريق العبادة[٥] حيث حضر معلناً لقوانين الديانة، منبئاً عن مرموزات الشريعة بما استفاده ممن فوقه من الحدود ، يوجب أن يكون المزاج الذي يحصل في

---

١ ــ في ن : بعد بالدعوة
٢ ــ في ن : يعتلي
٣ ــ في ن : فيشمل
٤ ــ في ن : « عن رسل اعتقاد »
٥ ــ في ك : العباد

حيز الهواء فيشعل ناراً بانتهائه[١] إلى الطرف الأعلى من المجاور للنار قد يكون لا هابطاً ولا عائداً إلى الأرض بل يكون شهاباً ممتداً في السماء مضيئاً ظلام الليل حتى يتبين لرأي العين به صورة الأشياء . وارتقاء بعض أهل الدعوة في عالم الدين إلى[٢] منزلة الدعوة وتربية المستجيبين بمعارف التأويل ومنازل الحدود السفلية عن كثرة علم الحجة وقوته فتعمهم بركاته وفوائده ، يوجب أن البخارات الصاعدة من الأرض فما فوقها قد تكون مزاجاً لا يسمو إلى الطرف الأعلى من الهواء فيثبت في الطرف الأدون عند كثرة رطوبة الهواء فيكون عنه الضباب فيرطب الزرع ويعمه بخيره . فذلك قضايا الميزان لاصطياد المعارف في عالم الدين موازنة ومطابقة الذي هو مصداق قول الله تعالى: « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق[٣] ». والحمد لله الذي هدانا الى الخيرات، وخلصنا من الشك والشبهات[٤] ، بالانوار المشرقة في عالم الدين، وسفن النجاة المهتدين[٥]، محمد وآله الطاهرين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : الا
٣ ـ سورة ٤١ آية ٥٣
٤ ـ في ن : والشبه
٥ ـ في ك : مهتدين

المشرع الثالث

« في المواليد الثلاثة التي هي المعادن[1] والنبات والحيوان . وأولاً في المعادن بما هو جسم »

●

قد سبق القول من كلامنا في المشرع السابق لهذا على الموجـــود عن الأركان بما هو مزاج ، وبما هو ممتزج ، ومن بياننا للأمــور في انقسام الممتزج بانقسام المزاج إلى أول وثان ، ومن شرحنا الأمور الموجـــودة المتعلقة بالقسم الأول التي[2] تكون في حيز الهواء من الآثار الظـــاهرة وجودها بما فيه كفاية لمن هو أخونا حقاً فيرتقي في الإستنباط إلى معرفة الموجودات الطبيعية بالصنعة النبوية . وفي الجملة فقد تقدم من كلامنا في السور الخامس ما يعلم منه أن الكلام على المعادن بما هو جسم من قبيل الجزء الثاني منهما الذي لا وجود له إلا بالجزء الأول منهما ، وبحسبه نقول: لما كان الممتزج بانقسام المزاج ينقسم إلى أول وثان ، وكنا قد تكلمنا على القسم الأول منهما الذي هو السحاب والآثار العلوية على إيجاز من طريق الديانة قلنا إن القسم الثاني منهما هو المواليد الثلاثـة على ترتيبهـا معادن ونباتات وحيوانات ، وهذه الثلاثة لا وجود لشخص من أشخـاص نوع من أنواعها إلاّ عن المزاج الحادث من الأركان الأربعة بمفاعلة كيفياتهـــا الأربعة التي هي : الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، بعضها في بعض

---

١ ــ في ن : «في الموجودات في الارض من المعادن»

٢ ــ سقطت في ك

وتأثيرات المؤثرات من فوقها على ما بيناه، ولما كان وجود المواليد الثلاثة على ذلك قلنا إن كون الأركان الأربعة فاعلة بعضها في بعض بقواها مغالبة إحداها للأخرى بحسب الساري فيها من نور الحكمة يوجب أن تكون الأربعة في كل موجود منها مرتبة على درجة غلبة كل منها وقوته وظهور الغالب منها بالفعل حتى يكون الضعيف[١] منها المستبطن بالقوة هو المغلوب للغالب المتقدم عليه القائم بالفعل ، كما قدره[٢] المتعالي سبحانه، مثل الأجسام المنطرقة التي مزاجها الظاهر عليها اليبوسة والثلاثة الباقية من الحرارة والبرودة والرطوبة باطنة فيها مترتبة بحسب غلبة قوة كل منها وقوتها ، فيكون المغلوب عليها بالحقيقة الرطوبة التي بطنت فيها ولا تظهر إلا بغلبة حرارة النار عليها وانتهائها إلى غايتها التي بها تظهر الرطوبة فيكون ماء سيالاً[٣] ، وعلى ذلك يقتضي أن يكون الموجود عن الأربعة أربعة وعشرين ممتزجاً هي ينابيع المتكونات ، ثمانية منها هي الإعتدال الذي به تكون الحياة فيما كان نباتاً وحيواناً ، وذا ذوبان فيما كان معادن ، والباقي خارج عن الإعتدال بزيادة عليه، أو نقصان عنه به بعد عن ذلك ، وهذه المركبات الأربعة والعشرون مثالها فيما يقع تحت التصور ما نقرره لتقع في الذهن معرفته فنجعل[٤] الكيفيات الأربعة التي هي الحرارة، والبرودة، واليبوسة، والرطوبة[٥]، من حروف الأفراد ما لها منها علامة ليوقف منها على المراد ، فنكتب للحرارة علامتها التي هي صورة (ألف) وللبرودة كذلك صورتها (ب) ولليبوسة كذلك صورتها (ج) وللرطوبة كذلك صورتها (د) ثم نركبها فيكون الغالب عند التركيب من الأربعة في المركب عنها هو الأول المتقدم ثم ما يليه وعلى ذلك إلى الرابع الذي هو المغلوب بالجملة ، فالتركيب الأول (أبجد) والثاني

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : قدر
٣ ـ في ن : سيلا
٤ ـ في ن : جعل
٥ ـ سقطت في ك

(أجبد) ، والثالث (أدبج) ، والرابع (أبدج) ، والخامس (أدجب) ، والسادس (أجدب) ، والسابع (بجدأ)، والثامن، (بدجأ)، والتاسع (بادج)، والعاشر (بداج) ، والحادي عشر (بجاد) ، والثاني[1] عشر (باجد) ، والثالث عشر (جداب) ، والرابع عشر (جادب) ، والخامس عشر (جبدا) ، والسادس عشر (جدبأ) ، والسابع عشر (جباد) . والثامن عشر (جابد) ، والتاسع عشر (دابج) ، والعشرون (دباج) ، والحادي والعشرون (داجب) ، والثاني والعشرون (دجاب) ، والثالث والعشرون (دبجا) ، والرابع والعشرون (دجبا) ، هذا وتتضاعف المتولدات التي هي أنواع أجناس المواليد فتتكاثر بما يمتد إلى المزاج من القوى السماوية عن الأجسام المتحركة عليه الحركات المتغايرة بحسب تكثرها وما ينفذ إليه من أشعتها بحسب مناسباتها الكثيرة المذكورة فيما تقدم تكاثراً لا يضبط ، ثم تترتب كل كيفية من هذه الكيفيات في وجودها وغلبتها مراتب أربعاً في كل موجود ، فمنه ما يكون في المرتبة الأولى ، ومنه ما يكون في المرتبة الثانية وعلى ذلك إلى الرابعة بحسب العلل الموجبة فيكون بذلك خارجاً عن الإعتدال ، وكمثل ذلك أيضاً تكثر الموجودات كثرة لا تحصى .

ولما كانت الموجودات من عالم الطبيعة مترتبة [2] في وجودها متصلاً بعضها ببعض ، الأليق فالأليق على نظام به انحفظ الضد من الضد ، ولزم كل منها ما يوافقه من أعلى الموجودات [3] إلى الأرض التي هي أقصى بعد عن المبدأ الأول الذي هو المبدع الأول والموجود الأول ، كانت المتولدات من الأركان الأربعة التي تكون على الأرض هي غاية في البعد

١ ـ في ن : الثان
٢ ـ في ك : مرتبة
٣ ـ سقطت في ن

من المبدأ الأول منها مترتبة أيضاً ترتيباً يكون ما يوجد عنها ويتركب منها أقرب إلى المبدأ الأول منها بما يحصل فيه من الأمور التي لا توجد فيها، وبارتقائه من هذه الغاية إلى رتبة هي أقرب إلى المبدأ الأول منها، وعلى ذلك ما يوجد عما وجد منها، وما يوجد عن الموجود مما وجد منها كذا إلى أن تنتهي الموجودات في كثرة التركيب والبعد من هذه الغايات التي هي أبعد الغايات من المبدأ الأول، والإعتلاء في الرتبة والشرف إلى[1] غاية لا يكون بعدها غاية فتصير نهاية للموجودات ثانية قائمة بإزاء الأول التي هي أقرب إليه من سائرها بانتهائها إليه وبقيامها مثلاً له وشبيهاً ومناسباً ومجانساً، وهي نهاية ثانية كما أنه هو نهاية أولة، ولها درجة الإنبعاث واللحوق[2] كما أنه له درجة السبق في الوجود، فالمواليد في ترتبها[3] كذلك على ما ذكرنا في كتابنا المعروف (بمعالم الدين) متصل بعضها ببعض على درجات كونها اتصالاً قريباً به تشبه ما منه وجودها، وما يعلوها في رتبة وجوده، وذلك أن كل موجود من أجناس المواليد لها أنواع مترتبة في الشرف ترتباً[4] بكون النوع الأول منها دون سائر أنواعها شرفاً، والنوع الأخير منها أعلى رتبة من كلها شرفاً، والإتصال بينها من قبل التشابه والتجانس قائم بكون النوع الأول من كل جنس مشابهاً لما دونه في الرتبة بمجانسة بينهما بها اتصاله، ومشابهاً من جهة أخرى لما فوقه في الرتبة، والمناسبة بينهما هي غير ما شابه به ما دونه وبها اتصاله، كالأمور المشتركة في الموجودات الأولة[5] مثل الفلك الأعلى الذي هو من جهة كونه جسماً يناسب الأجسام، ومن جهة ما فيه من محركه بكونه من جنس ما فوقه يناسب عالم العقل، فهي مربوطة وأبعاضها بالبعض موصولة على ترتيب ونظام وهي ثلاثة: معادن ونبات

---

١ ـ في ن : الا
٢ ـ في ن : ولحوق
٣ ـ في ك : تربيتها
٤ ـ في ك : تربية
٥ ـ في ن : الاولى

وحيوان ، لا زيادة ولا نقصان .

وأول موجود منها في الترتيب ما يتقدم كونه منها ، وهو [١] المعادن ثم النبات ثم الحيوان ، وحالها في ذلك كالحال في أمر الدين الذي مواليده ثلاثة : مولود يقبل التأييد من عالم الإبداع فيصير سبباً لحياة الغير مثل الأنبياء والقائمين مقامهم من الحدود الذين يتقدم وجودهم في عالم الدين على غيرهم ممن يتبعونهم فيه ، فهو بمنزلة الذهب من المعادن الذي يتقدم على غيره في الشرف والوجود . ومولود يتلو ذلك في الوجود يقبل العبادة الأولى [٢] التي هي ظاهر الشرع والأمر والنهي وهو بمنزلة النبات التالي وجوده لوجود المعادن . ومولود يتلوه في وجوده يقبل العبادتين اللتين [٣] هما ظاهر الشرع وباطنه جميعاً، وهو بمنزلة الحيوان التالي وجوده لوجود النبات . والمعادن أولها وهي أقرب إلى الأرض في الترتيب من غيرها ، وأول نوع منها ما لا ينطرق وهو كالجص وهو بالأرض أشبه التي منها وجوده دون غيره من الأنواع فهو مشترك ، يشبه الأرض بكونه مثل التراب ، ومن جهة المعنى المكتسب الذي به استحق [٤] فامتاز عن الترابية يشبه أخواته التي ليست بتراب، ولا توجد إلا مخصوصة ببقاع معلومة ؛ ويعلوه في الشرف والأنواع عند الترتيب والإعتلاء إلى أن تنتهي في وجودها إلى وجود ما هو مشترك ، فهو من جهة حجر ومن جهة نبات، مثل المرجان الذي هو نبات في البحر، فإذا أخرج إلى الهواء تحجر ، وأشباهه مما يجمع هذا الجنس من أنواعه ، فهو أشرف من سائر هذه الأنواع بقوة النماء التي اختص بها ، وأدون من سائر أنواع النبات ؛ ولما كانت المواليد عن الأركان وجودها ، وكانت عن مزاج منها، وقوى سماوية ممتدة [٥] إليها جميعاً لتكومها ، وكان كل

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : اللتان
٤ ـ في ن : استحق
٥ ـ في ك : ممده

مولود بذلك يجمع أمرين : أمراً به وجوده جسماً به ذاته ، وأمراً به تتعلق حياته ، قلنا فيما كان معدنياً بما هو جسم أنه ينقسم إلى ما ينطرق وإلى ما لا ينطرق ، فالذي لا ينطرق وهو الأقدم في الوجود بكونه أشبه بالأرض ، وأقرب إليها ينقسم إلى الكباريت والزرانيخ والأملاح والزاجات والشبوب والزئبق والطلق [١] ، وغير ذلك من المرقشيشا والأكحال والمغنيسيا والنورة ، وسائر أنواع المعادن التي تكثر عن العد ؛ والذي ينطرق ينقسم إلى الآنك والرصاص والحديد والنحاس والفضة والذهب ، وحدوث جميع ذلك ووجوده عن بخارات تحصل في الأرض عن مفاعلة الأركان ، فتترادف [٢] قوة المتحرك عليها من الأجسام العالية وأشعتها إليها فتنحقن وتنحصر انحصاراً لا يكون لها منفذ فتبقى ، والمواد ممتدة ، والسخونة دائمة فتستحيل من تلك الأجزاء ما من شأنه أن يستحيل بتلك القوى المجتمعة ، وبحسب العلل الموجبة لغلبة الغالب من المزاج تتكون المتكونات ، فإذا كانت القوى على اعتدال كان ذهباً ، وإن كان قريباً من الإعتدال أو أبعد أو على الغاية منها كان عنها الأجسام الأخر مما يذوب ومما لا يذوب ، وما كان مما يذوب فله حياة ، وما كان مما لا يذوب لفرط الكيفيات فله قوى بها يفعل فعله ، وجميع ذلك بكونه أقرب [٣] إلى الأركان التي منها وجوده ، فالتركيب فيه أقل ، وبحسب قلة التركيب فيه التضادد في أجزائه أقل ، ولقلة التضادد في ذاته يبقى على الزمان الطويل ، ولا يفسد إلا بما يدخل فيه من خارجه ، وغاية هذه الأجسام أن تكون موضوعة للصور المتعلق وجودها بصنع البشر ، مثل النحاس الذي تعمل منه القماقم [٤] ، ومثل الذهب الذي تعمل منه الحلى وغيره ، وهذه بالإضافة إلى أرباب الصناعات قائمة بالقوة وكمالها من جهتهم .

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : فرادف
٣ ــ في ن : قرب
٤ ــ في ن : القمقم

ولما كان ميزان الديانة لأوليائها وخزان الدعوة الإلهية وملاكها، فيما يراد معرفته عن الأكوان قائماً، رجعنا إليه في ذلك لتكون الشهادة بالمطابقة والموازنة زائدة في الإيقان والمعرفة، فكان مصير نفس نوع البشر في عالم الدين هدفاً نحوه تنفذ أنوار [١] الحدود فيضاً وتعليماً لتكون عنها المواليد الروحانية، دالاً [٢] على أن الأرض مهبط أنوار الأجسام المتحركة لتكون عنها المواليد الطبيعية. وكان ترتيب الحدود في وجودها واتصال بعضها ببعض، من أعلى الموجودات إلى الأنفس الطبيعية التي هي الغاية لها ومصيرها كحبل ممدود طرف منه بيد الله وطرف منه بأيديكم، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله، دالاً على ترتيب الموجودات الطبيعية واتصال بعضها ببعض من أعلى الموجودات إلى الأرض إلى مواليدها، ومصيرها كشيء واحد بما تجمعه من النظام الإلهي. طرف منه إبداعي وجد عن الله تعالى [٣]، وطرف منه انبعاثي عندنا ثان. وكان كون نفس البشر بكونها غاية الموجودات الروحانية خالية من المعارف التي بها شرف ما تقدم عليها من الموجودات ولا بقاء لها ما لم تكتسب بالعبادتين علماً وعملاً من جهة أولياء الله عليهم السلام، واقعة من المبدأ الأعلى الأول [٤] الذي هو المبدع الأول والموجود الأول في أبعد بعد مناسبته فهي بذلك أرذل موجود، دالاً على أن الأرض بكونها غاية الموجودات الجسمانية خالية مما شرف به غيرها من الموجودات الجسمانية فلا حياة لها ما لم تكتسب بالقبول من جهة الأجسام المتحركة عليها بأمر الله تعالى تأثيراتها وهي من المبدأ الأول في أبعد بعد، فهي بذلك أرذل موجود. وكان كون من يقبل فيكتسب بالعبادتين من جهة أرباب التأييد، ويرتقي من مرتبة الحسية بالإستفادة أقرب إلى المبدأ الأول مناسبة ممن هو في مرتبة البعد الأبعد منه،

---

١ ـ في ك : نور
٢ ـ في ن : دل
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سقطت في ك

دالاً[١] على أن ما يوجد عن الأرض بما يقبل ويكتسب مـــن القوى الساطعة نحوها فيعتلي[٢] من مرتبتها أقرب إلى المبدأ الأول مما هو منها في مرتبته في البعد الأبعد. وكان كون الموجودات من الأنفس الطبيعية بما تكتسب من أنوار الفيض الإلهي أنفساً مؤيـدة مـن السماء في عبادة ربها وتعليم غيرها وهدايته، وأنفساً قابلة ظاهر العبادة عملاً فقط طائعة لربها متعلمة، وأنفساً قابلة لظاهر العبادة وباطنها عملاً وعلماً جميعاً، طائعة لربها متعلمة مكتسبة لمعادها، ومصير كل رتبة من ذلك بالموجود تحتها من أنواع الإعتقادات المختلفة[٣]، مثل الأنفس المؤيدة التى تتنوع ما يوجد منها من شرائعها المختلفة وأحكامها المختلفة[٤] السنن وولاة أمرها المختلفة سيرها في الإيالة والأمر والسياسة، ومثل الأنفس القابلة للعبادة الظاهرة بالعمل التي تتنوع اعتقاداتها فتنفرد كل فرقة باعتقاد وبصورة فيما تعتقده، ومثل الأنفس القابلة للعبادتين ظاهراً وباطناً التي تتنوع مراتبها واعتقاداتها في صورة ما تتصوره من نجاتها بحسب العلمين كأمر تترتب تحته أنواع، وتحت الأنواع أشخاص كثيرة، دالاً على أن الموجود من الأركان بمـــا يكتسبه من تأثيرات مولود[٥] قابل نفساً وقوة مثل المعادن، ومولود قابل نفساً نامية فقـط مثل النبات، ومولود قابـل نفساً نامية وحسية كالحيوان جميعاً، ومصير كل من ذلك بالموجود تحته من أنواع الموجودات المختلفة الصور مثل المعادن التي تتنوع أنواعها مما ينطرق ومما لا ينطرق، ومثل النبات الذي تتنوع أنواعه، مما هو نجم وشجر ومثل الحيوان الذي تتنوع أنواعه مما هو طائر وغير طائر، جنساً تترتب تحته أنواع وتحت الأنواع أشخاص كثيرة لا تحصى. وكان كون الموجود في كل رتبة من مراتب المواليد الروحانية مـن أنواعها مناسباً مـن جهة لمـــا دونه بها

---

١ ــ في ن : دل
٢ ــ في ن : فاعتلى
٣ ــ في ن : المختلف
٤ ــ في ن : المختلف
٥ ــ في ك: المواليد

اتصالها ، ومشابهاً من جهة أخرى لما فوقه في الرتبة بها اتصالها كالمستجيب للطاعة في قبول العبادة الظاهرة عملاً الذي هو في أول رتبة من الإكتساب ، وبها يتميز فيعتلي[1] مرتبة على الأنفس الغير مستجيبة التي هي في أبعد البعد من روح الله تعالى ، فهو من جهة كونه من طبع من دونه يناسبهم ويتصل بهم ، ومن جهة ارتقائه بقبول الطاعة يناسب من فوقه فيها ويتصل بهم ، دالاً على أن النوع الأول من كل جنس يناسب ما دونه من جهة ، ويناسب ما فوقه من جهة أخرى ، كالجص من المعادن ، يناسب الأرض بكونه من جنسها وطبعها من جهة ، ويناسب أنواع المعادن بما قد اكتسب من القوة التي[2] بها يتميز عن كونه تراباً ، وكان كون كل أنواع كل مولود من المواليد الروحانية المترتبة في الشرف ، ومصير النوع الأول منها دون الأنواع المترتبة فوقه شرفاً إلى أن ينتهي إلى نوع يصير مشتركاً ، يشابه ما دونه من أخواته من جهة ، وهو أشرف من سائرها ، ويناسب ما فوقه من أنواع مولود من المواليد الأخر ، وهو دون كلها شرفاً ، كالمستجيب إلى الطاعة في العبادة الظاهرة العملية الذي هو دون سائر المتعلقين بها فيها شرفاً ، بكونهم مترتبين فوقه في العلم الذي هو خال[3] منه على درجات تنتهي بهم في الطاعة والعمل ، إلى من رتبته تعلو[4] درجتهم بقبوله الطاعة بالعبادة الباطنة العلمية ، فيكون هو يشارك من دونه بالطاعة والعمل ، ويشرف عليهم بمكتسبه الذي لم يكتسبوه[5] من العبادة الثانية ، ويناسب بقبوله العبادة الباطنة العلمية القائمين بالعبادتين جميعاً ، وإن كان دونهم في تلك العبادة ، موجباً أن النوع الأول من كل جنس دون سائر أنواعه المترتبة فوقه في الشرف ، إلى أن ينتهي إلى نوع هو مشترك[6]

---

١ ــ في ن : فيعلى
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ن : خالي
٤ ــ في ن : تعلوه
٥ ــ في ك : يكسبوا
٦ ــ سقطت في ن

يشابه ما دونه من جهة كونه نوعاً من ذلك الجنس هو أشرفها ، ويناسب ما فوقه من أنواع جنس آخر هو بذلك دون سائرها مثل المرجان الذي هو من جهة كونه نوعاً من أنواع المعادن يشبه أخواته من أنواعها ، ومن جهة كونه نبتاً يشبه أنواع النبات ، وبذلك هو أشرف[١] من المعادن ، وأدون من النبات ، وكان انقسام من يشملهم أمر الدين إلى من لا يهمهم شيء منه ولا يكون لهم رأي ولا اعتقاد في الثبات عليه مثل الجهال وأكثر الناس في الآفاق الذين همتهم الأكل والشرب والنكاح وحب الغلبة والقهر والكبر والبذخ والحيلة وحب المال لا على وجهه بل على أي وجه حصل ، وإلى من يهمهم أمر الدين ولهم رأي[٢] واعتقاد في الثبات عليه مثل الصالحين من الناس وأهل الخيرات[٣] وأهل الفضيلة وأربابها الذين يقصدون في أفعالهم وأعمالهم شرائط[٤] الدين وأحكامه ، موجباً انقسام المعادن إلى ما لا يكون له اجتماع أجزاء ولا قوة في حفظ وجوده مثل الجص والملح واشباهها ، وإلى ما يكون له اجتماع أجزاء وانعقاد وقوة في حفظ وجوده مثل الذهب والفضة وغير ذلك من الأجسام المجتمعة الأجزاء الحافظة لوجودها . وكان كون الموجودين[٥] في دائرة الدين على مراتب شتى فمنهم من يصلح للأمر العظيم الذي فيه يتعلق وجوده ، ومنهم من يصلح لأيسر أمر فيه ، والكل يقع الإنتفاع بهم فيه ، موجباً أن المعدنيات على انقسامها على مراتب في وقوع الإنتفاع بها فمنها ما يتعلق به المنفعة العظيمة ، ومنها ما فيه المنفعة اليسيرة ، والكل يقع النفع والإنتفاع بها . وكان كون الجهال وأهل العتو[٦] والأطراف الذين ليس لهم خير ديني ولا عقل اكتسابي ، وإن كان ينتفع بمكانهم في بعض الأمور وكلهم أشرار ولا دين لهم ، ومجالستهم تضر

---

١ ــ في ك : اشر
٢ ــ في ن : برأي
٣ ــ في ن : الخير
٤ ــ في ن : شروط
٥ ــ في ن : الموجود
٦ ــ في ك : العتوان

بالحياة الأبدية ، موجباً أن الأملاح والكباريت والزرانيخ وأنواع الزاجات[١] وأنواع المعادن وإن كان يقع بها الانتفاع في بعض الأشياء فكلها سموم ، وتناولها والاغتذاء بها يضر بالحياة الطبيعية . وكان كون العلة في وجود هذه الطوائف الذين لا دين لهم ولا خير في طباعهم وجودهم بعيدين من الإعتدال فيكون قبولهم لما يصل إليهم من التأثيرات من جهة الكواكب والقوى الطبيعية قبولاً يكسبهم ما يليق بهم بحسب المزاج ، موجباً أن السبب في كون هذه الأنواع من الزاجات والزرانيخ والكباريت وغيرها على ما هي عليه من طبيعتها وصورتها وصول تأثيرات الكواكب وهي من الإعتدال على بعد فيكون سبيل التأثيرات في فعلها فيها سبيل النار التي تفعل في شيء فتعقده وفي آخر فتحلله بحسب طبيعة الشيء الذي تفعل فيه . وكان ترتيب الفضائل التي بها ينال الكمال في الشرائع ترتيباً ينتهي[٢] إلى شرع هو جامع للشرائع ، موجباً أن ترتيب المعادن ينتهي إلى جسم هو مجمع له حاو[٣] لجميعه ، وأشرف من سائرها مثل الذهب الذي هو بشرفه يفوق كل معدني . وكان كون سبب وجود شريعة النبي صلى الله عليه ، وما جاء به وهي شريعة تامة في مرتبتها على كونها مثل غيرها من السنن والشرائع[٤] هو سريان القوة الإلهية في نفس النبي صلى الله عليه وعلى آله وبلوغه في قبول فيض العقل الأول بلوغاً[٥] صار بها محلاً للفيض ونهاية أصبح بها كهو ومثله شرفاً وكمالاً ، موجباً أن سبب كون الذهب ذهباً علو كونه من المعدنيات[٦] مثل غيره بلوغ مادته في قبول قوة الشمس غاية صار بها مفاضاً عليها من جهتها أتم فيض ، ونفوذ قوى الشمس فيها نفوذاً جعلها كهي[٧] لوناً وحسناً . وكان كون المواد الإلهية فاعلة في الأنفس

---

١ ــ في ن : اللزجات
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ن : حاوي لجيعه
٤ ــ في ن : الشرايع
٥ ــ في ن : غاية
٦ ــ في ك : المعنيات
٧ ــ سقطت في ك

الطبيعية مـــن نوع البشر ، ومصير الأنفس قابلة إياها بحسب مزاجاتها والأمور التي عليها وجودهـا ومصير ذلـك سبباً لأن يكون القابل على اعتدال تام ناطقاً ، والقابل دون ذلك ودون دون ذلك إلى أن يكون على بعد من الاعتدال حدوداً دونه قائمة بحسب مراتبهم منه ، موجباً أن الحركات والتأثيرات [١] مـن السماوات فـاعلة في الأرض وأجزائها ، وتلك الأجزاء بحسب مزاجها والأمور التي عنها وجودها قابـلة لتلك التأثيرات ، فما كان قبوله لتلـك التأثيرات على اعتدال يجتمـع أجزاؤه فيكون ذهباً ، وما كان قبوله دون ذلك ودون دون ذلك بحسب بعده عن الإعتدال تجتمـع أجـزاؤه فتكون أجساماً أخر بحسب مـراتبها وأمزجتها مثل الفضة والنحاس والإبار والطلق وغـير ذلـك . وكان اختصاص المواد الإلهية الفائضة الفاعلة بالأنبياء وأصحاب الأدوار بكونهم في أفقها ومواصلتهم إياها من بـين أنواع البشر ، موجباً أن اختصاص القوى الفائضة من الأجرام العالية في أجزاء الأرض كلها بمعادن مخصوصة هي في أفق تلك القوى منها على الغاية ، ومنها على دون ذلك من دون غيرها مثل الذهب والأجسام المعدنية . وكان كـون مراتب الحـدود في العصمة والخطأ متفاوتة فمنهم من له العصمة والثبات في الدين وأحـكامه مثل النطقاء والقائمين مقامهم في حفظ سنن الملة وأحكامها ، ومن ليس له ذلك ممـن هو دونـه ، مـوجباً أن مراتب المعدنيات في الثبات على النار والبقاء والنقصان متفاوتة ، فمنها ما يثبت على النار ويبقى على وجه الدهر ولا ينقص منه شيء مثل الذهب ، ومنها ما ينقص ولا يصبر [٢] على النار مثل الأجسام الأخر . وكان كون تمام أمر الحدود في إقامة الدين ووجود مواليده بعد أدوار كبار وأدوار صغار دون الكبار كثيرة ، موجباً أن تمـام [٣] وجـود الأجسام

---

١ ـ في ن : والتيرات
٢ ـ في ن : ويصر
٣ ـ سقطت في ك

المعدنية في تكوينها في معدنها بعد دهر ومضي أحقاب وسنين كثيرة . وكان كون الشرائع كلها ناسخها ومنسوخها ستة أولها ما كان لآدم عليه السلام ، وآخرها لمحمد صلى الله عليه وعلى آله ، موجباً أن المعادن المنطرقة الى ستة أقسام مثل الإبار والرصاص والنحاس والحديد والفضة والذهب . وكان كون الشريعة السادسة (١) هي التي تبقى إلى القيامة ولا تنسخ موجباً أن الذهب هو الذي يبقى على وجه الدهر ولا يلحقه نقصان . وكان كون الشرائع يتداخلها الوهن بما يشيع فيها من بدع المبتدعين وسنن المفسدين ، موجباً أن الأجسام المعدنية قد تفسد لما يداخلها من أجسام أنواعها مثل الكبريت للفضة والإبار للذهب والماس ، فهذه نتائج ميزان أهل الديانة في اصطياد المعارف والوصول إلى تحقيق الحقائق وهو المأخوذ به في الفحص عن الأمور ، والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي ، وعلى مولانا علي بن أبي طالب الوصي ، وعلى الأئمة الطاهرين من ذريتهما وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

١ ـ الشريعة السادسة : يعني الشريعة الاسلامية التي جاء بها الناطق السادس النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ، حيث نسخت ما تقدمها من الشرائع . وستظل بدون نسخ حتى قيام القائم عليه السلام .

المشرع الرابع

« في المعادن بما هي [1] نفس طبيعية ، وأنها ذات أفعال[1] وعلم، وما ذلك العلم؟ وما ذلك الفعل؟ »

●

لما كان الكلام على المعدنيات بما هي جسم قد سبق ، على ما أوردناه إيجازاً واختصاراً ، قلنا عليها بما هي قوة طبيعية إننا قد بينا من كلامنا في السور الخامس على ماهية الطبيعة أن الحياة المنبعثة من عالم العقل التي هي أحد الجزئين اللذين بهما عين عالم الطبيعة سارية في الموجودات كلها ، تعطي كل شيء منها ماله أن يبلغه من كماله بحسب مزاجه ، وأنها والجزء الآخر الذي به وجودها شيء واحد ذو نسبتين يستحق بكل منهما في الوجود أمراً به كمال وجوده ، وإذا كان الموجود في عالم الطبيعة وجوده بالحياة السارية ، على حسب ما ذكرناه ، فلكل موجود من المعادن ما يجري منه مجرى النفس في الأمور المتحركة [3] به حياته ، وبه في غيره تقع أفعاله ، وليس يحتاج في وجوده فيما هو فيه إلى أكثر مما له من القوة في حفظ ذاته بالانقباض عما يفسده ويخالفه ، والإنبساط إلى ما يلائمه ويوافقه بكونه غير تام ولا قائم بالقوة فيحتاج إلى امتداد [4] في الجهات التي لا تتم إلا بقوى كثيرة ، كحاجة الإنسان إلى ذلك طلباً للنهاية التي فيها كماله ، فهو بما له من الطبع المجبول عليه في الخلق منتهي في الفعل بما هو فيه إلى ما يوجبه مزاجه على ما عليه الموجود الظاهر من أفعاله في انبساط بعضها إلى بعض ، وانقباض بعضها عن بعض ، وتعلق بعضها

١ ــ في ن : هو
٢ ــ في ن : فعل
٣ ــ في ن : متحركة
٤ ــ في ك : امداد

ببعض ، ومنافرة بعضها لبعض مثل المنافرة القائمة بين الحديد والزئبق ، فإنه لا يتعلق به ولا ينبسط إليه ولا يترك الحديد أن يداخله ولا يتعلق به تعلقه بالذهب والفضة إلا بعلاج ، ومثل العداوة القائمة بين الذهب والإبار فإنه لا يضر بالذهب شيء كما يضر به الإبار لنكابته فيه ، ومثل العداوة القائمة بين الإبار وسائر الأجسام من الفضة والنحاس فإنه يفسدها ويهلكها ، ولذلك يستعمل في خلاص الأجسام ، ومثل العداوة القائمة بين الماس والإبار فإنه لا يضر بالماس شيء ، ولا يكسره غير الإبار ، ومثل المحبة القائمة [1] بين الذهب والزئبق ، ومثل المحبة القائمة بين الكبريت والذهب وبين الزرنيخ والفضة ومثل المحبة القائمة بين الحديد والنحاس فإنهما إذا تمازجا لم يفترقا ، ومثل المحبة الموجودة بين حجر المغناطيس وبين الحديد التي بها ينجر الحديد إليه ولا ينبسط إلى غيره ، ومثل أمثال ذلك مما لا يخفى على أهل الصنعة الذين عرفوا المعدنيات كما قال ذو النون المصري : « المسببات بالسبب » وجميعها بين الأب والأم الذي يوجب فاعلاً به يتعلق [2] وجود مثل هذه الأمور التي تبطل وجودها من الأجسام بكونها من حيث الجسمية لا فاعلاً بل مفعولاً بها ، فالمعنى الذي تحصل به هذه الأفعال وإن كان عند التخصيص يستحق اسماً ينفرد به ذلك الموجود يسمى نفس ذلك الموجود ، وله معرفة هي مثل ما أشرنا إليه في باب ماهية الطبيعة يجري منها مجرى العلم من ذوي الحواس ، فهي قوة فاعلة بحسب [3] الإستحالة الموجودة وتأثير الساري من الحياة بأمر الله رب العالمين لحفظ « ما هي فيه [4] » .

يؤيد ما ذكرناه ويحققه ميزان الديانة مناسبة ومطابقة الذي يوجب كون ما جاء به النبي صلوات الله عليه وعلى آله من الكتاب والشريعة

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : يعلق
٣ ـ في ن : حسب
٤ ـ في ن : « ما به »

مقروناً إلى من يحفظه من الأئمة القائمين مقامه[١] عليهم السلام وهما لا يفترقان ولولاهم لغير وبدل ، أن الأجسام المعدنية لها قوى قرنها الله تعالى إليها من ذاتها لتحفظها ولولاها لهلكت وتفرقت أجزاؤها . ويوجب كون سنن الشريعة الناسخة مبطلة لأكثر أحكام الشرائع المنسوخة مناقضة بعضها لبعض أن القوى التي في الأجسام المعدنية يبطل بعضها بعضاً ويضادها . ويوجب كون[٢] بعض الشرائع الناسخة في بعض سننها وأحكامها موافقة للشرائع المنسوخة ، أن القوى التي في الأجسام المعدنية بعضها يوافق بعضاً . ويوجب كون الرسوم والسنن من جهة الله كثيرة أن الموجودات من المعادن غير الستة التي لها القوة وبها يتعلق مصالح العالم كثيرة . فهذه قضايا ميزان الديانة في إيجاب القوى التي في الأجسام المعدنية موازنة ومطابقة .

والحمد لله حمد الشاكرين وصلواته على رسوله سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى الأئمة الطاهرين وسلم تسليماً .

---

١ ـ سقطت في ك

٢ ـ في ن : لون

المشرع الخامس

« في النبات بما هو جسم وأنه أكثر تركيباً وأوفر آلة من المعادن »

●

قد سبق من كلامنا على المزاج وكيفيته وما يختلط من الأركان بفعل بعضها في بعض وتضاعف التركيب به للتغاير الذي يحدث عن الحركات الكثيرة الدائمة عليه فيه من جهة الأجسام العالية ، ثم بتأثير الأشعة الساطعة من كل جسم من الأجسام الشريفة المركبة على اختلاف حال كل منها في كل وقت كما تقدم شرحه . ولما كنا قد تكلمنا على المعادن في وجودها وتقسيمها على إيجاز ، وكان الذي يترتب في الوجود بعدها النبات ، قلنا إن العناية الإلهية تعالت بأمور الموجودات هي الحافظة لجميعها على نظام ثابت فلا يغرب عنها شيء منها[1] ، وهي التي بها يتعلق وجود الكل والجاعلة الكل للكل[2] عوناً ، إما بواسطة أو بأكثر ، لتؤدي كل موجود إلى غايته وكماله ونهايته ، وكان من الحكمة في إيجاده أنها أقامت أسباباً لنزول الماء على وجه الأجزاء الظاهرة من الأرض عامة لتصير برطوبته على مكث ، وما يحدث عنها تارة بالتسخين وتارة بالتبريد مستحيلة عن طبيعتها متنقلة إلى حال يمكن بها كونها نباتاً ، وجعلت للحرارة الطبيعية عليها سلطاناً لتجذب تلك الأجزاء المستجنة[3] من باطن الأرض إلى ظاهرها للقاء الهواء الذي جعلته لها

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : بالكل
٣ ـ في ن : المسجنة

رفيقاً معونة لما يحدث فيها من النفس النامية [١] ليسهل عليها البروز إلى حيث تدرك حظها من الأسباب الفاعلة فتكون الشمس بالقوة التي جعلها الله تعالى [٢] فيها تكسبها مالها أن تبلغه من تماميتها ، ولما كان ذلك المزاج الأول وجوده عن أمور متضادة في ذواتها وقوى واصلة من المتحركات عليه المتغايرة في كيفياتها ، وكان التركيب فيه بهذه الأمور أكثر مما كان في المزاج الذي منه كانت المعادن ، والتضاد في ذاته أكثر مما كان في ذلك ، وكان التضاد الموجود فيه سبباً لانحلال أجزائه زماناً بعد زمان، ووقتاً بعد وقت، رويداً رويداً ، وقليلاً قليلاً ، هيأت العناية الإلهية تعالت له الآلات التي هي منه كالأعضاء للحيوان استحفاظاً له [٣] ، وإن كان لا يبقى ذا تضاد في ذاته مع الأسباب المتجددة من خارجه عليه أيضاً التي هي أعون معين على فساده ليحصل له بها أعواض [٤] ما يفسد منه ، وينحل عنه مدة بقائه ، ثم ليكون بها مشابهاً لما هو أعلى مرتبة منه من الحيوان وفي أفقه ، فكان ماله من ذلك عروقه التي بها يستمد المواد كفم الحيوان ، وساقه كجسده وبدنه ، ومجمع الغضاريف منه مثل الجمار في النحل ، والشحم في تجويف الأغصان مما له تجويف كالرمان والكرم، وأمثال ذلك كمعدته وكرشه ، وأغصانه كما هو مركب على أبدانه ومخارج صمغه كمخارج بوله وفضوله ومسام شعره ، وقشره كجلده ، ومعاقده كمفاصله ، وأوراقه كشعره ، والرواضع فيها مجرى المادة المجذوبة إلى الأقطار منه وفيه ، والأخلاف الظاهرة في الأوراق كعروقه [٥] وثماره كأفعاله الطيب منها كخيرها والمكروه منها كشرها ، فصار النبات بذلك كثير الأنواع كثرة لا تحصى، وهي بحالها الموجودة عليها أبعد مشابهة بالأركان مما تقدمه في الوجود ، وأعلى رتبة منه ،

---

١ ـ في ك : الثامية
٢ ـ في ن : تعال
٣ ـ في ن : احتفاظا له
٤ ـ في ن : اعراض
٥ ـ سقطت في ن

وأشبه بما فوقه وأقرب إلى المبدأ الأول على ما بيناه ، وأنواعه في الشرف مترتبة على الترتيب الذي ذكرناه في باب المعدنيات : فالنوع الأول منه ما كان مشتركاً بين كونه معدنياً وبين كونه نباتياً على ما سبق بـه الكلام فهو بذلك أشرف أنواع المعادن وأخس أنواع النبات ، والإتصال بين النبات والمعادن من هذا القبيل قائم ، وتترتب على ذلك الأنواع بكيفياتها وأحوالها إلى أن تعتلي[1] إلى النوع الذي هو مشترك بين النبات والحيوان مثل شجرة الوقواق التي هي من نبات وهي بصورته التي هي ثمرتها وصياحه حيوان ، ومثل الحلزون الذي هـو الصدف الموجود على السواحل ، وهو من حيث كونـه صدفاً كالنبات ، ومن جهـة حركته مما هو في جوفه حيوان ، ومثل النخل الذي هو من النبات ، ويشبه الحيوان من وجوه : منها انعقاد ثمرته بمعاونة الذكران منه تلقيحاً ، وبذلك هو أشرف من سائر النبات ، وأعلى رتبة منه وأخس من الحيوان، والإتصال بينه وبين الحيوان من هذا القبيل قائم . ولمـا كانت الموجودات التي هي كالأسباب في وجـود المواليد منها كالذكران حالهـا ومنها كالإناث أمرها ومن بينها ، وبفعل الواحد منها بالآخر توجد المواليد فلا يكون في أحدهما كفاية في وجود ما يوجد عنها إلا بها جميعاً كان[2] هـذا المعنى في أنواع النبات والحيوان[3] موجوداً ، فإن منها ما لا يحتاج إلى معاونة الذكران بأنها متساوية في اشتمال أشخاصها عـلى آلة الإنتاج ، وكافية بما حصل لها من الأمر المغني إياها عـن غيرها من الذكر مثل النواة التي في ذاتها القوة التي إذا صادفت ما بـه يظهر فعلها انفتـح فصارت نخلة ، ومثل الحنطة التي لكل حبة منها في ذاتها ما تستغني[4] بها عما يجري منه مجرى الذكران ، فلا يحتاج إلى تقوية . ومنها ما لا يتعلق ثماره إلا بقوة الذكران كالنخل فهي بهذه الأمور مشابهة لأسباب

---

١ ـ في ك : تعلى
٢ ـ في ك : لكان
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : تفتني

وجودها مناسبة لما هو أعلى رتبة منها ، وهي أحد الأسباب في وجودها الذي هـو الحيوان ، ثم لا يوجـد من النبات والمعادن من جهة أجسامها إلا مـا يكون موضوعاً للصناعات المتعلق وجودها بصنـع البشر مثل الخشب بقبول صورة السرير من النجار ، والصفر لقبول صورة الطنجير [١] من الصفار ، والحديد لقبول صورة العلاة مـن الحداد ، وهـذه الأجسام بالإضافة إلى الصور الصناعية قائمة بالقوة وكمالها في حصولها لهـا بالفعل . يحقق جميع ذلك ويصححه ما يوجبه ميزان الديانة في اصطياد المعارف بالمقابلات والموازنات الذي [٢] يوجب كون السبب القريب في وجود أهل العبادة الظاهرة ما وصل من جهة الحجج الذين هم النقباء القائمون مقام النبي صلى الله عليه وعلى آله في التعليم والدعوة إليهم من البيان ترغيباً وشرحاً، وتعليماً واحتجاجاً ، أن السبب القريب في وجود النبات وصول الماء إلى أجزاء الأرض من جهـة السحاب المنشأة بأمر الله سبحانه مطراً وسقياً ويوجب استجابة من استجاب إلى الدعوة والدخول في كنف العبادة ومفارقة ما كان عليه من قبل استحالة ما قبل من أجزاء الأرض رطوبة الماء والإنتقال عن صورته التي كان عليها من قبل . ويوجب استيلاء النبي عليه السلام بما أفاض الله تعالى عليه من بركاتـه وأوجبه من طاعته على الكافة فأمر بالعـدل والإحسان ، ونهى عـن المعاصي والفحشاء [٣] والطغيان، ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، استيلاء الشمس بما جعل الله تعالى فيها من القوة على ما دونها لجذب الأجزاء المستجنة من عمـق الأجسام إلى ساحة الهواء . ويوجب كون الحـدود في الدين قائمين بتعليمهم أمور [٤] الدين وما ينسونه، ويذهب عليهم حفظه منها لتنحفظ أنفسهم به ، مصير أغصان النبات وعروقها سبباً لرد العوض عما ينحل عنه ممـا يفسد من أجزائه إليه لتنحفظ بوصول بدله إليه ذاته . ويوجب كون المتعلق بالعبادة الظاهرة أكثر [٥] عملا وأقرب إلى الحدود في بيت العبادة الدينية وأعلى مرتبة

---

١ ـ في ن : الطنجرة
٢ ـ في ن : التي
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ن : اصول
٥ ـ في ن : اكر

من الكفار والفساق ، أن النبات أكثر تركيباً وأقرب إلى الأمور الشريفة[١] في عالم الطبيعة، وأشبه بها من الأرض وأكثر مفارقة لما يجمع بينه وبينها مشابهة . ويوجب ترتيب أهل الظاهر في الأعمال المفروضة فمنهم من هو أشرف لكثرة عمله بجميع المأمور به ، ومنهم من هو دون ذلك بنقصان عمله بجميع المأمور به ، ومنهم من يقوم ببعض المأمور دون بعض ، وعلى ذلك بحسب الكمية والكيفية في كل عمل ، ترتيب أنواع النبات في الشرف فمنها ما هو أشرف من سائرها ، ومنها ما هو يشبه ما فوقه من أنواع جنس الحيوان ومنها ما هودون ذلك شرفاً ودون الدون فيكون أخسها وهو ما يشابه أنواع ما دونه من جنس المعادن . ويوجب كون المنتهي في عبادته وورعه إلى الحد الذي يقيم معه العبادة العلمية فيكون جامعاً للعبادتين علماً وعملاً ظاهرة فيه آثارهما. انتهاء أنواع النبات إلى ما يكون جامعاً لما يختص به النبات والحيوان جميعاً فيكون مشتركاً بينهما ظاهرة فيه آثارهما ، فهذه شواهد الخلق والوضع بالمطابقة والموازنة التي أخرجها ميزان الديانة، والحمد لله الذيجعل أئمتنا لدينه أعلاماً وأقامهم للمقتدين راية وإماما وصلى الله على رسوله الذي استضاءوا من نور فجره . واكتسبوا الفخار من فخره ، محمد نبيه، وعلى مولانا علي بن أبي طالب وصيه، وعلى موالينا الأئمة من ذريتها وسلم تسليما .

١ ـ سقطت في ن

المشرع السادس

« في النبات بما هو نفس نامية وكيفية وجودها ، وحالها مع جسمها وماهيتها »

●

قد بينا فيما سبق أنه لما كان ممكناً في الحكمة الإلهية أن يوجد جميع أجناس المواليد بأسرها وأنواعها عن الأجسام العالية والسفلية وأفعالها جميعاً إذا سلك في الترتيب والخلق بما أوجبته القدرة ، وجب أن يكون ما تتغاير به الحالات من أجزاء الأجسام وتستحيل بانتقال بعضها إلى بعض وفعل بعضها في بعض وتعاقب التأثيرات والحركات[1] عليها، وتقلب الأحوال بها دائماً من جهة ما أقيم من الأمور العجيبة بباهر القدرة الذي[2] هو المزاج بالغاً من اللطافة والإمتزاج حداً إذا صادف القوة الساطعة من الأجسام السماوية منه سهل فيه تأثيرها وظهر فيه أثرها ، وحدث فيه بأمر الله روح يسمى[3] نفساً تعرف بالنامية مثل ما وجودها بين الصائر لطيفاً من أجزاء الأجسام السفلية وبين الساطع نوراً من الأجسام السماوية ، مثل ما يوجد بين الذكر والأنثى بالتقائهما ، أو مثل ما يوجد من النار عند احتكاك عودين من شجر المرخ والعفار أحدهما بالآخر ، ومثل ما يوجد من شرر النار من الزناد ، ومثل ما يحدث في العفص والزاج المستحيلين بالدق والسحق وتفريق الاجزاء والتهيأة[4] إلى حال اللطافة والنعومة إذا صادفا الماء من السواد الذي لم يكن في واحد منهما لا في العفص، ولا في الزاج ولا في الماء ، ولا كان يوجد لولا التدبير،

---

١ ـ سقطت في ن

٢ ـ في ن : للذي

٣ ـ في ن : تسمى

٤ ـ في ك : والتهيئة

فكان الماء بمنزلة القوة الساطعة من الاجسام الطبيعية والمسحوق الملطف بكثرة الدق والتهيأة بمنزلة المستحيل من أجزاء الارض والسواد الحادث بمنزلة الروح الحادثة، وتلك الروح هي حياة طبيعية حادثة من بين الأجسام وتوجد بوجود أجسامها وتبطل ببطلانها ، وهذه الحياة هي التي تسمى نفس النبات المعروفة بالنامية الموجودة بلطافة ما لطف[1] من أجزاء الأجسام أولاً ، ثم بأشعة الاجسام العالية الفاعلة فيها ثانياً ، وهي جارية مما تقدم الخطاب عليه في باب الطبيعة والعقول الخارجة عنها من الأنوار الساطعة من دار الإبداع مجرى تلك الأجزاء اللطيفة من أشعة الأجسام العالية الفاعلة كما فعلت تلك الأشعة في تلك الأجزاء اللطيفة فحدثت تلك الحياة كذلك هذه الأنوار تفعل في هذه الحياة فيحصل لها منها ما يجري مجرى المعرفة من الحيوان بمصالحها ، ذلك بأن المنصوب المركب[2] من الأجسام الطبيعية بما جعله الله تعالى فيه من الأنفس الفاعلة يهيأ – على ما بينا – بأمر الله من المواد المختلفة الباقية بعد خلق الأجسام العالية بكثرة الافعال والتأثيرات من الأركان بعضها في بعض سفلا ، ومن الأجسام العالية في جميعها علواً ما يبلغ به في التأثيرات فيه حداً هو كمال له أول ، فيصير به ممكناً أن تلقاه [3] من العقول الخارجة بأنوارها السارية في الموجودات، فيكون منها كالمادة التي جعلها الله تعالى فتتولى أمره بأن تفعل فيه وتعطيه ما في القوى التي جعلها الله تعالى في الأجسام الطبيعية استطاعة ما فيه من البلوغ الذي به كماله الثاني على ما عليه الحال فيما نراه ونشاهده من الأمور التي لا تتم ولا تستكمل [4] إلا بأن يعمل ذاته أولاً صانع ، ثم يتولى صانع آخر البلوغ به كماله الثاني ، الذي ليس وراءه [5] ما يجوز أن يكون له مثل الثوب السقلاطوني الذي كماله في الأول في وجوده يتعلق بناسجه، وكماله الثاني

١ – في ك : تلطف
٢ – سقطت في ن
٣ – في ن : تلقي
٤ – في ن : ولا تكتمل
٥ – في ن : ورائه

يتعلق بالخياط الذي هو غير ناسجه ، وما لم يفرغ النساج فممتنـع عـلى الخياط العمل به وإيداعه الصورة التي ليس وراءها أخرى ومثل الدراهم والدنانير التي يتعلـق كمالهـا الأول في وجودها بضرب الضراب أولاً ثم يتعلق كمالها الثاني الذي هو إيداعها نقش السكة بطبع الطابـع آخراً ، وما لم يفرغ الضراب مـن إصلاح هيأتها وشكلها لا يعمل فيـه الطباع ، ومثل الاسطرلاب الذي يتعلـق كماله الأول في وجـــوده بالصفار الذي يضرب الصفر على هيأة معلومـة أولاً ثم يتعلـق كماله الثاني في نقشه[١] بالعالم المهندس العارف[٢] بالأفـلاك والهيئات وأقسامها ، ومـــا لم يفرغ الصفار أولاً من الهيأة فلا يتمكن النقاش من نقشه وقسمته ، فهي أعني الحياة الموجودة من دار الطبيعة عن آثارها في النبات صائرة بما يحدث فيها من آثار عالم الإبداع ، عارفة كالحيوان بما يشاهد منها مـن الأمور التي لو كانت تحدث من الحيوان لما زاد عليه مـــن إرسال عروقها إلى حيث تجد النداوة وتعوجها في ذلك عما تلقاها من حجر أو غيره مـن مانع إياه عن النفوذ نحوها إلى حيث يمكنها السلوك ، وخروجها بأغصانها من تحت ما يستر عنها ضوء الشمس فيضيق عليها فسحة الهواء من شجر أو ظل، وميلها إلى التجرد من ذلك طلباً للقاء الشمس، ولما كان جسمها في وجوده عـن أشياء متغايرة كما كان « مـا منه »[٣] وجوده فصار في ذاته يؤدي تركيبه إلى الإنتقاض والإنحلال والإستحالة حـالاً بعد حـال وقليلاً بعد قليل من داخله وخارجه جميعاً « لزمها طلب المواد بـدلاً مما يتحلل »[٤] وفي طلبها ذلك يحصل لها أفعال أربعة يختمها الخامس جذباً للمواد الذي[٥] هو استخراجها واستدعاؤها ، وهضماً للمادة المجـــذوبة الذي شأنـه أن يجعلها شبيهاً بطبيعتها ، ودفعاً للمشبهة[٦] للطبيعة الذي

---

١ ـ في ك : نقاشه
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : « لازمها بدلا ما يتحلل طلب المواد »
٥ ـ في ن : التي
٦ ـ في ك : للشبهة

هو إرسالها إلى أقاصي ذاتها شيئاً بعد شيء، لتتركب منه بحسب ما يوافقها في وجودها وصلاحها من التوقي مما يفسدها ويضر بها وإصدارها في كل نواحيها علواً وسفلاً ليجعلها في ظواهرها وبواطنها وطولها وعروضها[١] وعمقها وأغصانها وأوراقها وثمارها، وفي المواضع التي قد نقص بانحلال من جسمها ونماء الذي هو الزيادة بالمرسل في نواحيها وأقطارها وأوراقها وثمارها ، وعند استكمال هذه الأربعة وقوتها يحدث فيها فعل خامس بامتناع الأشخاص من البقاء مع التضاد الموجود فيها ، والأمور المحتوية عليها مما يدخل عليها الفساد ، وهو الإنتاج الذي هو ثمرة فعلها في طلب البقاء لتوجد لها مثلاً ولتبقى صورتها وإن كانت تضمحل ذاتها ، وهذه القوى الخمس شائعة في جسمها كلها وأجزائها ، ولذلك صارت الأغصان تعلق إذا غرست إلا ما ضعف[٢] ولا يعمل ، والحال في الحيوان في ذلك بضده لكثرة القوى فيها واختصاص كل منها ببعض الأعضاء دون بعض ، وكانت هذه الخامسة بهذه القوى التي صارت[٣] لها تماماً لما سبقها في الوجود ، ومصيرها تماماً لما سبقها سبباً لأن تكون أساً في وجود غيرها مما هو أشرف من جميعها ، أو تكون كالأم التي بها يوجد غيرها ، أو كالباب الذي يفضي الى ما هو أعظم وجوداً منه من الأنفس على ما يشتمل عليه الكلام بإذن الله تعالى .

يشهد بذلك ميزان الديانة المعتمد في إستنباط المعارف الحقيقية الذي[٤] يوجب ترتيب الحدود في بيت العبادة لإقامة رسوم الدين ومناسكه، والدعوة إلى التوحيد وتعليم النفس المتهيئة للقبول ليكون من ذلك الحياة الأبدية ، أن ترتيب الله تعالى الأجسام في عالم الطبيعة للتأثير في أجزاء الأرض ليكون منها النبات فتوجب الحياة الطبيعية . ويوجب

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : ضعفت
٣ ـ في ن : صار
٤ ـ سقطت في ن

كون المستجيبين إلى توحيد الله تعالى وعبادته تحت الحدود مخاطبين بعضهم لبعض عاملين كل منهم في الآخر بالمناقشة والمناظرة[١] أن القوى في الأجسام التي تحت الأجسام العالية السماوية[٢] فاعلة بعضها في بعض. ويوجب وجود تأثير التعليم والهداية في أنفس المستجيبين من جهة من فوقهم من الحدود ، أن الأشعة من جهة الأجسام السماوية فاعلة في الأجزاء المستحيلة من الأرض . ويوجب كون استبصار الأنفس بنور الهداية في العبادة الظاهرة بالعمل محلاً لما يفتح لها من العلوم التأويلية ولان تسدد لإقامة العبادة العلمية فتكون جامعة للعبادتين . أن الحياة النامية تقبل من أنوار دار الإبداع وتحدث فيها تأثيراتها فتصير تلك الحياة الحادثة بالحادث منها من الأفعال محلاً لفعل الأنوار الساطعة من عالم الإبداع تكتسب بها أمراً تصير به جامعة للنفسين النامية والحسية جميعاً . ويوجب كون الترتيب في التعليم أن يعلم المأذون المستجيب ما يتعلق بأمر العبادة العملية أولاً ثم يتولى الداعي تعليمه ما يتعلق بأمر العبادة العلمية ليكون ما يتعلمه خيراً كالصورة لما تقدم به معرفته فتلتئم[٣] سعادته ، أن الترتيب في الخلقة أن تهيأ الطبيعة والأجسام العالية بما جعل الله تعالى فيها من قوة الموجودات لتصير بذلك قابلة لتأثير العقول الخارجة من دار الطبيعة لتكون أنوارها الساطعة من دار الإبداع فاعلة فيها بما تقدم من التهيء لتبلغ كمالها . ويوجب كون العمل في العبادة الظاهرة واجباً على الكافة فالكل فيها كواحد وإمكان أقلهم علماً[٤] بمواتاة العمل له وقدرته له يكاد أن يكون قائماً مقام أعلمهم في تعلمها عظة وترغيباً[٥] وترهيباً ، وأن يصير مثله ، أن قوى النفس في النبات شائعة في أجزائه كلها لكونها متشابهة ، وأن الغصن الغض[٦]

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : فتلتئم
٤ ـ في ن : عملا
٥ ـ سقطت في ك
٦ ـ سقطت في ن

من النبات كذلك إذ غرس ممكن أن يعلـــق فيصير كأصله . ويوجب كون الحال في قيام من يقوم في العبادة الظاهرة عاملاً وعالماً[١] بهـــا وواعظاً مقام أعلمهم فيها وإمكانه أن يفعل ذلـك بمواتاة العمل له لأي شيء أراده منها ، ولقدرته عليها بخلاف الحال في قيام من يقوم بالعبادة الباطنة بالعلم معلماً أو هادياً[٢] ، لكون العلوم على رتبة لا يتصور منها شيء ما لم يتصور ما دونه ، أن الحال في النبات أن يتعلق الغصن منها إذا غرس ويصير كأصله بخلاف الحـال في الحيوان فإن الأمر في النبات يمكن بكون أكثر أجزائه متشابهة، وفي الحيوان ممتنع باختلاف أجزائه واختصاص القوى منها بمواضع منها دون مواضع أخرى . ويوجب كون وجود العبادة الظاهرة بالعمل وأهلها كالأصل في وجـود العبادة الباطنية بالعلم وأهلها ، أن وجود النفس النامية بما لهـــا مـن القوى كالأصل في وجود النفس الحسية . ويوجب وجود أفعال خمسة مـن أهل الظاهر في عباداتهم بما هم عاملون ، ولله تعالى بأحكامها عابـــدون والاستفادة أولاً وتصور المستفاد ثانياً ، والقول بالمستفاد ثالثاً ، وإظهار المستفاد بالعمل رابعاً وتعليم المستفاد للغير خامساً ، أنه يوجد مـن النفس النامية أفعال خمسة من الجذب الذي هو بمـنزلة الإستفادة والهضم الذي هـو بمنزلة التصور ، والدفع الذي هو بمنزلة القول فيه به ، والنماء الذي هـو بمنزلة إظهاره ، والإنتاج الذي هو بمنزلة تعليم الغير ما تصوره ، فهـذه نتائـــج موازين الديانة في استنباط الأمـور الخفية في الخلقة بقضاياها التي تشهـد بصحة الأمور فيما قلناه ، والحمد لله الذي خلـق فسوى ، والذي قـدر فهدى ، وصلى الله على من هم العصمة والجنة ، والضامنين لمواليهم الجنة محمد وآله الطاهرين ، وسلم تسليماً وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : وهادي

المشرع السابع

« في الحيوان بما هو جسم ، ومبدأ ظهوره وأنه أكثر تركيباً من النبات وأوفر آلة ، وأنه النهاية في الموجودات التي ليس وراءها موجود آخر »

●

قد بينا فيما تقدم أن الحكمة الإلهية أوجبت فيما قصدته من إيجاد ما كان من قضايا عن الأجسام العالية بعد إيجادها أولاً أعيانها مترتبة ترتيبها الذي هي عليه من المواليد التي غايتها الحيوان الذي ينتهي بأنواعه إلى الإنسان الذي هو النهاية الثانية من الموجودات فلا وجود لشيء بعده أن يكون بعض الأجسام على ما ذكرناه فاعلا ، وبعضها مفعولاً به ، ليكون من فعل الفاعل في المفعول به منها ، واكتساب المفعول به بفعل الفاعل فيه قوى[1] فاعلة يصير بها فاعلاً أيضاً ، فيؤثر بعضها في بعض تضاعف الفعل والتركيب وكثرة الحركات المؤذنة بوجود ما كان في مضمار الحكمة وجوده على ما بيناه ، فصار الأمر في وجود ما يوجد عن الأجسام العالية باختلاف أحوالها وحركاتها وعن الأجسام السفلية بتبدل ذواتها[2] استحالة في أجزائها ، أن كل موجود جسماني بعد في وجوده من المبدأ الأول فهو أكثر تركيباً مما قرب منه ، وكل موجود جسماني قرب في[3] وجوده منه فهو أقل تركيباً ، ولما كان الكلام قد أتى على وجود المزاج وأقسامه ، ووجود ما يوجد منه أولاً من الأمور العالية ، وثانياً

---

١ ـ في ن : قوة
٢ ـ في ن : ذاتها
٣ ـ في ك : بوجوده

من المعادن والنبات ، قلنا على الحيوان إن وجوده عن المزاج الحادث من اختلاط أجزاء الأركان بتأثير بعضها في بعض ونفوذ قوى الأجسام المتحركة فيها الذي[١] من مثله يكون النبات ويكون قد مازجه النبات بأجزاء أنواعه المخلطة[٢] بعضها في بعض فصار الجميع شيئاً واحداً ومزاجاً آخر هو أوفر أجزاء وأكثر تركيباً ، وكان الحيوان بذلك مترتباً في وجوده بعد النبات . وتركيب أشخاصه أكثر من التراكيب في أشخاص المواليد كلها وبقاؤه بما يمده من النبات باغتذائه منه الذي منه وجوده الثاني أعني التناسل ، فأما وجوده الأول فمن الأرض كان ، وأن القوى لما اجتمعت في الأجزاء من الأرض التي هي السلالة انتفخت[٣] فحملت فخرج منها الحيوان ، على ما عليه يوجد حال كثير من الحيوان في تولده منها في زماننا مثل الفيران ومثل الصرصر[٤]، التي تنتفخ الأرض بحملها وتنشق وتطير من بطنها أمة ، ومثل الجراد الذي يتكون في الأرض ، ومثل الأشخاص التي تظهر من موضع يعرف بجبل بركات التي هي من نوع البشر . وأما التناسل فإن القوى لما كثرت في الحيوان ، باغتذائه منها والآلات كانت معدة ، تحرك طلباً للذة فحصل[٥] عن ذلك النسل والولد كما قلنا ، وذلك مثل الريحية الطاحنة بالماء التي تهيأت الآلات أولاً وأقيمت لها فلما جاء الماء ولقى عيدان الآلات تحركت بحركة الماء فكان عنه قيام الغرض فيما قصد من طحن الحب[٦] وما يراد به .

فأما الموجود الأول من أشخاص البشر فعلى نحو أشكالها من أشخاص أنواع جنسها كان من الأرض وسلالتها كما قال الله تعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتاً[٧] » وكانت الصورة في هذا الوجود لا كالصورة « في الوجود[٨] » الثاني من طريق التناسل ، ومعارف البشر في ذلك الوجود لا كمعارفه في هذا

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : المخلطة
٣ ـ في ن : فتخت
٤ ـ في ك : الصرصور
٥ ـ في ن : حصل
٦ ـ في ن : الحبوب
٧ ـ سورة ٧١ آية ١٧
٨ ـ في ك : « بالجود »

الوجود ، والوجود الثاني « بالتناسل[1] » لما كان ممكناً في الحكمة أن يكون للحيوان أعني البشر بعد ظهوره من الأرض وجود من[2] طريق التناسل ليكون ذلك الوجود من ذلك الطريق مفضياً إلى الغرض في إيجاد غاية ثانية هي مناسَبة للغاية الأولة ، أقامت العناية الإلهية الآلات ليحصل بها المقدر في الحكمة كونه ، فأجرت الأمور في التكوين على ما أجرت عليه أولاً من قبيل قسمة الجسم إلى ما يكون فاعلاً على ما ذكرنا مثل الأفلاك والنجوم ، وإلى ما يكون مفعولاً به على ما شرحناه مثل الأركان الأربعة ، فتحصل من بينها المواليد فجعلت النوع إناثاً وذكوراً كذلك وقدرت للإناث الرحم الذي فيه يتكون المولود والدم الزائد الذي فيه يكون جسمه ، وللذكران النطفة التي في ذلك الموضع ليكون باجتماع الدم والنطفة تمام شخصه وصورته ، والنطفة والدم من طبيعة واحدة كما كانت الأجسام العالية والسفلية من جنس واحد ، لكنها قد صارت بفضل حرارة مكتسبة فاعلة في الدم الذي هو من جنسها ، ويتميز عنها تميز الأجسام العالية عن الأجسام السفلية ، فجرت في الفعل فيه مجرى الأنفحة الفاعلة في اللبن الذي إذا خالطته فتعقده[3] فتجعله لحماً قابلاً لأفعال أشعة الأجرام العلوية[4] المتجهة نحوه ، السارية فيه ، فيصير من الشيئين خلقاً سوياً فتبارك الله أحسن الخالقين ، وكان المولود بذلك يحتاج في وجوده إلى أمور سبعة إن عدم منها واحد لم يتم وجوده وهي : الذكر والأنثى أولا ، ثم المكان الذي يجتمعان فيه على المباشرة ، ثم المادة الكائنة بانعاظ الأب ليكون منه الشخص ، ثم الزمان ليكون فيه وصول تأثيرات الكواكب المركبه بذلك إليه لتمامها ، ثم الأمن الذي ينحفظ به جأش الأنثى وينحفظ الجنين ، ثم السلامة في الولادة التي بها يفارق موضعه ، والإنسان من بين الأنواع هو النوع الأخير الذي ليس وراءه نوع آخر ، ولذلك سمي نوع الأنواع ، ولا يوجد ما يعلوه من نوع ولا ما هو أشرف

---

١ ـ في ن : « التنسل »
٢ ـ في ن : عن
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : العالية

منه بالأمور التي اختص بها وهي أوجد فيه من وجودها في سائر[١] الأنواع المتقدمة عليه ، فتركيبه أشرف من تركيب غيره وهو أكثر آلة وأجزاء[٢] لأنه الخلق الذي اقتضته الحكمة فصارت الأمور الموجودة في كل العالم الكبير بأشباهها اللائقة به الحاصلة له موجودة فيه بما هو مثله ، وقيل إنه هو ولده ، حتى قام كل شيء منه بإزاء كل شيء منه ، ذلك لكونه نهاية ثانية وتماماً فيما قصد من الخلق كما هو موجود في كل صنعة من نهاية ثانية تكون بها تمامها وانقطع عندها وجود موجود آخر جسماني هو غيره ، فهو الزبدة المنتهي إليها أفعال ما أقيم من الصنع البديع .

ويشتمل شخصه على أعضاء موجودة ، منها رئيسة ، ومنها مرؤوسة ، ومنها خادمة ، ومنها مخدومة ، ومنها متقدم ، ومنها متأخر الوجود ، فأول عضو خلقه الله تعالى بهذه الأمور التي أقامها ما يحدث في المادة المنعقدة التي هي العلقة الحادثة من الدم والنطفة بنفوذ تأثيرات الأجرام فيه هو القلب الذي هو مقر ألطف ما هو موجود في جملة الشخص الذي هو الدم القرمزي الذي عنه تتلظى[٣] نار الحياة ، وعنه يكون انبعاث الحرارة الغريزية في سائر أطراف الشخص ، وعنه يصدر الأمر والنهي في الأعضاء على درجاتها في الشرف ، وبحسب ذلك يتقدم وجود كل منها على غيرها فتكون المواد ، التي هي مثله إلى الجملة التي منها كان القلب ، متصلة منصبة فينجر اللطيف منها إلى ما يجب أن يكون لطيفاً من الأعضاء والكثيف منها إلى ما يجب أن يكون غليظاً من الأعضاء وصلباً إلى أن يحصل الأعضاء والآلات المراد بتمامها في زمانها ، ثم ينفصل من الأعضاء ما يجب أن يكون منفصلاً وينخرم منها ما يجب أن يكون منخرماً ، فتظهر الصورة آخراً عند تمام حصول التأثيرات من كل « واحد واحد[٤] » من المدبرات أمراً فيه على ما اتفق عليه الأمر من قواها ، فلا يبقى بعد ذلك عند تمام الخلقة إلا تهدف ما هيأه الله

---

١ ـ في ك : بسائر
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : تلظى
٤ ـ في ن : « واحدا بواحد »

تعالى له من الآلات للقاء المهدف له من المحسوسات ليكون للنفس المراد وجودها[١] بهذا التدبير مادة في تصورها ومصيرها خلقاً جديداً، فكان القلب متقدم الرتبة في الوجود على سائر الأعضاء ، وهو المخدوم الأول فيما هو فيه لتعلق الكل به ، وهو الخادم الأول لجماعتها بما يمدها من الحرارة الغريزية التي بها تكون الحياة ، وهو الحافظ والآمر والناهي، كالأمير في إمارته ورياسته، وبه قامت بكونه مقراً للدم القرمزي الذي به وجود الحياة الجامعة للقوى[٢] النامية والحسية .

والدماغ بعد القلب رتبة في الرياسة وهو خادم للقلب لبرودته لتعتدل بها الحرارة المنبثة في أجزاء البدن ليكون « عن ذلك[٣] » استقامة أمر الجملة ، وعلى ذلك الكبد والمرارة والطحال ، والرئة والكليتان ، والمثانة والأمعاء ، تترتب في الخدمة حتى يكون الكبد خادماً للقلب بما يصل إليه من جهته من مادته ولسائر البدن بإرسال الدم إلى أعضائه بالمجاري والرواضع المهيأة لذلك، ومخدوماً من جهة المعدة ، فانها خادمة للكبد تهضم ما ورد عليها من جهة الفم والأسنان واللسان، والفكين ومجرى الطعام، ليسهل على الكبد إحالة ما يصل[٤] من جهتها إلى الدم . والرئة خادمة للقلب بالترويح عنه نفساً لإخراج الحار من البخار والعوض إليه من الهواء ما يحفظه فلا تنطفيء حرارته المتقدمة ، والرئة مخدومة من جهة غيرها ، والطحال خادم للمعدة والكبد وذلك خدمة للجملة ، وكذلك الكليتان والمثانة والأمعاء خادمون[٥] للمعدة والكبد بقبول ما ينحدر إليها عنها. والأسنان والفم واللسان والفكان ، خدم للمعدة والرئة وغيرها ، فكل واحد منها وإن كان متأخر الرتبة فهو خادم من جهة ومخدوم من جهة لا لهذه الأعضاء الباطنة بل لها وللأعضاء الخارجة، فانها أقيمت لحفظ الجملة وأن يكون كل منها معيناً للآخر لينحفظ الكل

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ن : لقوى
٣ ــ سقطت في ن
٤ ــ في ن : يصار
٥ ــ في ن : خدم

بالكل على ما بيناه .

ولما كانت أجزاء المزاج الذي منه وجود الحيوان أكثر والتركيب فيه أوفر كان التضاد الذي عنه يكون[١] فساده فيه أكثر ، لكون وجود المزاج على أمور متضادة وأشياء متغايرة ، ولما كانت الأجزاء والتركيب والتضاد أكثر، كانت العناية الإلهية في حفظها أكثر، فهيأت للأشخاص أنواع الحيوان أموراً بها تنحفظ ورتبتها ترتيباً اقتضته أحكامها فكان الحال في كون النوع الأول من الحيوان مشتركاً بين كونه نباتاً وبين كونه حيواناً ، وترتب الأنواع على ما عليه حال[٢] أنواع النبات ، وأشخاص الحيوان ذو أبعاض ، والأبعاض ذو أجزاء ، والأجزاء مركبة بحسب المزاج المهيأ من بين الأجسام السماوية والأجسام السفلية ، وهو ينقسم قسمين : قسم يطير بالجناح ، وقسم يدب على وجه الأرض ، والذي يدب على وجه الأرض ينقسم : إلى ما له أرجل كثيرة فوق أربع وإلى ما هو ذو أربع ، وإلى ما هو ذو رجلين ، وإلى ما ليس له رجل مثل الحية ، والأجنحة والأرجل لها إنما هي آلة بها يتمكن من المنافع ودفع المضار ، وأما الحية فأجزاء جسمها مواتية في الإندفاع بحسب ختيارها للعلل المشروحة من جهة السابقين ، والذي يدب في الماء فهو أصناف الأسماك وما يكون في الماء فله الآلات بها يتحرك ، والنوع الأول منه ما كان مشتركاً بين أنواع الجنس الذي دونه وبين أنواع جنسه مثل شجر الوقواق وأمثاله التي هي أعلى رتبة أجسام النبات وأدون أجسام الحيوان ، ثم يترتب في الأنواع على ذلك في الشرف فينتهي ارتقاء إلى ما هو مشترك بين كونه حيواناً وبين كونه إنساناً ، وهو مثل النسانيس والقرود التي هي في بعض خلقتها تشابه الإنسان وبهيئتها تشابه الحيوان ، ومثل النحلة التي هي بجثتها حيوان ، وما يظهر منها[١] من السياسة تشابه

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ك : احوال

الإنسان ، والشرف الذي يترتب فيه أجسام أنواع الحيوان إنما هو بحسب مشاعرها التي لها ، ولما كان في مضمار[١] الحكمة أن يكون أقسام العالم بموجوداته خمسة أنواع : إما ملموساً أو مذوقاً، أو مشموماً، أو مسموعاً أو مرئياً مبصراً ، وكان في إدراك ذلك كال الحيوان جعلت العناية الإلهية لها مشاعر خمسة يقوم كل مشعر[٢] بازاء كل قسم منها يدرك بها فترتبت أجسام الأنواع في هذه المشاعر : فمنها ما له ما به يكون الحس باللمس فقط وهو البشرة ، وتشترك أجسام جميع الأنواع في ذلك وتنفصل في غيره وليس له مذاق، ولا شم، ولا سمع، ولا بصر مثل الدود في الطين والحلزون التي في الأصداف ، وهذا النوع أعلى[٣] رتبة من الوقواق ، وأدون مما له في المشاعر وأكثر مما له ، وأكثر تركيباً من النبات وأقل تركيباً من أخواته التي هي أنواع جنسه ، وجسم الحيوان كله من هذا القبيل الذي هو الحس بالبشرة واللمس ، متشابه الأجزاء لكون كل منه ذا حظ من قوة الإحساس إلا ما يكون من طبيعته بخروجه عن الإعتدال[٤] مثل الشعر والأظفار والحافر والقرن ، وأمثال ذلك الذي هو للحيوان إما زينة أو آلة لدافع المضار من خارجه عنه[٥] أو لجر المنافع ، ولما كان تشابه الأجزاء التي بها يكون حس اللمس في كل ذي حياة من المواليد ليقع بها الإحساس من الجهات كلها فيكون ذلك كالحارس والمنذر له في أوقات العوارض النفسانية التي منها النوم من الأمور المعينة من خارجه على فساده لينحفظ شخصه من الفساد بغاية الإمكان .

ومنها ما يكون له مذاق الذي به يكون الحس بالطعوم[٦] فله الإحساس بلمسه ومذاقه وليس له لا شم، ولا سمع ولا بصر، مثل العلقة والديدان ،

---

١ ــ في ن : مضار
٢ ــ في ن : شعار
٣ ــ في ك : اسمى
٤ ــ في ك : اعتدال
٥ ــ في ن : منه
٦ ــ في ن : بالطعم

وهذا النوع أكثر تركيباً في أشخاصه بحسب المزاج القابل للتركيب ، وأعلى رتبة من دود الطين والحلزون التي لها استمداد المواد بلا إحساس بطعمها ليكون بذلك أكثر طلباً للغذاء ، وأحرص على جمع ما يخلف به على بدنه للحاجة القائمة فيما ينحل ويضمحل من جسمه إلى أكثر مما هو أقل تركيباً منه .

ومنها ما يكون له الشم الذي يكون بالحس بالروائح[1] وليس له لا سمع ولا بصر مثل الخنافس والنمل ، وهذه الأنواع أكثر تركيباً في أشخاصه بحسب المتهيأ من المزاج القابل للطبع والفعل ، وأعلى رتبة مما له الملمس[2] والمذاق ليكون بذلك واجداً ما يحتاج إليه في تعويض شخصه عنه أكثر ، ويكون استكثاره من تحصيل المواد التي تجعلها قوة لجسمها أكثر بحسب تضاعف تركيبه وتضاعف انحلال أجزائه .

ومنها ما يكون له المسمع[3] الذي يكون به الإحساس بالأصوات ، ولا بصر له مثل الخلد ، وهذا النوع يجري مجرى غيره في جميع أحو ، ويتزايل، ومنها ما يكون له البصر الذي بـه يكون الإحساس بالألوان الأشكال ولا يكون له سمع مثل الذباب ، وهذا النوع أكثر تركيباً في أشخاصه بحسب مزاجه القابل ، وأعلى رتبة مما له الملمس والذوق والشم ليكون بذلك واسع المجال في الطلب إن لم يجد في موضع مطلبه شيئاً من معاشه قصد موضعاً آخر ليدرك مطلبه ويتسع رزقه، ولا يعدم ما يكون بعدمه إياه هلاكه .

ومنها ما تكون له المشاعر الخمسة[4] وهو أكثر تركيباً من سائرها وأكثر حيلة وأوفر حرصاً باستكماله الآلات التي بها ، وفيها كماله على طلب الملاذ وهو يسعى لها ليكون من ذلك التوليد وإنتاج المثل تدبيراً من حكيم عليم ، ثم

---

١ ـ في ن : بالروايح
٢ ـ في ن : الملس
٣ ـ في ك : السمع
٤ ـ في ن : الخسة

يترتب في الآلات التي بها صلاحه وملاذه التي ينطوي فيها بحصول مثله فمنها ما يستغني بنفسه عن طلب الذكران مثل الدجاج الذي يبيض بلا اجتماع مع الديك ، ومنها ما لا يستغني عن الذكران سفاداً وإنتاجاً ونكاحاً من الحيوان المعروف مثل الفرس والحمار والغنم والبقر والإنسان ، ثم يترتب في التوليد[١] فمنها ما يلد ومنها ما يبيض ، والذي يبيض منها مـا تكون آذانها مستورة خفية ، والذي يلد منها ما تكون آذانها خارجة ظاهرة ؛ ثم يترتب فمنهـا ماله اجتماع مع أشخاص نوعه مثل الكراكي في طيرانها والغربان في وكورها[٢] والزرازير التي لا تطـير إلا معاً وجميعاً ، ومثل الوز ومثل الإنسان الذي له اجتماع في طلب المعاش ؛ ومنها ما لا يجتمع كالبزاة والصقور وأمثال ذلك .

وإنما قلنا ذلك أجمع لإيجاب ميزان الديانة له بالموازنة والمطابقة[٣] فالذي يوجب كون الشريعة المبسوطة التي هي الملة الحنيفيـة التي هي آخر الشرائع أجل وأعلى رتبة من تلك الشرائع كلها المتقدمة عليهـا ، أن نوع الإنسان بما هو جسم الذي هو[٤] نوع الأنواع أشرف من سائر أنواع الحيوان ، ويوجب كون سنن الملة الحنيفية لتي بها يتقرب إلى الله تعالى أكثر من السنن والمناسك التي في سائر الملل المتقدمة ، أن تركيب نوع الإنسان وأجزائه أكثر[٥] من تركيب ســائر[٦] أنواع الحيوان وأكثر آلة : ويوجب كون الملة الحنيفية نهاية ليس وراءها نهـاية ولا شريعة أخرى تنسخها وتبدلها وتماما لا يحتاج معـــه إلى زيادة ولا نقصان ، أن نوع الإنسان في الخلق نهاية تنقطع دونها وجود موجود جسماني هو غيره . ويوجب كون قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في وجوده أولا في عالم الدين وأصلا عليه، بنى ما سواه من الأحـــكام

---

١ ــ في ك : المواليد
٢ ــ في ن : بكوارها
٣ ــ في ن : المتابعة
٤ ــ في ن : هي
٥ ــ سقطت في ك
٦ ــ سقطت في ن

والسنن والمناسك ، وكونه أولا متعلق بوجود الناطق الذي هو الاصل في تمام السنن والمناسك والحدود ، أن القلب من جسم الإنسان في وجوده أول ، وكونه أولاً متعلق بوجود النفس النامية التي هي الأصل في وجود باقي الأعضاء . ويوجب كون أبعاض الملة التي هي المناسك الظاهرة ستة : طهارة وصلاة وزكاة وصوما وحجا وجهاداً جميعها يتعلق بسابعها الذي هو سبب وجودها وهو الناطق الذي لولاه ما وجدت ، أن أبعاض الشخص ستة : رجلان ويدان ورأس وبدن يتعلق جميعها بسابعها الذي به وجودها الذي هو النفس النامية التي لولاها لما وجدت. ويوجب كون الملة بسننها ومناسكها وأعيان أعمالها عن النبي الذي هو السبب في وجودها والقيم بها وأنه ولد[1] العالم العقلي على ما بيناه من قبل ، أن نوع الإنسان بأبعاضه ونفسه ولد العالم الكبير الطبيعي ، فكما يوجد في العالم الكبير أفلاك محيطة وكواكب نيرة وأركان أربعة وجبال شامخة وأنهار جارية ونباتات متنوعة ومعادن مختلفة وغير ذلك مما يطول شرحه[2] فكمثله يوجد في العالم الصغير آلات مرتبة ومشاعر مضيئة مدركة وطبائع أربع قائمة ، وعظام صلبة ودم جار في العروق ، وشعر نابت ، وظفر ظاهر وغير ذلك مما تقدم شرحه في موازنة العالم بميزان الديانة ويوجب تقدم النبي صلى الله عليه وسلم على الوصي ، والإمام على الحجة في الشرف والرتبة ، أن القلب متقدم الرتبة على الدماغ . ويوجب كون الوصي تابعاً للنبي عليهما السلام أن الدماغ تابع للقلب ، ويوجب كون الحجة القائم مقام الوصي منه يجري مادة العلم في الحدود أن الكبد منقسم[3] للغذاء في البدن فمنه يجري الدم في سائر الأعضاء ، ويوجب كون الحجة تابعاً للنبي في نصرته وبسط شريعته وإثباتها[4] وموازنة أفعاله وشريعته بخلق الله تعالى وتعليم الحدود والمؤمنين في عالم

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : شروحه
٣ ـ في ك : لقسم
٤ ـ سقطت في ن

الدين ، أن الكبد خادم للقلب بما له من المواد . ويوجب كون داعي البلاغ قائماً بتأمل[١] أمور الدعوة والدين ظاهراً وباطناً وجاعلاً تفاسيره فيما يرد عليه ويجده من الأمور الدينية المحيرة على صيغة إذا ما أوردها على الحجة قبله منه وأجازه ، وفرق بينه وميز ما كان فيه من شك وشبهة، وبينه وأخلص الخالص منه ، فجعله غذاء للأرواح في عالم الدين على منازلها ، أن المعدة هاضمة لما يصل إليها خادمة للكبد لتجعله دماً وتفصل بينه وبين المائية التي فيه لتحدره[٢] بولاً إلى المثانة بخدمته ، وتفرد الدم الخالص منه لغذاء البدن وترسله إليه على منازل[٣] الأعضاء في لطافتها وكثافتها . ويوجب كون الدعاة بأسرهم خدماً لداعي البلاغ فيما يوردونه عليه من المسائل فيجعلونها سبباً لحصول ما يصل إليهم عنه من المنفعة كما يصير الممضوغ الذي لا ينتفع به في مضغة الفم والأسنان وغيرهما منفعة لها إذا وصل الممضوغ إلى المعدة وهضمته وأدته إلى الكبد فصار دماً خالصاً ، عزل ذلك الدم فيصير غذاء لها وقوة ، أن الفم والأسنان، والفكين واللسان، طاحنة للأغذية عوناً وخدمة للمعدة، فيعود إليها ما تنتفع به من جهة الكبد المخدوم بالمعدة . ويوجب كون المتعلق بالعبادتين علماً وعملاً أكثر معارف في الدين وأكثر آراء فيه من المتعلقين بالعبادة الظاهرة المتعلقة بالعمل وحده ، أن الحيوان بما له[٤] من آلات النماء والحس، أكثر أجزاء وأكثر تركيباً وأوفر آلة، ويوجب كون وجود التضاد في الحيوان أكثر من وجوده في النبات ، أن وجود المعرفة والإعتقادات المتغايرة في أهل العبادتين أكثر مما يوجد في أهل العبادة الظاهرة فقط ، ويوجب كون توفر العناية من الحدود العالية بأهل العبادتين أكثر لما يحدث في النفس بكونها تابعة لمزاج جسمها من الآراء الكثيرة والاعتقادات الردية[٥] والضلالات المردية ، وقصدها لحفظ

---

١ ـ في ن : يتأول
٢ ـ في ن : لتحده
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ في ن : لها
٥ ـ في ن : الرديئة

النفس من الهلاك بعد وجودها بالامور المنصوبة المتقدمة[١] عليها أصدق نصباً حدوداً خمسة : ناطقاً يقنن ، وأساساً يبين ويشرح ، وإماماً يحفظ ، وحجة يعلم ، وداعياً يدعو ويرغب ؛ يحرسونهم من الآراء المهلكة ، ويحفظونهم من الضلالات المردية ويدلونهم على ما فيه الرشد والهداية لهم ، أن الحيوان بكون التضاد في أجزائه أكثر فوهب الله تعالى له مشاعر خمسة تكون له آلة في حراسة أشخاصه وطلب منافعه . ويوجب كون أهل العبادة الثانية ذوي علوم وكل علم ذو شعب وآراء وكل بحسب ما حصل من إفادة المعلمين ، أن أجسام الحيوان ذوات أبعاض وكل بعض ذو أجزاء، وكل جزء ذو تركيب بحسب تأثير المؤثرات . ويوجب كون الداخل في بيوت العبادة باستجابته إليها قريباً من المعرفة لأمثاله من أهل العبادة الباطنة بما يشاركهم فيه منها ، وهو مشترك بينهم وأقلهم مرتبة ، أن النوع الأول من الحيوان يشبه النبات من جهة ويشبه الحيوان من جهة وهو أدونهم طبيعة . ويوجب وجود أهل العبادتين في بيت[٢] العبادة من أهل الذمة وأهل العبادة الظاهرة جميعاً ، أن وجود الحيوان من المزاج الموجود عن الأركان واختلاط أجزاء النبات به معاً . ويوجب كون الدعوة النبوية مبدأ لوجود الصور[٣] الروحانية في عالم العقل ، أن ظهور صور أجسام البشر في عالم الطبيعة من الأرض التي هي مبدؤها . ويوجب كون كيفية المعارف من جهة التأييد والوحي لا على ما عليه كيفيتها من جهة التعليم ، أن صورة البشر في بدء وجوده[٤] من الأرض كانت لا على ما هي عليه الآن من جهة التناسل . ويوجب كون ما يكون من المعارف بالتأييد والوحي مجملاً أولاً ثم مفصلاً ثانياً أن صور البشر كانت في وجودها من الأرض دفعة واحدة ثم من بعد ما انفصل كان بالتناسل . ويوجب كون النفس في الأمور من جهة

---

١ ـ في ك : المقدمة

٢ ـ في ك : بيوت

٣ ـ في ن : الصورة

٤ ـ في ن : وجود

التأييد والوحي (١) أوكد وأقوى وأصح ، مما يكون من جهة التعليم بتمثيل الأمثال وتشبيه الأشباه ، أن قوة البشر في أول وجوده من الأرض كانت أشد من قوته من جهة التناسل . ويوجب كون الحدود مترتبة في رتب العبادة فمنهم من ليس له من درجات الكرامة إلا درجة واحدة مثل الداعي الذي ليس له إلا رتبة الدعوة ويختص من العلوم بما تقدم شرحه مما يتعلق بالعبادة العلمية ، ومنهم من له فوق ذلك درجة وفوق فوق ذلك إلى أن ينتهي إلى الحد الذي له المراتب كلها مثل النبي الذي يجمع الفضائل كلها (٢) والمراتب ، أن الحيوان مترتب في مشاعر خمسة : فمنه ما له مشعر واحد، ومنه ما له اثنان ، ومنه ما له ثلاثة ، وفوق ذلك إلى أن ينتهي إلى الذي يجمع الكل وهو أفضل من سائرها الذي هو الإنسان ، ويوجب كون الحدود في بيت العبادة ذوي لذة واغتباط بالخطاب والمناظرة، فيكون عن ذلك التعليم أن مصير الحيوان طالبة للملاذ الحسية فيكون عنها الإنتاج والتوليد ، ويوجب كون بعض أهل العبادتين غير محتاج في بعض معارف العبادة العلمية إلى داع واكتفائه بما يجري بينهم من الكلام ، أن بعض الحيوان لا يحتاج في التوليد إلى معاونة الذكران مثل الدجاج . ويوجب كون بعض أهل العبادتين غير مستغن عن تعليم من فوقه إياه ما يتعلق بالأمور العقلية وعن تشبيه ما غاب (٣) عن الحس منها تمثيلاً بما يقرب على الأنفس معرفتها وتقريب الأمر عليها بذلك الذي به يصير حيواناً لدار الحيوان ، أن من الحيوان ما لا يستغني في التوليد والإنتاج عن الذكران من ذوات الأرجل الأربع مثل البقر والغنم وأشباهها ، ومن ذوات الطيران مثل الحمام والطاووس (٤) وأمثالها . ويوجب مصير العبادة الظاهرة سبباً لقوة النفس في المعارف (٥) الدينية وتهذيبها في أخلاقها وآرائها، وأمراً باعثاً إياها على

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : غب
٤ ـ في ن : الطاءوس
٥ ـ في ك : العلوم

طلب المسرة بإفادة الغير ممن هو دونها رتبة في المعرفة ، أن النبات سبب(1) لقوة الحيوان لحصول لطافته فيه فيقوى ويدعوه ذلك إلى الطلب للذة بالنكاح الذي ينطوي فيه توليد المثل . ويوجب استعلاء حد أرباب التأييد في بيت العبادة بما يفاض عليهم من بركات الوحدة ومصيرهم فضلاء ومتقدمين على الغير من أبناء جنسهم ممن قصرت رتبتهم في الوجود عنهم . وكانوا أولئك(2) فضلاء وهؤلاء بإضافتهم إليهم مفضولين ، أن البشر من قبيل مزاج جسمه بما يحصل له من فضل قوة الحرارة التي جعلها الله تعالى آلة في وجود الفضيلة يتقدم على غيره من أبناء جنسه ممن دونه مرتبة فيكون هو ذكراً ، وذلك بإضافته إليه أنثى ، فهذه قضية ميزان الديانة بموازنة تشهد بما ذكرنا . والحمد لله القاهر سلطانه ، الباهر برهانه ، الواسع إحسانه ، وصلى الله على محمد العظيم شأنه ، الرفيع مكانه ، وعلى الأئمة من ذريتها الطاهرين وسلم تسليماً ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

---

١ ـ في ن : تسبب
٢ ـ في ن : الثلك

المشرع الثامن

« في الحيوان بما هو نفس حسية ووجودها، وكيفية وجودها؟ ووجود معارفها التي لها لحفظ جسمها؟ وما حالتها[1] في كالها وقوتها وما مبدؤها ؟ وفي ماذا[2] توافق نوع الإنسان، وفي ماذا تخالفه؟».

●

قد سبق لنا من الكلام ما هو توطئة للإرتقاء إلى معرفة النفس الأمارة بالسوء التي تسمى نفس الحس، ونقول أولاً إنه لما كان ما لا تدرك ذاته وتحس فتعلم هَلِيَّتُهُ مطلوباً في إيجابه من قبيل أفعاله بكون أفعاله أظهر للحس منه من الفاعل، مثل الإحساس الذي هو فعل وهو يظهر لنا من ذات المحس أخذاً بما يسهل ويتم به المراد، وكان تيسير[3] المطلوب من هذا القبيل وحصول العلم به يوجب أن الأخذ بالأفعال أصل في إيجاب ما يخفي على الحس أمره في هليته، كان وجود الأفعال والحركات التي تبدو من الحيوان بآلاتها التي ليس لذواتها ما يقتضيها ولا لها منها ما يدخل في حدها، الذي به هي ما هي أعدل، دليل على وجود النفس، فلها بوجود ذلك أكبر دليل — وقد بينا ذلك في كتابنا المعروف « بالمصابيح في إثبات الإمامة » ما فيه كفاية — وقد قلنا فيما سبق إن النفس النامية تحدث من بين الأجزاء اللطيفة[4] المستحيلة من الأرض بما بيناه من التأثيرات النافذة فيها على الأمور المركبة لذلك، وبين الأنوار الساطعة من الأجرام السماوية فيما دونها المؤثرة فيها،

---

١ — في ن : حالها
٢ — في ن : وفيماذا
٣ — في ن : سير
٤ — في ك : المتلطفة

حدوث[١] ما مثلنا بوجود السواد من بين العفص والزاج والنار الحادثة في الحديد من ترادف الطرق عليه والتأثير فيه ، فالآن نقول فيما قصدناه: إن ذلك المتلطف من أجزاء الأرض ليكون نباتاً إذا خالطته أجزاء النبات صار مزاجاً آخر متضاعفة فيه القوى سماه الله تعالى سلالة من طين ، فيكون التقاء تلك الأشعة الساطعة من الأجرام التي كان بها حدوث النفس النامية التي هي روح النبات بذلك المزاج المتهيأ[٢] المتكون من أجزاء الأرض وأجزاء النبات جميعاً ، الذي هو السلالة سبباً لوجود نفس يشبه حدوثها حدوث تلظي النار من بين الفحم الحاصل فيه الجمر واتقادها ، أو كاحمرار الحديد عن وقع الطرق عليه ناراً لا هي النفس النامية، بل هي ذات أشرف من تلك وأعلى رتبة منها ، حاوية لأمور تخلو النامية منها ، جامعة لفعل النامية والحسية جميعاً ، سبيلها في وجودها كذلك سبيل المائة من الأعداد التي تجمع مراتب العشرات والمائة جميعاً ، أو كسبيل الأدوية التي منها ما يختص فعله بعضو من أعضاء البدن نحو الأقراص[٣] التي تعمل في الكبد وحده وتصلحه إذا شربت ، أو الحبوب الفاعلة في الدماغ ، ومنها ما يعم فعله فيكون جامعاً للفعلين مثل المطبوخات وغيرها ، جارية من العقول الخارجة وأنوارها السارية في الأجسام كلها مجرى تلك الأجزاء المتلطفة من أشعة الأجسام المؤثرة بها التي بها كان حدوث نفس النبات فتفعل فيها فتحصل عنها لها بتهيئتها[٤] وقبولها منها أضعاف قبول النامية ، معرفة بمصالحها التي هي الكمال لها ، بها تطلب ما يوافقها جملة ، وتهرب[٥] مما يضادها وينافرها ، وكذلك حصول الألوان صفرة وحمرة للفواكه الصائرة في الوجود عن الشمس عند إدراكها وبلوغها كمالها ، فهي بحسب طبيعتها ومزاجها تنفرد بعادات وأفعال لا تستحيل عنها طبعاً لا باختيار ولا فكر ولا اعتبار ، فتشبه

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ن : اقراص
٤ ــ في ن : بتهيؤها
٥ ــ في ك : وتفر

في أفعالها النيران في « إحراقها وإسخانها[١] » ، والمياه في ترطيبها وجريانها بلا علم ولا اختيار ، وتستغني في جميع ذلك عن علم معلم باكتفاء ذاتها بما حصل لها عن الأمور الخارجة كالاً لها ، وتدرك الأمور المحسوسة بالآلات المهيأة لها في حد إدراكها من غير أن تثبت صورتها في ذاتها فيكون لها فكر فيها ، وإنما صارت النفس البهيمية لا تقبل الصورة ولا تثبتها لكونها في جبلتها من مزاج شبيه مزاج الحياة النامية ، وإن كان أشد قوة وأعلى رتبة فهو أقرب إلى الأركان مما بعد منها من مزاج البشر ، ولم يحصل لذلك المزاج باختصاصه بما لم يختص به ما يكون وجود ما يوجد عنه على أمر به يكون قابلاً وحافظاً بذاته في أنه بكونه دون ما ينهض[٢] لقبول ما يزول به نقصانه مرتبة ، فكان غايتها في وجودها أن تكون فوق الحياة النامية رتبتها ، ولم تكن بالرتبة فوق النامية إلا أن تكون – لكونها في المعاني التي بها النامي يكون نامياً – ذات حال أشرف منها ، بأن يكون ما للنامي من طلبه للمادة التي[٣] يحفظ بها جسمه من عمق الأرض لهذه في وجودها من فوق الأرض ، وما له من إرسال عروقه يمنة ويسرة ، كذلك في بطن الأرض وهو ثابت لهذه حركة انتقال في الجهات فوق الأرض ، وما كان له ضيق في طلب المادة فلا يكون له إلا موضع واحد من الأرض لهذه سعة بآلاتها الكثيرة في طلبها وانتقالها إلى مواضع كثيرة من الأرض ، وما ليس له من الأمور المعينة على تحصيل المادة وحفظ جسمه مما يفسده من خارجه لهذه الحواس التي هي كالحراس بها تحفظ جسمها ، فكانت في حالها وتكوينها غير قابلة للصور ولا مثبتة إياها في ذاتها على هيأتها من الموجودات المشابهة تشبيهاً ، كالكاغد المعمول من الأجزاء المهيأة لأن

١ – في ن : « في حرقها وتسخينها »
٢ – سقطت في ن
٣ – في ن : الذي

يكون كاغداً على الميزان الذي له الحاصل في الوجود أولا من جهة صانعه الذي هو الكاغدي، وليس له ما يحفظ به الخطوط والصور التي تودع ذاته على هيأتها ما لا يكسبه قواماً من ماء الأرز والنشاء، ولا ما يعينه على حفظ ما يودع صقالا بالفهر وتسوية لأجزائه الظاهرة المانع من التفشي وبطلان صور الخطوط إذا كتبت فتفشي ما يكتب عليه من ذلك ويبطل أعيانها، فيكون وجوده في هذه الرتبة من كونه كاغداً لأن يكون صالحاً [1] لما يجعل فيه حافظاً جامعاً لأجزائه مانعاً إياها من التبدد لا لأن يقبل الخطوط على ذلك، فهي في الوجود في رتبة لا تقوم لإثبات الصورة، ولا تقوى عليه ووجودها لأن تكون كمالاً لجسمها وكافياً بما حصل لها بالطبع من المعرفة في حفظه.

ثم لكونها في الوجود في أول ما يكون حياة وكونها رافداً ومعونة للجسم الذي هو أليق بها من كونها قائمة بذاتها، وهي من الجهل وخلو الذات على أمر لا يقوم لذلك، فصار وجودها كذلك وجوداً مفرداً [2] كان به لها الأنواع، ولذلك لما حد العلماء النفس التي هي نفس الحيوان الذي منه نوع الإنسان حدوها فقالوا: «إنها كمال لجسم طبيعي آلي» فكان هذا الحد حداً عاماً من قبيل أشخاصها، وذلك حال أنفس البهائم والسباع والطيور، وباقي أنواع الحيوان التي نقول إنها ليست هي قائمة بالقوة، فيكون لها بخروجها إلى الفعل مزيد شرف، بل هي في نوعيتها غاية صار ما حصل لها عن الأمور الخارجة - التي شبهناه بالألوان حمرة وصفرة التي تصير للفواكه عن الشمس عند إدراكها - كمالاً ثانياً كانت به قائمة بالفعل، ولذلك صارت أفعالها دائمة لا تتغير، وأصواتها كذلك على حالة واحدة لا تستحيل ولا تتبدل، كأنواع النبات في تفرد كل منها في فعله

---

١ - في ن: صالح
٢ - سقطت في ن

وإخراج ثمره بما لا يتغير عنه ، وكأنواع الأجسام في اختصاص[١] كل منها بفعل فلا يستحيل عنه لكونه نهاية فصار كذلك ، وصار كالاً له ثانياً .

فأما حال نفس الإنسان فإنها وإن كانت من نوع الحيوان فليست بكونها قائمة بالقوة لا قائمة بالفعل مثلها ، وإنما كانت كذلك لأجل أن وجودها لا لأجل جسمها مثل أنواع الحيوان فقط بل ولأجل ذاتها وذلك أنها غاية إليها انتهت الخلقة ، وكانت في وجودها حين دارت رحى التناسل على حسب ما ذكرنا ، جامعة إلى ذاتها قوى النبات وقوى الحيوان باغتذائها منها ، فقامت بالآلات المعدة لها والأغذية الواصلة إليها مقام الأرض التي من أجزائها وأجزاء النبات حدوث روح النبات والحيوان، فصار وجودها عن اللطيفين اللذين أخرجتهما الطبيعة نباتاً وحيواناً ، وبعدت عن الغلظة والظلمة الطبيعية أفضل بعد ، فتهيأت تهيأ أعظم مما سبق في وجودها الأول ، فتضاعفت قواها التضاعف المذكور في باب النبات والحيوان جميعاً ، فحصلت كالنوع العالي إخوانه من كل جنس المجاور لأنواع الجنس الذي فوقه الكائن نهاية له ، الجامع لما يناسب به كلا الجنسين مثل الجص الجامع لما يناسب به الأرض والمعادن جميعاً ، ومثل المرجان الجامع لما يناسب به المعادن والنبات جميعاً ، ومثل شجرة الوقواق والأصداف والنخل الجامع لما يناسب به النبات والحيوان على ما سبق به الكلام ، ولذلك يقال إنها نوع الأنواع ووجودها لا لأن تكون كالاً لجسمها فقط ، إذ لو كان كذلك لكانت تبطل ببطلان جسمها مثل أخواتها ، ولكانت الزيادات في الآلات والتركيب لا معنى لها ، ولكانت لا تعدو معارف نفس الإنسان العلم[٢] لمصالح جسمها مثل أخواتها بوقوع الاستغناء عما سواه الذي هو فضل ، ولكانت الحكمة ناقصة ببطلان ما كان ممكناً وجوده منها ، فببطلان هذا وثبوت ذلك ثبت أن وجودها لا لأجل جسمها فقط، بل لأجل أمور هي لها لأجل ذاتها ، فهي بذلك قائمة دون منزلة هي

---

١ ـ سقطت في ك

٢ ـ في ن : العالم

فوقها ومنفصلة عن أخواتها من أنواع جنسها التي كل منها قائمة بالفعل، لكون كمالها لا بما كان لائقاً بالأنفس في حفظ أجسامها بل كمالها لأمور هي لأجل ذاتها لا لأجل جسمها، وهي غير المعارف الحية الطبيعية الحاصلة لها ولأخواتها فبكونها كذلك هي بالإضافة إلى ما فوقها من الأمور الخارجة قائمة بالقوة محتاجة في نيل كمالها الثاني قياماً بالفعل إلى رياضة وعناء واكتساب، واقتداء فيه بالمؤيدين من السماء كذلك، وأفعالها تتغير وعاداتها تستحيل وتتبدل وذلك حكم ما يكون قائماً بالقوة إذا كانت بذلك ناقصة عن كمالها خالية منه، ولم تكن قائمة بالفعل مثل أنفس الأنواع الباقية من الحيوان فتكون أبداً في أفعالها على حالة واحدة، على أنها إذا قامت بالفعل ونالت كمالها لم تكن أفعالها إلا على صيغة واحدة توجبها الفضيلة والطهارة والقدس، وبكون تلك الأفعال لذاتها لا لأجل جسمها فهي بذاتها بكونها خالص ما انتهت إليه أنواع جنس[1] الحيوان، وحاصل ما أخرجته الطبيعة محركها ومتحركها إلى الوجود كغيرها مما حصل من الأجناس بأجسام أنواعها لا بأنفسها من الأمور التي هي بالإضافة إلى أرباب الصناعات قائمة بالقوة وخروجها إلى الفعل كمالاً من جهة العقول الخارجة مثل الأخشاب الحاصلة من النبات التي هي قائمة بالقوة فكمالها من جهة النجار بما يودعها من صور صناعته، ومثل أجسام المعادن التي هي قائمة كذلك بالقوة وكمالها من جهة الصناع[2] الصائغ والصفار والحداد وغيرهم بما يودع من صور صناعاتهم، وسبيلها في وجودها التي هي كمالها الأول، وحاجتها في كمالها الثاني إلى غير ما كان به وجودها الذي هو كمالها الأول سبيل ما ذكرناه في باب النبات، تشبيهاً بالموجودات الصناعية التي يتعلق وجودها الأول بصانع، ووجودها الثاني يتعلق بصانع آخر غيره، فهي بكونها قائمة بالقوة تخالف تلك التي هي قائمة بالفعل ووجودها لأجل ذاتها لا لأجل غيرها، وأن ما

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : الصانع

هي[١] كالها أمور عقلية وحسية جميعاً ، وما هو كمال لتلك أمور حسية لا عقلية ، وأن أفعالها تستحيل وتتغير ، وأفعال تلك لا تستحيل ولا تتغير ، وأنها تتفكر وتثبت صور الأشياء في ذاتها ، وتلك لا تتفكر ولا تثبت صور الأشياء في ذاتها وأنها باقية بعد فناء شخصها ، وتلك فانية هالكة كالأعراض وأن حدها كمال لذاتها ، وحد تلك كمال للجسم ، وكما تخالفها في هذه الأمور من قبيل ذاتها توافقها من قبيل مزاجها في أفعالها لا تتم لها إلا بجسمها جملة من الغضب والانتقام، وغير ذلك مما تتعلق بصالح جسمها طلباً للغذاء ، وفي طلب ما يوافقها والهرب مما تكرهه مثل طلب الظل إذا اشتد بها الحر ، وطلب الشمس والدفء إذا اشتد بها البرد، وفي طلب النكاح واللذة الذي هو سبب الإنتاج وتوليد المثل ، وفي طلب الغلبة واستعمال الخيانة والحيلة وسائر الأمور الموجبة إياها طبيعية المزاج من الاستكثار مما يعود على جسمه بنفع ولذة .

فأما بدء وجودها فهي[٢] ونفس البشر فيه سواء ، وذلك أن النفس النامية وقواها أصل لها ولسائر أنواع الحيوان وعلة قريبة لها لولاها لما وجدت تجري منها مجرى الثلاثة من الأعداد في كونها علة لوجود الأربعة ، وكذلك الأربعة علة في وجود الخمسة وكذلك العشرات في وجود المائة ، فهي من هذه الجهة تناسبها وتشابهها ، إلا أن لنفس البشر في وجودها أحوالاً في تهيأ المزاج التي هي أعلى وأشرف من ذلك التهيأ الأول ، وذلك أن المادة القابلة في الرحم يتناهى بها الأمر في التهيأ واللطافة إلى حد تشابه من الموجودات المحسوسة دهن البلسان المستعد لحدوث النار فيه عند فعل الشمس فيه حرارة فيكون جسم المولود المهيأ فيه داخلاً بالقوة النامية كدهن البلسان المستخرج من شجرته ، فأنوار

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ك : فبهي

الأجرام المتحركة المملوء فيها الهواء والعالم منه كالشمس من دهن البلسان وحدوث الحياة فيه كحدوث النار في الدهن عن فعل الشمس فيه بإلتقائها مثلاً ، وإنما كان ذلك كذلك لكونها نهاية لا بعدها نهاية في وجود موجود آخر غيرها .

والذي يصحح ما أوردناه ويؤيد ما قلناه ما تشهد به قوانين الصنعة النبوية و ميزانها التي هي ميزان للديانة ، التي توجب كون وجود المؤمن العابد لله سبحانه في بيت العبادة الذي يجمع العبادتين جميعاً من نفس البشر لا من أنفس البهائم ولا من أنفس البشر[1] وحدها فقط بل وبما يحصل لها من بركات العبادة الظاهرة وقوتها ، أن وجود النفس الحسية لا من قوى الأرض الجامعة لقوى غيرها من الأجسام ، ولا من قواها وحدها ، بل وبقوى النبات جميعاً . ويوجب مصير[2] نفس البشر عابدة بالعبادة الظاهرة داعية إياها إلى شرف العبادة الباطنة فيحصل لها من معارفها ما هو يصلحها في عبادتها الظاهرة ، أن القوى الحاصلة من الأرض وأجزاء النبات جميعاً التي هي النفس – وبقبولها تأثير المؤثرات التي بها كان النبات أولا – تكتسب علماً ومعرفة هي مصلحة لجسمها . ويوجب كون أنفس البشر في بيت العبادتين بين منافق مثل المؤلفة[3] قلوبهم تكون أفعاله وأعماله فيها لحفظ حاله وماله وجاهه في طلب الدنيا فقط ، وبين مؤمن مستقيم الطريقة تكون أفعاله وأعماله لدنياه وآخرته جميعاً ، أن نفس الحيوان الموجود في دار الطبيعة بين نفس مثل أنفس البهائم والسباع والطيور وغيرها على مراتبها تكون أفعالها وأعمالها لجسمها فقط ، وبين نفس مثل أنفس البشر تكون أفعالها لجسمها ولنفسها جميعاً . ويوجب كون أنفس البشر التي لا تعلق لها بالسنن الإلهية والعبادات التي توجبها الشرائع والأوامر

١ – سقطت في ن
٢ – سقطت في ك
٣ – سقطت في ن

النبوية بكونها قائمة بعقد الرياسات وإقامة الأغراض في جمع الأموال وقتل الرجال حباً للغلبة والقهر والظلم والعسف ونيل الشهوات مثل البهائم والسباع بعيدة من الخيرات ولا حظ لها في النعيم الأبدي ، فأمرها في وجودها بعد الممات إلى الدثور ، أن النفس الحسية التي للبهائم والسباع بكونها قائمة لحفظ أجسامها وبلوغ أهوائها في أنحائها على ما يقتضيه مزاجها بعيدة من المسار العلمية الإلهية ولا حظ لها في الوجود بعد انقضاء جسمها وأمرها إلى الدثور . ويوجب كون المستقيم في عبادة ربه بالعبادة الظاهرة وإقامة أعمال مناسك دينه فلا تتغير أعماله وأفعاله فيها ، أو متى عمل عملاً منها كان عملها الثاني من وضوء وصلاة وركوع وسجود وزكاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك مما يتعلق بظاهر العبادة من الأعمال المفروضة والمسنونة مثل عمله الأول لا يتعداه، أن النفس الحسية البهيمية لا تتغيرعاداتها في أفعالها فهي على حالة واحدة ، ومتى فعلت من صوت وغيره كان ذلك منه مثل ما سبقه .

فهذه قضايا ميزان الديانة بالموازنة والمقابلة في استنباط الخفيات من الأمور التي كان مجيء الشهادة بها من جهة الوضائع النبوية ، ومراتب الدعوة والعلوم الإلهية هي الأصح والأعلى والأحق والأظهر والأولى. والحمد لله فاطر السموات والأرض، ومالك البسط والقبض، وصلى الله على تاج الرسالة وينبوع الفصاحة والجزالة ، محمد نبيه ، وعليّ وصيه والأئمة من ذريتها الطاهرين وسلم تسليما .

المشرع التاسع

(في نفس البشر بما هي حسية « وما ماهيتها[1] » وما الأمور التي تحدث فيها وتتبعها في الوجود كمالاً[2] أولاً بها يكون اكتسابها الكمال الثاني ، « وما علتها[3]؟» وما الغاية التي تبلغها في أفعالها؟، «وما الذي يجري منها مجرى المادة[4]؟» وما الذي يجري منها مجرى الصورة ؟ وما الذي يحدث فيها من آثار الاكتساب ؟ وما محلها من الموجودات؟ وأنها واحدة من جهة، وكثيرة من جهة)

●

قد قلنا فيما سبق في كيفية وجود النفس وفي أحوالها بما يقرب معه معرفتها ، ولا يصعب إدراكها له ، فلها أمور مثل التغذي والنمو والإختيار ليست لما وجدت عنه من الأمور الطبيعية والأجرام السماوية ، وإنما كانت كذلك لا لأجل تلك الأجرام السماوية بل لأجل هذه التي تجري منها مجرى القوابل ، والحال في وجود هذه لها وفيها حال الشمس التي تورث البشرة سواداً وليس في شعاعها سواد ، ومثل الغضب الذي يكسب البدن حرارة وليس الغضب بذي حرارة ، ومثل حجر المسن الذي يحدد الحديد وليس في نفسه حدة ، فهي في ذاتها قابلة ، وهي في وجودها من الصور والمعارف خالية ، ككون جسمها في وجوده عارياً من لباس ، وتحتاج إلى تربية نفسها كحاجة جسمها إلى مثل ذلك وإلى مدة واتفاق ومعالجة ، وسعادتها في التصور والإكتساب بحسب ما يتفق لها ، كسعادة جسمها في السعة والجدة بحسب ما يتفق ، وهي في الأصل من مبدأ وجودها جاهلة والجهل خلو

---

١ ـ في ن : « وما حالها وما هي ؟ »
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ سقطت هذه الجملة في ن

الذات من حقائق المعلومات ، وهي في أمرين هي في أحدهما أحسن حالاً من الآخر وأشرف، فالأشرف هو الجهل الذي عليه وجودها من خلوها من صور المعلومات ، والأخس هو كونها متصورة من صور المعلومات بما يضادها ويخالفها ، وهذا هو البلاء والمحنة العظمى ، ولذلك تكون العامة والأوغاد التابعون أحكام المزاج إلى قبول قول الأشرار ومن يشير عليهم بالفساد وبما يؤديهم إلى هلاكهم أسرع من قبولهم قول الفضلاء والأخيار المؤدي إياهم إلى سلامتهم ، وكونها خالية من صور محسوس ومعقول جملة ، عاطلة منها تجري في خلوها من ذلك مجرى الكاغد الأبيض أو اللوح الغير المكتوب ، أو الحواس في خلوها مما شأنه أن يدرك ، وليس لها معرفة إلاّ بما توجبه طبيعتها من مزاجها مما يتعلق بأمر بدنها، وذلك لكونها قائمة بالقوة وهي في رتبتها هذه كالمادة جوهر بالقوة مستعدة لأن تقبل ما به تتم ذاتها ، ولكونها كذلك خالية من المعارف قال الله تعالى: « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً(١) » وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله: « كل مولود يولد على فطرة الإسلام وأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه» موجباً بذلك أن نفس البشر إذا حصلت في الوجود فوجودها وجود خالص فرد حر لا صورة لها ولا علم ولا اعتقاد ولا فكر ، وإنما حصلت ذات اعتقاد ومعالم بتعليم المعلمين الذين أقربهم إليها الأبوان ، وبحسب معرفتها يعلمانها فتصير إن كانا مجوسيين مجوسية ، وإن كانا نصرانيين نصرانية، وإن كانا يهوديين يهودية ، وإن كانا مسلمين مسلمة ، ولو كان للنفس في بدء وجودها صورة في ذاتها بمعنى علم غير ما يتعلق ويختص بمصالح جسمها طبعاً لكان الطارىء عليها بالحاصل لها ما لا تقبله ويتعوق عليها قبوله ، إذ من شأن ما يقبل الصورة أن لا يكون له في ذاته شيء منها وإلاّ كان مانعاً ما فيه عن قبول وارد عليه هو غيره ، كالمعلوم من أمر حاسة السمع أنها إذا كانت مشغولة بصوت لم يكن لها قبول لصوت آخر تفهم معناه ، وأمر الفص المشغول بنقش عليه أنه لا

---

١ – سورة ١٦ آية ٧٨

يقبل نقشاً آخر إلاّ بزوال الأول ، والماء إذا شغل بلون الحمرة أنه لا يقبل لوناً آخر على هيئته ، فهي خالية وفي ذاتها هي حياة حادثة من الأمور الطبيعية على ما ذكرناه .

فإن كان يقال عليها إنها نفس أو روح فالمعنى الذي به هي هي هو حياة ، والإسمان يصحان ولا يتعديانها ، والنفس بالحياة هي نفس ، وكذلك الروح ، فإن أزلنا في الوهم عن الإنسان الحي القادر العالم علمه لم تبطل قدرته وحياته بزواله، وإن أزلنا عنه حياته زال بزوالها العلم والقدرة وجميع الأمور المتعلقة عليها وبها وجودها ، وبكونها جامعة لهذه الأوصاف وقابلة لها على ذلك هي الأصل في وجود غيرها، ولا يتقدم عليها غيرها فهي الحياة الموجودة من عالم الطبيعة بالآلات المنصوبة التي أوجبتها الحكمة الإلهية القابلة لما لها أن تقبله من الصور المشابهة للحياة الإبداعية الأولة المذكورة في صدر كتابنا هذا، وهي في رتبتها هذه لا تستحق أن تكون جوهراً بالفعل ، إذ الجوهر ما قام بذاته ، وهذه لا تقوم إلاّ باكتساب ما تصير به غير ما هي ، ولا تستحق أن يقال إنها عقل قائم بالفعل ، وإن كان يقال على البشر إنهم عقلاء ، فلكونها في هذه الرتبة قائمة بالقوة وستصير باستعمال المناسك والأعمال والسنن الإلهية المفروضة في الملة عقلاً بالفعل فتكون حينئذ عاقلة بالحقيقة ، وإنما يقال عليها إنها نفس لحصول الأفعال عنها بحسب مزاجها وطبيعتها الأولة ، فأما إذا كانت الأفعال تصدر عنها بحسب الإرادة الموجبة كيفية انبعاثها لاكتساب السعادة ومجانبة أسباب الشقاوة فهي عقل حينئذ لأنفس ، وقد نالت باكتسابها ما نقلها من رتبتها الى غايتها ، ولذلك هي آخر الموجودات ونهايتها الثانية ، كما أن تلك الحياة الإبداعية التي هي العقل الأول أول الموجودات ونهايتها الأولة ونهاية دائرة الخلق ، وقامت قضايا الحكمة مسفرة عن كمالها ، وصارت هذه الحياة لما كانت في وجودها منتهية إلى الحد الذي يناسب ذلك الأصل الأول من أصله ومكانه ومفاضاً عليها، فقامت هذه بالقبول ، وتلك بالإضافة والوصال ،

فاتحدا على ما يأتي الكلام عليه ، والأمور التي تحدث فيها فتكون كالها مما يقوم ذاتها لنيل كالها الثاني ، فهي أفعال توجد عـن علة لهـا موجبة لازمة لذاتها بها تصدر تلك إلى الوجـود وتسمو إلى الشوق ، وذلك لها اسم كلي ، وعند كل مشتاق لها اسم مفرد يختص بما يقتضيه ، فأما الشوق فكونه علة للأمور التي بها تحدث موجبة ، ولكون النفس في ذاتها قائمـة بالقوة ناقصة محتاجة إلى ما تسعد به من المعارف التي فيها كالها ، ولحاجتها الحاصلة في ذاتها بنقصانها ، ولكونها حسية تدعوها إلى مـا يزيلها ، وتلك الحاجة هي الشوق ، فالشوق لهـا حاصل على هـذا النحو لكنه كهي بالقوة ، وعنـد التقاء حواسها بمحسوساتها تتقوى وتشتعل نارها ، وتضطرم فتصير [١] بالشوق قائمة بالفعل مبعوثة منه على إصدار الأفعال التي توجبها قضاياه في كل حال من ذاتها ، فهو بالرتبة متقدم على ما يحدث في النفس مما هو غيره مـن الأمور التي بها يتم القيام للاستكمال ، وإن كان قيامه بالفعل يقـترن بحصول الحس بالفعـل فيه ومستحق بحسب المشتاق أسام مثل النفس في استحقاقها عند أفعالها أسام فإن كان المشتاق هو المـلاذ فهو الشهوة ، وذلك مما يختص بالنامية والحسية [٢] جميعاً المتعلقين بالجسم ، إذ ذلك من الأمـور المعينة على حصول المـادة لحفظه ، وهي تنقسم الى أمور كثيرة لكل منها اسم يخصه مثل الشهوة إذا كانت إلى الطعام فهو الجوع ، وإذا كانت إلى المـاء فهو عطش ، وإذا كانت إلى الجمـاع فهو شبق ، وعلى ذلك مثاله ، وإذا كان المشتاق هـو الإنتقام فهو الغضب ، وهذا لا يوجد في كثير مـن الحيوان مثل الديدان وأشباهها التى خارج أجسامها محفوظ بمـا هي فيه من الأمور التي توافقها ، بل يختص منـه بالحيوان الذي هو أعلى درجـة منها في أمزجتها ولطافتها واعتدالهـا ، وقبول ذلك من خاص أفعال المزاج الذي يختص بالحسية قياماً بحفـظ

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : الحساسية

جسمها وذاتها جميعاً ، أما جسمها فما يفسده بضرب من الضروب من وارد عليه من خارجه ينافره ويضاده دفعاً وتولياً ، ولذلك أسماء بحسب الغضب والفعل الصادر عنه ودرجته فيكون ذلك شكوى وعتباً وموجدة وعداوة وبغضاً ، وما يصدر عن ذلك من الأفعال إن كان من قدرة فشتماً وضرباً وحبساً وقتلاً وتنكيلاً ، ومثل ذلك ، وإن لم يكن قدرة فهرباً وتولياً وحقداً ومثل ذلك ، وأما ذاتها فما يهلكها ويوبقها ، ولذلك أسماء بحسب الغضب والفعل الصادر عنه فيكون عنه الأمور القبيحة التي تهرب النفس منها وتأباها هو الأنفة ، وعند الأمور التي يلزم بها العيب والذكر القبيح هو الحمية ، وعند الأمور التي تلزم بها الضعة والخمول هو الإمتعاض ، وعند الأمور المنكرة التي تعود بضرة الذات كراهية لها وتعييراً منها بما أمكن ، وامتناعاً من الرضاء بها هو الإحتساب والجهاد والإكتساب ، وعلى ذلك أمثاله ، وإذا كان المشتاق هو الفوز بالسعادة علماً بالعلل السابقة وعملاً بالمفروض من الطاعة والعبادة ، فهو إرادة تصدر عنها أفعال ، ولكل منها اسم كذلك ، فعند الإنبعاث لما تعلم من الخير فيه لرد الأشياء والودائع إلى أربابها وترك الخيانة فيها هو الأمانة ، وعند الإنبعاث للقيام بأوامر الله والمحافظة عليها في كل باب هو ديانة ، وعند الإنبعاث للقرب إلى الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله: « أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً » وشغل النفس بمناجاة ربه والخشوع له هو صلاة ، وعند الإنبعاث لما يعمل من الخير في الخروج من حق الله تعالى لوجهه الكريم لا رياء ولا تكلفاً هو الزكاة ، وعند الإنبعاث لمنع النفس[1] من هواها هو العفة ، وعند الإنبعاث لجهاد النفس ومعاندتها في أحكام الله وسننه وفرائضه ورياضتها بالأوامر والنواهي الإلهية هو الصوم ، وعند الإنبعاث لمشابهة حدود الله من أنبيائه ورسله

١ ــ في ك : الانفس

والملائكة المقربين في مشاهدة بيت العبادة وقضاء المناسك فيها هو الحج ، وعند الإنبعاث « لطلب الخيرات [١] » من الله هو الدعاء ، وعند الإنبعاث لتقرير الحق مقره هو العدل ، وعند الإنبعاث لإغاثة مظلوم هو الرحمة ، وعند الإنبعاث لتسوية الإقدام وأخذ الحق من الظالم للمظلوم هو الإنصاف ، وعلى ذلك أمثاله وأضداده بحسبه لها أسماء ، فأما هذه الإرادات فتكون من النفس آخراً بعد تقدم أمور في وجودها لها فقامت لمصالح ذاتها تتميماً وتقويماً فتكون[٢] من خاص أفعالها لذاتها لا لأجل جسمها . وأما أضدادها فتكون من أحكام المزاج أولاً الذي يوجبها كيفيته لذات النفس الموجودة عنه التي لم تلتزم بشرائط الملة والشرائع ، ولا عملت بها فكانت تابعة لأمرها ، وكان الشوق الذي هو كناية عن حاجة النفس بذلك منقسماً إلى ما هو شهوة ، وإلى ما هو غضب ، وإلى ما هو إرادة ، وبهذه الثلاثة تقوى النفس وتكمل لإصدار الأفعال اكتساباً إما بالوفاق أو بالنفار ، أو بالطلب أو بالهرب ، أو بالإيثار أو بالكراهية ، أو بالمحبة أو بالبغضاء ، أو بالصداقة أو بالعداوة ، أو بالخوف أو بالأمن ، أو بالرضا أو بالسخط ، وتنشأ منها الأخلاق التي بحسبها تكون كيفية الأفعال على ما ذكرناه في « كتاب عالم الدين » وكتاب « تاج العقول » على أن كل أمر من ذلك يوجد شيء منه بعد شيء ، والكمال عند الإنتهاء الذي يبطل به منها ما له أن يبطل للمعلوم أن الشوق إذا كان عن حاجة ونقصان ، وبطل الحاجة والنقصان بحصول الكمال ، بطل ببطلانها الشوق الذي كان عنها وجوده ، إلا ما كان يتعلق بذاتها من شوقها الى الإحاطة بما لا قدرة عليه ، وقيامها به على ما يقتضيه كونها شائقة من تقديس وتهليل وتعظيم وتكبير ، وهو الغاية العظمى ، وذلك يكون إذا كانت مرتبته مرتبة العقول العاقلة ذواتها ، « وهي عاقلة ومعقولة

---

١ ـ في ن : « في طلب خيرات »
٢ ـ سقطت في ك

وعقل[١] » ، والنفس بحصول هذا الشوق لها تنهض بما هي محتاجة إليه من الصور طلباً لتامية ذاتها فيحدث بها الإحساس بالمحسوسات التي هي من خارجها ومن طبيعتها وبتصورها تمامها الأول بما هيأ من الآلات المعدة في جسمها التي بها وبواسطتها تتم وتكتسب ، وهي في ذاتها على ما ذكرنا من قبل مثلاً كالكاغد الأبيض المسقي بماء الأرز والنشاء الخالي من الكتابة المهيأ لقبول ما يلقياه ، وقبولها لصور المحسوسات يكون بوسائط خارجة أقيمت لكونها والمحسوسات غير كافية بذواتها أن تكمل إلاّ بمثلها ، فما كان بالعين فالوسائط التي بها يتم ذلك لقبول الهواء والضوء فينطبع فيه من الصور والألوان والكيفيات ، ما يتأدى إلى القوة الباصرة التي هي للقوى الباصرة في العين بمماسة سطح الحدقة ومحاذاته إياها فتحس بها وتلمع فيها وتنصبغ ، ولولا الضوء لما كان لها من الكفاية ما يتم به مواصلتها ، فالعين إحدى الحواس لها بها تقبل ، وذلك يسمى من النفس اصطياداً إلى داخل ، وما كان بالأذن فالهواء هو الواسطة وحده بمماسته وانتهائه من الأذن إلى المسمع[٢] حيث إذا تحركت أجزاؤه أحست النفس فلا تحتاج في ذلك إلى ضوء ، والأمر في الإدراك من القرب والبعد يتعلق بقوة الصوت المحرك لأجزاء الهواء . وما كان بالشم فالواسطة هو الهواء لكن لا يحمل الهواء الروائح من دون الشم ويكون بحسب حدة الروائح ونفوذها في الهواء ، وما يتعلق بالذوق واللمس فلا يحتاج إلى واسطة الهواء بل يتم ذلك بالمماسة فذلك كله اصطياد إلى داخل ، وهي في حالها هذه غير مشابهة لما يكاد يحصل لها من صور المحسوسات ، كما أن الصور المحسوسة غير مشابهة لها ، وليس كونها كذلك لتضادهما في جوهريهما بل لكونهما ناقصين ، ولحاجة أحدهما في أن يكون قائماً بالفعل إلى الآخر بكونهما قائمين بالقوة ، فإذا التقى الحاس والمحسوس من جهة الحواس وأدركت الحاسة محسوسها لقبولها صورته واتصال أحدهما بالآخر تشابهاً وصارا قائمين بالفعل ، هذا حاس بالفعل ،

---

١ – في ك : « عاقلة هي معقولة وعقلا »

٢ – في ك : السمع

وذلك محسوس بالفعل مثل الحديد والنار اللذين ليس واحد منهما يشابه الآخر في الكيفية ، فيكون الحديد لقبوله صورة النار مثل النار ، والنار بفعلها في الحديد مثل الحديد ، وليس النار هي التي حصلت في الحديد بل فعل النار هو الذي حصل في الحديد فصار به كالنار ، ومثل الثوب الأبيض والزعفران الذي لا يشبه أحدهما الآخر ، فإذا قبل الثوب الأبيض صبغ الزعفران بوساطة الرطوبة الموصلة إياه إلى أعماق الثوب صار أصفر مثله ، وليس الزعفران هو الذي صار في الثوب بل فعله الذي هو الصبغ حصل فيه فصار كالزعفران ، فتصير النفس الحسية إذا قبلت الصور المحسوسة وقامت لها بالفعل وكانت كهي بتشابهها واتصالها واحداً ، ولم تكن تلك الصورة المقبولة المحفوظة في الذات كما كانت في المحسوس أولاً ، بل هي في هذه الحالة مفردة عن تلك المادة منتزعة وأمر به هو كمال أول للنفس ، وعند هذه المرتبة بتفرد ذاتها بهذه الصورة قد ارتقت عن مناسبة البهائم والسباع ، وهي في سلوك طريق التشبيه بما فوقها ومناسبة على غاية تكون في تجاوزها بالإستفادة عقلاً مستفاداً مكتسباً ويكون الذي يجري منها مجرى المادة هو الحاصل في الوجود عن المزاج الطبيعي بحسب ما ذكرناه تشبيهاً ، والذي هو منها كالصورة هو المكتسب من قبل الحواس من المعارف وبركات العمل بسنن العبادة التي هي أسباب في تقويها وأن تجعلها جوهراً باقياً لاتصالها في ذلك إلى ما هو باق ، وبحصول ذلك لها يحدث فعل يسمى التخيل ، وذلك أن الحس إذا تحرك لقبول صور المحسوسات من خارج صار قبوله لذلك علة لوجود التخيل الذي هو الفعل في الصورة المقبولة وكيفياتها المحفوظة لذاتها ، وصارت الصور الحاصلة في ذات النفس المصطادة بالحواس التي صارت والنفس شيئاً واحداً ، وكانت كمالاً لها أولاً ، موضوعاً للنفس تعمل فيها وتركبها وتوازنها وتمام هذا الفعل واستكماله عن الإحاطة بهذه الصورة المقبولة ، كما أن الحس تمامه واستكماله عن المحسوسات وكون هذه الصورة المحسوسة لها كمالاً أولاً ككون الطول والعرض والعمق كمالاً أولاً لما يكون جسماً ، وكون صور المعقولات ذواتها بذواتها كمالاً ثانياً

ككون الصور الصناعية والكيفيات كلها للجسم كمالاً ثانياً فهي منها – أعني الصور الحاصلة عن المحسوسات داخلا – موضوع لها من ذاتها تعمل فيها بذاتها تخيلا وتشابيهاً ، والإحساس والتخيل فعلان من النفس ، فمن جهة فعلها في المحسوسات وإدراكها إياها من خارج هو إحساس ، ومن جهة فعلها في هذه الصورة الحاصلة عن المحسوسات على أنها محسوسات لها وإن كانت المحسوسات غائبة عنها هو تخيل أحد الفعلين خارج والآخر داخل ، وهي في أحدهما أشرف حالاً وأعلى درجة فإن فعلها في المحسوس الذي هو صورة ومادة وهو خارج النفس فعل في جسماني ذي[1] مادة ، وفعلها في ذلك المفرد من هيولاه ومادته الذي هو صورة المحسوس وهو داخل فعل روحاني مجرد عن الهيولى ، فشرفها من قبيل كونها في هذا الفعل مستغنية عن الإستعانة بالحواس وعن جسمها جميعاً ، وكونها في ذلك الفعل غير مستغنية عن الإستعانة ، والفعلان واحد لكن بتغاير الموضوع يصير فعلين .. على أن التخيل الذي هو الفعل في الصور المنتزعة ليس يكاد يفارق ذات الحس بكونه من نتيجته في أول التقائه بالمحسوسات فهو فاعل مع الحس، وكما يفعل الحس خارجاً فيفعل داخلا الذي هو التخيل للمعلوم بأن الذات القائمة بإصدار الفعلين واحدة، ولا يكاد يكون الحفظ والفكر اللذان هما من فعل التخيل الذي هو الفعل من داخل غير موجودين ، والإدراك والفهم اللذان هما من فعل الإحساس الذي هو الفعل من خارج موجود ، بل الحاجة إلى هذا كالحاجة إلى ذلك ، والفعل من كل الجهات ثابت لا يتقدم الواحد الآخر إلاّ في الرتبة ، والأمر في ذلك كالأمر في الشمع في قبوله النقش وحفظه له جميعاً فلا الحفظ يتقدم في القبول ، ولا القبول يتقدم الحفظ بل معاً يحصل ، وكذلك الإحساس لكن عند الترتيب يتقدم ويتأخر .

وليس المعنى في تصور النفس بالصور المحسوسة هو أن تكون تلك الصور

---

١ – في ك : فبهي

بعينها مصورة في ذات النفس حتى إذا أرادت إبرازها إلى الخارج لتلحق بالحيز فيكون الإشتراك واقعاً في ذلك بين الكافة، بل المعنى أن تحصل تلك الصورة من المحسوسات وماهيتها لها جميعاً ، فأما الصور التي هي كيفية ما روحانية تحصل للنفس فإنها تحصل في أول ما يصدم الحس محسوسة ، وربما يبقى ذلك وينغرس فيه أو لا يبقى ، وأما ماهيتها فهي التي تحصل للنفس وتصير لها أبدياً ، وكذلك الكمية تحصل عند التخيل الذي هو الفعل في الآثار الحاصلة عن المحسوسات داخلا ، وهذه هي التي تقوي جبلة الأنفس وتؤيدها، وذلك مثل الجسم الذي إذا عرف ماهيته التي هي كونه طويلاً عريضاً عميقاً ليس هو[1] معرفته بأنه مربع أو مثلث أو صورة صنم، ومثل الإنسان الذي ماهيته التي هي كونه كاملا عاقلا بأحكام الملة جامعاً للفضائل وفي الجملة حي ناطق منبعث ، لا كونه أبيض أو أسود أو طويلا أو قصيراً أو ذكراً أو أنثى أو شيخاً أو شاباً أو ضاحكا أو باكياً ، فكذلك ما يجري مجرى الحدود ، وبالتخيل يحصل لها ذلك إلاّ أنها بالفعل الذي يسمى تخيلا تختلف، وربما كان تخيلها الذي هو فعلها تخيلا كاذبا عند تشبيهها بالصور ومقابلتها وموازنتها وتركيبها بصفتها[2] وكونها ذي ريب محتاجة إلى زيادة تصور، مثل ما يكون في النوم الذي يكون عن أمور غير موجودة خارج النفس وربما كان صادقاً بكون فعلها في ترتيبها وتصويرها ومقابلتها وموازنتها عن نتائج موجودة ثابتة غير معروفة خارج النفس ؛ فإذا حصل هذا الفعل من داخل ذاتها كانت الآلات والأمور التي يقع بها الإكتساب والتمييز حاصلة والنفس بها على ذلك قادرة ، فيكون أول ما يحدث فيها من نتائج هذه الأفعال أولا فأولا الحياء وهذا حين يصير الصبي به ساتراً على نفسه معائبه ومقابحه شيئاً بعد شيء ، وكارهاً لأن يعلم عنه عيبها ، ونفسه غير قادرة بعد على المنع من إتيان ما تكره أن يعلم منها من أفعالها القبيحة ، فإنها في بدء أمرها بعد هي عاجزة

---

١ ـ سقطت في ن

٢ ـ في ن : لضعفها

وخالية وعند ذلك وقت أخذها بالآداب الحميدة والإشتغال بالأعمال الشرعية لتقوى فيها هذه الجبلة التي هي الحياء ، الدال باستعلاء ريحه على جوهرها في اعتدال مزاجها ، الذي عنه كان وجودها وأوان مطالبتها بالأمور المرضية ، والتوفر على السنن الإلهية ومعرفة الأمور المحسوسة التي هي ذوات مادة مصورة ، مثل الأعمال المفروضة والمسنونة وتأويلاتها ، وتدارك أمرها بذلك في سلب ما حصل من العادات الردية والأخلاق الذميمة، فإذا مرنت[1] عاداتها بإقامة الأوامر الإلهية والوقوف عندها علت رتبتها وصارت تفكر في الأسباب الموجبة للموجودات التي هي معقولات مفردة عن المواد مثل الملائكة وفي العلل المقتضية لما هي فيه من أمور العبادات فتكون حينئذ في هذه الرتبة بتصورها صور المحسوسات وقيام التخيل فيها وقوتها على الأعمال الشرعية التي هي منبع البركات وأصل الخيرات وتأويلاتها وعملها بها باكتسابها لكمالها كالمادة في قبول الصور العقلية، وذلك غايتها التي تنتهي في الإكتساب إليها في رتبتها هذه ، وعلى ذلك في الترتيب تحصل النفس في وجودها بذاتها متقدمة والشوق بأقسامه تابعاً لها في الوجود ثم الإحساس ثم عنها التخيل الذي قضاياه تؤدي إلى حصول الاختيار ، فتكون الإرداة ، وهي التي تكون عند الإحساس شوقاً إلى المعارف والإختيار هو الذي يكون عند التخيل والتميز والانتهاء في التأمل والفكر ، فتصير النفس التي هي عقل بالقوة بذلك هي التي تفعل الأفعال كلها من قبول الصور العقلية والصناعية وتميز الجميل والقبيح من الأفعال والأخلاق ، وتتروى فيما يجب أن يفعل وأن لا يفعل ، ومعارفها كلها من جهتين ؛ من جهة المحسوسات ومن جهة المعقولات : فالمحسوسات هي التي تدرك بالحواس من السماء والأرض وما بينهما التي قد جمعت معارفها في الأعمال الشرعية ، والمعقولات هي التي توجبها وتعلمها بنفسها المجموعة كذلك في معاني المناسك المليئة بالتأويلات

---

١ ــ في ن : مرت

المناسبات [١] الشريفة ، وبحسب ذلك تنقسم مصالحها إلى ما يكون عملا وإلى ما يكون علماً ، ثم ينقسم كل ذلك بما ذكرناه ، وهي بذاتها واحدة وبصورها ومعالمها كثيرة وبالموجودات في رتبتها ، كالمؤمن الذي استتم إيمانه وعبادته وارتقى في المعارف عما يتعلق بعالم الجسم والوضع وبقي أن يعرف الملائكة المقربين المفارقة ، فصار كالعنقود حصرماً في تغيير حموضته إلى الحلاوة ، وبقي أن تصدق حلاوته ، أو كالثوب السقلاطوني والديبقي وغيره الذي لم يبق له صورة يكتسبها إلا القطع والخياطة التي هي آخر الصور ، وهي النهاية التي لا بعدها نهاية .

يصحح ذلك ويوجبه ما منه كان الإستدلال والموازنة من الأمور الدينية والرتب المقررة التي هي ميزان الديانة ، وهو : أنه يوجب كون المؤمن المستجيب في أمور العبادة وتعلمه من جهة الداعي مناسك دينه مصروف الهم إلى إقامة أحكام العبادة الظاهرة وإحاطة المعرفة بفرائضها وسننها ومناسكها وما يفسدها ويصلحها إلى تصديق الأنبياء والرسل والكتب المنزلة وجميع الأوامر من غير أن يشوب ذلك غيره محضاً مختصاً بذلك ، أن تكون النفس البهيمية مختصة بمعارف تعود بمصالح الجسم إذ كانت الشريعة وأعمالها ورسومها للنفس بمنزلة البدن تستعين بها على اكتساب الفضائل ، وإن لم يحصل لها علم بفرائضها وسننها لم يصح منها العمل ، وإذا لم يصح العمل لم يكن لها اكتساب للفضيلة، ولا انتقال عن الرذائل السيئة إلى المحاسن المستحسنة ، وهذا العلم لها علم كيفية بها يتم أعمال الطهارة والصلاة وغيرها ، فمعرفتها بالأمور الشرعية كمعرفة تلك في رتبتها بمصالح بدنها الذي به وجودها . ويوجب كون المؤمن بعد هذا العلم الذي به يتم العمل الذي هو العبادة الأولة العملية متعلماً أشياء أخرى مما يتعلق بالعبادة الثانية العلمية معرفة بالتأويل عن الأمور الشرعية التي بها يحيط بما خلق الله من الأمور التي ندب إلى معرفتها بقوله تعالى :

---

١ ـ سقطت في ك

« أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج[١] » وقال: « فلينظر الإنسان مم خلق[٢] » وقال: « قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق[٣] » وهو في إقامة هذه العبادة الثانية جامعاً للعبادة الأولى، أن تكون النفس الحسية جامعة لأحكام فعل النامية من حفظ البدن بطلب مواده ، ولأحكام نفسها في تصور المحسوسات التي تحيط بها من جهة التأويلات الشافية على ما ذكرنا في كتابنا المعروف « بتاج العقول » إذ كانت هذه المعارف بمنزلة الصورة تفعل فيها بفكرها، وإن لم يحصل لها لم يشرف عنصرها ولا حصلت لها فضيلة ولا كانت لها كفاية بذاتها في أن تصير قادرة مجردة وهذا العلم هو علم الكميات الذي به تعرف الموجودات الجسمانية وأعداد الحدود في دين الله التي معرفتها تفيد إحاطة بذلك . ويوجب كون حال المؤمن في خلوه من معارف العبادة الثانية خيراً وأجود من حاله في اعتقاده منها ما حقيقته بضد معتقده ، أن يكون حال النفس الحسية في خلوها من المعارف أشرف من تصورها بأمور حقيقتها بضد ما هي عليه . ويوجب كون المؤمن المستجيب إلى العبادة إلى قبول قول كل غاو يضله ويغويه ممن ينسب إلى علم أسرع من قبوله قول من يهديه ويعلمه الحق بكونه من الضعف على حال قوى المغوي الصادر قوله عن أحكام الهوى أوفق وأوقع عنده وألأم وآثر لتقاربهما في المماثلة والمشابهة من قول الهادي العالم الدال على الحق الذي هو مجانب لأحكام الهوى « إن النفس نفس الغاغة والجهال » في كونها مسرعة إلى قبول قول المفسدين أكثر من إسراعها إلى قبول قول المصلحين الفضلاء لضعيف خبرتهم وميلهم إلى ما هو أشبه بهم . ويوجب كون من له اعتقاد وعلم ذا امتناع عن قبول علم آخر ما لم يعلم فساد الأول ، أن النفس التي تصورت صوراً وأحاطت بها علماً لا يكون لها قبول للصور ما

---

١ ــ سورة ٥٠ آية ٦
٢ ــ سورة ٨٦ آية ٥
٣ ــ سورة ٢٩ آية ٢٠

كانت الصورة لها صورة . ويوجب كون المؤمن في بدء أمره في عبادة ربه بالعبادة الثانية خالياً من معارفها ، أن النفس خالية من الصور والمعالم التي تتعلق بمصالح ذاتها. ويوجب كون المؤمن بكونه مؤمناً صافياً قابلاً للمعارف منتقلاً في المراتب مرتقياً في عبادة ربه إلى منازل الأبرار الفضلاء ، أن النفس بكونها جوهراً صارت قابلة للصور منتهية في ذلك إلى مراتب في الشرف والكمال . ويوجب كون المؤمن إنما كان مؤمناً بقوله وعمله ونيته التي بها يصحح الأعمال والأفكار ، أن النفس إنما تكون نفساً بالأمور الثلاثة شهوة وغضباً وإرادة التي بها تصح الأفعال الجسمانية والنفسانية وتحصل من الموجودات . ويوجب كون المبتدىء بالعبادة الثانية قبل تصوره معارفها غير مشابه لفضائلها ولا حامل لها ولا هي مثله ، فإذا التقى المؤمن وتلك المعارف صارت نفسه حاملة لها وتلك محمولة فيها فتشابها وحصلت الفضيلة ، أن النفس الحسية ذاتها قبل تصور محسوساتها التي هي الموجودات التي تجمعها أعمال العبادة بقوانينها وأعمالها وسننها غير متشابهة لها، فإذا تصورتها صارت مشابهة لها وتامة بها . ويوجب كون المؤمن بما يتعلمه[1] ويتصوره كالمتصور الذي منه تصور وبه صار ذا صورة ، أن النفس بتصورها المحسوسات تصير كالمحسوسات . ويوجب كون رتبة الإيمان أصلاً لنيل درجات الحدود فتكون هذه الرتبة كالمادة لقبول رتبة أخرى والرتبة المقبولة الأخرى كالصورة ، أن النفس منها ما يجري مجرى المادة ، ومنها ما يجري مجرى الصورة هو المكتسب[2] خيراً كان أم شراً . ويوجب كون المستجيب المؤمن مفكراً فيما يتعلمه من الحدود التي فوقه مما تعبد الله به داخلاً بنفسه وعاملاً بأعمال العبادة خارجاً بجسمه ، وكون ذلك هو الإكتساب الذي هو التقوى المبني على الجمع بين العبادتين ، أن النفس إذا فعلت في الصورة المنتزعة الحاصلة لها من جهة الحواس المعلومة من جهة السنن والفرائض

١ - سقطت في ك
٢ - في ن : الكسب

والمناسك ففعلها داخلاً وخارجاً هو التخيل الذي هو الإكتساب. ويوجب كون المستجيب في عبادته الباطنة بإقامته حكم الإيمان قياماً بحكم العبادة الظاهرة قولا وعملاً ونية أول ما يحدث فيه الخشية والخشوع والتنبيه بما يكون عيباً عليه في دينه وعبادته فيجتنبه ولا يظاهر إلا بالخيرية والعبادة ، أن الذي يحدث في النفس أولا عن الأعمال الموجبة حكم الإيمان الحياء الذي يدعو إلى ستر المقابح وإظهار المحاسن . ويوجب كون المؤمن في تربيته تعلماً واستفادة مرتقياً إلى معرفة الملائكة المقربين ومعاده وآخرته ومميزاً بين الأتم والأصلح من العبادات والرسوم والسنن والمفروضات ، أن النفس في مرتبتها الأكمل من حصول صور المحسوسات والمعقولات الموجبة للأعمال المفروضة والسنن الدينية منتهية إلى استفادة معرفة العقول الإبداعية التي بها بقاؤها والملائكة العلا ، وأن تكون مميزاً بين الخير والشر والباقي من الفاني . ويوجب كون المؤمن مقيماً حكم العبادتين ظاهراً بالأعمال الشرعية التي تكسب الأخلاق الحسنة وتسلب الأخلاق الدنية الرذلة القبيحة ، وباطناً بالعلم إحاطة لموجودات ومعرفة بحدود لله تعالى وملائكته وكتبه وأنبيائه ورسله وا وقوف عند أمره ونهيه التي تكسب معرفة ما تقدم وجوده عليها وتأخر هو الجامع بين العبادتين والمستحق أن يكون في جوار رب العالمين ، أن النفس التي تحس بالصور وتعلمها وتفكر هي التي قد جمعت أفعال النامية والحسية المستحقة بأن تكون قابلة أنوار الملكوت . ويوجب كون المؤمن منتقلا من تأويل معرفة السنن والفرائض إلى معرفة الأدوار الكبار ومن معرفتها إلى معرفة ما فوقها من الملائكة أن النفس منتقلة بعد كونها محيطة بالصور المحسوسة من جهة الأمور الشرعية والرسوم الوضعية والأوامر الإلهية النبوية إلى معرفة العقول التي هي الملائكة . ويوجب كون المؤمن من بعد الإحاطة بالمعارف الدينية مرتقياً إلى معرفة معاده ،

أن النفس بعد الإحاطة بالأمور المحسوسة والمعقولة من قبول الشرع وأحكامه تتهدف للاحاطة بذاتها فتصير عاقلة لها حتى يصير العاقل منها هو المعقول والمعقول منها هو العاقل ، وذلك تكون في رتبتها الأخيرة فهذه قضايا مَيزان الديانة وموازنته اصطياداً للمعارف بالمطابقة والمشابهة والحمد لله ذي العزة والسلطان والعظمة والبرهان ، وصلى الله على خير مبعوث بالبيان ، إلى الإنس والجان ، محمد النبي وعلى وصيه والأئمة الطاهرين وسلم.

المشرع العاشر

« في نفس البشر بما هي ناطقة ، وما حالها في هذه المرتبة ؟ وهل هي النفس الحسية بعينها فعلت مرتبتها ؟ أم للانسان أنفس ثلاث نامية ، وحسية ، وناطقة ، على ما يقال ؟ وما هي : أجوهر أم عرض ؟ فإن كانت جوهراً فيلزمها ما يلزم الأجسام من الأعراض ، أم لها أعراض تخصها ؟ وما الذي يجري منها مجرى المادة ؟ وما الذي[1] يجري منها مجرى الصورة ؟ »

●

قد قلنا فيما سبق ما يكون التصور به واقعاً بأن نفس البشر لما كانت بما هي حسية لم تكن قائمة بالفعل فتكون نهاية تصير بها كغيرها من أنفس أنواع الحيوان التي هي لأجسامها في صلاحها كال ، بل هي قائمة بالقوة و[illegible]اية يكون كمالها من قبل من هو في الرتبة [illegible]رقها لذاتها لا لجسمها فتصير عقلا قائماً بالفعل ، ولم يكن لها ذلك ا[illegible]د فتكون واقفة عنده ، بل تجاوزته بالتصور . ونقول إن المراد بقولنا الناطقة[2] كون النفس فاعلة ما يقتضيه كمالها عاملة بأحكام الملة[3] وسننها ، وأنها قد استغنت وارتقت منزلتها في الإكتساب من الأمور الحسية وصار بدل ما كان لها من الإكتساب من جهة المحسوسات ما تتصوره من جهة المعقولات ذواتها بذواتها الخارجة من عالم الطبيعة بكون المعقولات لها كالمحسوسات للحسية ، والأمر في كونها كذلك كالأمر في كونها حسية،

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : الناطق
٣ ـ في ن : الله

وذلك أن النفس في كونها حسية إذا لم تفعل في المحسوسات التي هي المعقولات بالقوة فتتقوى وتكتسب رونق القيام فيه بالفعل فهي قائمة بالقوة ، كالقوة الغاذية التي إن لم تفعل في الأغذية لا ينتفع بها فإذا فعلت فيها فصارت الأغذية مثلها وشبهها كانت كهي لها ونفذ فيها قواها فصارت شيئاً واحداً ، كذلك النفس الناطقة إذا لم تعقل المعقولات العاقلة لذاتها بذاتها فتشبه بها فتصير قائمة بالفعل ، فهي بعد قائمة بالقوة في مرتبة النفس الحسية ، والمحسوس كما قلنا للنفس الحسية أمر به تصير النفس قائمة بالفعل فيه كالمعقول للنفس الناطقة ، وكما أن المحسوس والحس هما من قبيل الفعل غير متشابهين . كذلك المعقول والنفس الناطقة ، وعند عقلها إياها يصيران متشابهين متواصلين فتقوم هذه كتلك قائمة بالفعل كهي متفردة عن الأمور الهيولانية عاقلة لذاتها ومعقولة لذاتها مخالفة للصور التي للهيولى التي يكون العاقل منه شيء ، والمعقول منه شيء آخر وتصير ذاتها في التفرد إلى الحد الذي تعمل في ذاتها فلا تحتاج إلى هيولى محسوس . وفي الجملة فكما أن الصور الصناعية هي التي تجعل المواد التي هي مثل الخشب سريراً بالفعل ، فكذلك الصور العقلية هي التي تجعل العقل القائم بالقوة عقلاً بالفعل ، وعلى ذلك فغاية النفس الحسية التي هي عقل هيولاني وشرفها في فعلها في المحسوسات الموجودة خارجها التي هي محسوسات بالقوة بالأمور الموجودة لها أن تكون فاعلة في آثار تلك الصور المحسوسة التي تحصل في ذاتها بالإحساس مفردة عن موادها فتصير الذات القابلة لها واحدة قائمة بالفعل ، هذا حس بالفعل ، وذاك محسوس بالفعل ، فتكون متخيلة وغاية ، هذه المتخيلة في كونها متخيلة فاعلة في آثار المحسوسات القائمة بالفعل في ذاتها أن تصير متصورة للمعقولات القائمة بالفعل المفارقة للمواد أولاً وذلك كالها ، إلا أن النفس ما دامت في مرتبة التخيل ، ولم تكن بعد مواصلة لما فوقها التي هي أول رتبة

الناطقة فهي معدودة من الصور الطبيعية[١] ولها تشابه ما بالعقول الخارجة التي هي الحروف العلوية ، كالأنواع المشتركة بين الجنسين في كونها مشابهة لهما فيما يقع فيه الشبه ، ولكن الأنواع بالمعاني فيما يشبه ما فوقها ، وهذه بالذات بحسب تهيئها للمشابهة الكلية لما فوقها وللمفارقة الكلية لما دونها من الطبيعيات ، ولا يخرجها هذا الشبه عن مرتبتها ما دامت في رتبتها إلا الأمور التي تنقلها عنها ، فتصير بها عقلا قائماً بالفعل مشابهاً لما واصلته[٢] من العقول الخارجة ، وتلك الأمور الناقلة إياها إلى هذه الرتبة التي لا بعدها غاية لا العلوم الإلهية وحدها التي تتعلق بالعبادة الباطنة بل والأعمال الشرعية النبوية التي تتعلق بالعبادة الظاهرة جميعاً المعرب عنها في الكتاب الكريم بالتقوى الذي هو زاد النفس وقوامها وشرفها وجمالها وتاجها . ولما كانت الحسية قائمة بالقوة فصارت بالمحسوسات القائمة بالفعل نفساً متخيلة ، وهي بالاضافة إلى ما فوقها قائمة بالقوة تصير بتصور المعقولات العاقلة ذواتها بذواتها قائمة بالفعل عاقلة مثلها وشبيهها فكانت أنوار العقول المفارقة التي هي الملائكة المقربون جارية مجرى الخمير الذي يحصل في العجين فيجعله مثله لقيام مناسبة ومشابهة بين العجين والخمير ، ولو لم يكن ذلك لما كان أحدهما للآخر قابلا ولا فاعلا كما لا يوجد بين الخمير وبين سويق النبق لفقد المشابهة بينهما تشابه فلا يحدث فيه ما يحدث في العجين بخميره ، وإنما حدث في النفس هذا التشابه لكونها في كل فعل منها من الإحساس والتخيل الجامعين لأمور العبادتين جميعاً مكتسبة أمراً به يحدث الشبه والموافقة والكمال ، مثل الموجود في حال الدرهم المضروب والدينارُ من انتهائها في قبول فعل صائغها من عيار ووزن وسبك وطرق وتدوير وإحماء على ذلك ، وتكون لهما في كل منها حال اكتساب وتهيأ إلى حد

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ سقطت في ك

يكون قبول النقش في طبعها بالسكة التي هما بها دينار ودرهم آخر ما يقبلانه تمامية لهما وتشابهاً ، ولا يكون لهما مـــا يقبلانه بعده ، فكانت النفس الحسية التي هي عقل بالقوة كذلـــك تصير في انتهائها في قبول أنوار آثار الأجسام العلوية وتعليم الحـــدود في دين الله التي هي الفاعلة والمؤثرة فيها سلباً لرذائلها بالأعمال المفروضة ، وإكساباً إياها المعارف التي ترد بالتخيل من قبل السنن النبوية التي لها في كل منها رتبة ترتقي إليها ، فتصير بها متشابهة لما فوقها إلى حد يكون تصورها ما فوقها من العقول المفارقة القائمة بالفعل ، التي بتصور أمورها تنال كمالهـــا فتكون محيطة بذاتها عاقلة لذاتها آخر مـــا تتصوره تمامية لهـــا فتكون مثلها وشبهها لا يبقى لها ما تتصوره بعدها ، فالنفس الناطقة في أفعالها من الإحـــاطة بكون الحق حقاً والباطل باطلاً ، من المعاني العلمية المتعلقة بالعبادة الباطنة الثانية ، والجميل جميلا والقبيح قبيحاً ، من الأمور العملية المتعلقة بالعبادة الظاهرة لا تتمكن إلا بحصول مـــا يجري منها مجرى الضوء من العين لها من جهة من بـــه يتعلق كمالها من الحدود العلوية التي هي العقول التامة ، والحدود السفلية الذين هم أولياء الله القائمـــون بأمره تعالى وهي العلوم الكلية التي تتعلق بالاقرار بها ، وأن تجعـــل الغرض المقصود في المعرفـــة والإعتلاق بها مثل الأمور الشرعية الفاعلة في النفس من الملائكة وحدود الله والعبادة الظاهرة والعبادة الباطنة ، ومعرفـــة الأدوار الكبار والصغار والحساب والثواب والعقاب ، والجنة والنار التي تجري مجرى العلم الضروري بأن ثلاثة وثلاثة ستة ، وإذا حط [١] من العشرة اثنان بقي ثمانية ، وإذا أضيف إلى تسعة ستة كان خمسة عشر ، والقابل لذلك هو النفس الحسية فلا يحصل للنفس ذلك إلا بعد قبولها ما يجري منها مجرى الصورة التي هي مصير ذاتها ذات صورة مجردة من المحسوسات ، فيكون لهـــا فكر فيها وهو التخيل ، ولا تحصل تلك الصورة في الذات إلا بمصادمة الحس

---

١ ـ في ن : سقط.

محسوساته ولقاؤها ، ولا المصادمة إلا بالآلات المنصوبة المهيأة لذلك التي حصلت بواسطة المزاج الحادث فيه الحياة الحسية فيكون مصادمة الحس محسوساته في النفس ولقاؤهما قائماً كالهيولى والمادة ، ويصير الفكر أو التصوير الذي هو التخيل صورة لها ، ثم يكون ذلك المتخيل المتفكر كالهيولى في قبول الصورة العقلية التي هي معرفة الملائكة المقربين ، فهي إذا بلغت هذه الرتبة صارت في أفق الملأ الأعلى وتسمى النفس الناطقة ، ولن تنال ذلك إلا بالأمور الشرعية والتدرج في الرياضة والعمل بالسنن الألهية ظاهرة وباطنة ، وإذا تصورتها وعملت بها كما قلنا فلا يقال إنها هيولى ، فانها قد انتقلت عن تلك الرتبة فتكون قائمة بالفعل لا تكترث بما نالها في جنب ما بلغته من رتبة الغناء والسعادة من الأمور المضادة لمصالح جسمها ، بل تعانده في شهواته وأحكام مزاجه وآرائه في أهوائه وتباينه مباينة الحبة المدركة من العنب في طعمها حلاوة لأصلها الذي منه كان وجودها الأقرب الذي هو أصل العنقود ، فلا تكون أفعالها إلا ما يقتضيه كالها خيراً ، وتكون من السعداء وممن لا يناله خوف ولا حزن وتكون بكونها قادرة على اصطياد المعارف من قبيل الموازنات منتهية في إيجاب الموجودات ، ولا وجود لها إلى الحد الذي لا تفوته معرفة الموجود فتكون ممن لا يناله خوف ولا حزن ، وعلى ذلك فنفس البشر نفس واحدة لا على ما يقال إن له أنفساً ثلاثاً : نامية ، وحسية ، وناطقة عاقلة ، فإنهم إنما قالوا ذلك من جهة ما ظهر لهم من أفعالها التي وجدوها منه ، فباستمداده الغذاء الذي هو فعل الحياة النامية أوجبوا له نفساً نامية ، وباحساسه وطلبه الغذاء والملاذ الذي هو فعل الحيوان أوجبوا له نفساً حسية ، وبتصوره وتعقله ورأيه وتمييزه الذي هو فعل العقل أوجبوا له نفساً ناطقة عاقلة ، فقالوا إن له أنفساً ثلاثاً ولم يبينوا تلك ، وهذه الأفعال له لا على أنه بالحقيقة ذو أنفس ثلاث كما قالوا بل له أفعال كثيرة بآلات كثيرة ويستحق بكل فعل منها اسماً ، كما يقال للعابد لله إذا

صلى مصلي ، فإذا صام صائم ، وإذا حج حاج ، وإذا زكى مزكي. والفاعل لهذه الأفعال المتغايرة التي كان يكون[1] مصلياً منها غير ما يكون صائماً ، وما به يكون مزكياً ، غير ما يكون به حاجاً ، وهو واحد ، كالنجار إذا نشر فهو ناشر ، وإذا ثقب فهو ثاقب ، وإذا نجر بالقدوم فهو ناجر ، وعلى ذلك فهو واحد وآلاته كثيرة ، ولا يجوز أن يكون الفاعل لكل فعل من ذلك فاعلاً غير الآخر لما فيه من تكذيب الحس ، والنفس واحدة والأفعال مختلفة باختلاف الآلات المهيأة لها بحسب المقصود فعله . وهذه إذا فعلت فعلاً يعود بمصلحة البدن جملة بالمعدة والكبد والأعضاء الباطنة والخارجة يقال إن لها القوة النامية ، فإذا فعلت بالعين والأذن والحواس وطلبت الملاذ يقال إن لها قوة حسية مدركة للمحسوسات قابلة نمواً كقبول النفس قوة حافظة بكونها كذلك ، وقوة فاعلة في غيرها بها صودفت الطبيعة بذاتها والنفس واحدة وليس[2] فيها ما يكون مفرداً من الآخر . وإذا كان ذلك كذلك فالحكم مستمر بأنها واحدة فتكون من جهة أفعالها كثيرة، ومن جهة ما هي متحركة من المحسوسات لها قوة حسية ، ومن طريق أنها تقدر أن تحفظ الإحساسات فأنها قوة أخرى وهي واحدة وبأفعالها المتغايرات وأساميها كثيرة لأنها نفس ذات قوى ، وليس لمعارض أن يقول عند اعتراض الشبهة بالذي يحدث في الإنسان من الأمرين المختلفين عند الغضب من إيجاب أحدهما الإنتقام، وإيجاب الآخر الكظم والعفو ، وحجته في ذلك عند وجوده صرة دنانير في داره مودعة من إيجاب أخذها مرة وتركها أخرى ، أنه لو كان النفس واحدة لما حدث عنها أمران موجبان ما يضاد كل منهما الآخر ، ولكان يكون أمراً واحداً للمعلوم من إنكار وجود أمور مختلفة عن ذات واحدة ، لأن الذي يحدث فيها من الأمور المختلفة لا لفواعل فيها بل لكونها من القيام بالفعل على مراتب تقتضي ذلك ، وذلك أن الذي يقتضي الأمر الواحد في الفعل هو ما

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ سقطت في ن

يكون قائماً بالفعل ، مثل النفس الحسية الحيوانية التي هي بحسب ما يوجبه المزاج الطبيعي قائمة بالفعل فلا تكون في إصدار الأفعال مترجمة بين الفعل ولا الفعل ، فإن فعلها أبداً يكون في وجهة واحدة ، والذي يقتضي الأمرين المختلفين من الإنسان[١] ، وإن كان حاوياً للمعاني التي توجبها النفس الحسية الحيوانية من أفعالها ، فلكونه ليس بذي نفس حسية قائمة بالفعل ، بل هي نفس قائمة بالقوة لتخرج إلى الفعل وتصير شيئاً آخر هو « غير النفس الحسية[٢] » بالأمور الممهدة لها ، ويكون من أفعالها ما يخالف أفعال النفس الحسية ، ومثلها في ذلك مثل البسرة الواحدة عن عذق واحد من أعذاق النخلة التي لها نهاية تبلغها فيقال عندها إنها تمرة ، قد قبل طرف منها فعل الشمس والكواكب والأركان التي خلقها الله تعالى لذلك بالتمام فأدرك كماله ونهايته وصار حلواً يتحلى به ، وطرفها الآخر الذي لم يدرك عفص بكونه على حكمه الأول ، أو حبة عنب من عنقود واحد حلوة وأخرى منه لم تدرك حامضة ، فتلك توجب حلاوة وهذه توجب حموضة ، فبوجود الحلاوة في إحداهما والحموضة في أخرى منه[٣] فهل يجب أن يكون لذلك العنقود نفسان أحدهما تحلي والأخرى تحمض ؟ لا ! ولا يقتضي ذلك عقل ، فإن الأمر في ذلك أن الشيء إذا كان بالقوة فبالخروج يوماً ما إلى الفعل حده ولنهاية يبلغها إيجاده تبدو فيه أولاً الآثار التي توجبها تلك النهاية شيئاً بعد شيء ، وبمقدار ما يوجد قائماً بالفعل منها فيه كان حكمه قائماً موجوداً ، وبمقدار ما هو قائم بالقوة حكمه بها حكم الأول الذي يوجبه المزاج ، ولذلك لما كان وجودها لأن تصير عاقلة مشابهة للعقول الخارجة وكانت هي قائمة بالقوة فبكونها كذلك كانت تلك الأفعال التي تكون منها آخراً عند القيام بالفعل ، وحصول اكتساب الخيرات بالأعمال الشرعية لا تظهر منها بدياً ولا دفعة واحدة ، بل بحسب ما تنجح فيها الأوامر الإلهية

---

١ ـ في ن : والانس
٢ ـ في ن : « نفس بغير حسية »
٣ ـ سقطت في ن

والأسباب المخرجة إياها إلى كمالها التي هي الأمور الشرعية والمناسك الإلهية المكسبة إياها الورع والأمانة والعدالة والعفو والرحمة والصدق والسخاء والشجاعة والعفة[١] ، وغيرها من العلوم والمعارف والوقوف على الموازنات والإستيلاء على الإستنباطات من مباني الشرع والوضع والسنن الإلهية النبوية ، فيحصل لها بالمواظبة على ذلك من كمالها ما يقوم من حكمها،وبكونها واحدة موجودة فيها ما يقتضيه مزاجها أولاً وما توجبه الآثار المكتسبة التي عنها تصدر أفعال الكمال هي تترجح في الفعل بين ما يوجبه المزاج الذي هو حكم القيام بالقوة والنقصان عن الكمال ، وبين ما يوجبه المكتسب من الكمال من قبيل الأعمال والعلوم ، فإن كان الغالب قوة المزاج كان ما يحدث من الفعل عند الغضب انتقاماً وقساوة قلب، مثل حموضة الحصرم وعفوصة البسر، وإن كان الغالب قضايا الصورة الملية والمناسك الإلهية والأوامر النبوية كان ما يحدث في الفعل عند الغضب عفواً أو كظماً مثل حلاوة العنب وحلاوة الرطب ، ولذلك لا تبدو ممن يكون إنساناً بالحقيقة مثل الأنبياء والمؤيدين من السماء الأفعال القبيحة لكون أنفسهم في قيامها بالفعل ونيلها الكمال والفضيلة والسعادة الأبدية كالرطبة التي نالت كمالها فلا تفعل إلا حلاوة ، والعنقود الواحد الذي لا يوجد فيه حبة حامضة ، والنفس نفس واحدة وأفعالها مختلفة وبحسب الآلات وكيفية المزاج والصور الإلهية المكتسبة فيها، ولذلك يجب علينا معاشر المتعلقين بحبل الملة الشريفة أن نجتهد في الصبر على الأعمال المفروضة فيها وإقامتها والتعلق بالسنن الإلهية المكتوبة والعكوف عليها لتصير أنفسنا باستعمالها والمواظبة عليها عاقلة شريفة مترقية عن المرئية الحسية الى درجة الملائكة ومنتهية إلى غايتها التي هي منزلة العقول الخارجة، فتكون بمنزلة البسر والحصرم الذي إذا أدرك فجرى[٢] فيه ماء كماله فصارت تلك العفوصة والحموضة التي كانت لها حلاوة ، وتصير تلك الرذائل التي

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ سقطت في ن

يوجبها مزاجها وبعثها فضائل وتصير باستعمالها العبادتين عقلا شريفاً بعد أن كان رذلا خسيساً .

فان قال قائل إن شرف الناطقة في كونها مصيبة في ظنها وبالغة نهايتها في فهمها وعلمها ويقينها ، كما أن خسيتها في كونها مخطئة في ظنها وبليدة في فهمها وفي جهلها المشتمل عليها وفي كدورتها ، وليس من هذه المعاني شيء معدود من شرف النفس الحسية وخسيتها موجباً بذلك أن النفس الحسية غير الناطقة ، قلنا إن في قولنا ما قلناه وجوب زوال حكم المعارضة إذ كان الرأي المصيب ومحاسن التميز والأمور الشريفة تنتج لها بعد حين ورياضة واكتساب في حال نيلها كمالها وابتداء ظهوره فيها ، والأمور الخسيسة هي لها من قبيل مزاجها وما تكتسبه بحكمه وطبعه إلى حين قيامها بالرياضة في إقامة أحكام العبادتين ظاهراً وباطناً وذلك من قضايا كونها قائمة بالقوة ، وليس ذلك مما يوجب نفسين أو ينقض ما بنيناه . على أن الرأي الصادق والتمييز الصحيح والظن المصيب والرأي الأصيل من قضايا التخيل، والتخيل بالحقيقة لن يكون إلا من الإحساس والإحساس يتعلق بالنفس الحسية ، وإذا كان الظن المصيب والرأي الأصيل من الإحساس ، والإحساس من النفس الحسية فلم لا يجوز أن تكون هذه النفس الحسية التي لها التميز والرأي المصيب هي بعينها النفس الناطقة لكنها قد اكتسبت من خارجها ما صارت به قائمة بالفعل فاعلة بما توجبه ذاتها بحسب الإكتساب فتكون كالطلح الملقح من خارجه بما هو من جنسه فصار تمراً قائماً بالفعل ، ولو لم يلقح لما جاء منه شيء ، فالنفس واحدة ومراتبها في اكتساباتها كثيرة .

وهي جوهر، وكونها جوهراً من وجهين اثنين : أحدهما من قبيل الجاري منه مجرى الحامل ، والآخر من قبيل ما يجري منه مجرى المحمول ، فأما من جهة ما يجري منه مجرى المحمول ، فمعلوم أن ما كان موجوداً أن وجوده لأمر أوجبته الحكمة ، وإلا كان باطلاً وجوده ، ثم معلوم أنه موجود لنفس

البشر من المعارف باكتسابها ما لا تحتاج إليه في حفظ جسمها وطلب المصالح مثل الإحاطة بالعلل والمعلولات والعلم بكيفية الجواهر والأعراض وغير ذلك، فثبت كون ما كان موجوداً هو لأمر توجبه الحكمة ، وكون ما لا تحتاج النفس إليه في حفظ جسمها « وطلب مصالحها[1] » موجوداً لها يوجب أن الموجود لها من ذلك لمعنى هو لغير جسمها، إذ لو كان لأجل جسمها لشاركته البهائم والسباع فيه ، ونجدها خالية مما هو دون ذلك فضلا عنه ، وإذا ثبت أن الموجود لها من ذلك المعنى هو لغير جسمها لم تكن تلك المعارف الموجودة بعد اكتفاء جسمها بما يحصل لها أولاً من المعرفة بمصالحه إلا لنفسها ، وإذ لم تكن لجسمها فهي لذاتها ، وهي واردة عليها من خارجها ، مقبولة في ذاتها طارئة عليها فهي قابلة لها ، وشرط القابل أن يكون جوهراً فهي جوهر .

وأما من جهة ما يجري منه مجرى الحامل فمعلوم أن الموجود الأول عن المتعالي سبحانه[2] الذي هو العقل الأول هو نهاية أولة للموجودات ، وكونه نهاية أولة لا يتقدم عليه شيء فيكون به لا نهاية يوجب كونها جوهراً ثابتاً ، وذلك أنه لو كان في وجوده عن المتعالي سبحانه عرضاً لاحتاج في وجوده إلى محل يكون منه بمنزلة المادة لحفظ وجوده ، ولكان الأمر في وجود المحل له ولا وجوديته على وجهين موجبين كلاهما بطلان كونه عرضاً ، فأحدهما أنه لو كان المحل موجوداً لكان متحيزاً في الوجود قديماً فيما لم يزل كما يقول القائلون بقدم الخمسة ، ولكان لا يكون بأن يكون محلا أولى مما عنه وجد العرض ، بل لا يكون أحدهما بأن يكون فاعلا أولى من الآخر ، ولكان ذلك يوجب اختصاص كل منهما بما لا يختص به الآخر ، ولكان يوجب الإختصاص تقدم ما يكون مخصصاً عليهما ، ثم يكون الكلام عليه وعلى ما يكون محلا كالكلام عليهما الذي يوجب تقدم مخصص إلى ما لا يتناهى الذي هو موجب لا وجودية للموجودات التي وجودها ناطق ببطلان ما لا يتناهى،

---

١ ــ في ن : « بطلب صالحها »
٢ ــ سقطت في ك

وببطلان ما لا يتناهى موجب لا وجودية للمحل، وموجب لا وجودية للمحل كونه جوهراً ثابتاً لا عرضاً . وثانيهما أن الموجود عن المتعالي سبحانه لو كان عرضاً والمحل الذي بمثله يتعلق وجود الأعراض لاموجوداً لبطل وجوده ، وفي بطلان وجوده لا وجودية للموجودات التي وجودها يتعلق ببطلان ما يوجب لا وجوديتها، وفي بطلان ما يوجب لا وجوديتها بطلان الموجود الأول عرضاً، والوجهان جميعاً ناطقان ببطلان كون الموجود الأول عن المتعالي سبحانه عرضاً ، وإذا كان باطلا كونه عرضاً لما فيه من المحال الذي ترده العقول الصحيحة فواجب كونه جوهراً ، وإذا كان جوهراً بكونه نهاية أولة كان نفس البشر وجودها وجوداً أخيراً لا بعدها موجود آخر في الترتيب كانت نهاية ثانية للموجودات وخاتمة لها ، وفي كونها نهاية ثانية يوجب كذلك كونها جوهراً لا عرضاً ، إذ لو كانت عرضاً لكانت غير مجانسة لتلك النهاية الأولة ولا مواصلة من جهتها بكون الأعراض الطبيعية مواصلتها من جهة الأمور الطبيعية لتستكمل بها ، وتلك النهاية فلها كمالها وغناؤها وهي تقبل ولا تقبل، وفي وجودنا الإتصال وظهور آثار الفيض فيها قيام الدلائل على أنها بكونها نهاية ثانية جوهر قابل من تلك النهاية الأولة ، فهي جوهر وغاية انتهت الطبيعة إليها في فعلها فلا موجود بعدها كاخواتها غاية مثل الأخشاب التي هي حاصل ما يكون نباتاً و كذلك الأجسام المعدنية التي تمام كلها وكمالها بما يحصل فيها لا من جهة الطبيعة التي كانت نهاية فعلها ، أن تخرجها كذلك ، بل من جهة البشر « الذي[1] هو » أشرف منها بما يمتد إليه من القوى الإلهية فيتمكن منها من تبليغها كمالها من الصور الصناعية التي هي كمالها ولا بعدها شيء آخر ، فكمالها من جهة ما هو أشرف منها من العقول الخارجة التي هي محدودة[2] في النهاية الأولى بحسب ما هي عليه في وجودها واكتسابها ، ولها حالتان هي في الأولى منهما من قبيل ذاتها جارية مجرى الأعراض وهي

١ ـ في ن : « التي هي »
٢ ـ في ك : معدودة

الحالة التي عليها توجد أولاً، لحاجتها في وجودها إلى ما يحفظ وجودها ويربطها ويتم به فعلها ، ولذلك صار القدماء مختلفين فيها ، فقـال بعضهم إنها عرض ولهذه الحالة الموجودة لها هم صادقون ، فإنها إن فارقت جسمها في تلك الحالة بطلت ذاتها كبطلان الأعراض لمفارقة محلها ولم يكن لها وجود ، فهي عرض بشرط بقائها على تلـك الحـال من خلوها وحاجتها في وجودها إلى جسمها ، وفي الحالة الثانية منها من قبيل اكتسابها جـوهر قائم وهي الحـالة التي عليها وجودها آخراً بعد الإكتساب لاقتباسها فيها بذاتها كمالاً ، وقبولهـا ما يرد عليها من الصور استكمالاً ومصيرها بما تحيط به من المعارف تامة ، واستغناؤها في أكثر أفعالها عن الجسم ، فلهذه الحالة قال القدماء إنها جوهر ، ومن هذه الجهة هم صادقون إلا أنهم لم يفرقوا بـين الحالتين ، وسلـك كل منهم شعباً في نصرة ما تحسن إليه فاعتقده ، فهي جوهر بشرط اكتسابها ، وهي في حالها الأدنى (١) بكونها أولى قائمة بالقوة لا تدرك ذاتها ولا غيرها ، فاذا دب فيها ماء التصور صارت تعقل ذاتها وذوات غيرها ، وتجدد هذه الأحوال عليها بكونها في مسالك الخروج إلى الفعل فتصور بصورة بعد صورة من غير بطلان قواها الأولة للأمور المحتاجة إليها في حفظ البدن ، هـذا وليس حـالها في كونها جوهراً حال الأجسام فان الأعراض التي بها استكمال الأجسام لا تلزمها ، كما أن الأعراض التي بها كمالها لا تلزم الأجسام على ما شرحناه في رسالتنا المعروفة « بالوضية » ، فليست لها مساحة كما تكون الأجسام ، ولا تدرك بالحواس كما تدرك الأجسام ، كما ليس للأجسام ما لها علماً وحياة وقدرة ومعرفة ونظراً وتقسيماً وتحليلا وتركيباً ، وعلى ذلك فليست بجسم ، ولو كانت جسماً لكانت لا تستهين بجسمها عند كمالها ، ولا يقل فكرها فيه ، ولا يعترضها التهاون عند اعتراض أقل شيء مما يكون ، وهنا على ما تقتضيه أحـكامها الأول الموجب ذلك كونها قائمـة بالقوة على حكم مزاجها الذي عنه وجدت ، ولكانت عنـد اشتداد أمر جسمها وبلوغها كمالهـا في تمـام الغرض على غـاية القوة علماً

١ ــ في ن : الاول

ومعرفة ، وبخلوها من ذلك بكونها في حـال ضعف الجسم في العلم أقوى ، وعلى إحاطتها بالمعارف الإلهية عند تناهي جسمها في انحلال قواه أقـدر ، ثبت أنها ليست بجسم ، ولا بمتجزئة ، فهي جوهر غير جسماني حادث وجودها من بين ما هو جسم وبـين ما هو غير جسم كما بينا ، يوجد فيها ما يشابه ما هو جسماني ، وما هو غير جسماني ، فالذي به يشابه مناسبتها إياه في قبولها الأعراض وفي مصيرها ذات حياة وعلم وقدرة كمصير ذلـك ذا طول وعرض وعمق ، وفي كونها ناقصة أولاً وكاملة آخراً كالجسم في وجـوده أولاً ناقصاً وتناهيه في قبول الصورة إلى كمـاله الآخر ، والذي به يتشابه ما ليس بجسم كونها عاقلة لذاتها جامعة للفضائل فائضة ، وكما صارت تلـك العقول حية قادرة عالمة عاقلة لذاتها جامعة للفضائل فائضة منعمة أولاً قـد صارت هـذه كذلك آخراً فصارت المناسبة بينها قائمة ، وتحدث عنها فيها المعارف ، هذا إذا اكتسبت علماً وعملا ، فأما وهي في بـدء وجودها كمـا ذكرنا وبعده إلى تمام أمرها في القوى الحسية وأفعالها المزاجية ، وبعد ذلك إلى وقت تصورها المحسوسات وحصول الصور لها مجردة عن هيولاها ، وبعد ذلك إلى أن تبدو فيها آثار عبادة الله ربها تعالى ، وتصور السابق عليها في الوجود والمتأخر من الحدود في دين الله تعالى فهو بعد ذلك في مقابلة الأعراض ، فكان الجـاري منها مجرى المادة في هذه الحالة الكاملة ما قلناه مـن كونها جامعـة للأمور المحسوسات منتهية فيها إلى غـايتها تصوراً وتخيلا ، وما يجري منها مجرى الصورة الصور الإلهية وأنوار العقول السرمدية التي هي غايتها وكمالها وتسمى حينئذ المنبعث الثاني . وفي الجملة فنقول : إن لنفس البشر في وجودها مرتقية إلى نهايتها في كمالها رتباً كرتب الأعـداد المعتمدة في تشبيه (١) الأمور التي سبق الكلام بذكرها في صدر الكتاب ، وموازنتها في وجودها الجسماني ، ودرجات شريفة تكتسبها أبداً وتنتقل عنها إلى ما هو أشرف منها ، إلى أن

١ ـ سقطت في ن

تنتهي ، فهي أولاً في الرتبة الأولة حياة نامية لا حس لها ، وذلك حين توجد صورة المزاج الذي به وجودها في الأحشاء وبطون الأمهات وبها يتعلق تمام جسمها وتركيب شخصها وتنتهي في الفعل إلى غاية فلا تبقى إلا أن تكون لها صورة بها تصير حسية ، وتزداد رتبة أخرى وهي في رتبتها هذه كالمركز الذي به وعليه تتم الأمور في حصول الآلات والأعضاء لجسمها ، ثم تكون لها بحصولها في ساحة الهواء ومصادمتها لأنوار الأجرام والعقول المفارقة للأجسام صورة فتحس بالآلام واللذات وذلك حين يكون طفلاً وصغيراً ثم صبياً فتكون بكونها حسية منتهية إلى اشتداد أمر قواها في الإداك وتصور المحسوسات إلى الحد الذي يكون لها مع الفعل الذي هو لها في المحسوسات من خارجها اصطياداً للصور قدرة على الفعل في الصور الحاصلة عن المحسوسات في ذواتها موازنة ومقابلة تكون بها متخيلة ، فتزداد بها مرتبة أخرى ، وهي في رتبتها هذه كالمركز الذي يدور عليه [1] الأمر اكتساباً بالصور المحسوسات ، ثم يكون لها بصيرها ذات قدرة على الموازنة والمقابلة والإستدلال والتخيل ، وذلك حين تصير مفكرة في الأمور ومطالبة لمعرفة عللها ، فتكون بكونها متخيلة منتهية في موازنة الموجودات المحسوسة بالأمور الشرعية على ما يوجبه ميزان الديانة بحسب ما تقدم به العلم من سنن العبادتين ظاهراً وباطناً من جهة أولياء الله إلى الحد الذي يكون لها قدرة على تصور أمثلة العقول القائمة بالفعل التي هي الملائكة ، فتزداد به مرتبة أخرى وهي في رتبتها هذه كالمركز الذي يدور الأمر عليه في اكتساب معرفة الأمثلة القائمة بالأمور ، المفارقة للمواد تخيلاً وتشبيهاً ، ثم يكون لها بصيرها ذات قدرة على تصور الأمثلة القائمة للعقول المفارقة التي هي الملائكة من الموجودات المدركة حساً وتخيلاً الإحاطة بالأمور الغائبة عن الحس كلها وهو العقل ، وذلك حين تتصور وجود الموجودات

---

١ ـ سقطت في ن

في وجودها إبداعاً وانبعاثاً أولاً وآخراً ، فتكون بكونها قادرة على اصطياد المعارف من قبيل الموازنات منتهية في إيجاب إيجاد الموجودات أولاً قبل وجوديتها[١] إلى الحد الذي لا يفوته بها المعرفة لموجود فيتقد في ذاتها نور العقل ، فيفضي اليها بركات دار الوحدة وهي في رتبتها هذه كالمركز الذي يدور عليه الإكتساب إحاطة بالموجودات ثم يكون لها بمصيرها ذات قدرة وإحاطة بما هو واجب في وجوده أولا قبل وجوديته إتقاد نور من ذاتها يشبه ما ذكرنا حدوثه من النار عند دهن البلسان عند وصول الحرارة اليه ، فتواصلها العقول فتكون مثلها وشبهها عقلا مفارقاً ، وذلك حين ينفتح لها أبواب الحكمة وتستغني في أفعالها عن الغير فتنتهي حينئذ في ذلك فلا تكون بعده رتبة ترتقيها ، وهي في هذه الرتبة كالمركز الذي يدور عليه الأمر في اكتساب التامية في التشبيه والإنبعاث فتكون جامعة للمراتب كلها وللكثرة كلها وللصور كلها فتكون صورة للصور كلها ، وذلك على ما صورناه ليعاين ، وقول الله تعالى دلالة على ذلك أصدق وبه أنطق ، والبيان به أعظم حيث يقول : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين[٢] » قال فإن ذلك سبع مراتب بها ثم خلق شخص البشر ونطق به ليكون بمعرفتها معرفة مراتب النفس إلى كمالها الثاني ، وكانت السلالة من طين الذي منه كانت النطفة مثل المزاج الذي وجدت منه النامية ، وكانت النطفة التي منها كانت العلقة مثل النامية التي منها حصلت الحسية ، وكانت العلقة التي منها كانت المضغة مثل[٣] الحسية

---

١ ـ في ن : وجودها
٢ ـ سورة ٢٣ آية ١٢ ، ١٣ ، ١٤
٣ ـ سقطت في ن

التي منها كان التخيل ، وكانت المضغة التي خلقت عظاماً[١] مثل التخيل الذي منه تكون الناطقة ، وكانت العظام التي تواصلها اللحم فتكتسي به مثل الناطقة التي بها تعلم العقول الخارجة ، وكان اللحم الذي بـه ينشأ الخلق الآخر مثل تصور العقول ومراتبها التي بها يكون الإنبعاث الثاني الذي هو الكمال والنهاية الثانية التي لا بعدها نهاية ومصيرها كل رتبة من ذلك صورة لما تقدمه على ما صورناه

يصحح ذلك ويوجبه ما يقتضيه ميزان الديانة الذي ينطق بـه ، ويوجب كون الناطق قائماً بتربية الوصي وتعليمه وتبليغه كماله في عالم الدين بأن العقول المفارقة معنية بالأنفس في دار الطبيعة وخاصة النفس

١ ـ سقطت في ك

العاقلة ، وكون الوصي لو لم يكن عاملا[١] بالشرع وأحكامه ولا تابعاً للأوامر الإلهية لما كانت نفسه تنال كمالها ، بأن النفس الحسية إن لم تفعل في المحسوسات لا تتصور المعقولات التي فيها كمالها . وكون نفس الوصي أولاً لا كنفس النبي صلى الله عليه وعلى آله وبتعليمها وعملها[٢] صارت مشابهة له فكانتا شبيهين ، ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وعلى آله نفسه بنفسه فقال عنه الله لما أمر بالمباهلة: «وأنفسنا وأنفسكم» بأن النفس الحسية لا تشبه المعقولات وعند تصورها بعلمها وعملها تصير مثلها فتكون شبهها. وكون الوصي عند كماله وقيامه[٣] برتبته قائماً بالفعل فلا يشتبه عليه شيء من الأمور الشرعية والسياسية والأحكام ظاهراً وباطناً ولا يحتاج فيها إلى غيره كما كان من قبل محتاجاً إلى النبي ، بأن النفس الناطقة في بلوغها كمالها استغناؤها عن غيرها . وكون الوصي قائماً بذاته في مرتبته ثابتاً لا يسلبه أحد ما شرفه الله به بعد ما كان ناقصاً أولاً ، بأن النفس الناطقة جوهر ثابت بعدما كانت هي ناقصة[٤] جارية مجرى الأعراض . وكون الناطق الذي هو الإنسان بالحقيقة جامعاً لمراتب النبوة والخلافة والإمامة ، بأن نفس الإنسان واحدة جامعة لمراتب ثلاثة من حدود الله المعلمين النامية والحسية والناطقة . وكون الترتيب في الدعوة أن يكون المؤمن أولاً يشتغل بتعليم العبادة الظاهرة التي تجري مجرى المحسوسات ويقيم فرائضها وسننها ثم يكون منتقلا إلى معرفة تأويلاتها[٥] التي فيها معرفة حدود دين الله تعالى ، بأن النفس فاعلة بالمحسوسات أولاً حتى تتصورها ثم تكون مفكرة فيها لتعرف كيفيتها وماهيتها ومتخيلة . وكون الترتيب في دار الدين أن يكون المؤمن بعد معرفته بتأويلات أوضاع العبادة الظاهرة على كونه مقيماً على حفظ رسومها وسننها بالعمل موازناً ما عرفه من ذلك بالجسمانيات لينتج منها وجوب وجود ما غاب

١ – في ك : عالما
٢ – في ن : وعلمها
٣ – سقطت في ك
٤ – سقطت في ن
٥ – في ن : توليـاتها

عن الحواس من الملائكة المقربين ومعرفة منازلهم ، بأن النفس المتخيلة توازن الصور وتقابلها إلى أن تنتهي إلى « تصور المعقولات [١] » بأشكالها من الجسمانيات . وكون أهل العبادتين جارين مجرى القابلين وما يعلمون من أمور أديانهم جارياً مجرى المقبول ، بأن الذي يجري من النفس مجرى المادة في القبول هو ذاتها الموجودة من عالم الطبيعة ، والذي يجري مجرى الصورة ما تؤخذ به وتعلمه وتتصوره . وكون أحوال المؤمن في اعتقاده ومقاصده التي بها اكتسابه غير ما يكون للفساد والأوغاد والجهال ، من المعارف والمقاصد [٢] التي بها اكتسابهم ، بأن النفس أعراضها التي تخصها وبها كمالها واكتسابها غير الأعراض التي تخص بالأجسام . وكون المؤمن بما يحصل له من الشوق إلى الملأ الأعلى وإلى مشاهدة الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ، وخصوصاً نبينا محمد والمعرفة الضرورية بأن الله عالم الغيب والشهادة لا يغرب عنه شيء مما يفعله العبد سراً وجهراً ينهض لأداء حق العبادة وينهى عن المعاصي والمحظورات ، بأن النفس بما يحصل لها مما يصير لها من المعارف الضرورية التي هي أوائل [٣] العقول ، فيقرنها بذلك تطلب معارفها لذاتها .

فهذه قضايا ميزان الديانة التي بها تستنبط العلوم . والحمد لله العزيز جاره ، النافذة قضيته وإقراره ، وصلى الله على محمد العالي مناره ، وعلى سيفه الماضي غراره ، علي بن أبي طالب ، والأئمة من ذريتها الطيبين الطاهرين وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

١ ــ في ن : « المعقولات وتصورها »
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ن : تأويل

المشرع الحادي عشر

« في النفس الناطقة ، وما أفعالها ؟ وهل الأفعال تحصل في الوجود بمعاونة جسمها ومشاركته ؟ أم لها فعل تنفرد به من دون الجسم ؟ وما الفرق بين أفعالها ؟ وما الغاية التي تبلغها فيها ؟ وما كمالها الأول ؟ وما كمالها الثاني ؟ وما كيفية مصيرها عقلاً تاماً باقياً ؟ »

●

قد سبق فيما تقدم من الكلام ما تتصور معه تقريباً كيفية الحال في كون النفس الناطقة ناطقة ، ونقول : إنها بكونها جوهراً حياً قادرا عالماً بما اكتسبته فاعلة أفعالاً كثيرة ، وتلك الأفعال منها ما هو صادر عن حكم المزاج الذي به وجودها أولاً ، ومنها ما هو صادر عن حكم ذاتها بحسب اكتسابها ، فالأفعال التي هي صادرة[1] عن حكم المزاج هي التي تختص وجودها بالآلات المعدة المهيأة لها من جسمها ، وجميعها على قسميها كيفيات تحصل عنها في الوجود عائدة منافعها ومضارها ، إما على ذاتها أو على جسمها ، والذي يختص وجوده منها بالآلات المهيأة لها من جسمها فمنه ما يكون وجوده في جسمها داخلاً ، ومنه ما يكون وجوده في مادة خارجاً ، فالأفعال التي تكون وجودها في جسمها داخلاً تنقسم ثلاثة أقسام : قسم منها هو ما يتعلق بمصالح الجسم عوضاً عما انحل عنه من أجزائه وبطل ، وذلك يكون بجميع الأعضاء الباطنة من المعدة والكبد ، والرئة والطحال ، وغيرها من الأعضاء الحاصلة في سطح الجسم من فم ولسان ، وحلق وغير ذلك ، وله اسم وهو الغاذية ، وقسم هو

---

١ ـ في ن : صادرت

ما يتعلق بمصالح النفس استعمالا لأعضاء وأبعاض مخصوصة ، وهي القلب والعين والأذن ، واللسان والرأس واليدان ، والرجـلان والأشرفان ، على حسب المأمور في الدين قصداً بذلك إصلاحها وتهذيبها ، وتقويمها ورياضتها ، ليكون عن ذلك اكتساب الفضائل ، وله اسم وهـو العبادة ، وقسم ثالث هو ما يتعلق بمصالـح الجسم والنفس جميعاً ، وهو الإنتقال بالرجل بعداً عن مكروه أو قرباً عن مطلوب . فأما ما يكون وجوده في مـادة خارجة فينقسم قسمين : فأحدهما ما يكون مادتـه المفعولة فيها جسماً ، والآخر ما يكون مادتـه المفعولة فيها نفساً . فأما مـا يكون مادتـه المفعولة فيها جسماً ، فينقسم قسمين : أحدهما مـا يكون الفعل [1] في تلـك المـادة إكتساباً للنفس ومنفعة لذاتها خصوصاً ، وثانيهما ما يكون الفعل في تلك المادة نفعاً للجسم والنفس جميعاً ، فأما ما يكون النفـع عائداً على الجسم والنفس جميعاً فينقسم قسمين : قسم يحتاج فيه إلى آلات الجسم وآلات أخرى زائدة عليها من خـارجه ، وقسم يحتـاج فيه إلى آلات الجسم وحده ، فأما القسم الذي يحتاج فيه إلى آلات الجسم وزيادة أخرى مـن خارجه فهو الصناعات على كثرتها ، واختلافاتها وتفـاوت مراتبها في الضعة والشرف ، من ضرب طبل وزمر ، وضرب عود وصياغة وحياكة ونجارة وكنافة[2] وسكافة ، وإلى ما هو فوقها من تجارة وخياطة ، وبناية وزراعة ، وكتابـة وطـب وهندسة ، وصنعة يدعي فيها إحداث الأعراض التي تقلب بها أعيان الأجسام وشعوذة وحرب ، التي لا تتم إلا بأدوات تستعمل فيها ، مثل الحرب الذي لا يتم إلا بسيف أو ما أشبهه من آلات الحـرب . ومثل الكتابة التي لا تتم إلا بقلم ودواة وقرطاس أو ما أشبهه ، ومثـل الطبيب الذي لا يـتم طبـه إلا بأدوية وآلات يستعملها ، ومثل الهندسة التي لا تتم إلا ببركار أو ما أشبهه . والصنعة

---

١ ـ في ن : العمل
٢ ـ سقطت في ن

التي لا تتم إلا بصلابة وقهر ، وقرعة ، وأنبيق ، وما أشبه ذلك . وأما القسم الذي يحتاج فيه إلى آلات الجسم وحده فهي أفعال كثيرة ، ولها أمثال وأسماء مثل اللطم والصفع ، والوكز والركل والحمد والذم ، وجر المطلوب ودفع المكروه بالرجل واليد ، وما أشبه ذلك . والنفس والجسم مشتركان في الإنتفاع بهذين القسمين : أما الجسم فمن قبيل حصول القوت الذي به يعود عليه ما نقص منه ، وأما النفس من قبيل بقائها ببقاء الجسم . وأما ما يكون الفعل في تلـك المادة اكتساباً للنفس ومنفعة لذاتها خصوصاً فينقسم قسمين : قسم منها هو الإصطياد للمعارف من قبيل الحواس الخمس التي تختص بالإنتفاع فيها هي من دون جسمها ، وذلـك مثل الإدراك للألوان والأشكال بآلة البصر التي ينقسم كل منها إلى صور كثيرة على ما ذكرناه في كتاب « معالم الدين » ، ومثل إدراك الأصوات المنقسمة إلى ما يدل ، وإلى ما لا يدل بآلة السمع ، ومثل الروايح المنقسمـة إلى الطيب والمنتن بآلة الشم ، ومثل الطعوم المنقسمة إلى ما يكون حريفاً وحامضاً وحلواً ، وغير ذلك بآلة الذوق ، ومثل الخشونة واللين والحرارة ، والبرودة والرطوبة واليبوسة ، بآلة اللمس التي هي البشرة . وقسم آخر هو الإلتذاذ الذي يتعلق بالإنتاج بالأشرفين . والأفعال منقسمة إلى قسمين : فقسم أمر الله به وأحلته الشريعة الغراء سلام الله على صاحبها وعلى آله ، وقسم لم يأمر الله تعالى به ولا أحلته الشريعة ، فالأول محمود ، والثاني مـذموم ، فجميع ما ذكرناه هو مادة لفـاعله أي يكسب نفسه وجسمه بفعل كل قسم ضرباً مـن المنفعة العاجلة والآجلة أو بالعكس ، والنفس والجسم مشتركان في هذه الأفعال وعائـد عليها جميعاً نفعها وضرهما . وأما مـا يكون مادته المفعولة فيها نفساً ، فينقسم قسمين : قسماً يكـون بتأييـد إلهـي على أقسامه ، وقسماً يكون بمعرفـة الأمور التعليمية التي تتعلـق

معارفها بالطبيعيات على أقسامها ، فأما ما يكون بمعرفة الأمور التعليمية التي تتعلق معارفها بالطبيعيات على أقسامها فينقسم قسمين : قسماً منها يفعل فيها بالقول ، وقسماً منها يفعل فيها بالوسائط من خارجها ، فأما ما يفعل فيها بالقول فهو مثل الخطابة التي هي بترديد الخطاب والقول بوجوه القدرة عليه تفريعاً وتعريفاً ، وتجنيساً وتسجيعاً وترصيعاً ، ووزناً وتقديراً، وضرباً للأمثال وتعبيراً للدلالات ، وتصويراً للمراد في نفس الغير بأحسن إيراد ، ومثل الشعر الذي هو الإخبار بما هو حق أو باطل جميعاً للمدح والذم ، والشكر والشتم بوزن الألفاظ ونظمها على تقدير معلوم وحركات محصورة ، ومثل الرقي وما يجري مجراها فيا يقتضيه الغضب في الإنتقام ، وأما ما يفعل فيها بوسائط من خارجها مثل الطلسمات الفاعلة في النفس بما يعمل من أمثلة أشخاصها ويحتاج في ذلك إلى أوقات معلومة ومعرفة مواقع النجوم والمعارف بالمقابلات والموازنات[1] التي تكون في صناعة الهندسة التي تصير الصعاب من الأمور بها سهلة، ومثل الكهانة التي تفعل في الأنفس استدلالاً من الأمور الطبيعية جملة ، ومثل القيافة ومثل الزجر والشعوذة . فأما ما يكون بتأييد إلهي على أقسامه ، فهي الرسالة التي عنها تكون السياسة الكلية وتقنين السنن الملية وتقدير الرسوم الوضعية التي بها يقدر على جمع الأنفس المفترقة في أهوائها وآرائها وأغراضها واعتقاداتها على نظام واحد في الكون تحت الأمر والنهي حفظاً لها من الموبقات، وهداية إلى ما يكسبها السعادات ، ويتبعها سائر السياسات عاما وخاصاً بكونها مما يتعلق بالدين ، ونقول إنها إذا تؤملت قواعدها كانت مبانيها موازنة لأفعال الله سبحانه وتعالى[2] وتقديره في خلقه سلوكاً فيه حدود الحكمة البارعة الموجودة في التراكيب المنصوبة والمقادير الموزونة ، والخلق البديع الذي هو شخص الإنسان الممتنع مثلها على كل طالب له إلا من خصه الله تعالى فجعل له نوراً من تأييده ووحيه يدرك به

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ك

الصواب والحق مثل الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، وفي ذلك يظهر الفرق بين النبي والمتنبي، فكانت الرسوم والسنن المفروضة التي بها يساس العالم وتحفظ الأمم سياسة إلهية، كالآلة للصانع أو كالأعضاء للشخص في جر ما ينفع ودفع ما يضر ، فكما جعل في الشخص وقدر أن يكون حظ بعض الأعضاء مثل الوجه واليد والرجل والأشرفين من الحس أكثر، وجب في السياسة أن يكون حظ وجوه البشر وأيديهم وعيرهم الذين هم الملوك وأتباعهم رتباً في السياسة على مقاديرهم بحسب ذلك . وكما جعلت الأعضاء كلها مطيعة للقلب الذي هو محل الإلهام والحياة فلا تصدر إلا عن أمره ورأيه[١] ونهيه وجب في السياسة أن يكون أمر البشر يتولاه الإمام الذي هو محل نور الله فلا يصدرون إلاّ عن رأيه ، ويكون الأمر كله واحداً . وكما وجد في الخلق قوام الأعضاء وحياتها بالقلب وحرارته التي تصل إليها من جهته جعل في السياسة أن يكون سلامة البشر وسكونهم بما يصل إليهم من جهة المتولي لأمرهم أمراً ونهياً . وكما وجد في الخلق أعضاء بها نفع لسائر البدن مثل العين والأذن وغير ذلك ، وجب في السياسة الإلهية نصب أصحاب الأخبار والأمناء[٢] والإعتناء بذلك لتنحفظ بذلك الجماعة . وكما وجد في الخلق أن يكون مما يحصل من الدم في سائر البدن مقسوماً بين الأعضاء العاملة داخلها وخارجها على مراتبها في اللطافة والكثافة ، جعل في السياسة أن تكون أموال القائمين العاملين[٣] بالأمر مقسومة على حسب مراتبهم أكثر وأقل فرساناً ورجالا وضعفاء وأقوياء وشيوخاً وشباباً . وكما قدر الشخص أن يكون ذا أخلاط ردية تؤذي البدن إلى السقم والهلاك ، ودواؤها إخراجها من البدن وتنقيته منها إن أمكن هذا أو تسكينها بعلاج آخر إن لم يكن لها خروج ليصح البدن ، وجب في السياسة عند ظهور المفسدين في الأرض من البشر الذين يخيفون السبل ويظلمون الناس، أن يمنعوا بالقتل أو ترغيب أو ترهيب ، وإعطاؤهم ما يقعدهم عن

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ن

الفساد مثل المؤلفة قلوبهم فيعم الأمن ويندفع الفساد . وكما قدر في الخلق رغبة في اصطياد الحيوان التي[1] ليست من البشر وهي تقاربه[2] في مزاجه فيتقوى بلحمها ، وجب في السياسة أن يجبر الذين في الأطراف من أشباه المقيمين تحت الأمر والنهي من جهة الله سبحانه على الكون معهم ، وأخذهم ليستعان بهم ، وينتفع بمكانهم فيستكثر بهم . وكما وجدت الأعضاء في عللها تتفاوت ، وفي معالجتها كذلك إما بطا بالحديد ، وإما كياً أو طلاء بدواء واستنشاق رائحته ، أو بدواء مر أو حلو أو غير ذلك. وجب في السياسة أن تكون سياسة الناس على طبقاتهم من سفيه وعاقل وتابع في إصلاحهم ومنعهم عن مرادهم في الفساد بالتأديب بحسب مراتبهم إما ضرباً أو حبساً أو توبيخاً أو شتماً « أو إعراضاً[3] » حسب ما يليق بهم ويستحقونه . وكما قدر في الخلق أن لا يكون لعضو أمر على عضو آخر إلا من جهة القلب ، وجب في السياسة أن لا يكون لأحد يد على أحد ، ولا يقبل قول في أحد إلا ببينة تقوم عند صاحب الأمر ، وكما وجد في الخلق أن يكون للشخص وقت يستريح فيه ووقت يسعى فيه لمعاشه ليلاً ونهاراً ، جعل في السياسة أن يكون للبشر أوقات يشتغلون فيها بالعبادة التي هي المعاش الأبدي ، وأوقات يشتغلون فيها بالأمور الدنياوية ، وعلى ذلك إلى أن تأتي على جميع الرسوم والسنن المقابلة ، ومن أراد السياسة فمن نور الله يقتبس نورها ، وكل سياسة تقام إن لم يفعل ويقتدى فيها بأمر الله فتلك سياسة لا تتم ، ويجري فيها الظلم والعسف المؤدي إلى هلاك الحرث والنسل ، فهذه كلها أفعال لا تتم إلا بآلات إما داخل الجسم أو خارجه . وأما التي تحتاج فيها إلى ذاتها من غير حاجة إلى آلة هي غير ذاتها ، فإنما تحصل لها وعنها بعد وقوع الأفعال منها المشتركة التي لا تتم إلا بالآلات المعدة لها لاصطياد المعارف ، ومصيرها في ذلك أعلى درجة مما كانت عليه. وبعد أن تحصل لها مناجاة مع الله تعالى خالقها التي لا تحصل لها إلا بعد أن تحمل أثقال الأمر والنهي في الملة الإلهية

---

١ ـ في ن : الذي
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : باعراضهم

والسياسة الربانية ، فتصير بما صار مدخراً عندها من صور المحسوسات التي كانت معقولة بالقوة فصارت بتصورها معقولة لها بالفعل فيما حصل لها من جهة العلم والعبادة وإقامة السنن والمناسك قائمة بالفعل تتقد من آثارها أنوار الملكوت المكتسبة فيها ، فان لها نوراً تضيء[١] به عرصة القدس فيقع به الإستغناء عن النور الخارج عنها الذي يكون بالتعليم والإكتساب، ولا يكون الوصول إليه إلا باستعمال الآلات والانتصاب للإصطياد ذلك لقربها من العلة الأولى التي هي الإبداع والإنبعاث الأول مشابهة ومناسبة للعقول الخارجة بما سبق لها من الإكتساب ، فهي تفعل من غير اعتياص عليها ، وتفعل من غير حاجة إلى الآستعانة بعضو من جسدها ، ومن هذه الأفعال ما هو أوائل في وجودها عنها ، ومنها ما هو أواخر ؛ فالأوائل[٢] هي التي تحصل لها عند المعرفة من جهة الخبرة مثل علمنا بأن العشرة إذا نقص منها اثنان بقي ثمانية ، وإذا أضيف ثلاثة إلى ثلاثة صارت ستة ، وأن واحداً أقل من عشرة . والأواخر هي التي تكون لها من تركيب المواد واستنباطها مما هو حاصل في الذات عن الإكتساب بالمقابلة والموازنة ، مثل العلم بوزن الشيء الثقيل إذا عولج شيله ووزنه من بعد عنه بالآلات الهندسية المقامة لها مثل القبان الذي بالرمانة المعلومة في قلتها بوزن أضعافها هان وسهل ، ومثل المراد بدولاب يدور من ذاته فيتصور[٣] كيفية ذلك بمقادير يقدرها ويتطلب على صحة التصور فيه من ذاتها ما يزيده يقيناً في دورانه ، ثم يخرج ذلك إلى الفعل بآلة تدرك بالحس ويكون صحيحاً كما فعل ، ومثل الإحاطة بالعلل والمعلولات والماهيات والمتضادات[٤] والمناسبات ، وليس يحتاج في جميع ذلك إلى آلة يستعملها ، وليس لقائل أن يقول عند وقوعه على ذلك : أن هذا المتصور هو مصطاد متخيل . وأن المتخيل هو ما يكون محسوساً ، والمحسوس لا يدرك إلا

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : فالتأويل
٣ ـ سقطت في ك
٤ ـ سقطت في ن

بآلة لقيام الدليل بأن الحاصل في النفس من صور المحسوسات ليس بجسم فيكون جارياً مجرى آلة ، فإنه قد انفردت الصورة بانتقاش ذات النفس بها وبشيعان العلم فيها قد صارت وهي شيئاً واحداً والمحسوس على حاله باق خارجها ؛ وذلك مثل الكافور الذي إذا حصل اكتسب منه ما حوله ما يماثل رائحته فيكون فيها مثله هو من غير أن يكون كافوراً قد حصل فيه .

ثم إن النفس بذاتها تخاطب وتزن وتأخذ وتعطي، وتنهى وتأمر وتصعد وتنزل ، وتغوص وتخرج وتعاين وتشاهد ، وكفى بذلك شهيداً ودليلا عليه ما يراه الإنسان في منامه من أفعالها التي يصح تأويلها ، فتلك الأفعال ليست بآلة ، فإن الآلات هي مجموعة في شخصها ، وهي جامدة، وهي في الآفاق طائرة سائحة ، فهذا ما يتعلق بالأفعال على إيجاز تطريقاً إلى التنبيه ، وبين كل فعل منها والآخر فرق ، والفرق بين فعلها الذي يكون لمصلحة جسمها وبين الفعل الذي يكون لاصطياد المعارف ، أن فعلها الذي يكون لمصلحة جسمها هو ما يتعلق وجوده بالآلات المعدة داخل الجسم لقبول الغذاء وهضمه ، وفي تركها لهذا الفعل انتقاص أجزاء الجسم وهلاكه وانحلال تركيبه وهو الموت ، والفعل الذي يكون لاصطياد المعارف هو الذي يتعلق وجوده بالآلات المنصوبة لها في ظاهر الجسم من العين والأذن ، والأنف واللسان واللمس ، وفي تركها هذا الفعل تعطل الحواس عن عملها وهو النوم . ثم الفرق بين فعلها في اصطياد المعارف بالآلات وبين فعلها بذاتها فيما حصل لها من صور[1] المعلومات أن ما يكون بآلة إذا غاب المحسوس عنها بطل الفعل عنها ، إذ من شأن الآلات أن تفعل فيما هو خارجها من المحسوسات ، وإذا لم يوجد خارجها ما تعمل فيه وتحس به لم يحصل منها فعل ، وما يكون بالذات وإن

١ ــ في ن : صورة

غاب المحسوس عن الحواس فالصورة التي هي « أثرها المكتسبة حاصلة في الذات فليس[١] » يمنع من الفعل المسمى التخيل فيها مانع ، والفعل في هذا قائم دائم ، وفي ذلك منقطع بعدم المحسوس زائل ، وهذا الفعل الواقع في الذات في هذه الحالة . فالنفس فيه عن منزلة الحسية مرتقية بكونها لا حساً ، بل تصوراً وعلماً واستيلاء[٢] على ذروة المشابهة والمناسبة للأمور القدسية وغاية النفس في هذه الأفعال إحاطتها بما غاب عن الحواس من الأمور الخارجة ، ومصيرها في العلم والتوحيد إلى حد لا يشذ موجود فيها عن معرفتها ، حتى لا يبقى إلا الذي عنه وجدت الموجودات سبحانه فتقف عند ذلك مبهوتة لا قدرة لها على النهوض للمقابلة طلباً للإحاطة فتقر مذعنة بالقصور متحققة بانسداد الأبواب عليها في مرادها إحاطة ، وأن الموجودات على طبقاتها وإن شرفت وعزت وقدرت وأحاطت فلا بذاتها وجودها ، ولا من ذاتها بقاؤها بل به تعالى وتقدس لا إله إلا هو ، وهذه الغاية كمال لها ثان كما أن كونها في منزلة التخيل الذي هو كمال للنفس الحسية وغايتها على ما سبق به الخطاب كمال لها أول ، وإنما قلنا كمال[٣] أول لأن تلك المرتبة لم تكن مرتبة لها ، وبحصولها لها قد ارتقت عن منزلتها ومرتبتها التي كانت فيها إليها ، وهي أول المرتبة تستكملها بالإكتساب ، ووراءها درجات إلى أن تنتهي إلى غايتها وفي كل حال تقتنيها بما يصل إليها من نور الإستفادة علماً وعملا وسلوكاً للطريقة على سنن الملة ، فكذلك تكتسب بها ما يكون لها الجزالة في[٤] الجوهر والشرف فيها على مر الأيام لتكون بذلك منتهية إلى حد تصير به عقلا ثابتاً لا تعلقه نزعات الشيطان ، ولا هوس الأضداد الملاعين ، على ما عليه حال ما يكون أشجاراً مثلا فيكون أولاً نبتاً ضعيفاً وفي الإمكان فركه بالإصبعين أو دوسه بالرجلين استهلاكاً له ويخاف عليه الهلاك بالحر والعطش ، ولا يزال على مر الأيام يكتسب بالمواد التي يجد بها قوة فيغلظ ساقه وأغصانه فيصير صلباً

---

١ ـ في ن : « في الذات المكتسب اثرها »
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سقطت في ن

قوياً ثابتاً، أو على ما تكون عليه حال ما يكون من المعدنيات كالزئبق الذي هو جسم رجراج رخو طائر من النار ضعيف فيأخذه الصناعي فيزوجه بزوج يحبه ويطينه بطينة فيعقده ويدخل به جامه فيدلكه . والمسلك المسلوك في الملة لإصلاح النفس في تدبيره يسلكه فيخرج بعد فترة وليس هو ذلك الذي رآه أولاً ، بل قد صار قوياً فعالاً في الأجسام ثابتاً على النار بعد ما كان ضعيفاً عن لقائها ، أو كاللبن السيال مما يكون من الحيوان الذي يأخذه الراعي فيجعل فيه من الأنفحة ما يعقده فيصير جسماً صلباً ثابتاً بعد ما كان على ضده ، فتكون هي كهذه الأمور ترتقي في اكتساب العلم والعمل اللذين لها في كل منها ما تكتسب به الشرف والعزة والبهاء والقدرة والبقاء إلى نهايتها . فان الحال في الكل سواء ومثل بمثل:« ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت [1] » . ويتبع ذلك كله من ميزان الديانة الذي يوجب كون حدود الدين القائمين بالفعل تعليماً مترتبين في الدعوة النبوية بأن يكون منهم من يتولى التعليم بما يجري منه مجرى الآلة مثل الوصي، ومنهم من يتولى التعليم لا بآلة تكون له مثل الناطق ، أن أفعال النفس تنقسم إلى : ما يكون من حكم المزاج الذي يكون بالآلات ، وإلى ما يكون من حكم النفس لا بآلة . ويوجب كون من يتولى التعليم بما يجري منه مجرى الآلة مترتبين أولا : بأن يكون منهم من يتولى حفظ ظاهر الشرع الذي هو شخص الملة، والدعوة إليها مثل الإمام ، ومنهم من يتولى تعليم ظاهر الشريعة الذي هو العبادة الظاهرة مثل الباب ، ومنهم من يتولى تعليم ظاهر العبادة وباطنها جميعاً مثل الحجج ، أن فعل النفس الذي يكون بآلة فأولا : ما تكون داخل الجسم حفظاً للشخص ، ثم ما يكون متعلقاً بمصالح النفس والجسم جميعاً ، وثانياً : أن يكون منهم من يعلم تأويل ظاهر الشرع ليوقف منه على الأدوار وعدد حدود دين الله من أول الدهر إلى آخره ، مثل المكاسر والداعي اللذين يعلمان ظاهر الشرع وباطنه ، ومنهم من يعلم مراتب

---

١ ـ سورة ٦٧ آية ٣

الملائكة المقربين ليوقف منه على توحيد الله تعالى، مثل دعاة البلاغ الذين يعلمون مراتب العقول والحدود الخارجة ، أن فعل النفس ثانياً يكون إما في النفس أو في الجسم، ويوجب كون دعاة البلاغ ذوي قدرة على الموازنة التي تحصل بها المعلومات الإلهية من غير تعليم أن النفس لها قدرة على فعلها لا بآلة . ويوجب كون الفرق بين تعليم الظاهر المتعلق بالعمل وبين تعليم الباطن المتعلق بالعلم والمعارف ، أن في ترك تعليم ما تصح به العبادة الظاهرة هلاك الملة بأهلها لانتقاض رسومها واندراسها ، وفي ترك تعليم المعارف التأويلية انكتام المعارف عن الأنفس الذي به تكون الغفلة ، أن الفرق بين فعل النفس لمصلحة جسمها وبين الفعل الذي هو اصطياد لمعرفتها، وفي ترك ذلك موت الشخص ، وفي ترك هذه الغفلة وقلة العلم بالأمور . ويوجب كون الفرق بين الفعل الذي هو اصطياد المعارف وبين الفعل الذي يكون من النفس بذاتها ، لأن ذلك متعلق بالمحسوسات الممكن زوالها عن الحس، فيعطل الحس، ويبطل الفعل عند زوالها عنها ، وهذا متعلق بالصور الحاصلة في الذات ، ولا يمنع النفس مانع عن الفعل في ذاتها ، أن الفرق بين المعارف التأويلية المتعلقة بظاهر الشرائع وبين المعارف العقليات هو أن المحسوسات مستحيلة متبدلة بوجوه التأويلات . والعقليات ثابتة . فهذه نتائج الموجودات التي تنتج للمفكر فيها أمثالها وتكثر المعارف ويقع به اليقين الصادق . والحمد لله الخالق من السماء ما أظل ومن الأرض ما أقل، القاطر بينهما ما دق وجل ، وصلى الله على رسوله الأجل سيدنا محمد الذي أسنى الله له المحل ، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى الأئمة من ذريتهما وسلم .

المشرع الثاني عشر

« في النفس الناطقة بما هي باقية وما سببه ؟ وما الذي يكسبها البقاء والسعادة ؟ وما الذي يكسبها الهلاك والشقاوة ؟ وهل ذلك يكون لها من خارجها أم من جهة طبعها الذي منه وجودها ؟ وما الشقاوة ؟ وما السعادة ؟ وما موتها [1] ؟ وما حياتها ؟ »

●

قد قلنا فيما سبق [2] أن النفس الناطقة إذا نالت باكتسابها مراتبها التي بين كونها قائمة بالقوة وبين كونها قائمة بالفعل على ما بيناه ، وشرف جوهرها ، وانقلبت بقايا ما كان لها من الأمور الطبيعية صورة عقلية كانقلاب حموضة الحصرم بما تقبله من التأثيرات علاوة على ما ذكرناه فيما تقدم ، وحصل لها بذلك البقاء والكمال ، وصارت في درجة الإنبعاث الثاني باقية تامة أبدية ، فنقول : إن سبب بقائها أن الموصوف بالأزل والبقاء هو حظيرة القدس التي هي مجمع العقول الإبداعية والإنبعاثية التي جعلها الله تبارك وتعالى كذلك ، ولا بقاء للنفس ولا ارتقاء لها إلى درجة العقول الإبداعية والإنبعاثية إلا بالإنتساب إلى حظيرة القدس والتعلق بها وقبول فيضها قبولاً تنقلب به ذاتها عقلاً ، فتلك القوى والبركات المفاضة المقبولة هي التي تصير النفس في انقلابها كاملة كالنار للفحم كما قلنا ، وكالخمير للعجين مثلاً فتجعلها كما فاضت منه عقلاً وتحفظها من الإستحالة وتصلها به فتبقى البقاء الدائم ، وتحيا الحياة الأبدية التي هي الدوام في الوجود فهي السبب القريب الثاني ، وتلك العقول الإبداعية والإنبعاثية التي تفيض منها البركات سارية قواها في الموجودات باعتنائها بأمر عالم الطبيعة

---

١ – في ن : « وما الموت وما موتها ؟ »
٢ – سقطت في ن

والتي هي إذا وجدت نفساً لها أدنى مشابهة أو أدنى مناسبة أفاضت عليها واستبقتها واستخلصتها واستخصتها كأشخاص المخدوم من البشر خادمه إذا ما وجده موافقاً له مناسباً له في عادة أو خلق [1] فيصير ذلك سبباً لبقائه مع مخدومه ، وإن قلنا إنها تتعلق فيوضها تعلق شرار النار بالحراق كان موازناً في المثل لكون الحراق مهيأ لما تفعل فيه النار لقبول مثلها ، كالنفس في تهيئها بما فعلت فيها رسوم الملة لقبول البركات الإلهية ، فهي السبب الأول في بقائها هذا ، وقد تفيض على النفس الحسية وإن لم تكن لها مناسبة ، ولا مشابهة للفيض ما لا يكون ذواتها مشغولة بنوع من أنواع الأمارات [2] الطبيعية المانعة عن قبولها ، مثل الخادم الذي يؤخذ فيربى بماقد جرت به عادة المربي له ما لا تكون قد تمكنت من نفسه عادة أو خلق يمنعه عن قبول ما يراض به فيصير خلوه من العادات المانعة عن ذلك سبباً لكونه وبقائه معه . وإن قلنا مثل القطن الذي هو لا مبلول بالماء ولا مشغول بما يمنعه عن قبول فعل النار الذي هو اشتعال النار فيه لكان ذلك شبيهاً موازناً ، إلا أن الأمر في ذلك يتفق في الأقل ويختص بمثله من يكون نبياً مثل محمد ص ى الله عليه وعلى آله الذي يروى أنه كان صبياً وكان يرى منه الأفعال الجميلة الحسنة ، ومثل عيسى وإبراهيم عليهما السلام ، وسيأتي الكلام على ذلك في « باب الوحي » . فالنفس بقاؤها متعلق باستفادة العلم من ذوي الوحي ، وأن أفعال انتقالها وأحوالها في تأييدها وتكميلها معوصة [3] من كونها لكونه نهاية ما بلغته ، فانها تأبى إلا اتباع المزاج بأفعالها ، وتحتاج إلى فرط عناية ورياضة واجتهاد في إلزامها الأمور التي تكسبها السعادة ، كالحطب الرطب مثلاً الذي لا تتعلق به النار إلا بعد عناء وتعب . وأما ما يخصها في اكتسابها السعادة من قبل ذاتها فهو أن ذاتها لا تفعل إلا ما يوجدها مزاجها فلا تميل إلاّ إلى

---

١ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : الاشارات
٣ ـ في ن : عويصة

ما تقتضيه حالها في تهيئها ، فان كان المزاج على اعتدال بتهيئها كما ذكرنا ، فمن ذاتها تمتنع عن كثير من الشرور لا امتناعاً كلياً فتنبعث منها الأفعال الجميلة لا انبعاثاً كلياً، بل بين ذلك وبحسب ما يحصل لها من خارجها من معلم ومشير[١] وقرين يكون به شرفها، فان اتفق أن يكون المعلم من حدود الله سبحانه وقواها بالتعليم والحث على العمل والقيام به ، فإنها تتهيأ بذلك وتنجب وتخرج مؤثرة للتقوى والخير في الغاية القصوى ولا تفارق أولياء الله[٢] ، ولا أمر حدود دينه ، وإن خلت من الدعاة الراشدين وكانت أفعالها ملتجأة إلى ذاتها وقابلة ممن يكون قرينها من أمثالها ، فتطاول الأيام عليها على ذلك يفسدها فتعود فعل السيئات باستمرار عادتها بها ، فان النفس الحسية ما لم تقوم من خارجها فأمرها إلى انسفال واتضاع ، وإن كان المزاج بعيداً من الاعتدال فمن ذاتها تنبعث الأفعال القبيحة على ما ذكرناه في كتاب (معالم الدين) وذلك أن اكتسابها من قبيل « نفسها الحسية[٣] المتخيلة ، وتخيلها بحسب المزاج الذي عنه وجود النفس الحسية وهي غير عارفة إلا بما فيه سعادتها لا بما فيه شقاوتها وفي الممكن أن تتخيل أن الذي يخيل اليها هو الذي يجب أن يكون المصروف إليه العناية وطلبه من مثل ما يوجبه أحكام المزاج من لذيذ[٤] غير نافع ورياسة وكرامة وعجب وتبذخ وغلبة وقهر[٥] وأمثال ذلك على ما عليه أكثر ملوك زماننا وتتوفر عليه ، فيكون ذلك مانعاً إياها عن السعادة ، وكاسباً لها المناحس والمفاسد ، فإن حصل لها من خارجها من يعلمها ويقومها بالزامها الأمور المكتوبة في الملة الشريفة من أوامر الله سبحانه ومواظبتها عليها فان تلك الأمور والمناحس كلها تنحل معاقدها وتنقلب إلى المساعد والمصالح وإن لم يحصل لها وخلت من داعي[٦] دين ومعلم هاد هلكت باتباعها أحكام

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ في ن : « فلا يفارق الله اولياء »
٣ ـ في ك : « قبل الانفس الحسية »
٤ ـ سقطت في ك
٥ ـ في ن : مقر
٦ ـ سقطت في ن

المزاج والمعلمين السوء . ولذلك نقول إن للنفس صحة وسقماً كالبدن ، فكما أن من الأمراض ما يكون سهلاً سريع الزوال كحمى يوم أو زكام يومين ، ومـا يكون بطيء الزوال عسير الإنقلاع كالإستسقاء وحمى المتربع ، ومن الصحة ما يكون كذلك سريع الزوال كصحة الناقه من مرضه . وما يكون بطيء الزوال كصحة الأبدان القوية ، كذلك الحال في صحة النفس ومرضها مثلاً بمثل ، وكما أنه ممكن دفع ما يحدث في البدن من جهة الحرارة والبرودة وغيرهما من الأمراض بالمعالجة والحمية فيصير البدن بذلك صحيحاً ، فكذلك النفس المريضة بالعادات السيئة والأخلاق الرذلة والإعتقادات الفاسدة الحاصلة لها ممكن رياضتها وتدبيرها في دفع ما حصل لها من الرذائل من جهة مزاجها باتباعها إياه في أفعالها التي هي سقم لها ومرض بما يغيرها ويقلبها إلى الصلاح فتصير صحيحة محفوظة . وذلك أن من شأن الرذائل التي تحصل للنفس من قبيل مزاجها وقبيل المعاونين عليها من خارجها من المهوسين والشياطين بلعبهم ولهوهم واتباعهم أهواءهم في إقامة أغراضهم إذا عوجلت بلزوم الأوامر الإلهية والسنن المفروضة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وعلى آله كما بينا ، انقلبت فضائل كانقلاب الحموضة حلاوة على ما ذكرناه ، وتغيرت الى الصلاح . وكذلك كان فعل نفس البشر عند الغضب والشهوة مثلاً بمثل ، كفعل الحيوانات عند توازنها الذي لا يكاد يبطل شيئاً منها في حال كونها قائمة بالفعل ، ولا اكتساب لها بعد هذه الرتبة في ميدان الإكتساب بل تتغير باكتساب السنن الإلهية فتصير متغيرة إلى الصلاح والبقاء ، ومن لا يستعمل هذه المعالجة في إصلاح نفسه فهو بعيد من الخيرات ، وحصول مثل هذه الأنفس في الوجود فات في عضد الأكوان وأهلها ، والحال فيما أوردناه من ذلك فيما سبق من إخراج الأجرام السماوية والأمور الطبيعية ، والمواليد إلى الكون على ذلك من غير إمساك لا ما ضر فيما يوجبه غرض العقول الخارجة من استخلاص النفس

وتأييدها ولا ما نفع ، فقد يحصل أحياناً من تأثيراتها ما به تخرج إلى الكون أنفس مؤيدة من السماء وغير مؤيدة يساعدها الزمان على ما تريده فتعطي ذا الحق في أمر الله سبحانه حقه ، مثل موسى الذي حصل له من القوة ومساعدة الزمان من جهة الآلات المنصوبة زيادة على ما كان مؤيداً به من دار القدس ما بلغ الغرض فيما أيد به من جهة العقول فهذب أمته ومحق المنافقين وأصلح قومه ، فكان ذلك نافعاً في الغرض ، ومثل معاوية وأمثاله الذين منعوا أولياء الله عن إنفاذ أمره تعالى والقيام به فكان ذلك ضاراً بالغرض ، وقد يحصل أحياناً [١] من تأثيراتها ما تخرج به إلى الكون أنفس لا يساعدها الزمان على ما تريده ، وإن كانت من جهة العقول الخارجة موفقة ومؤيدة مثل النبي صلى الله عليه وآله لم يساعده الزمان مع كونه مؤيداً من دار القدس فترك قومه وفيهم المنافقون والمضلون والمبطلون إلى وقت مساعدة الزمان للقائمين مقامه ففعلوا ما لم يفعل ، ومثل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه الذي لم يساعده الزمان فغلبته [٢] الأضداد وقعدوا مكانه وعدلوا بالأمر عنه « مع كونه مختاراً من جهة الله سبحانه [٣] » وأنفس لا يساعدها الزمان وإن كانت غير مؤيدة مثل كثير من الأشرار الذين لا يساعدهم الزمان على إخراج أفعالهم الى الوجود فيكونون مقهورين غير متمكنين . وهذه الأفعال الواقعة من الأجسام العالية والسفلية في إخراج المزاج الذي عنه يكون وجود هذه الأنفس فليست منها بقصد في معاونة في الغرض أو معاندة ، بل الأمر الذي طبعت عليه ونصبت له من إعطاء كل مادة ما لها أن تقبل من القوى بحسب تهيئها عن الحركات الكثيرة والإستحالات المذكورة على ما ذكرناه فيما سبق : فالعبادتان كلتاهما الجامعتان للأعمال كلها المندوب إليها في الملة الحنيفية مثل الطهارة والصلاة والصوم، والزكاة والحج والجهاد « والائتمار للقائم مقام الله

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ن : فعلته
٣ ــ في ن : « بكونه من الله مختارا »

في أرضه لحفظ أوامره ونواهيه وجميع ما دعا اليه وحث عليه فيها [١] » والمعارف كلها من الإحاطة بأمر التوحيد الذي هو أعلى الأسباب التي بها تنال السعادة القصوى [٢] على ما بينا وذكرنا ، والحذر من اختلاق قول على الله تعالى بوصف فيكون قائلاً عليه تعالى ما ليس له وهو لغيره وجارياً في ذلك مجرى الكاذب المفتري ، ومن معرفة الموجودات من الملائكة المقربين المجردين من الأجسام وأفعالهم ومن معرفة الجواهر الجسمانية وما يوصف به كل واحد منها والأجسام السفلية وأفعالها وكون الإنسان وكيف يصير ، ومن معرفة الأنبياء عليهم السلام وأصحاب الأدوار والأوصياء وحدود الدين المتقدمين والمتأخرين والشرائع والسنن الإلهية وما يصير اليه أهل الإعتقادات [٣] المختلفة التي يكون اكتسابها من جميعها بوجهين : إما بتأييد سماوي مثل الأنبياء والأوصياء والقائمين من الأئمة عليهم السلام ، وإما بتعليم بالمناسبة وبالتمثيل والتشبيه لتحصل في ذات المتعلم مثالاتها التي تحاكيها ، ويختلف عند ذلك التصوير والتمثيل بحسب الأذهان والقبول ، فمنهم من يرضى بأدنى تشبيه قريب ، ومنهم من لا يرضى إلا بمثالات أقوم وأثبت معقود بها شرف الفضائل ، ولا يجمعها ولا يقوم [٤] بها إلا الأفضلون الأدنيون الأعملون الذين يرون دنياهم بعين الفناء وأن العاقبة للمتقين ، وهما يعملان في الأنفس بأجزائهما عمل الحرارة عن الشمس في الفواكه التي تقلب عفوصتها وحموضتها حلاوة . وكذلك ما حافظت النفس عليهما واعتلقت بوثائقهما وأقامت شرائطهما علماً وعملاً قلبت رذائلها فضائل فتصير مناسبة للعقول الخارجة التي تجمعها حظيرة القدس قائمة بذاتها هي غير ما كانت عليه أولاً ، فإنها في « حالها الأولى[٥] » وكانت تابعة للمزاج مثل نفس الحيوان مستحيلة لا يقال عليها إنها نفس ، وفي حالتها الثانية المكتسبة هي تابعة للملأ الأعلى عقل بما عقلت من أمورها

١ ــ سقطت هذه الجملة من ك
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ن : العادات
٤ ــ سقطت في ك
٥ ــ في ن : « حالتها الاولة »

وصورته في ذاتها فلا تستحق أن يقال عليها ما كان يقال أولاً ، ذلك بأنها تضيء ذاتها بما تكتسبه بها وتصبح متعلقة بالعقول بعد كونها قائمة بالقوة وغير مناسبة للعقول بما اكتسبته بالعناء والرياضة متعلقة بذي البقاء والدوام والأزل تعلق الموجود حديداً مثلاً بالفعل بحجر المغناطيس وانجذابه إليه بعد أن كان في حجره حديداً قائماً بالقوة ولا ينجر إليه فصار بعد العناء والإعتناء والتعب والإجتهاد وتسليط النار عليه حديداً بالفعل منجراً اليه ومتعلقاً به أبداً ما بقي الحجر ، ومستغنية عن جسمها والإعتضاد[١] في أفعالها بقيامها في ذاتها فاعلة فيها كالعقول الخارجة استغناء الطفل الصغير بعد ضعفه وعجزه وحاجته إلى من يرضعه ويربيه ويتحمل العناء في حفظه إلى أن يصير بالاغتذاء ذا قوة واشتداد آلة عن مربيته ومرضعته والقيمة بحفظه التي هي والدته بحصول القوة له وقيامه بنفسه في طلب معاشه فلا يضره إن فارقته والدته ، فصارت النفس بعد الحاجة في الوجود إلى بدنها مستغنية عنه عند الموت وتعطيل الآلات ولا يضرها تعطل الجسم ، كما لا يضر الفرخ انكسار قشر البيضة بعد خروجه منها تام الخلقة . ثم إن هاتين العبادتين في فعلها في النفس كالهواء في فعله في المرجان الذي هو نبت يخرج من البحر فيصيره حجراً يبقى على وجه الزمان ، ويستحيل به عن طبيعته النباتية ، وهما منها كما تلقح به ثمرة النخيل من خارجها التي إن لم يصل إليها لم تنعقد ولم تنجب ، وكما أن الثمرة بذلك تنعقد وتصير تمراً ، كذلك النفس في وجودها إن لم تعلم وتعمل [٢] بالعبادتين وتعنى بهما من جهة حدود الدين ووضائعهم المبسوطة بالقوة الإلهية لم تنجب ولو كانت من أهل العفاف ، فالعبادتان للعاملين بها والقائمين بشرائطها سعادة ، وللغافلين عنها والمخلين بأحكامها من قبيل ما ذكرناه شقاوة ، وفي الجملة ، فالشقاوة هي حصول أمر للنفس تكون به محجوبة عن كمالها في اكتسابها الفضيلة ، والسعادة هي حصول

---

١ ـ في ن : الاعتقاد
٢ ـ سقطت في ن

أمر به تكون كاملة في الفضيلة وبـــه يتعلــق أمر النفس في حياتها الأبدية ، وذلك أن الموت الذي قد ذكرنا فيا تقدم أنـــه ترك النفس استعمال الآلات لمصلحة البدن هو الموت الطبيعي ، وغير هذا موت وهو إماتة النفس الحسية وتعطيلها بترك استعمال ما تدعو إليه من نوازع الطبيعة وعقل النفس عنه ولن يتم ذلك إلا بالعبادتين وغيره موت آخر وهو إماتة النفس بتركها اقتباس العلم والعمل اللذين بهما تمامها وخلوها [١] منهما ، ولــن يتم ذلك إلا بمقارنــة أحكام العبادتين ، وموت ذاتها أولاً لأمور خارجة ومانعة إياها عنه ، وهــذه الحالة تضرها أكثر الضرر ، وفي الجملة فهو ترك النفس أفعالا منها لها ومنها عليها ، والحياة فقد ذكرنا فيا تقدم أنها الحياة الطبيعية الحاصلة عن الأجسام المنصوبة للفعل والإنفعال ، وغيرها حياة قدسية تجري من هــذه الحياة الطبيعية مجرى الروح، وهي التي تحصل للنفس[٢] بإقامــة أحكام العبادتين والعمل بهـــما يوم البعث . يصحح جميـــع ذلك ويثبته ما عليه مـــيزان الديانة في المقابلات والموازنات التي توجب كون ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من عند الله تعالى سبباً قريباً في جمع من كان يـدعو إليه ، أن العبادتين هما اللتـــان بهما تنتسب الأنفس إلى حظيرة القدس وأنها السبب القريب [٣] في تعلقها بها ، وكـــون النبي صلى الله عليه وآله في استخصاصه [٤] من استخصه من أصحابه بحسن القبول والإتباع والإيقان وتعليمه إياه وإفـــاضته عليه ، أن العقول الخارجة هي التي تستخص الأنفس بحسب ما يكون عليه ذاتها في قبول آثارها وهي السبب الأول ، وكـــون النبي صلى الله عليه وآله داعياً للكل [٥] الى قبول ما جاء به ومعلماً لهم ما لا يكون لهم مانع ، أن العقول الخارجة تراعي أمر الأنفس كلها وتفعل في الأنفس الحسية ما لا يكون منها مانـــع يمنعها .

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ سقطت في ك
٤ ــ في ن : اختصاصه
٥ ــ سقطت في ن

فهذه نتائج موازين الديانة الشاهدة لما ذكرناه على كونـــه مقروناً من الأمور المحسوسة بما لا ترتاب فيه نفس .

والحمد لله العلي الحميد، ذي القوة والبطش الشديد، وصلى الله على محمد، النبي وعلى علي بن أبي طالب الوصي ، وعلى الأئمة من ذريتهما وسلم تسليماً .

★ ❋ ★

المشرع الثالث عشر

« في نفس البشر ، وما لها بعد انتقالها من الجزاء على اكتسابها ، وما البعث ؟ وما الحساب ، وما الثواب ، وما العقاب ، وما الجنة ، وما النار ، وكيف الحال في الجميع ، وما حال المتقين في مآبهم ؟ وما الذي يدل في دنياها منها على حالها في آخرتها ، وما أفعالهم ؟ وما حال المنافقين والفاسقين والضالين والمضلين والمترأسين الذين لا يدينون الله بدين الحق ، ومن هم ، وما أفعالهم وما الذي يلقونه بعد الممات ؟ وهل للأنفس وصول إلى ثوابها وعقابها في حال انتقالها ، أم هي على جملتها إلى يوم البعث ، ومتى ذلك ؟ وما الجامع للفريقين : أهل الجنة والنار إلى إبان ذلك ؟ وهل هي صورة منفردة على ما هي [1] عليه صورة أجسامها في دنياها أم كيف هي ؟ وهل يكون للنفس بعد المفارقة والتجرد من أشباحها تعلق بجثة أخرى كما يقول أهل الغلو والتناسخ أم لا ؟ وهل هي [2] تذكر الأمور التي كانت لها في دنياها أم لا ؟ وهل يبطل من معارفها شيء أم لا ؟ وهل يختص المتخلص إلى الثواب بفعل في غيره كالعقول الخارجة أم لا ؟ وما ذلك الفعل ؟)

●

نقول : لما كان الأحق بالكلام عليه أولاً في هذا المشرع مـــا يتضح به المقصود إيراده فيه من هذه الأمور الغرضية ، قلنا أولا في إيجاب الجزاء إنا قد أوردنا في كتاب المصابيح في إيجاب الجزاء ، وأن داره غير الدنيا ما نزيده تأكيداً ؛ فنقول : لمـــا كان من القضايا العقلية أن ما كان قائماً بالقوة يحصل له من جهة القائم بالفعل اكتساباً منه ما به يتم خروجه إلى الفعل ما لم

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ سقطت في ن

يكن له بحسب اكتسابه أشياء تكون تماماً له وكمالاً ، مثل النواة القائمة بالقوة نخلة التي يصير لها بعد الإكتساب من جهة القائم بأمرها بالفعل ما يكون به تمام قيامها نخلة بالفعل من قبول الأنوار الفاعلة التي هي لها كمال في الفعل ثماراً ، وقد كانت وقت كونها نواة غير قابلة هـــذا الفعل منها « لا لامتناع [1] » الأنوار من الفعل فيها ، بل لامتناع ذاتها عن قبول تلك الأفعال التي بها يتم كونها نخلة مثمرة ، وكانت النفس قائمة بالقوة ، وثبت أنه يحصل لها بعد اكتسابها ما به يتم خروجها إلى الفعل من جهة ما يصير إليه من القائم بالفعل ما لم يكن لها بحسب اكتسابها ، وكانت النفس مكتسبة من جهة القائمين بأمر الله تعالى ، وصائرة إلى الدار الآخرة التي هي دار العقول القائمة بالفعل ، كان منه الحكم بأنه يحصل للنفس بحسب اكتسابها في آخرتها مـــا نسميه جزاء ونؤيد ذلك تأكيداً بقولنا : إنه لما كان كل موجود مفيضاً على ما يحيط به ويحصل فيه بمعنى من المعاني على ما بيناه في كتاب « معالم الدين » ما يقتضيه ذاته في كماله حسب ما له مما يجري منه مجرى الكيفية ، على ما عليه أمر الماء فيما يحيط به ويحصل فيه أو يجاوره من إفادته إياه رطوبة وبرودة بحسب قبوله ، وأمر الهواء والأفلاك فيما لهـــا من الأفعال المشاهدة ، وكانت الدار الآخرة التي هي دار العقول والملكوت نهاية إليها مصير النفس ، وبها تعلقها ، ثبت أن تلك الدار تكسب إياها مما اشتملت عليه عند انقطاعها إليها بالكلية ما يكون للمحسنين ثواباً وللمسيئين خسراناً بحسب اكتسابهم .

ونبين ذلك ثانياً فنقول : لما كانت النفس الناطقة في عالم الطبيعة معتصمة الأسباب التي توصلها إلى عالم القدس ، وكانت مستفيدة منه على كونها « معوقة ومشوبة [2] » بالأمور المزاجية ومشوبة منها بما هي في جهاد في دفعه ، كان منه الحكم بأنها إذا تغيرت عن الأمور المزاجية المعوقة حصل لها من بركات

---

١ ـ في ن : الامتناع
٢ ـ في ك : معوقة

ذلك العالم بالمجانسة والمناسبة والمغايرة والمنافرة ، وزوال العوائق ما يكون جزاء للمحسنين والمذنبين، بحسب ما به يناسب أو يغاير . وينشد ذلك ما يوجبه موازنة الخلق فنقول : إن الأمر في النفس ووجودها واكتسابها ونقصانها وكمالها وثوابها ونعيمها وعقابها وجحيمها كالأمر في جسمها الذي هو الخلق [١] الأول والنشأة الأولى مثلاً بمثل ، بكون النظام في وجود ما يحس وما يعقل شيئاً واحداً ، كما قال الله تعالى : « ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة[٢]» يقول : ما خلقكم الأول في أجسامكم التي تدرك بالحس ، ولا بعثكم في أنفسكم الذي هو الخلق الثاني الذي يدرك بالفعل إلا كنفس واحدة إلا سيان [٣] ومثلان كشيء واحد ، فخص اسم الفعل فيما كان جسماً محسوساً بالخلق ، وفيما كان نفساً وعقلا غير محسوس بالبعث ، وكذلك يكون الأمر فيه على نظام واحد فأخبر عن كيفية البعث المعقول بالخلق الأول المحسوس ، فقال تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث [٤] » . يقول : إن كنتم لا تعلمون البعث الذي هو النشأة الآخرة التي هي خلق الأرواح وإحياؤها بروح القدس الآخرة وأنتم في شك منه لخلوكم مما يدلكم عليه ، فاعلموا ذلك من خلقنا أجسامكم « فإنا خلقناكم [٥] » يعني أشخاصكم قبل التناسل « من تراب ثم من نطفة [٦] » عند انتقال الأمر إلى التناسل على ما ذكرناه فيما سبق « ثم من علقة [٧] » رتبة تبلغها النطفة والدم عند امتزاجها جميعاً في الأرحام « ثم من مضغة [٨] » كذلك رتبة تبلغها العلقة تكون منها مخلقة مصورة تامة ، وغير مخلقة غير مصورة ناقصة — على ما بينا في رسالتنا « الوحيدة » — التي هي كلها مدركة من قبيل النشأة الأولى « فلولا تذكرون [٩] » ، ثم الله ينشيء النشأة الآخرة بقوله تعالى : « ولقد علمتم النشأة الأولى [١٠] »

---

١ — سقطت في ن
٢ — سورة ٣١ آية ٢٨
٣ — في ن : الاسيان
٤ — سورة ٢٢ آية ٥
٥ — سورة ٢٢ آية ٥
٦ — سورة ٢٢ آية ٥
٧ — سورة ٢٢ آية ٥
٨ — سورة ٢٢ آية ٥
٩ — سورة ٥٦ آية ٦٢
١٠ — سورة ٥٦ آية ٦٢

التي هي خلق أجسامكم من قبيل جسمكم « فلولا تذكرون [١] » فهلا تتفكرون وتوازنون فتعلمون أن النظام في الخلق والبعث واحـد ، وأن النشأة الآخرة التي هي خلق الأرواح وإحياؤها بروح القدس على مثال النشأة الأولى ، ولما كان الأمر في وجـود النفس وكمالها كالأمر في جسمها كما نطق بـه الكتاب الكريم ، ووجدنا جسمها في وجوده في الأحشاء كائناً في قوة النماء الحاصلة له من مزاجه الطبيعي فهو لا يزال يكتسب بالإستمداد واجتلاب المواد، وينتقل من رتبة النطفية إلى رتبة العلقية ومن رتبة العلقية إلى رتبة المضغية ومن رتبة المضغية كـذلك إلى أن يحصل له الآلات كمالا من عين وأذن ويـد ورجـل وأنف ولسان، وغير ذلك مـن الأمور المتقدمة شرحها ليقوم بالفعل بها عند مصيره إلى عالم الحس ، إذ كان وجودها له في تلـك الظلمات وضيق الأحشاء لا لها بـل لفسحة الدنيا وما فيها ، فيكون ما يلتذ بـه أو يألم بحسب ما اكتسب في الأحشاء من الآلات في كمالاتها واستقاماتها عـن القوة الطبيعية القائمة بالفعل خارج الأجسام [٢] التي إليها كان مصيره ، فاذا حصل له تلك الآلات المهيأة للإكتساب داخلا قام عند مصيره إلى دار الحس قابلا طيباتها وآلامها بحسب طبيعته المكتسبة أولا ، قلنا : دالا على النفس في أحوالهـا مقابلة إن وجودها في جسمها كوجود جسمها في الأحشاء والظلمات ، ووجودها في جسمها لا له بل لذاتها التي تليق بعالم آخر إليه مصيرها كوجود جسمها لا للظلمات وضيق الأحشاء بل لعالم حسي إليه مصيره ، واستمدادها البركات الإلهية واستفادتها العلوم بالأعمال الشرعية بدأبها واجتهادها لتقوم بها ذاتها ، وتهيؤها لأنوار الملكوت ، كاستمداد جسمها بما له من قوة النماء لتقوية الآلات واستكمالها للقاء الموجودات في عالم الحس ، ومفارقة النفس من جسمها مصيراً إلى الآخرة التي إليها انتهاؤها كمفارقة جسمها الأحشاء مصيراً إلى عالم الحس الذي إليه وروده ، وتكون ذاتها في آخرتها لذاتها آلة تجد بها الملاذ ، كالجسم

---

١ ـ سورة ٥٦ آية ٦٢

٢ ـ سقطت في ن

الذي هو لها في دنياها آلة تجد بها الملاذ ، وما يحصل لها من روح القدس في ذلك العالم ، كالروح الحسي الذي يحصل للجسم في هذا العالم ، وما يحصل لها من النعيم والألم في آخرتها بحسب اكتسابها لا بحسب تلك الأمور المفضية إليها ، كما يحصل للجسم من اللذات والآلام فى دنياه بحسب طبيعته لا بحسب تلك الأمور المنصوبة كمثلها مثلا بمثل ، فقد أسفرت المقابلة عن توازن يوجب لها جزاء وثواباً وعقاباً . ولما كان ذلك عن المقابلة والموازنة واجباً على النحو الذي أوردناه ، قلنا إن بوجوب الجزاء ينطوي كيان الباقي فيه ، فالجزاء وإن كان قوم من المتقدمين والمتأخرين أوجبت عقولهم ما ذهبت إليه تخيلاً من بطلانه نفياً لمعاد الأنفس ؛ فالأمر فيه أنه من قبيل أي رأي تخيل إليهم واشتبه عليهم ، معلوم ، وذلك أن الدليل المقتدى به في معرفة الأمور إذا كان ناقصاً فيما قام له لم تكن دلالته إلا ناقصة ، فأدى التابع له في دلالته إلى خلاف المطلوب ، ودليل القائلين ببطلان الجزاء منهم ، عقولهم التي بها استدلوا وعليها عولوا « في الوصول إلى المعارف [1] » ووجودها من عالم الطبيعة وهي قائمة بالقوة أولاً ناقصة عن كمالها ، تابعة في أفعالها للمزاج الذي عنه وجودها ، لانها لم تقتد بأولي الكمال وذوي التأييد من السماء الذين هم الأنبياء المكرمون بالقدس ، المبعوثون بالوحي عليهم السلام . وأشكالهم الذين لا وجود لهم إلا بالعناية الإلهية ، فتلك العقول المستدلة بذاتها لو اقتدت بأولي الوحي والتأييد [2] من السماء لكانت تتقوم ، بل اعتمدت آراءها في البحث اعتماد أمثالهم في زماننا مثل عقول أصحاب الرأي والقياس وأمثالهم أهل الحديث [3] الذين اتبعوا أحكامهم فانتهوا في البحث من جهة فكرهم في نفس أنواع الحيوان أولاً . ووجودهم إياها في وجودها عن المزاج لأجل أجسامها كالاً لها لا لذاتها وفي أجسامها ثانياً ، وفي وجودهم إياها محتاجة في أن تكون

---

١ ـ في ن : « في الاتصال بالمعارف »
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ سقطت في ك

فاعلة للنظر في أحوالها ثالثاً ، ووجودهم إياها قائمة بالفعل ببقاء أشخاصها فانية بعد انحلال أجزائها ، وإلى أن رأوا أنفس البشر بكونها أحد الأنواع الواقعة تحت جنس الحيوان مثل أخواتها فحكموا عليها في كل أحوالها بمثل ما حكموا به على غيرها ، فقدروا أنه لا علم وراء ما حصلوه أو تصوروه ، ولم يكن لبصيرتهم ضوء من جهة التعليم النبوي فيفرقوا بين تلك الأنفس وبينه في ذواتها وأفعالها،فاختلط عليهم الأمر فيه حتى صار مثل«جالينوس»في فضله على أبناء جنسه ومعرفته بالخلق الطبيعي في زمانه متحيراً في معرفة النفس وحالها وفي معرفة المبادىء وكيفيتها ، فيقول على ما ذكره محمد بن زكريا الرازي في جملة ما جمع عليه من شكوكه تعبيراً وتوبيخاً أنه لا يدري أقديم العالم أم محدث ، وجوهر النفس أم عرض ، فيقول في كتاب الفصول تارة إن الطبيعة هي المزاج الذي تولد من الاسطقسات الأربع للإنسان ، وتارة إن الطبيعة ليست شيئاً سوى الحرارة الغريزية ، وتارة إن الطبيعة هي الحرارة . وإذا كانت تلك العقول لم تتجه ولم تهتد إلى الصواب باكتفائها بآرائها في ذلك ، فكيف تهتدي إلى ما هو أغمض من ذلك من أمر البعث وما يكون بعد الموت إلا بقوة المؤيد من السماء الذي يأتي بالأمثلة والأدلة ويردد الخطاب تصويراً وتعليما ، كلا ، وهذا الإيجاب[1] يحكم بأن حكمهم فيه وإن كان صحيحاً على الوجه الذي بينا في ذكر ما كون النفس جوهراً أم عرضاً ، فان تلك الأنفس في وجودها لأشخاصها كانت ، وهذه النفس لشخصها وذاتها جميعاً كانت وبقاؤها كما ذكرنا متعلق بالإكتساب والإعتلاق بالسنن الإلهية فليس يكاد يخفى .

وأما من يرى الجزء مثل محمد بن زكريا والغلاة وأهل التناسخ وأنه يكون في الدنيا ، فمن اعتقادهم أن هذه الأنفس لها وجود قبل أشخاصها بخلاف اعتقاد الدهرية وأمثالهم ممن ينحون نحوهم الذين يقولون إن وجودها

١ ـ سقطت في ن

بوجود أشخاصها ، ويقولون إنها جوهر تتردد في الهياكل بحسب اكتسابها إلى أن تصفو وتعود ، فقد أوردنا في كتابنا المعروف « بالرياض » و « ميزان العقل » وغيرهما من رسائلنا في فساد قولهم ما يغني سيما مايختص بذلك من كتابنا المعروف « بالمقاييس » رداً على الغلاة وأشباههم ، وسبيلهم في إيجاب ما أوجبوه من ذلك سبيل أمثالهم ممن منعوا الجزاء أصلا ، اقتداء بعقولهم واكتفاء بإستدلالاتهم الذي هو منبع الضلال ، فالجزاء ثابت واجب وهو متعلق بالبعث . والبعث هو فعل الله تعالى من جهة الملائكة المقربين في المبعوث الطبيعي كالاً له ليكون منبعثاً الإنبعاث الثاني ، ومعناه هو المعرب[1] عنه بالنفخ المخصوص بالقوة التي هي إفاضة على المفاض عليه الذي كان من قبل خالياً منها فيحيا الحياة الأبدية ، وهذا الفعل المخصوص ذكرناه في الرسالة « الوحيدة في المعاد والتقديس » منه ما يكون أولا هو النفخ الأول ، ومنه ما يكون ثانياً وهو النفخ الثاني : فأما ما يكون أولا فهو الذي يكون في عالم الطبيعة وينقسم إلى ما يكون بتعليم من جهة من يكون طبيعياً ، وإلى ما يكون بتأييد إلهي فالذي يكون بتأييد إلهي فهو إسراء[2] القوى الإلهية من عالم الملكوت في نفس المبعوث الكائن في عالم الطبيعة وسريانها فيها فيتيسر لها جميع الأمور المتعلقة بالسعادات الأبدية والكمال الثاني، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك بإلقاء الروح حيث يقول : « رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده[3] » رفيع الدرجات هو القائم بالفعل الذي هو الإلقاء بأمر الله سبحانه ، والروح هو بركات القدس والملكوت الفائضة من أمره الذي هو المبدع الأول والموجود الأول سبحانه وتعالى على ما بيناه في الرسالة المضيئة « على من يشاء من عباده [4] » هم عباده المصطفون الذين كانت أنفسهم في ظلمات الطبيعة خالية ، وهي فيها غير مكتسبة ، فشبه تعالى وتكبر الإسراء والتسريب بالنفخ ، وذلك حادث من جهة المنصوبين للعناية بموجودات

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ في ن : سراء
٣ ــ سورة ٤٠ آية ١٥
٤ ــ سورة ٤٠ آية ١٥

عالم الطبيعة في نفس المبعوث تأثيراً وهو الذي به يصعق [١] من في السموات والأرض ليكون المبعوث في الكمال منبعثاً قائماً بالفعل الذي يقتضيه كماله ، كما شرحناه في صدر الكتاب هذا ، تعليماً لمن في الوجود الحسي من البشر لأسباب النجاة والسعادة [٢] وطريق التوحيد والعبادة فيسعدون بما يدعوهم من ذلك ويعلمهم إياه من الكتاب والحكمة التي لو لم يعلموا لما علموا إلا ما كان من قضايا المزاج والطبع الذي هو ضد الديانة كما قال الله تعالى في محمد صلى الله عليه خصوصاً : « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين [٣] » الآية باتباع آرائهم وعقولهم ، وفي الأنبياء عموماً « كان الناس أمة واحدة [٤] » يعني في الجهالة « فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق [٥] » الآية .

والذي يكون بتعليم من جهة من يكون طبيعياً فلكون ما يعلم من جهة المبعوث المرقى إلى درجة الكمال المنبعث الإنبعاث الثاني القائم بالتعليم مما يتم فيه البعث سمي بعثاً ، وهو إقامة النعمة على البشر بالمبعوث المؤيد فيكون ما يعلمهم ويدعوهم إليه فيقومون به سبباً لهم في نيل السعادة في الدنيا وطريقاً إلى الفوز بالحياة الأبدية في الأخرى [٦] ، وأمراً يجري مثلاً من أنفسهم مجرى النفس النامية التي هي سبب لحصول القوة الحسية فيكون عن ذلك بعثهم كما قال الله تعالى في بني اسرائيل حين فارقوا أحكام الديانة فطلبوا المحال الذي من كان مقيماً عليه فهو معدود في الأموات وفي من يكون في طريق العذاب فأنعم عليهم بما يكون طريقاً لهم إلى السعادة « ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون [٧] » وأول الآية « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك [٨] » معناه لما

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ سورة ٦٢ آية ٢
٤ ـ سورة ٢ آية ٢١٣
٥ ـ سورة ٢ آية ٢١٣
٦ ـ في ن : الاخرة
٧ ـ سورة ٢ آية ٥٦
٨ ـ سورة ٢ آية ٥٥

قلتم يا موسى لن نصدقك فيما جئت به وقلت إنه من جهة الله « حتى نرى الله جهرة [١] » حتى تبين لنا وتعلمنا من قبل الموجودات الحسية ما نعلم منه ويصح عندنا به ما يكون من جهة الله من الأمور ، وما لا يكون من جهة الله فيكون لنا كالميزان فنعتبر ما جاء به غيرك وما جئت به أو يجيء به « ساحر أو مشعوذ [٢] » فنكون في معرفة ذلك مصدقين لك بأنك من جهة الله لا إله إلا هو مؤمنين « فأخذتكم الصاعقة [٣] » فشملكم العذاب بالحيرة أولاً التي تؤديكم إلى العذاب في الآخرة لمخالفته وتطلبكم ثانياً منه بيان ما هو بالعبادة الثانية التي تتعلق بمن يقيمه من جهته ، لا من العبادة الأولة العملية التي هي خصوصاً له « وأنتم تنظرون [٤] » تعلمون أن ذلك محال وأن الأنبياء لا يتعدون مراتبهم في السياسة الظاهرة التي هي جمع القلوب المتفرقة والأهواء المختلفة والأنفس العالمة والجاهلة على ما يجمع السعادة « ثم بعثناكم [٥] » أفضنا عليكم النعمة التي هي بيان ما يتعلق بالعبادة الثانية العلمية بإقامة من يبين ويعلم في الدعوة الباطنة من جهة موسى المؤيد المبعوث فيكم بالقوى الملكوتية ليكون بتعليمه إياكم ما طلبتم من العبادة [٦] الثانية جامعاً إلى العبادة الظاهرة الأولة حياة لا الحياة الحسية التي لكم بل الحياة الأبدية « من بعد موتكم [٧] » من بعد أن صرتم في طريق من يكون موتى عن الآخرة بطلبكم المحال « لعلكم تشكرون [٨] » فهلا تشكرون على هذه النعمة التي أولها بعث موسى مؤيداً ليعلمكم طريق العبادة بالعمل الذي يقربكم من دار القدس ، وثانيها إقامة من يبين ويعلم العبادة الثانية التي هي العلم فتصيرون بمثابة الملائكة المقربين .

وأما ما يكون آخراً فهو النفخ الثاني المخصوص بالقيامة عند تكامل

---

١ ـ سورة ٢ آية ٥٥
٢ ـ في ك : « سحر وشعوذة »
٣ ـ سورة ٢ آية ٥٥
٤ ـ سورة ٢ آية ٥٥
٥ ـ سورة ٢ آية ٥٦
٦ ـ سقطت في ن
٧ ـ سورة ٢ آية ٥٦
٨ ـ سورة ٢ آية ٥٦

الأدوار واستكمال قيام العلم بالفعل بخروج الأنفس من حضانة التعليم من جهة المؤيدين ، فهو اتصال قوى النهاية الأولة التي هي الموجود الأول بالإبداع الأول ، والمنبعث الأول – بالإنبعاث الأول المعرب عنه بروح القدس – بالنهاية الثانية التي هي تمام كون الإنسان المتعلق وجوده بتكامل الأدوار السبعة من جهة المؤيدين المنبعثين الإنبعاث الثاني في دار الطبيعة الذي هو الخلق الجديد والخلق الآخر ، الجامع للأنفس كلها الحاصلة في الوجود من أول الدهر إلى آخره ، المكتسبة في دنياها ، المفارقة أشخاصها في أزمانها الحاصلة في المجمع لتمام الأمر ، المنتظرة لقيامها وسريانها في الأنفس تشبيهاً بسريان الحياة الحسية في الطفل عند الولادة متقدة نارها ، سارية فيها آثارها ، يتقدم عليها وجود النفس النامية التي هي مثال المكتسب بالعلم والعمل، اللذين بهما تحصل تلك القوى الإلهية وعودة الأخرى إلى الأولى ، فذلك هو النفخ الثاني الذي كان التعليم في الدنيا من جهة الأنبياء والأوصياء له نفخاً أولاً كما بينا . قال الله تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون[١] » يعني إذا تجردت الصورة بكمالها فجمعت، سطع فيها أنوار الملكوت فلا يكون لكل منها إلا بقدر الآلة التي هي حصلت لها بالإكتساب ، فانه لا أنساب هناك كما يكون في الدنيا فيكون للنفس فيها من جهة أنسابها وانتسابها إلى قبيلة منيعة أو شريفة شرف وعز وفخار فتولى لأجله الخير ، وإن كانت خالية من قوة وحسن خلق وعلم وأدب[٢] وعمل ، فان تلك الدار دار للقسط والعدل ، وهل تكون إلا باستحقاق ؟ قال الله تعالى : « يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً[٣] » إشارة إلى صاحب الدور السابع[٤] الذي يحصل في الوجود آخر دور حين يبعث في عالم الطبيعة أولا كما يبعث أصحاب الأدوار فيطيعونه أمة بعد أمة ، « وفتحت السماء فكانت أبواباً[٥] » يعني

---

١ – سورة ٢٣ آية ١٠٢
٢ – سقطت في ن
٣ – سورة ٧٨ آية ١٨
٤ – يعني الامام القائم المنتظر الذي سيظهر ليملاء الدنيا عدلا بعد ان ملئت جورا وظلما .
٥ – سورة ٧٨ آية ١٩

يقيم الأبواب للاستقصاء في الغبادات « وسيرت الجبال فكانت سراباً [١] » فيذهب أصحاب الجزائر [٢] المقيمون للدعوة العلمية وتسير إلى مستقره فلا يفاتحون أحداً بشيء من العلوم فيكونون لمن يقصدهم كالسراب الذي لا يوجد عنده شيء . وقال تعالى : « ونفخ في الصور [٣] » إشارة إلى صاحب الدور السابع الخاتم للأدوار الذي به يتم الخلق الجديد ، فيفتح أولا في دار الطبيعة باب الجزاء ، وفي دار الآخرة ثانياً ، وهو النفخ الأول ، يريد به أولا كما نفخ في أصحاب الأدوار[٤] أولا « فصعق من في السموات ومن في الأرض[٥] » يتحير في فعله أهل الأديان كلها ظاهرة وباطنة كقوله ، كما تحير أهل الأديان في كل نفخة أولة في كل دور « إلا من شاء الله [٦] » إلا من كان عارفاً بمرتبته ومؤمناً به من قبل ذلك قائماً به « ثم نفخ فيه أخرى [٧] » فيفعل الحكمة والبيان ، ويشرح ما جاء به النبيون من الأولين والآخرين فلا يبقى أحد إلا ويضيء بنوره ، وذلك قوله تعالى : « وأشرقت الأرض بنور ربها [٨] » أي بعلم ذلك الحد العظيم المبعوث من جهة الله سبحانه ، وقوله : «ووضع الكتاب[٩]» جعل كل شيء من الكتب في موضعه « وجيء بالنبيين والشهداء [١٠] » أهل كل ملة « وقضي بينهم بالحق [١١] » فيما كانوا متعلقين به فلا يبقى علم إلا ويتعلمه أهل الأرض بمكانه ، ولا يترك أحداً يتقرب بعبادة إلا بالعبادة الناسخة لما سبقها ، فيحكم في ذلك بما يتقد بنور التأييد فتصير الصور كلها صورة واحدة تجمع الصور فتحصل تماما في الصفحة الأعلى من السموات على باب الحجاب ، فويل لنفس لم تعبد ولم تكتسب فانها في عذاب ، وهو الوقت الذي يروى

---

١ ـ سورة ٧٨ آية ٢٠

٢ ـ أي داعي دعاة الجزيرة او حجةالجزيرة

٣ ـ سورة ٣٩ آية ٦٨

٤ ـ يعني الانبياء والائمة اصحاب الادوار الصغيرة

٥ ـ سورة ٣٩ آية ٦٨

٦ ـ سورة ٣٩ آية ٦٨

٧ ـ سورة ٣٩ آية ٦٨

٨ ـ سورة ٣٩ آية ٦٩

٩ ـ سورة ٣٩ آية ٦٩

١٠ ـ سورة ٣٩ آية ٦٩

١١ ـ سورة ٣٩ آية ٦٩ في كلا النسختين وردت الاية (وحكم بينهم بالحق)

أن كنوز الأرض تظهر في القيامة فتكون كل صورة في ذاتها ذات صور بحسب الإكتساب على ما عليه حال الجسم في كون كل جزء منه من يد ورجل وأصبع، وغير ذلك ذا صور ، وهو الحرف الذي يقال إن فيه صورة كل حيوان يوجد في الأرض . فالبعث يتم لصاحب الدور السابع وتمام الأمر على ما ذكرناه ، والحساب تابع للبعث ، وهو فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب الذي هو الملاذ والمسار ، والعقاب الذي هو الألم والعذاب والغم ، وينقسم هذا الفعل إلى ما يكون وجوده في الدنيا وإلى ما يكون وجوده في الآخرة : فأما ما يكون وجوده في الدنيا فينقسم قسمين : إلى ما يكون وجوده في الأنفس للأنفس عاجلاً في كل الأوقات وهو عام ، وإلى ما يكون وجوده في الأنفس للأنفس عاجلاً لا في كل الأوقات وهو خاص:فأما ما يكون وجوده في الأنفس للأنفس عاجلاً في كل الأوقات وهو عام فهو ما يكون من جهة الأنفس في كل وقت وكل مكان عند مقاصدها في اعمالها[1] بالمناسك الدينية المقننة من جهة أنبياء الله ورسله عليهم السلام من طلب عز وجاه وصيت في الناس بأنها سخية أو غنية ، أو تتصور بصورة الأخيار فيجعل لها ذلك بما تعمله من التحلي بسنن العبادتين مثل المجتهد في أعمال الصلاة الذي يكون قصده المسجد الجامع لا لقربة إلى الله ولطلب وجهه والتذلل لكبريائه ، ولا لإقامة رسوم الملة وقضاء ما فرض عليه من مناسكها ، بل لأن يمشي بزي حسن ولأن يقال إنه من حاله وصفته فيما يريده ويتمناه في نفسه ، أو لأن يتفرج لضيق صدره فيحصل له بذلك ما أراده عاجلاً ، فذلك ثوابه، ومثل المتزي بزي أهل الستر والعفاف الذي فعله ذلك لا لأن يكون قاصداً فيه رياضة النفس وإصلاحها وعقلها عن الأمور التي فيها يشابه أهل الرذائل فيكون له عن ذلك العمل الكمال [٢] المثمر له البقاء السرمدي والمسرة ، بل لأن يؤمن على فلس يجذبه من إنسان أو جاه يحصله أو منزلة يطلبها أو سبب يتوصل به إلى دنياه جملة ليحصل له ذلك ، فذلك ثوابه الذي يتعجله عن

---

١ - في ن : اعلامها
٣ - سقطت في ك

تنسكه وتعففه ، ولا حظ له في الآخرة ، ذلك بأنه منافق ، ومثل المتهاون بأمر العبادتين المنجيتين له بالإخلال بأوامر الله سبحانه وتعالى [١] وسننه والإقرار بأوليائه وأنبيائه ورسله فيشمله بذلك من الذل والصغار عاجلا ما يحصل له من الغم والعذاب الدائم ، فذلك عقابه عاجلا دون عقابه الآجل . والذي يكون وجوده فيها لا في كل الأوقات بل هو خاص لوقت دون وقت هو الذي يكون من جهة المبعوث المؤيد بروح القدس الذي هو صاحب الدور السابع عند اتصال القوى الملكوتية به المعرب عنه [٢] بالنفخ الثاني في يوم القيامة ، وتكامل الأدوار قياماً منه بما عجز عنه غيره من أصحاب الأدوار، وإظهارا منه ما لم يتمكن منه أحد ممن تقدمه من الرسل الأبرار صلوات الله عليهم ، وإنجاز ميعاد الله تعالى في خلقه حيث يقول : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب [٣] » بالتقاء الأمر فيه على نظام قدره بحركات السموات مساعدة وما دونها مقاربة وموافقة فتثور بذلك نار القدرة وينطق بذلك لسان الحق بأن لا إله إلا من هو [٤] سبحانه متعال عن وصف بريته . ولا أمر إلا له في دار حكمته فيذل له كل وجه ، كما قال تعالى : «يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش[٥] » يقول : يكون الناس في ذلك الزمان كلهم يذعنون له بالطاعة ، فتكون الجبابرة الذين لهم المنعة والشدة كالجبال أذلة مهينين بمنزلة الصوف في المواتاة فيحشر الناس للسؤال والحساب ، وتجمع الكافة للجزاء على مكتسب الأعمال « يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم [٦] » فيسألون كما قال تعالى : « فوربك لنسالنهم أجمعين. عما كانوا يعملون [٧] » ذلك يمين برب محمد الذي هو رفيع الدرجات وإليه حفظ العالم وتأييد الرسل – على ما ذكرناه – المخصوص من بين الملائكة المقربين حول العرش بذلك ومنه يكون تأييد

---

١ – سقطت في ن
٢ – سقطت في ك
٣ – سورة ٣ آية ١٧٩
٤ – سقطت في ن
٥ – سورة ١٠١ آية ٤ ، ٥
٦ – سورة ٩٩ آية ٦ و ٧
٧ – سورة ١٥ آية ٩٢ و ٩٣

صاحب الدور السابع تحقيقاً للأمر في السؤال والموافقة على ما فرضه الأنبياء من جهة الله سبحانه من السنن والمناسك والطاعات المكتوبة ، وإخباراً أن ذلك لكائن فقال: « لنسألنهم أجمعين [١] » سنفعل ذلك ولنوبخنهم أجمعين بالحق عما كانوا يعملون كما قال الله تعالى: « حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً [٢] » الآية أجحدتم المؤيدين وأهل الملكوت ولم تكتسبوا من جهتهم ولم تستفيدوا من بركاتهم فما الذي كنتم تقدرونـه من خلقنا إياكم ، أما علمتم أن لكم رباً يأمركم وينهاكم ويجزيكم بالخير وعلى المعاصي يعاقبكم ، فقال: « فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين . فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين. والوزن يومئذ الحق[٣] » يقول : تهديداً وتوعداً لنسألن التابعين عما أوجب عليهم من الفروض في دين الله سؤال توبيخ لا سؤال استفهام بأنهم هل قاموا بها كما أمروا ؟ أم كيف فعلوا ؟ ليكون إقرارهم بذاتهم عن علم منها فيكون بحق « ولنسألن المرسلين[٤] » المتبوعين ، يقول للمتتبعين فيما قننه الرسل عليهم السلام الذين هم المتبوعين فليخرجوا بآثارهم جديدة لموافقة تابعيهم عليها ، ولنقصن عليهم جميع ذلك بعلم وحق وما كنا غائبين عنهم لا فيما مضى ولا فيما بقي للقائمين منهم من حدد الله تعالى سبحانه . والوزن يومئذ الحق، يقول: والمعتمد في كل ذلك الحق الصريح بزوال الأمور المعوقة التي كان لها الأنبياء المرسلون المؤيدون يمهلون أتباعهم في التقويم ولأجلها يرجئون الأمر فيه ويؤخرون إلى وقت[٥] الإمكان في إلزام الحق والفرق بين الحق وبين الباطل ، ذلك اليوم الحق المؤيد بالقوة والمعان من كل جهة فلا يفعل إلا الحق الواجب من تميز أهل الخير من أهل الشر الذي قال عيسى عليه السلام في وصف الأكار الذي يزرع زرعه فينبت في زرعه ما يوهن قوته فلا يمكنه أن ينقيه إشفاقاً على زرعه فيتركه إلى أن يدرك ثم يميزه بأن يفرق بين ماله

---

١ ـ سورة ١٥ آية ٩٢ و ٩٣
٢ ـ سورة ٢٧ آية ٨٤
٣ ـ سورة ٧ آية ٦ ، ٧ ، ٨
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ سقطت في ن

السنبلة فيأخذها من بينها فيضرم الباقي بالنار ، نعوذ بالله من العذاب في الدنيا والآخرة .

وأما ما يكون وجوده في الآخرة فهو من جهة العقول الإبداعية والإنبعاثية بما يسري من روح القدس في الأنفس الحاصلة من حضانة التعليم بظهور النفس الزكية صاحب الدور السابع في العالم الطبيعي واستكمال الأسباب أسباب السعادات له طبيعياً وملكوتياً قياماً بحكم العلم بكل صورة بما لها وعليها بحسب ما جرى به الحكم من جهة الله في دار حكمته مثلا بمثل فيسعد السعيد ويشقى الشقي ، وذلك أن النفس لما كانت جوهراً كاسباً في وجوده الأول في دنياه بدأ به واجتهاده ، وكان ما يكتسبه حاصلا في ذاته حصول الكتابة في الكاغد أو مثله من قابل بكون ذاته هي القاعدة في ذاتها وهي المفعولة بها جميعاً ، كانت ذاته كتاباً مرفوعاً بما اكتسبته مرهونة بما ادخرته على ما ذكرناه فيما سبق،وذلك هو المراد في قول الله تعالى : « كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين[١] » ، وقوله: « كلا إن كتاب الفجار لفي سجين[٢] » يعني أنفس الأبرار وأنفس الفجار المرقومة بما اكتسبته على ما يأتي به الشرح ، ولكون تلك الذات حياة عالمة في ذاتها تامة بما قبلته بالنفخ المذكور من الروح لا تكاد إذ ذاك لا تعلم ما هو مخالف من مكتسباته أو موافق لما إليه صارت من غيره مما أخرجته مما عنه كان صورتها ، بل تعلم ذلك من حين مفارقتها جسمها وزوال الأمور الشاغلة ، كانت إياها لأجل جسمها عما يخص ذاتها كما جاء في الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام ، إن الميت إذا دفن سئل وفتح له باب من الجنة إن كان من أهلها أو باب[٣] من النار إن كان من أهلها فيعلم بذلك أنه من الفائزين بالرحمة ، أو الواقعين في العذاب والنقمة ، فنظرها في ذاتها إذ ذلك وقوفها على تلك الأمور المكتسبة التي هي محبوبة إن كان

---

١ ــ سورة ٨٣ آية ١٨
٢ ــ سورة ٨٣ آية ٧
٣ ــ سقطت في ن

خيراً ومكروهة إن كان شراً ، وإحاطتها علماً بتكافىء المكتسب خيراً أو شراً وتعادله من زيادة أحدهما أو نقصانه كإحاطتها في دنياها بما عليه خلقتها من تعادلها فيها ، وذاك هو حسابها بكونها ناظرة في ذاتها ، ولذلك قال الله تعالى سبحانه : « اقرأ كتابك(١) » يقول : تأمل ذاتك وما حصل لها من تكسبك واجتهادك بالعبادتين « كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً(٢) » يقول : لا حاجة إلى معرف هو غيرك بسريان ما سرى فيك وكفى بذاتك التي هي نفسك بما تعلمه منها مما أنشأتها باختيارك وإيثارك موجبة لك السرمد والأزل والبقاء والمسار (٣) في جوار الباري ، أو الشقاء والعذاب والبعد من جهة الملأ الأعلى ، فيكون عن ذلك التحقيق وتلك الإحاطة حدوث الألم والعذاب واللذة والمسار ، كما أن شخصاً من البشر مثلا لو فرضناه حين كان في ظلمات الأحشاء ذا علم وإيثار لأن يكون ما له من الصناعات التي يتعلق وجودها بالآلات التي يتم بها الشخص وفيها كماله وبها بقاؤه وبهاؤه وملاذه ، هي السياسة والإمارة والكتابة والوزارة والطب والمعالجة ، أو رصد الكواكب (٤) والأحكام والنسك والمشي إلى بيت الله الحرام أو غير ذلك ما عنه يحصل الملاذ والمسار الحاضرة ، وأنه كان ذا علم وقدرة على إصلاح تلك الآلات التي بها تصح الصناعة المعلومة أنها الأصل في تحصيل ما تصح به الملاذ ، وذا مكنة في إفسادها بالتواني في استصلاحها وموكولا إلى اجتهاده الأمر في ذلك ، واكتسابه في ذلك الموضع قبل الوجود في ساحة الهواء من باطن الأحشاء وأن بحسب ما كان من اختياره واستعماله قدرته في اكتسابه داخل الأحشاء حصل في الوجود خارجها ، وكانت حالته في الإكتساب واستعمال قدرته حالة سوأ بها أجزاء آلته التي بها يتم ما يريده من الصناعات مختلفة ناقصة (٥) » أو حالة جيدة بها الآلة مستقيمة كاملة ،

١ ـ سورة ١٧ آية ١٤
٢ ـ سورة ١٧ آية ١٤
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ في ن : النجوم

فيزيده الله تعالى علماً بذاته على ما يكون عليه حال النفس ، فيقال له على سبيل الإنصاف ليعلم إن منع ما أراده أنه باستحقاق هو ممنوع ، وإن منح مراده أنه باستحقاق له هو ممنوح ، تأمل أحوال جسمك الذي به يتم ما تطلبه فكفى بجسمك حاكما بما تستحقه من الصنعة التي اخترتها ، فيتأمل فيجد شخصه في آلاته ناقصاً لا يكمل للصنعة التي يحتاج فيها إلى اليد بكونه أشل وفيما يحتاج منها إلى الرجل بكونه أعرج ، وفيما يحتاج منها إلى الأذن بكونه أطرش [1] وفيما يحتاج منها إلى العين بكونه أعمش [2] ، أو تاماً كاملا قوياً في آلاته كلها لكان يستيقن من قبل نقصانه في آلاته وكماله وقوته فيها أنه يستحقه ويتمكن ، « أو لا يستحق ولا يتمكن [3] » ولكان يحصل إن كان ناقصاً في غم لا ينقضي وعذاب يذب، فيه فلا ينتهي ، وحسرة على ما فاته من إحكام آلاته حين الإمكان بتقصيره في اكتسابه أسباب سعاداته التي بها يمكنه القعود على سرير الإمارة والتصدي للسياسة ، ومزاولة الحرب، والقيام بالطب والرصد والمشي، إلى الطواف والسعي ، فيبقى على ذلك أبداً وأنى له الخلاص من هذه الأمور المؤدية إياه إلى غير المراد ، ولا سبيل له إلى عوده إلى حيث الإكتساب من الأحشاء التي منها وفيها كان خلقه ، كما قال الله تعالى : « هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله [4] » الآية يقول : هل مرادهم إلا معرفة العبادة الثانية التي يتشوقونها يوم القيامة يظهر « أمره من جهة صاحب [5] » الدور السابع « يقول الذين نسوه من قبل [6] » ولم يقبلوه فصار منسياً ، قد كان الدعاة الذين هم رسل النبي والوصي عليهم السلام يقولون الحق فيما كانوا يدعوننا إليه فهل لنا من يعلمنا الآن ؟ أو نرد فنعمل ، قد خسروا أنفسهم بما استهانوه من أمر دينهم ، وفاتهم الوقت وضل عنهم ، وبطل عليهم ما كانوا يوجبونه بانتهاء الأمر غايته في التعليم والتنبيه وزوال الإمكان في التأخير

١ ــ في ن : ابرش
٢ ــ في ن : أعمى
٣ ــ في ن : « او يستحق ويتمكن »
٤ ــ سورة ٧ آية ٥٢
٥ ــ في ك : « صاحب امر من جهته »
٦ ــ سورة ٧ آية ٥٢

والإمهال بتمام تقدير الله سبحانه . وإن كان تاماً قوياً عاملا في سالف أيامه ومكتسباً فيبقى في الملاذ لا تنصرم ، « ومسار لا تنقطع [١] » ، وأمور يقصر وصفها بالموجود عندنا من المحسوسات . هذا وقد قال الحاكم بأمر الله سلام الله عليه وصلواته : « إن الذنوب والمعاصي التي ترتكبها النفس في دنياها، لولا تشاغلها بأمور جسمها في استعمال الآلات التي لها في طلب مقاصدها ومطالبها وإلهاء الأشغال إياها عنها لكانت تجد الألم في الوجع في ذاتهـا بواقع أفعالها ، لكنها لا تعلم لما هي فيه وبصدده من الشغل بمصالح بدنها إلى أن تفارق شخصها فراقاً، وتنفرد بذاتها انفراداً، ويخلو وجهها، وتشعر بالآلام كالإنسان الذي به وجع أو غم ، فيرد عليه أمر مهول يهمه فيشغله عن ذلـك الوجع فلا يحس به إلى أن يخلو قلبه مما عراه فيعود إليه الألم والغم فيبقى فيه أبداً مقاسياً للغم والألم المشبه بما يكون عن إحراق النار الأجسام الحساسة ، والأذى في ذاتها وبأمثالها اللاحقين بها بتوارد المدد إلى الأبـدية وهو الشقاء والعذاب » نعوذ بالله مـن مخالفة أوامر الله وطـاعته . وإذا كان الأمـر في الذنوب على ذلك، فالحال في الحسنات التي تكتسب والفضائل مثله ، إلا أن الثواب والعقاب [٢] في حق ماهيتها مـن طريق الإعراب عنـه ومعرفته [٣] سبيل منسد غير ممكن سلوكه إلا على المؤيدين ، والمستطاع الممكـن في ذلك كما قال موالينا عليهم السلام هو تشبيه من الأمور المحسوسة بالمعـاين المعلوم ، كما فعل النبي عليه السلام لما علم أن تصوير ما دعا إليه الناس والإخبار عنه من إله واحد متعال متقدس عن الصفات وملائكة وجنة ونار وثواب وعقاب، وغير ذلك مما أخبر عنه غير ممكن بالحقيقة لارتفاعه عـن أن يكون مدركاً بالحس كقوله عليه السلام إخباراً عن الجنة ونعيمها : (إن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) حصر الذي يخفى على العقول حكمه

---

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ سقطت في ن

بأن الأستطاعة تفوتها كناية عنها ، فأخبر عنه ووصفه بالأمور المحسوسة المعلومة المدركة بالآلات المتهيأة لهم [١] لتقرب على أفهامهم معرفته فيرغبوا فيه ويتشوقوه ويتحدروه ، كما وصف الله تعالى نفسه في كتابه أولا بالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والرضى والسخط ، والغضب والرحمة، وغير ذلك من الأمور المعلومة عندنا ، ووصف الملائكة بالدعاء والتسبيح ، والتهليل والقيام بما يؤمرون ، ووصف الموجودات في الجنة بالظل ، والمياه والأنهار والأشجار[٢] والثمار، والرمان والأعناب والولدان، وحور العين والأكواب والأباريق والنمارق، والأرائك وقاصرات الطرف، وأمثال ذلك مما هو معلوم عندنا . ووصف موجودات الجحيم بالنار والعذاب والآلام، والحميم[٣] والغسلين ومثل ذلك الذي كله محسوس لأن تلك الأمور المخبر عنها كالمخبر به ، أو المخبر به يدانيها بحال من الأحوال ، بل هو تقريب على الأنفس وتعليم لها لتتقوى بمعرفة الأمثلة على إيجاب الأمثال لها على نظام [٤] واحد فيحصل لها بذلك نور حياة يستكمل عند المفارقة وهو غاية الإستطاعة في الإبانة ، بل الأمر فيما يكون عذاباً للأنفس أعظم مما يوازيه عذاب في الدنيا أو يقابله ألم من الآلام، وفيما يكون ثواباً أعظم مما يوازيه نعيم في الدنيا ، كما روى أن أطعمة الجنة تبقى لذاتها في الفم كذا وكذا ألف سنة تقريباً للافهام، بل تلك الأمور أعلى درجة من الموجودات عندنا بكثير لا بأضعاف الواحد عشرة آلاف ومائة ألف بل أكثر ، جعلنا الله من الفائزين بها برحمته . والأمر في ذلك تشبيهاً كما أننا لو فرضنا الجنين في الأرحام عالماً وعارفاً فيقال له إن خارج موضعكم الذي هو الأرحام عالم فسيح واسع وضوء وظلام ونار وهواء وأرض ونجوم وأفلاك ونعم تؤكل طيبة لذيذة نظيفة لكان لا يتصور ما يقال له من ذلك إذ لم يره ولم يسمعه ولم يخطر بباله ولم يحط به علماً ، ولكان جوابه في ذلك سؤالا واستفهاماً مثل ماذا ؟ ولكان بالضرورة نحتاج في إفهامه

---

١ ـ في ن : بهم

٢ ـ سقطت في ك

٣ ـ سقطت في ن

٤ ـ سقطت في ن

إلى أن يجعل لما ينبأ به مما هو حاضر له في الأحشاء وداخل البدن من دم وصفراء وسوداء وبلغم وكبد ورئة وطحال وأمعاء ومعدة وغير ذلك فنجعل المحيط به من الأحشاء كالأجسام المحيطة ، والبلغم والرطوبات [١] كالماء ، والمرارة كالنار التي تسخن المعدة ، والقلب كالشمس ، والدماغ كالقمر ، والكبد وغيره كغيره ، وما هو غذاء لجسمه كالأطعمة اللذيذة فنشبه كل شيء من ذلك بشيء، ونعرفه أن تلك الأشياء لا كهذه الأمور التي تشاهدها فإنها أعظم وأجل بطبقات ، وأن هذه الآلات التي لك من عين ويد ورجل وأذن وغير ذلك، إنما هي لك لتدرك تلك الأشياء بها ، وإلا فأنت بهذا المكان مستغن عنها ، فيقع بذلك تصور ما غاب عنه كالمخبر به ، وعلى تفاوت الحال بين المثل وبين ما جعل المثل له مثلاً ، كذلك الحال بين عالم القدس وموجوداته وبين عالم الطبيعة ومحسوساته مثلاً بمثل ، فان تلك الموجودات لا كهذه الموجودات وإنما يقال ما ينال هناك من لذة وألم تقريباً وتشبيهاً . فالثواب على مراتب ثلاث تتفاضل فيها الأنفس التي بها توجد اللذات : مرتبة أولة يكون تفاضل الأنفس فيها في الآخرة بحسب شرف المكتسب به الفضائل تجري مجرى النوع ، مثل تفاضل أهل الصناعات في صناعتهم في الدنيا بأن تكون صناعتان مختلفتين بالنوع فتكون إحداهما أفضل من الأخرى ، مثل صنعة العطر والكفافة والكنافة[٢] والرقص والفقه ، والبز والحياكة وغير ذلك ، وبحسب فضيلة إحداهما على الأخرى يكون للمتعاطي لها الفضل ، وذلك مثل الشرائع التي يعبد الله بها وتكتسب الفضائل النفسانية منها الجارية مجرى الأنواع ، فيكون العابد لله سبحانه بشريعة سيد الأنبياء محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله لكونها أتم الشرائع وأجمعها للمصالح لا كالذي عبد الله بالشرائع المتقدمة بل أفضل ، وهذه مرتبة عالية تعلو رتب من تقدم من العابدين . ومرتبة

---

١ ــ سقطت في ك
٢ ــ سقطت في ك

ثانية يكون تفاضل الأنفس فيها في الآخرة بحسب قيامها بكل الأمور التي تكتسب بها الفضائل أو بعضها الجاري مجرى الكمية مثل تفاضل أهل صناعة واحدة فيما تتم به الصناعة من أجزائها ، بأن يكون مثلا واحد جمع من أجزاء صناعة الكتابة التي تتم باجتماع علم اللغة والنحو والترسل وجودة الخط والحساب ، وآخر يجمع من ذلك الترسل وجودة الخط ، وآخر يجمع اللغة والنحو والترسل وجودة الخط ، فيكون الذي يجمع الكل أفضل من غيره فبحسب ذلك الباقون ، وذلك مثل الأمور التي تجمعها الملة الشريفة وتضمها [1] بالعبادتين التي هي أجزاؤها فيكون واحد يعبد الله تعالى منها بالشهادتين والصلاة ، وآخر بالشهادتين والصلاة والزكاة والصوم ، وآخر بذلك وبالحج وباقي العبادتين ، فيكون العابد بكل الأمور حتى لا يغادر منها شيئاً علماً وعملا من عبادة الله تعالى أفضل من القائم ببعضها . ومرتبة ثالثة يكون تفاضل الأنفس فيها في الآخرة بحسب كيفية قيامها بالأمور التي تكتسب بها الفضائل مثل تفاضل أهل الصنعة في جزء واحد من أجزاء الصنعة بأن يكون مثلا اثنان يحسنان من أجزاء الكتابة الخط والحساب فقط ، ويكون أحدهما أقوى فيهما من الآخر لكثرة الدربة والتجربة والعمل ، فيكون أفضل من الآخر وذلك مثل تفاضل أهل العبادتين في أجزاء الشرائع التي هي مناسكها الإلهية ، فيكون أحدهم في الصلاة أو الوضوء أو غيرهما ، أو العناية بمعرفة الأمور فيهما أكثر همة ومواظبة فيكون أفضل ، وبحسب ذلك تتفاضل درجات أهل الثواب ، وعلى موجبها قد انتقش ذواتهم ، ولا ينتبه لمعرفة ذلك إلا المرتاض بالعبادتين العامر ذاته بالأعمال الصالحة والمعالم الإلهية ، فكان من المتقين المتزودين . ولذلك واجب في الدعوة العلوية أن لا يقلد أمرها إلا الحاذقون الصالحون لها ، المتمكنون من أنفسهم في رياضتها ، فيكونون

---

١ ـ سقطت في ن

ماهرين في الكلام والخطاب ، والتعليم وتمثيل الغائب بالشيء الأقرب إليه مناسبة ومجانسة ، وتحاكيه بالأقرب إليه بحسب ما جاء من المؤيد مـن السماء بوضائعه وأقواله مثل ما نقول إن خيال الإنسان المعاين الذي هو جثته ، هو أقرب إلى الإنسان بالحقيقة مـن مثل خيال المرئي في المرآة أو الماء إقتداء في التأييد والاختبار بمن يوحى إليه مـن بين الأمم ممن يكون مواتياً للمراد فيما يمد به من البركات في كل باب ، وكان في ذلك يتفاضل العلماء والدعاة المعلمون ، ويعد من الفضلاء من كان منهم تعليمه وتصويره للشيء في الأفهام أقرب ، ويتفاضل الناس بعدهم في معرفة ما يعلمون ، فإن منهم من يعرف بالإيماء وأدنى الإشارة ، ومنهم من لا يعرف إلا بالأمثلة له ، وأدون حتى يبعد الأمر في المحاكات لا من جهة المعلم ، بل من جهة المتعلم بقلة تصوره ، وعلى ذلك ، فما كان في التأويل والتمثيل أحق وأفضل وأوصل وأوزن ، والعناد فيه والخلاف أقل فهو الأصح ، والمحيطون بتلك الأمور الغائبة كما قلنا هم الأنبياء المبعوثون المرتقـون في الكمال غـايته ، وعلى ذلـك تكون مباني وضائعهم[١] ، وبعدهم الحكماء الذين هم الحجـج . وإنما قلنا إن الدعـاة يكونون بهـذه الأوصاف ليكونوا في دعائهم ينتفعون بأنفسهم فينتفـع بهم ، فإن الأمر خطر ونعوذ بالله ممن إذا رجع إليه في معرفة شيء كان هو أحوج إلى معرفة ذلك الشيء من السائل ، فإنـه يخبط العشواء إن لم تكن له ديانة فتعصمه وأمانة فتحفظه بالسكوت عما لا يعلم . وفي الجملة فالغاية في الثواب المطلوب ما وصفه الله تعالى في كتابه : « في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر[٢] » وقال : « وكل شيء فعلوه في الزبر[٣] » الزبر : الكتب ، وكتب الآخرة الأنفس ، يقول : وكل ما اكتسبوه من قبيل علم وعمل ديني فهو محفـوظ في ذوات الأنفس مكتوب

---

١ ــ في ك : اوضاعهم
٢ ــ سورة ٥٤ آية ٥٥ ، ٥٤
٣ ــ سورة ٥٤ آية ٥٢ سقطت (و) من الاصل

لها « وكل صغير وكبير مستطر[١] » يقول: وكل مكتسب بمخالفة واتباع هواه من صغيرة وكبيرة في ذواتها « إن المتقين في جنات ونهر[٢]» يقول : هذا هو الحال فيا يكتسب من خير وشر ، والذين يجمعون بين العبادتين يقومون بأوامر الله تعالى [٣] وقد ناسبوا بما اكتسبوه وعلموه دار القدس فهم الفائزون بها وفي فسحة من نيل المباغي « في مقعد صدق » يقول: إن ذلك الموضوع هو الحق الذي لا يبلغه إلا أولو العبادتين الباطنة والظاهرة « عند مليك مقتدر» يقول: عند الملك الجبار الذي به وجد الموجودات حول العرش العظيم في تسبيح وتحميد وتهليل [٤] والتذاذ بما يحدث في ذواتهم عندما يدركونه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

وأما الجنة ، فنقول: إنها موصوفة بالسرمد والأبد ووجود الملاذ فيها أجمع ، وأنها لا تستحيل ولا تتغير ، ولا يطرأ عليها حال ولا تتبدل والذي بهذه الصفة هو النهاية الأولة من الموجودات عن المتعالي سبحانه عن الموصوفات والصفات إبداعاً خارج الصفحة العليا من السموات المعرب عنها بسدرة المنتهى الذي هو المبدع الأول الذي هو المحرك الأول الموصوف بالأزل وعلة العلل والمنبعث الأول ، وجميع الملائكة المقربين الإنبعاثية ، وإليه يتحرك كل متحرك ويشتاق إليه كل موجود متأله ، وأسماؤها كثيرة بحسب مراتبها حول العرش ، وأنها دار القدس ، إلا أن جنة المأوى هي مأوى الثابين من العقول المنبعثة في دار الطبيعة والأنفس العاقلة المتخيلة ومجمعهم ، وفيها المتقون ، هي المعرب عنها بأنها عند سدرة المنتهى خارج الأجسام في جوار الملك المقرب الموكول إليه أمر العالم الذي به تتعلق الأنفس وبه تستمد في دار الحس ، ذكر الله تعالى في كتابه ذلك : « كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين [٥] » إلى

١ ـ سورة ٥٤ آية ٥٣
٢ ـ سورة ٥٤ آية ٥٤
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ سورة ٨٣ آية ١٨

قوله: « ومزاجه من تسنيم . عيناً يشرب بها المقربون[١] » ، (كلا) حرف تحقيق لما يتلوه « إن كتاب الأبرار » يقول : إن نفس الأبرار العاملة في دنياها بما أمر الله به ورسوله عليه السلام يختلط أعمالهـا في ذلك الشيء غـير مجردة من أشخاصها المنفردة بذواتها (لفي عليين) يقول : في سعادة من علت درجته من الأنبياء والأئمة والأولياء الذين هم العليون ، يقول: العالون صفحة السموات خارج الأجسام بذواتهم حول العرش « وما أدراك ما عليون[٢] » يقول: وما تعلم أن « العليون » ما هو تعجب « كتاب مرقوم » تفسير العليين ، يقول : نفس منبعثة انبعاثاً ثانياً مرقومة منقشة بجميـع المعارف الإلهية ، وما تقدم وما تأخر اكتساباً جـامعاً للصور المجـردة المكتسبة مـن أول الأدوار إلى آخرها ، الأنبياء والأئمة والحدود التابعة ، كالسماء الأعلى الجامعة لجميـع الصور « ويشهده المقربون » يقول: أيدتها العقول البرية التي هي المـلائكة المقربون في الأدوار الخالية ، وواصلتها بالأنوار القـدسانية ، وفعلت فيها ما يـتم الخلـق الجديد كما فعلت في السموات وأثرت فيها فكان « قوله تعالى[٣] » موجباً أن الجنة للنفس هي السعادة المستمدة مـن دار القدس مـن جهة المؤيدين ، وهي فيها دون الملك المقرب منزلة ، ثم قوله سبحانه : « إن الابرار لفي نعيم[٢] » نسقاً على كلا ، فكأنه لما أخبر عن الأنفس المجردة أنها في السعادة وبين وجهها وكان لها أمثال لم يلحقوا بعد بها مـــن دار الطبيعة ، وفي زمن صاحـــب القيامـــة الذي هو الدور السابـــع عند النفخ لم يلحقوا ، أعاد ذكر أحوالهم كيف تكون معه فسماهم ، ولما كانوا في الأجسام غـير مجردين ولا منتقلين بعـد فكانوا قائمـــين بالعبادتين أبراراً فقال : «إن الأبرار» الذين في ذلك الزمان العاملـين بالعبادتـين القائمـــين باكتساب السعادتـــين « لفي نعيم » يقول إن أو لئك وإن كانوا لم يلحقوا بتلك الأنفس بعد فتكون أنوار القدس تواصلها وتدب فيها لفي المسلك الذي سلكته قياماً بالعبادتين

---

١ ـ سورة ٨٣ آية ٢٨ ، ٢٩

ـ سورة ٨٣ آية ١٩

٣ ـ في ن : لقوله

وإقراراً بالحدود وطاعتهم ، التي هي النعيم الذي يسأل عنه يوم القيامة ، كما قال : « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم [١] » قال الصادق جعفر عليه السلام جواباً لسائل سأله عن هذه الآية : ما تقول العامة في ذلك ؟ فقال له : إنها تقول إن النعيم هو الماء البارد يشربه العطشان في اليوم الحار ، يسأله الله عنه يوم القيامة ، فقال : إن الله أرأف من أن يسأل العباد عما أحله له وأباحه لمن شربه وكيف شربه ، وإنما يسأله عما فرضه عليه وأمره به ، قام به أو لم يقم ، ضيعه أو لم يضيعه ، وأي نعيم أجل من فرائضه وطاعته المكتوبة التي تؤدي المحافظة عليها إلى عين الجنة إقراراً بالحدود ، وعملاً بالطاعات فتؤديهم إلى النعيم الأزلي « على الأرائك ينظرون [٢] » ويقول : إنهم في مراتبهم من الدين مستقرون وبما خلقه الله تعالى من النهاية الأولة إلى النهاية الآخرة عارفون عالمون « تعرف في وجوههم [٣] » تعلم في ظاهر أحوالهم وأمرهم وفحوى كلامهم ومقاصدهم « نضرة النعيم [٤] » يقول : فعل العبادتين فيهم وحسن اعتقادهم في توحيد الله سبحانه « يسقون من رحيق مختوم [٥] » شبه ما يفاض عليهم من جهة صاحب الدور السابع من العلوم الإلهية التي يتعلمونها وتحصل لهم بها المسرة والغبطة ، والقوة بالخمر إذا شربه الإنسان سرت نفسه وتقوت فقال : « يسقون من رحيق » وهو الخمر « ختامه مسك [٦] » يقول : آخر تلك الإفاضة والتعليم المشبه بالخمر في الدنيا مثل نيل الأماني والمباغي على وجهها ، وفي الآخرة الفوز بالأبد والبقاء في جوار رب العالمين الذي هو الختام ، « وفي ذلك فليتنافس المتنافسون [٧] » يقول : وفي مثل ذلك الذي يبقى على [٨] الأبد يرغب العاقل الطالب للدرجات لا فيما يبطل ويستحيل من الفاني على مر الزمان « ومزاجه من تسنيم. عيناً يشرب بها المقربون [٩] » يقول:

---

١ ـ سورة ١٠٢ آية ٨
٢ ـ سورة ٨٣ آية ٢٤
٣ ـ سورة ٨٣ آية ٢٥
٤ ـ سورة ٨٣ آية ٢٥
٥ ـ سورة ٨٣ آية ٢٦
٦ ـ سورة ٨٣ آية ٢٧
٧ ـ سورة ٨٣ آية ٢٧
٨ ـ في ن : الى
٩ ـ سورة ٨٣ آية ٢٨ ، ٢٩

وأصل ما يفاض عليهم من الأمور الإلهية التي بها ينالون المباغي ديناً ودنيا من تسنيم من أعلى عليين [١] أي علم، وهو توحيد الله الذي لا إله إلا هو منبع الموجودات «كالعين يشرب بها المقربون [٢]» يقول : بذلك العلم الذي هو التوحيد تأزلت العقول الإبداعية، والمقربون وبه تأحدت فذلك أمر الجنة تقريباً وتشبيهاً .

والنار لما كانت مغيرة للأمور الطبيعية إلى الصلاح والفساد جميعاً شبهت فيما كان تغييرها إياه إلى الائتلاف والكمال[٣]، والتركيب والصلاح جملة بالقدس والهداية مثل قول الله تعالى : « هل أتاك حديث موسى، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى [٤] » وفيما كان تغييرها إياه إلى التحليل والنقض، والتفريق والفساد جملة بالعذاب والضلال، كما قال تعالى: « وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون [٥] » وهذه النار بخلاف تلك فإن تلك هداية وكمالاً، وهذه ضلال وعذاب. فالنار لما كان من فعلها التفريق ونقض المباني، جعلت عما يصير الية أمر الفجار والأنفس الخبيثة الفاسقة المنافقة، فقال الله سبحانه وتعالى : « كلا إن كتاب الفجار لفي سجين . وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم . ويل يومئذ للمكذبين [٦] » « كلا » حرف تحقيق لما يتلوه، « إن كتاب الفجار » يقول : إن أنفس الفجار الذين يخالفون أمر الله فيما أمر به ويكذبونه ويتركون العبادتين ويخلون بهما أو بواحدة منهما « لفي سجين » يقول : لفي البعد الأبعد من النهاية الأولة التي هي العليون على ما سبق ذكره، وهو الشقاوة المعبر عنها بالسجين الذي به يعذب المجرمون كالحبس في دار الطبيعة التي فيها يعذب المذنبون، وهو على ما ذكر أهل التفسير [٧] صخرة في أسفل سافلين « وما

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : عين
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سورة ٢٠ آية ١٠
٥ ـ سورة ٢٨ آية ٤١
٦ ـ سورة ٨٣ آية ٨، ٩، ١٠، ١١
٧ ـ التفسير يعني جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القارىء، بينما التأويل هو باطن المعنى او جوهره، لذلك نجد النظام الفكري الاسماعيلي يعطي صلاحية التفسير (للناطق) ويهب صلاحية التأويل للامام، لان الاول بنظرهم يمثل الشريعة والاحكام والفقه والقانون الظاهر بينما الثاني يمثل الحقيقة والتأويل والفلسفة وعلم الباطن .

أدراك ما سجين » يقول : وما تعلم أن السجين ما هو « كتاب مرقوم » صفة له يقول : هو أنفس مرقومة رهينة بما اكتسبته من الأعمال والمعارف لا في رضاء الله ، ولا في طاعة أولياء الله جامعة لأمثالها ، كالأرض المرقومة بكونها جامعة لجميع الصور الواقعة تحت الإحساس [١] يلحقها العذاب بما ينطوي من أحوالها من صنوف الآلام ، كما يحدث في موجودات الأرض من الاستحالات التي جعلت مثالاً للعذاب ، وهذا كناية عن تلك الأنفس الخبيثة المفارقة ، وعمن كان في مشاكلتهم فسحقاً لأصحاب السعير وتعساً لهم بما يحصل لهم من قبل الإنتقال في زمان صاحب الدور السابع من صنوف الغموم والتعريض بكل بلاء بما اختاروه لأنفسهم من العمل بغير ما أمر الله به ورسوله ، ومن كان أخانا حقاً وقف عند ذلك على المعنى فيه المعين المنصوص بذكره فيخاف أن يؤول أمره إلى أن يكون في البعد الأبعد من القدس وأهله وجوار رب العزة فيحذر من التقصير في الأعمال المفروضة ، وفي اقتناء السعادة بمعرفة الأمور المكتوبة ، ثم يحذر كل الحذر بعد الدنو من الأزل أن يبعد بآخرة الأمر بالهوينا مغتراً بالأمل فيحصل بتركه الإعتلاق بأحكام العدتين فيما لا يكون تشبيهه إلا بالتركيب السوي من البشر يحصل في النار كيف تدب أفعالها فيه فتقصر أجزاء لحمه وعظمه، فتحدث عن ذلك الآلام في كله فيرتد من تركيبه عكساً قهقرياً ونقصاً إلى المراتب التي دونه ، نعوذ بالله من غفلة تستدعي ذلك [٢] إنه الخسران المبين . وقد ذكرنا في الرسالة الوحيدة ، ما يجب أن يقدح العاقل فيه زنده فيسهل الله الخير بمنه .

وأما حال المتقين في مآبهم ، وما يلقونه من السعادات والخيرات ويصادفونه من الكرامات والمسرات ، فالوصف يقصر عنها ، لكنها تشبيهاً وتقريباً كحال محموم رهين بلد هواؤه حميم وماؤه ثقيل ، وأهله كله أعلاء مثله ،

---

١ ـ في ن : الحواس
٢ ـ سقطت في ن

وسلطان بـلده سلطان عظيم ، عادته أن يهـتم بمصالح رعيته ويرحمهم ويشفق عليهم ، وأن يتخذ كل برهة دعوة ويستدعي إليها كافتهم ليتفقدهم ويحسن إلى كل منهم بحسب مقـــداره ويستخصهم ، فأرسل السلطان الطبيب إليه وإلى الجماعة لخلوهم ممن يداويهم لمعالجته إياهم فيبرأ هو وأمثاله ، ويحضر مع الأصحاء لميقات يوم معلوم ، فيلتذون بما أعده لهم من النعيم ، ويخلـــع عليهم ويفعل معهم ما تقتضيه شاكلته في الكرم والإحسان ، فحضره الطبيب ، فجس نبضه ورأى قارورته فوجده قد كثرت في بدنه الأخلاط الردية المستعدة لفعلها ، فسأله عن مأكله ومشاربه [1] وما يميل إليه طبعه ، فعرفه ذلك ، وأن الذي يشتهيه لا يصبر عنه أصلاً ، وكان كله مـن سوء المزاج ، فتحقق الطبيب أن ذلك من أمارات العلة وإقبالها وقوتها ، فأشار عليه بالحمية والإمساك عـــن تناول ما تعوده من المآكل ويشتهيه معرفاً إياه أن الأبـــدان الغير نقية كلما غذيت ، ولو كان الغـذاء صالحاً ازدادت علته ، ورسم عليه الإقتصاد مـــن الغذاء على شيء معلوم يحفظ القـوة ولا يزيـد في الأخلاط الردية ، وركب له دواء جمع فيه عقاقير منها ما فعله كسر ليبس حدة الأخلاط ، ومنها ما فعله جمع الأخلاط وجذبها من أقاصي البدن وعمقه ، ومنها ما فعل إخراجها فينقي البدن ، وأمره بتناوله ، ووصاه بأن يصبر على ما يكرهه مـن مرارة تلـك الأدوية المجموعة ، وعلى تناولها ، والصـــبر عليها إلى أن تعمل عملها وتخرج الأخلاط،وأن لا يتسرع إلى أكل شيء غليظ والنوم فيه ، فيوهن فعله ليتنظف البدن بمفارقة الأخلاط وانحدارها فيصـح وتعاوده السلامة والعافية ، فيأكل حينئذ كل شيء يريده،وخاصة ما أعد في دار السلطان له ولأمثاله من الخيرات ، ولا يضيره ، وأنذره بأنـه إن لم يقبل قوله ولم يفعل ما أمر به أداه ما هـو فيه إلى علة صعبة تهلكه فتفوته الخيرات ، فإن قبل قوله وعمل به وصبر [2] على تناول تلك الأدوية المرة، وثبت على ذلك، وعمل الدواء في تلك الأخلاط

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ن

فأخرج منها البعض بالإسهال ، والبعض بالقيء والبعض بالعرق والبعض بالهضم ففارقته الحمى بنقاوة بدنه من الكيفيات الردية ، فحصل سالماً صحيحاً يستعمل الأدوية[١] في الإلتذاذ بالمآكل والمشارب والمناكح والملابس فجاء ميقات ربه في الدعوة وضرب البوق فأجاب كل إلى دار السلطان ، فدخل مع الداخلين ، فرأى ما أعد فيها من الملاذ من كل نوع فالتذ بالمآكل والمشارب والمناكح ، واستراح في طيب الروائح ، وسمع الأغاني بمدح السلطان المترددة حول سرير الملك ، فتنعم من جميع ذلك ، وصار مع الجماعة في روضة يحبرون فيحصل في غرف بجنب سرير الملك تلتذ كل حاسة له من شأنها أن تلتذ به فيطلع منها على أهل بلده فيرى الأعلاء الذين شغلتهم عللهم عن الحضور معهم للمشاهدة في تلك الطيبات كيف يتقلبون في تلك الأمراض ، وكيف يتأوهون ويستغيثون فيعرف قدر النعمة التي هو فيها ، وعاقبة ما قبله من قول الطبيب فيقول : الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها لغوب وينادونهم كما قال الله سبحانه : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم[٢] » ثم يستخصه السلطان في تلك النعمة أبداً فيصير في جملة أولئك الذين يرددون الألحان بمدح السلطان فيبقى مسروراً معهم مغتبطاً متنعماً صحيح البدن فلا يموت . فهذا حال المتقين في آخرتهم ينالون مباغيهم بما جاهدوا أنفسهم عليه في عبادة الله تعالى رب العالمين . والذي يدل من حال المؤمن في دنياه على حالة آخرته تعلقه بالعبادتين ظاهراً بالعمل وباطناً بالعلم ، ومحافظة على رسومهما وفرائضهما وسننهما وقيامه بأداء الواجب من حقها ، ومجانبته ترك أوامر الله سبحانه له أو ما نهى عنه ، ومجالسته أهل العبادة وأهل الخير ، وكون جميع ذلك غرضاً له متشوقاً إليه ينزع نحوه ، وإليه يقصد ، وحول القيام به والإعتناء به يحوم ، وفي الجملة الوقوف عند الأمر والنهي والكون فيهما كالعبد الذي لا يقدر على شيء سوى

١ ـ في ن : الافوية
٢ ـ سورة ٧ آية ٤٣

ما أمر به ، فيترك ما يوجبه إختياره ، ويصير كالمجبر [١] الذي لا يستطيع أن يفعل غير ما جعل له ، فإن في القيام بذلك يدرك التشبه بالأبوين اللذين هما النبي والوصي عليهما السلام ، كما قال: « أنا وأنت يا علي أبوا المؤمنين » ويروى « أبوا هذه الأمة » ، بل بالملأ الأعلى . فبذلك يتم وبه يقع التواصل والتجانس[٢]، والتقابل والتشاكل ، ذلك بأن المداومة على هذه الأمور هي السبب في قوة النفس والتصور، والإتصال والتشبه والقيام بالفعل، مثل المعلوم في كل صناعة بأن الذي توفره على صنعة معلمه أدوم وأكثر ، فهو فيها أقوى وأمهر ، وبمن يعلمه أشبه ومنه أقرب ، فمن رأى من نفسه اتباعاً لأوامر الله تعالى فيما جاء به النبي صلوات الله عليه ، وميلا إليه وإلى القيام بحسب الإستطاعة وإخلاصاً في مودة الأبوين،واقتداء آثارهما إلى آخر عمره لا يزول، واعتقاداً بأن ذلك هو الذي ينجيه ويغنيه ، والتذاذاً بما يقوم به من الأوامر والنواهي كما يلتذ المنافقون والفاسقون « بأعمالهم السوء [٣] » فهو الشهادة بحسن حاله وسعادته في آخرته ، وذلك لا يتبين إلا للآحاد الذين يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا ، ويبحثون عن جميع الأعمال التي يعملونها في كل يوم ويعدلون عما عسى يخالف الملة ورسومها إلى ما يوافق شرائطها وفروضها .
وأما المنافقون فهم الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم تخيلا إليهم أن ذلك من مفاخر الرجال وما يعد جلادة وفضلا يميزهم عن أهل الجهالة والغباوة ، ويعتقدون بقلوبهم في دين الله خلاف ما يظهرونه من أفواههم ، ظناً منهم بأن الإئتمار ضعف والتواضع ذلة ، ولما علموا أن ذلك من نوازع الطبيعة وأحكام النفس الحسية ، فيخالفون بجهدهم ما جاءهم من الأوامر والنواهي التي لا توافقهم في دين الله ، وذلك بأن أنفسهم أنفس آخذة بأحكام مزاجها تابعة له ، فهي من المرتبة الحسية في ذراها طلباً لعقد الرياسات

---

١ ـ في ن : كالاجير
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : بسوء عملهم

واستعباداً للناس في إقامة الإرادات وطمعاً في جمع الأموال ، ورغبة في التمتع وإصلاح الأحوال ، ومحبة للكبرياء والغلبة وإيثاراً للملاذ والبقاء ، ولا يؤالفون من أهل العبادة إلا من كان في مثل حالهم مساعداً لهم[١] ومشاركا في الغرض المطلوب ومشاكلا مثل الفاسقين والمضلين، والأبالسة والمترئسين وأشباههم من المغيرين لأحكام الملة والمستهزئين بأهلها فيجمعهم كلهم في ميدان اتباع الهوى طلب عاجل الدنيا بوجه من الوجوه ، وعودة أفعالهم السيئة الصادرة عنهم فاعلة في أنفسهم ظلمة تطمس[٢] بصائرهم عن الخيرات كما قال الله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[٣] » فكلما ازدادوا من تلك الأفعال التي يوجبها هواهم ازدادوا بها شراً ازدياد المهندس العجول المتهور التارك حكم الموازنة والمقايسة في هندسته أقداما فأفاده فساد فعل ونقص عمل فتصير أنفسهم[٤] مرضى يلتذون بالأمور التي يفعلونها فيما تدعوهم إليه آراؤهم وأهواؤهم التذاذ الأعلاء وكثير من المحمومين بما يضرهم ، واشتهاؤهم مما يستدعيه طبعهم وما لا ينفعهم ، واستطابتهم ما فيه هلاكهم ، مثل التذاذ من به الذرب لشرب الماء واشتهائه إياه واستطابته وهو يضره ، ومن به الإستسقاء بالأكل الكثير ، ومن به الطحال بالأكل للحلاوة وغير ذلك من الاعلال فلا يجدون حلاوة لما يدعون اليه من الأمور الدينية ، ولا يرغبون فيه لفساد تخيلهم بما اكتسبوه بارتكاب الهوى وقلة قبولهم من الأنبياء ، كما لا يجد العليل لغلبة صفرائه طعم العسل حلواً بل مراً لفساد مزاجه وحسه وقلة ائتماره للأطباء ، فهم يجرون من أهل العبادتين مجرى الشيلم في الحنطة والنبات أو الحشائش المضرة في الزرع التي في كونها فساد وضعف . فواجب مجانبتهم والتميز عنهم ، وحق على السائس إبعادهم ، فإن لم يكن فإرضاؤهم بضرب من الضروب – كما فعل النبي صلوات الله عليه – ليكفوا

١ – سقطت في ك
٢ – سقطت في ن
٣ – سورة ٨٣ آية ١٤
٤ – سقطت في ن

عن الفساد إلى أن يساعد الزمان ، ذلك بأن أنفسهم بوقوعها بضد أهل الخير والفضيلة خبيثة عاطلة من الخيرات ، عاملة بغير ما أمر الله به ، قائمة بأجسامها باقية على مرتبتها من أول حالها ، وإذا بطل جسمها عادت سَالكة في مهاوي العقاب والظلمات ، فلا تزال في العذاب ومن الإستحالة في نهاية إلى أن تحصل في الدرك الأسفل من النار والنهاية الأبعد من الملاذ فيفعل الله بها من بعد ما يشاء .

والفاسقون هم الذين نابذوا الحق بعد معرفتهم به فاستخفوا بالعبادتين اسم الإيمان ثم تركوا الأوامر وفسقوا عنها ، وعملوا بحكم أهوائهم ، ذلك بأن النفس ما دامت في دار دنياها فهي قائمة بين أن تكون صحيحة في ذاتها بما تكتسبه بالعبادتين فتلتذ بها عاجلاً وآجلاً ، وبين أن تميل أدنى ميل فتتبع هواها الذي هو حكم مزاجها فتمرض فتكره الأمور الدينية كما يكره العليل الطعام للأدوية فيستثقلها ولا يستطيبها ، فتلتذ بأعمالها التي تهواها التذاذ العليل بما يضره ، ويعقبه ما يختاره ويهواه[١] عقاباً وخسراناً فتحصل لهم بما اكتسبوه أولاً بإيمانهم صورة وبما اكتسبوه ثانياً بفسقهم صورة أخرى ، والذات واحدة ، والأذى بحصول الصورتين المتضادتين حاصل — كما ذكرنا فيما تقدم — فيكون لهم من الألم ما لا يوصف . والمضلون هم الذين يضلون ويعدلون بأتباعهم عن الإتباع والائتمار لأهل الحق إقامة لغرضهم ، ويغيرون سنن الشرائع اتباعاً لأهوائهم ، وأحوالهم في الآخرة ما يلقونه من العذاب والمهانة ، والعقاب وتغير الحال ودوام الآلام وإن كان الوصف يقصر عن كنهها ، حال المحموم[٢] الذي ذكرنا سبيله في ذكر حال المتقين مثلاً بمثل يكون بلدهم بلدة واحدة ، وهواؤهم هواء واحداً وماؤهم ماء واحداً ، وسلطانهم سلطاناً واحداً ، ثم أنه لما أرسل السلطان إليهم الطبيب شفقة عليهم وعلى جماعتهم ورحمة

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : المحروم

بهم ، وأمرهم بالقبول ممن يداويهم بالدواء الذي ركبه لهم ، فمن خالفه فيما وصاه به لم ينفعه ذلك الدواء مع قلة الحمية والإستهانة بها ، بل يضره، وازدادت علته وانبعثت عليه ، فظهر له الجدري فاعتاض من حسن لونه وحمرة وجنته وحشة وسواداً ، ومن حسن صورته قبحاً ، ومن حسن بدنه تشقق جلده ، ومن حركته وذهابه ومجيئه زمانة ، ومن طيب ريحه نتناً ، ومن طهارته ونظافته بذاذة وقذارة ، ومن حب الناس له بغضاً ، ومن مزار أهله وأقاربه في القرب منه بعداً ، ومن قدرته في كل أحواله ضعفاً . وذلك بانتفاخ جلده مما خرج عليه من البثور [١] وسلوكه في ذلك مسلك أهل الويل والثبور وانطماس عينيه وانسداد منافذ منخريه وحلقه وضيق نفسه وانقطاع مآكله عنه وتقيح كل بدنه وتغير رائحته ، فصار يريد أن يخاطب أهله وأعزته ويشكو إليهم ما هو فيه فلا يتمكن لفساد آلاته واستيلاء علته ، ويريد أن يستدعي ماء فيشربه فلا يقدر لاستحالة أعضائه عن الإجابة فيتحسر [٢] لتركه قبول قول الطبيب ونبذه عظته له وراء ظهره ، ويندم عليه فيمني نفسه بالقبول من بعد أن صح ، وأنى له ذلك ، ولم يقدر وقد حصلت له ثمرة أفعاله « تدب بها في [٣] » مفاصله وعروقه وأعضائه آلام ليله ونهاره ، ينام الناس وهو في الوجع متقلب فلا ينام ، ولا يفارقه ذلك « ما دام أرض وسماء [٤] » فلا يموت فيستريح ولا يبرأ من علته فيضيق برفع طرفه فيرى الأصحاء في الغرف المنيفة عليه يطلعون ، فيتحسر على ما هو فيه ، نعوذ بالله من ذلك « ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة [٥] .. الآية » وهل تعادل هذه البلية بلية [٦] لا والله ، وإنه لصائر إلى ما هو أشد من ذلك مقاساة أذى الهوام والعقارب ، وليست هذه الأنفس الصالحة والطالحة من وقت

---

١ ـ في ن : القشور
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : « فهي تدب في »
٤ ـ في ن : « ما دامت الارض والسماء »
٥ ـ سورة ٧ آية ٤٩
٦ ـ سقطت في ك

مفارقتها أشخاصها تلحق بمجردها وإفرادها بالجنة والنار ، بل هي على ما ذكر رب العالمين: «كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون[١]» فهي في البرزخ هو مجمعها والبرزخ نهاية بين الجنة والنار وهو أعلى المواضع من عالم الطبيعة ، ولكونه كذلك سمى الأعراف ، فهي في الأعراف واقفة ماكثة إلى أن تتكامل الأدوار وتتم أفعال أنجم الدين في الأنفس الصائرة إلى الوجود على ممر الأعصار في عالم الطبيعة إلى آخر اليوم الموعود به ، عالمة في ذاتها بأنها من أهل الفوز والنجاة ، أو من أهل الهلاك والبوار ، على ما يوجب قول الله سبحانه: « وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم[٢] » إلى قوله: « لا تجعلنا مع القوم الظالمين[٣] » فرجال الأعراف أهل البرزخ من الحدود وغيرهم الذين بعد لم يدخلوا إلى الجنة وهم يطمعون ، وما يوجبه قول النبي صلى الله عليه وآله : « إن الميت إذا قبر يسأل إن كان ممن وحد الله سبحانه وعمل بطاعته وطاعة رسوله فتح له باب من الجنة ، وتشخص له أعماله التي قضاها في عبادة الله فتؤنسه في وحشته في القبر ، وتبشره بأنه من الناجين فيكون في روح وراحة إلى يوم القيامة متيقناً من أمره انه من أهل الجنة فيبعث يوم البعث ويساق إلى الجنة بعد الحساب ، وإن كان ممن أشرك وعصى واستكبر ، وفي العبادة فرط وقصر فتح له باب من الجحيم فتصير أعماله السيئة حيواناً تؤذيه وتروعه فيكون في وحشة وفزع إلى يوم القيامة متيقناً أنه من أهل النار ، ويبعث يوم البعث ويساق إلى النار يوم الحساب » .

والتقرير بما سبق منه من الفعال ، وعلى ذلك يشبه حال المجيدين والمخلين منها من الأمور المحسوسة حال من ولاه سلطانه إمارة كوره[٤] وقواه بعساكره ورجاله وماله وسلاحه ، ووصاه بأن يحفظ ماله ورجاله ورعيته ، ولا يحدث فيه أمراً لم يأمره به ، ولا يستخدمهم إلا فيما عاد بالمصالح المتعلقة

١ ـ سورة ٢٣ آية ١٠١
٢ ـ سورة ٧ آية ٤٥
٣ ـ سورة ٧ آية ٤٦
٤ ـ سقطت في ن

بمملكته ورعيته ، ويقصر أيدي الظالمين والمفسدين ليعم الأمن وتتصل الخيرات ، ووعده الخير والزلفى إن قام بأمره في ذلك فحسنت خدمته ، وأنذره بالعقوبة إن خالف أمره في ذلك ، فقبحت صورته وفعله ، فخرج كما رسم وجاء بجميع رضائه ، وجعل طاعته شعاره ودثاره ، ثم استدعاه فجاء وهو في طريقه يفكر ويقلب أمره ظهراً لبطن فلا يقف منه ومن أفعاله إلا على ما يكون واعداً له بخير ومؤنساً له ومقوياً لقلبه ، وإنه لعامل بالجميل الذي يليق بسلطانه ، فيثق بأنه على خير يرد ، فهو من ذلك في سرور وغبطة وبعد لم يحصل بحضرة سلطانه ، وإن هو لم يفعل ما أمره به وخالفه وعصاه وأنفق ما أعطاه لا فيما يجوز رضاه ، وألف المفسدين وأغار ونهب وفعل العجائب والبدع من الشرور ، فاستدعاه سلطانه فجاء وهو في طريقه مفكر مستشعر ، فلا يقف من أفعاله إلا ما يتحقق عنده أنه ممن يعاقبه سلطانه فيفعل به كل عظيمة ، فيتيقن بالعذاب وشماتة الأعداء ، وليس يمكنه الهرب فإنه يؤخذ حيث مر ، فهو في فزع وجزع من ذلك ، وبعد ما حصل عند سلطانه ولا عومل عنده بشيء مما أنذر به ، فهو كذلك إلى أن يحصل ويحضر في وقت التوبيخ والعقاب في العذاب الأليم . فالأنفس تعلم حالها عند التفرد والتجرد من مجاورة الأشخاص والتخلص من الأفعال التي هي شكلها وعملها لشخصها خيراً وشراً ، ومكثها في البرزخ إنما هو ليتم الخلق الجديد « بتوارد أمثالها[1] » من دار الطبيعة ، واستتمام فعل الحدود مجموعة [2] فيها تعليما وتصويراً وتبصيراً ، فتكون بجملتها مجموعة [3] إلى ميقات يوم القيامة الذي هو تكامل الدور السابع ، وقيام حكم صاحبه في العالم الطبيعي ، كما يقول تعالى : « قل إن الأولين والآخرين. لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم [4] » : « قل » أمر من الله تعالى من جهة الملائكة المقربين ، يريد بين وعلم أن الأولين والآخرين مجموعون ،

١ ـ في ن : « بتوارد مثلها »
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سورة ٥٦ آية ٥٠ ، ٥١

يقول إن المتقدمين في الأدوار السالفة والمتأخرين ممن يجيء إلى الكون في الأدوار الباقية صغاراً وكباراً « لمجموعون » يقول : ليعلمون من جهة من نؤيده بروحنا الذين يدعونهم بما يجمعهم في العبادة والتوحيد إلى نظام واحد يقومون به إلى ميقات يوم معلوم ، يقول : إلى صاحب الدور السابع الذي هو اليوم الآخر واليوم المعلوم المبشر به فيصير الكل – أعني الأنفس الحاصلة في الوجود – كصورة شخص واحد هي منها في الأعضاء الكثيرة التي للشخص ، فلكل نفس صورة في ذاتها وبجميع تلك الأنفس تتم تلك الصورة التي هي النشأة الأخيرة والخلق الجديد ؛ كما أن بتلك الأعضاء كلها « يتم الشخص وتسري روح القدس فيها بانبعاث صاحب [1] » الدور السابع ، فيقوى الكل على العبور من مضائق الأجسام ، والحصول في الصفحة الأعلى[2] منها كما تسري روح الحس في الجنين عند عبوره من مضيق الأحشاء وحصول تمامية الدور السابع ، وخروج العلم إلى الفعل في أيامه هو السلطان والقوة الذي لا يمكن النفوذ من أقطار الجسم إلا به كما قال تعالى: « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان [3] » أي يا أهل المعارف والقائمين بالعبادة ظاهراً وباطناً إن « استطعتم أن تنفذوا » يقول : إن أمكنكم أن تفارقوا الأجسام « فانفذوا لا تنفذون » يقول: لن تفارقوها إلا بقوة مكتسبة من جهة الحدود بجماعتكم [4] وانبعاث صاحب الدور السابع وقيامه بالفعل ، وإنما لا يمكن العبور بأفراد الأنفس ووحداتها إلا معاً ولا النفوذ إلا جملة ، لكون الأنفس في وجودها للنشأة الأخرى والخلق الجديد جارية مجرى الأعضاء التي بها يكون الشخص الذي هو النشأة الأولى ، وحاجة في كمالها إلى أمثالها ، فإنها بأفرادها ليست تبلغ كمالها كمالاً كلياً فتكون محيطة بكل ما شمله الوجود ، وإنما تبلغ من الكمال بعضاً فيكون بالكل حصول الكل .

---

١ – سقطت في ن
٢ – في ن : العليا
٣ – سورة ٥٥ آية ٣٣
٤ – سقطت في ن

يحكم على ذلك ميزان الديانة « ويشهد به الموجود من حال النشأة الأولى التي دل عليها رب العالمين بقوله : « ولقد علمتم النشأة الأولى[١] » يقول : إن خلق الشخص الذي هو الموجود الأول ليس يتم إلا بأعضاء كثيرة وتراكيب كثيرة ، منها ما هو لطيف وحظ النفس من الحس به أكثر ، ومنها ما هو كثيف وحظ النفس من الحس به أقل ، وليست تخلق دفعة واحدة بل بزمان ومدة وتقدم عضو في الوجود على آخر ، وليس إن العضو الذي تم وتقدم في الوجود على آخر غيره ، مثل القلب الذي يتقدم في الوجود على سائر الأعضاء وما يتبعه مما يجوز أن يخرج وحده إلى عالم الحس لامتناع بقائه إلا مع إخوانه وأمثاله التي بها تمامه ، ثم لامتناع سريان الروح فيه إلا فيما له الكمال ، ولذلك صار الحيوان لا يجري مجرى النبات الذي يعلق عضو منه بعضو فيصير مثلاً له — وقد ذكرنا سببه فيما سبق — فتبقى صورة ذلك العضو المتقدم الوجود محفوظة [٢] العين بما اكتسبته من صورته إلى أن يتم باقي الأعضاء ، والخلق بالزمان بعد أشهر وأيام فيفعل الله فيها في كل زمان ويوم ما يتم به كماله لها ويهيؤها لحدوث روح الحس فيها بقوى الكواكب الفعالة فيها بأمر الله تعالى ، ثم يخرج الكل دفعة واحدة فيصادف [٣] بجملتها الهواء فيحدث فيه الحس فتحيى وتحس « فلولا تذكرون[٤] » يقول: فهل لا تعلمون؟ وعلى هذا المثال فالأنفس تعمل في كل دور وبحسب اكتسابها وطاعتها وعملها واقتنائها يكون [٥] منزلتها ، فما كان أكثر قياماً بالأمر والنهي فهي مثال من قرناء الأعضاء الرئيسية اللطيفة التي يكون حسها أكبر ولذاتها أكثر ، وما كان أدون فبحسبه فهي من وقت مفارقتها في البرزخ قال الله تعالى :«كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون [٦] » والبرزخ مجمع لها ، ولما كان كل حد من حدود الله تعالى بدعوته وتعليمه وإفادته مجمعاً لمن في

١ — سورة ٥٦ آية ٦٢
٢ — سقطت في ن
٣ — سقطت في ن
٤ — سورة ٥٦ آية ٦٢
٥ — سقطت في ك
٦ — سورة ٢٣ آية ١٠١

دوره ممن يتبعه على أمره ويتشوقه على ما جاء بـه ، كالرأس الذي هو مجموع الحواس والأعضاء الكثيرة ، وكالبدن الذي هو مجمع الأعضاء الكثيرة هي مثل ما في الرأس ، وكاليدين والرجلين آلات في كل منها من الأعضاء مثل ما في الآخر فيَجمعها الشخص شخصاً واحداً ، ولعل ذلك تفسير لما في صدر الكتاب من بشارة من يقرأ هذا الكتاب [1] على طريـق الديانة ، ولذلـك جاء عن موالينا صلوات الله عليهم « أن المرء يحشر مع من أحب » وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أن يوم القيامة يجيء كل صاحب دور بمن في دوره ومـن اتبعه على أمره مـن النبي والوصي والأئمة والدعاة والتابعين باحسان ، ولذلـك قال الله تعالى: « يوم ندعو كل أناس بإمامهم[2] » يقول : لصاحب الدور السابـع الذي هو يوم من أيام الله نقيمه ونؤيد به، وندعو كل تابع بمتبوعه للحساب والسؤال عما قام به من أوامر الله تعالى ، وبين ذلك في ذكر إبراهيم عليه السلام حيث يقول : «وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى[3]» ذلك تعليم من الناطق للأساس كيفية حياة الأنفس واتباعها له بما ذكر الله تعالى عـن ابراهيم فقال: « وإذ قال إبراهيم[4] » هو يقول : ولما قال إبراهيم هو مؤول [5] على الأساس في هذا الموضع « رب أرني » يقول : للناطق الذي رباه لما فوض إليه أمر الدعوة الباطنة وهداية الناس إلى كيفية العبادة علمني كيف تحي الموتى، يقول: أرني كيفية إحياء الأنفس الحسية الميتة عن الحقائق ونقلها عن رتبتها وطبيعتها إلى رتبة الملائكة فتحي الحياة الأبدية فقال : « أو لم تؤمن[6] » يقول : أو لم تحقق ما هديناك إليه من ذلك قال : « بلى ولكن ليطمئن قلبي[7] » يقول : بلى ، ولكن لتسكن نفسي [8] بزيادة بيان ، قال : « فخذ أربعة من الطير[9]» يقول: اعتمد على ما جمعته لـك من العبادتين من القوانين الأربعة التي هي تعليم

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سورة ١٧ آية ٧١
٣ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٤ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٥ ـ سقطت في ن
٦ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٧ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٨ ـ سقطت في ن
٩ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠

النفس توحيد الله الذي يكسبها الحياة الجوهرية والبقاء والعمل بالمناسك الشرعية في عبادة الله التي تكسبها الفضائل الخلقية وتسلبها الرذائل الطبيعية والعلم بمراتب حدود الله وأمثالهم الذي يجعلها مثل العقول القائمة بالفعل التي هي الملائكة ويصورها ، والعظة التي تشوقها إلى الأمور الإلهية والحدود في دين الله فيهون عليها أمر دنياها ، فإنها بذلك والصبر عليه تنبعث للحوق بدار القدس فتحيي به الحياة الأبدية « فصرهن إليك[١] » يقول : اجمع من هذه الأربعة في التعليم والتنبيه والبعث عليه والعمل به « ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً[٢] » يقول : ثم علم منها كل داع وحجة ليعملوا بها ويعلموها « ثم ادعهن[٣] » يقول : ثم عظهن ليتشوقن ، فإن الأنفس الحسية الميتة إذا تعلمت ذلك وعملت فتشوقت ، انتقلت طبيعتها وجبلتها وانقلبت أشباه الملائكة وصارت لك إتباعاً بالحقيقة [٤] فيكونوا من جملتك ومعك « يأتينك سعياً[٥] » يقول : تأتينك شوقاً إليك ، إذ كان اعتقادهم إعتقادك وصورتهم صورتك ، وصاروا من جنسك فيلحقوا بك بالشوق ، واعلم أن النبي الذي أقامه الله تعالى مقامه لقلب هذه الأعيان بالدعوة والعظة ، وتدبير أمرها بالخشوع والعبادة « عزيز حكيم [٦] » يقول : قوى على ما توجبه الحكمة حكيم فيما يفعله ؛ فالكل صائر إلى البرزخ ماكث إلى يوم البعث ، وهو من العالم الكبير الأقرب إلى عالم القدس الذي هو خارجه ، كما أن الرحم الذي هو مقر [٧] الجنين إلى أن يتم خلقه هو أقرب المواضع من العالم الصغير إلى العالم الكبير الذي هو خارجه ، ولا تعلق للأنفس بجثة أخرى كما بينا في كتابنا المعروف « تنبيه الهادي والمستهدي » من استحالة الأمر فيه مما يقع به العلم أن تعلقها وانتقالها محال باطل ، وقد ذكرنا فيما سبق أن القائل بإنتقال الأنفس في الأشخاص من اعتقاده أن للنفس وجوداً قبل أشخاصها ،

---

١ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٢ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٣ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٤ ـ سقطت في ن
٥ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٦ ـ سورة ٢ آية ٢٦٠
٧ ـ في ن : قعر

وشرحنا العلة في تخيلهم ذلك . وفي الجملة نقول : إن الأنفس لا تخلو من أن تكون : إما جوهراً أو عرضاً ، فإن كانت عرضاً فحد العرض أنه يبطل ببطلان ما به قوامه ، ويخرج من حيز الوجود بإنتقاض مباني ما به وجوده، كان منه القضية بأنها تبطل ببطلان تأليف أشخاصها ومزاج جسمها ، وإذا بطلت ببطلان الشخص الذي به كان وجودها ، فانتقالها الذي تحتاج فيه إلى وجود ذواتها المفقودة ببطلان ما كان محلها باطل محال ؛ وإن كانت جوهراً فلا تخلو أن تكون إما جوهراً بالقوة أو جوهراً بالفعل ، فإن كانت جوهراً بالقوة وكان ما كان قائماً بالقوة عادماً صورة ما هو منه بالقوة ، وغير موجود له ما به يصح كونه فيه بالفعل ، وكان الجوهر ما لا يكون قائماً بالفعل الحافظ ذاته بذاته وهو جار في الحاجة إلى ما به قوامه ووجوده مجرى الأعراض، كان منه القضية بأنها مثل الأعراض التي بكونها غير قائمة بذاتها تبطل ببطلان ما به قوامها بكونها غير واجدة في ذاتها ما يقلها وتستقل به ، وإذا كانت مثل الأعراض بكونها غير قائمة بذاتها تبطل ببطلان ما به قوامها قامت القضية من ذلك ببطلان انتقالها . وإن كانت جوهراً بالفعل فلا تخلو في وجودها كذلك إما أن تكون جوهراً أولاً بأمر الله من طريق الإبداع والإنبعاث في دار القدس ، أو جوهراً آخر من جهة أرباب التعليم والإكتساب في دار الطبيعة فبطل أن تكون جوهراً أولا بالفعل بأمر الله تعالى بطريق الإبداع والإنبعاث في دار القدس بامتناع موجودات دار القدس بمالها من الغنية في الكمال الممنوحة لها أولا حياة وقدرة وعلماً من التغيير والإستحالة بمفارقتها كمالها الذي هو قيامها بالفعل ، وتعلقها بالأشخاص الذي هو من حد ما يكون قائماً بالقوة لا ما يكون قائماً بالفعل أولا وله قيام بالذات ، وإن بطل أن يكون جوهراً أولا بالفعل بأمر الله من جهة الإبداع والأنبعاث في دار القدس بامتناع الأمر فيه على ما ذكرناه ثبت بوجودها في الشخص كونها جوهراً آخرا قائماً بالفعل من جهة أرباب التأييد بأمر الله تعالى وطريق التعليم والإكتساب في دار الطبيعة ، فإذا ثبت كونها جوهراً آخراً

قائماً بالفعل من طريق الإكتساب من جهة أرباب التأييد فما صارت بـه جوهراً قائماً بالفعل مانع إياها عن التعلق بعد المفارقة بجثة أخرى تتعلقها إلى ما به هي جوهر بالفعل ، وجاذب إياها الى حيزه بكونه أشبه بها وأليق من المزاج المتآلف عن الطبيعة وأجسامها للبعد منه في النسبة والمشابهة ، وإذا كان مانعاً إياها عن الإنتقال إلى جثة أخرى بتعلقها مـا به صارت قائمة بالفعل ، مترقية إلى درجة كمالها، فباطل تعلقها بجثة أخرى ، كلا ، وكيف تصير النخلة القائمة بالفعل نواة، أم شخص الإنسان القائم بالفعل صورة إنسان نطفة مع توهم بقائها على حالتها غير مستحيلة ولا متغيرة ؟ إن ذلك لمحال ، فالنفس تتعلق بما يكسبها كمالها ويشبه ما نشأت عليه ذاتها ، وعند تمـام النشأة الآخرى الذي هو يوم البعث تسري في الأنفس حياة أبدية تجري من الحياة الطبيعية التي هي ذات النفس مجرى الروح الحسي من الشخص ؛ وباكتساب النفس ما يحصل لها به هذه الحياة يبطل منها بعد المفارقة من معارفها وأفعالها ما له أن يبطل من الأمور التي تتعلق بمصالح جسمها مما يختص بالنامية والحسية ببطلان العلة التي هي الشوق في وجود هذه الأفعال والمعارف والعلوم . إن الشوق إذا كان عن حاجة ونقصان كما ذكرنا فبإستفادة الكمال ، وحصول الإستغناء يبطل الشوق الذي عنها كان وجوده فلا يبقى منه لها إلا ما يتعلق بذاتها من شوقها إلى الذي هو الله الذي لا إله إلا هو من دون ما كان يتعلق بها لأجل جسمها ومصالحها ، فتكون في ذلك كالعقول الخارجة قائمة بالتقديس والتهليل والتحميد والتمجيد والتسبيح، محبة للكبرياء والعظمة الإلهية التي ليس في إستطاعتها ولا في إستطاعة تلك العقول النهوض بالإحاطة بها ، فلا تفعل تلك الأفعال التي وجودها متعلق بالشوق الباطل منها ببطلان الآلات من شخصها ، فلا تذكر الأمور التي كانت فيها ولا أحواله بحصولها في دار الأزل التي إليها صارت، وبها تعلقت، واليها توجهت ، فلا يبقى من أفعالها إلا ما يختص بذاتها كما قلنا ، وحالها في ذلك مثلاً حال الربان الحاصل في السفينة التي

يتعلق بها أمر البدن كله في مصالحه ، والسفينة التي فيها الربان يدبر أمورها بمنزلة البدن الذي تحفظه النفس وتدبر أمره ، والبحر له بمنزلة الدنيا ، فكما أن الربان لكون السفينة في البحر وكونه فيها يلزمه حفظ سفينته التي بها وبما يفعله فيها من الأفعال العائدة بحفظها خارجاً بالتشحيم والعدول بها عن المواضع التي يخاف فيها العطب عليها وعما يفسدها جملة ، وداخلاً بنقص المـــاء عنها وتركه فيها والإحتياط في كل باب طلباً لما يعود بحفظها ، وأن يكون الطعام والشراب الذي يتعلق بذاته مقيماً على توقع الخلاص من أسر البحر ، وجميع ذلك لا لأجل السفينة بل لأجل نفسه ، ولئلا يهلك ، وهو على ذلك أبداً إلى أن يتخلص ويفارق السفينة ويخرج إلى البر ، فيكون الذي يفعل بعـــد مفارقتها من الأعمال التي كان يعملها فيها ما يختص بذاته من دون ما يخص السفينة ، وتبطل منه تلك الأفعال التي هي مصالح السفينة من حط الشراع ورفعه وتشحيمها ونزف المـــاء عنها « وحفظ الأخشاب [١] والآلات » والتعويض والإصلاح ، فكذلك النفس بكونها في الدنيا تحفظ البدن وتعمل الأعمال التي فيها صلاحه من داخله وخارجه إلى وقت المفارقة ، ولا تفتر أيضاً عن الإرتياض والإكتساب للعبادتين علماً وعملاً الذي يخص ذاتها حتى إذا فارقت بدنها بطل منها ما كان يتعلق من أفعالها بمصالحه مما يختص بالنامية والحسية ، فيكون فعلها ما كان يختص بذاتها من الاستلذاذ بالمتصور مـــن الأمور الأبدية بحسب ما يوجبه كمالها مثلا بمثل ، وببطلان ذلك كله منها لا تتذكر أمور [٢] الدنيا ، بكون تلك الأحوال لها أموراً كانت دنياوية طبيعية وهي قد ارتقت عنها إلى ما هو أشرف منها ، مثل الطفل المفارق بطن أمه ، إذا حصل يأكل ويشرب ، ويتنعم بالنعم الطبيعية بالآلات المكتسبة في ظلمات الأحشاء لا يتذكر [٣] ما كان له غذاء في ذلك الموضع لخساسته

١ ـ في ن : « لحفظ الالات »
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ سقطت في ن

ولتبدل آلاته وقيام الحواس (١) المستكملة له مقام ما حذف منه من آلاته التي بها كان يغتذي في الأحشاء ، وهي السرة ، ويكون فعله التذاذاً بأمور أخرى أعدت له ، كذلك النفس تبطل منها أفعال ومعارف كانت لها في دنياها لأجل جسمها الذي فارقته وتكون أفعالها ماتقتضيه ذاتها بكمالها على ما ذكرناه من تعظيم الله (٢) وتسبيحه ، ولا يكون لها فعل كالعقول الخارجة المفارقة فيما سواه في دار الطبيعة ، فإن ذلك كان لهـا في كونها في دار الطبيعة ليكون لها زيادة التكثر به ، والتجوهر والتهذب ، فأما وهي قد خلصت وانتهت مع المنتهين من دار الطبيعة فحسبها كونها نهاية في جوار النهاية الأولة وجوهراً باقياً ملتذاً بثمرة اكتسابها مناسبة لتلك العقول ، وتلك المناسبة لها في الذات لا في الفعل ، وإنما لم يكن لها فعل في دار الطبيعة كالعقول لكون النهاية الأولة التي هي تلك العقول وجهها إلى النهاية الثانية فعلاً فيها وتبليغاً إياها كمالها الثاني ، ووجه النهاية التي هي النفس الناطقة الكاملة (٣) إلى النهاية الأولة استكمالاً بها وقبولاً منها ، والفرق بينهما أن هذه النفس الناطقة الكاملة فاعلة في ذاتها بذاتها فقط ، وتلك العقول الإبداعية والإنبعاثية فاعلة في ذواتها وفي غيرها جميعاً ، وليس لهذه الأنفس أن تبلغ مرتبتها في الفعل إلا في الذات .

يصحح ذلك ميزان الديانة الذي يوجب كون وجه النبي صلى الله عليه وآله إلى وصيه الذي هو غايته تعليماً ، وكون وجه الوصي إلى النبي عليهما السلام استفادة منه ، ومصير الوصي في الذات مثل النبي وامتناع الأمر على الوصي في أن يكون مثله في فعله في الأنفس ودعوتها ، وكونه فيما قبله منه غاية هو واقف عندها قابل ما تصوره من جهته مقيم عليه ، أن النفس الناطقة المفارقة لا تفعل إلا بذاتها ما يوجبه كمالها الذي اكتسبته فتقوم به وتناسب به

---

١ ـ في ن : الحاسة
٢ ـ في ك : الله تعالى
٣ ـ سقطت في ن

« ذوات العقول [١] » إلا في أفعالها ، وليس لها أن تفعل في غيرها وتبلغ مرتبة تلك العقول في الفعل « في الغير [٢] » بكونها نهاية ثانية مستكملة بالنهاية الأولة .

والحمد لله الذي لقح عقولنا بأنوار الهداة الراشدين من حدوده ، ونور أبصارنا بتعليم الأئمة القائمين [٣] بأمره صلوات الله عليهم أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

١ ـ في ن : « بذات العقل »
٢ ـ في ن : بالغير
٣ ـ سقطت في ك

المشرع الرابع عشر

« في نفس البشر بما هي ناطقة مؤيدة من السماء ؟ وكيفية اتصالها بروح القدس ، ولم لم تكن الأنفس كلها مؤيدة في[1] كل زمان ، وما العلة (في ذلك[2] » ؟ وما الوحي الذي تؤيد به ، وكيف هو ؟ وكيف اتصاله بالنفس المبعوثة ؟ وهل اتصاله بها في حال كونها في رتبة الحسية ؟ أم في رتبة التخيل أم رتبة الناطقة ؟ وكم أقسامه ، وما المعجزة التي تظهر من جهتها ؟ وما الفرق بينها وبين ما نشاهده من الأمور التي تظهر من المشعوذة ؟ ولم صار ما يتعلق بالمشعوذة ممكناً إدراكه وتعلمه ؟ وما يتعلق بالمعجزة غير ممكن إدراكه وتعلمه بالاجتهاد ؟ وما الذي يجتمع للنفس المؤيدة من الفضائل ، وما حالها في أفعالها ومقاصدها في أنحائها ؟ وكيف حال من حولها من الأصحاب ، وما مرتبتهم وما مرتبة القائم مقامها في حفظ الأمة ؟ وما أوتي به من عند « الله[3] » ، وكم الأدوار وأصحابها الذين بهم يتم الخلق الجديد ؟ وما مرتبة صاحب الدور السابع ، وما أفعاله ؟ وبماذا يعلم تمامية الأدوار ، والقول على اعتقاد الفلاسفة في نيل النفس الفضيلة من كتبهم وبيان الفساد فيه ؟ » .

نقول : إن تمام الأمور في بلوغها غاياتها ، وبلوغها غاياتها في أن تحصل لها صورة أوائلها التي هي علة وجودها ، وذلك أن كل موجود في وجوده ذو نهايتين : أولى وغاية ، فما كانت نهايته الأولة[4] مختصة بصورة فيه فنهايته الثانية هي الموجودة فيه تلك الصورة ، على ما عليه الحال في الموجود حساً من أنواع النبات إذ الزرع نهايته الأولة في

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : فيه
٣ ـ في ك : الله تعالى
٤ ـ سقطت في ك

وجوده إن كانت حنطة فغايته الثانية هي حنطة مثلها ، وإن كان شعيراً فغايته الثانية شعير مثله ، ومن نوع الحيوان إن كانت نهايته الأولة بشراً فنهايته الثانية بشر [١] مثله ، وإن كانت فرساً فنهايته الثانية فرس مثله . وإن قلنا إن شخص البشر نهايته الأولى هي التراب ، فغايته الثانية تراب مثله بمصيره إليه ، كان حقاً يكون الأمر على ذلك في كل موجود فلا يتغير ولا يتبدل . ولما كانت أنفس البشر من الأمور الموجودة عن السابق عليها في الوجود ، وغاية الموجودات فلا يوجد وراءها ما تكون هي سبباً قريباً في وجوده كوجود ما سبق عليها في الوجود ، وكان سبباً لوجودها ، كانت نهايتها من قبيل أسباب وجودها وعللها هي التي تنتهي إليها الموجودات الذي هو الموجود الأول ؛ ولما كان الموجود الأول نهاية لها أولة ، وكان في كماله وقيامه [٢] فيما أبدع عقلا هو حياة ذو علم وقدرة وقيام بالفعل بذاته من غير حاجة منه إلى غير به يتم فعله ، كان ما كان منها — أعني من النفس البشرية — في مثل حالها عقلا مثله ، وإن اختلفا في الرتبة ، ذلك من طريق الإبداع ، وهذا من طريق الإنبعاث الثاني من قبيل الطبيعة ، فهو النهاية الثانية ، ذلك بأن النهايات تتواصل وتتناسب بالذات والمعاني التي بها هي نهايات لما كانت له نهاية على ما بينا ، ويفضي بعضها إلى بعض ، ومتى لا تكون الثانية كالأولى فتواصلها وتناسبها فتتم بها ذات الموجودات لم تكن نهاية ولا كانت الأولى لها مواصلة . والنفس المؤيدة بكونها حياة ذات قدرة وعلم وقيام بالفعل مختصة بالفضائل التي اختص بها الأول كمالاً وتماماً منبعثة بما تجوهر [٣] بـــه ذاتها انبعاثاً ثانياً مستغنية بما أفيض عليها ، كاملة قائمة بالفعل فلا تحتاج فيما تأتي به وتفعله إلى معين عليه طبيعي ، تامة بأنه ليس وراءها ما تكون هي سبباً لوجوده ، وهي الغاية الثانية ، والنهاية التي ليست بعدها نهاية إلا النهاية الأولى؛

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ سقطت في ك

وهي لأنها هي تمام للموجودات ، ونهاية ثانية لها تفضي إلى الأولى وتواصلها ، والوصال الموجود بينها أعني النهايتين من كلتيهما جميعاً لا من إحداهما يكون وجود الأفعال التي هي نفس الموجودات موجودة عن الأولى والنهاية الثانية منها ؛ وإن كانت بوسائط وجودها ، فالأولى بكونها نهاية أولى فاعلة ، والثانية بكونها غاية أخرى قابلة ، وبالقبول [١] من الأولى صارت الثانية منتسبة إليها ومتصلة بها ، وعلى ذلك فكيفية اتصالها بالأولى [٢] وقبولها في ذاتها أفعالها التي هي أنوارها التي بها تجلت فناسبتها وواصلتها ، ولو لم تكن العناية قائمة في ذلك ، ولا تلك القوى والأنوار من عالم القدس ساطعة في كل الموجودات الطبيعية فيستخص منها الأصلح فالأصلح فيواصلها لإصلاح غيرها وتهذيبه إلى قدر ما صارت نهاية ثانية لتعينها بذاتها على بلوغها غايتها في كمالها لكونها قائمة بالقوة ولذلك تعجز النفس عن المواصلة إن لم يكن من فوقها تواصل ، ذلك بأن النفس وجودها على ما ذكرناه بأمور كثيرة فيها اختلفت أحوالها [٣] ولأجلها صار قيامها بالفعل لا يتم إلا بأن تعان ، فهذه العلة التي [٤] هي كونها قائمة بالقوة ومحتاجة إلى معاونة معين على قيـ مها بذاتها للأمور التي شرحنـاها هي التي تمنع أن تكون كلها مؤيدة في عالم الطبيعة ، والتي يؤيد منها فـنبعث هي التي قد حصلت في الوجود عن التقاء حركات الأجسام العالية والأنوار الساطعة من عالم القدس ، التي هي علة الأكوان على أمر قد قدر في الإفاضات الطبيعية والإلهية جميعها ، مثل قول الله تعالى : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر [٥] » إلى قوله تعالى : « فالتقى الماء على أمر قد قدر [٦] » فتحصل به النفس الشريفة في الوجود فيكون في ذواتها ، وإن كانت من دار الطبيعة وفيها سعيدة لا تنازعها النوازع الطبيعية كل المنازعة فتميل بل تكون بالطبع مائلة إلى الخير لوجودها عن أمور جاءت على نظام

---

١ ـ في ن : بالقول
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ك : حالتها
٤ ـ سقطت في ك
٥ ـ سورة ٥٤ آية ١١
٦ ـ سورة ٥٤ آية ١٢

ومعاونة بعد ذلك من دار القدس مواصلة منها ، وما يكون بهذه الحالة فقليل بل لا يكاد يتفق حصوله إلا في الزمان الأطول والموعد الأبعد بحسب ما قدر العليم الحكيم [١] تعالى ، وذلك مثل ما يقدر الحكيم من البشر المهندس الحاذق حصول حركة واحده من جسم واحد يتحرك شيئاً واحداً ثقيلاً عن حركات مختلفة تصدر عن أجسام مختلفة تعجز بآحادها من تحريك ذلك الشيء العظيم الثقيل الذي يحرك التقاء تلك الحركات على اختلافها من تلك الأجسام معاني الجسم القابل لجميعها الذي صار بها محركاً للشيء العظيم الثقيل ، فإنه كلما كانت الحركات في اختلافها أكثر ، والمحركون تحتها أوفر ، كان الجامع لها أعظم ، والمدة في حصول المراد فيه أطول . فلا تزال تلك الأنفس الشريفة من جهة الطبيعة وأحوالها موفقة في قبولها منها من مبدأ وجودها ما يمجد [٢] وجودها إلى أن تترعرع لتواصلها الأنوار الإلهية التي هي روح القدس لكونها خالية من الموانع التي تعوقها عن قبولها ، وهي على هذا الوجود في قبول ما تقبله من الأنوار الإلهية ليست في رتبة الناطقية على ما تقول الفلاسفة ، بأن فيض العقل الفعال لا يقبله إلا الناطقة التي هي العقل المستفاد ، بل هي في رتبة الحسية والتخيل مثل نفس محمد عليه السلام المعلوم أنها لم تكن قد ارتاضت فتعلمت بل من صباه كان مؤيداً ، ومثل عيسى عليه السلام الذي واصلته القوة الإلهية في صغره ، وغيرهما عليهما السلام ، وفي الجملة نفس آدم [٣] التي واصلتها القوى الإلهية أولاً وهي في رتبة الحسية ، ويغني العلم به عن التطويل ، وذلك بأن النفس الحسية هي عقل بالقوة ، وشرفها الذي هو كمالها فيما يكون محسوساً أن تتصوره وتتعلمه ، وفيما يكون معقولاً أن تعقله وتتفكر فيه ، ونيلها لشرفها ذلك من قبيل التخيل للشيء الذي هو الفكر في الصور المنتزعة من المحسوسات

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : بني آدم

المعلومة بالحواس ، والتخيل لهـا رفد ومعين من جهتين : مـن جهة المحسوسات بالأعمال والوضائع ، ومن جهة المعقولات بالفكر والاستنباط من وزن تلك الأمور المقصورة [١] ومقابلتها في ميدان الإكتساب ، وأن العقل الخارج [٢] الموكول إليه أمر الدنيا ساطع نوره وفيضه في الموجودات مشتملة غايته على الأنفس بهدايتها وتعليمها على ما ذكرنا مـن حصول المعارف في بدء الأمر في وجودها ، وإذا كان نوره فائضاً ، وكان تحصل للأنفس التي ليس لهـا قوة على تصور الصور العقلية وحفظها في ذاتها معارف ، فالأنفس التي لها قوة على القبول والتصور [٣] أقدر على قبول ذلك الفيض ، وعلى ذلـك فقـد تقبله النفس الحسية في رتبـة التخيل للمحسوسات من الأنوار حساً فيكون العقل الخارج الموكل بالأنفس يفعل فيها ويواصلها مثل مواصلة النفس آدم الـذي « لم يعلمه أحـد [٤] غير » الله تعالى ، ويفيدها المعقولات الكلية والجزئية أحياناً ويحصل لهـا ذلك بلا فكر ولا روية ، وهو أعلى رتبة الوحي وبالمنامات الصادقة وباليقظة على وجوه يتبينها تقريباً ، وعلى ذلك أن عالم الطبيعة نافـذة فيه أنوار العقول الخارجة نفوذ الحرارة الحادثة عن حركة الأفلاك وأشعة الكواكب في الأجسام التي هي دون فلك القمر الناشفة من ذوات الرطوبات منها رطوبتها ونفوذ شعاع الشمس في الهواء في سريانها فيه وامتلاء العالم منها كشرر النار أو كصوت الأوتار وغيرها في بيت جامع له تشبيهاً ، والنفس الزكية هيأة الطبيعة من مزاجها الذي عنه كان وجودها على أعدل أمر ، كالحراق المتهيأ للقبول الخالي مما يعوقه عنه من الأمور القابل الذي لا يتعداه الشرر ولا يتخطاه ، أو كالسمع السليم من الآفات فهي تتعلق بالنفس الزكية الموجودة تعلق الشرر بالحراق لتهيئه ، وتصـل إليها وصول الصـوت إلى الأسماع بتهدفها له ، والنفس تقبلها قبولاً تاماً بحسب الواقع من المتهيأ الصالح

١ ـ في ن : المنصورة
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : لا يعلم احدا غير

في وجودها ، فيكون حصول تلك الأنوار التي هي روح القدس ، وسريانها في النفس التي مثلناها بشرر النار والصوت ، وحصولها في الحراق والأسماع مثالاً للوحي الذي يجيؤها ولا يزال يطرقها ويواصلها وينقدح في ذاتها نور المعارف وقتاً بعد وقت ، لا في حال نومها وتركها استعمال آلة الحس بل في حال يقظتها ، أما أن يغمى عليها فتنفرد بما جاءها فتعي وتتصور ما ألقي إليها من ذلك العالم الإلهي ، ولمع في ذاتها من الأمور الغائبة الكائنة فيتصور لذاتها ما تقبله من المعارف تصور المرآة صور الموجودات لمحاذاتها لها ، إلى أن تقوى بتلك القوى المستفادة في تلك الحالة الحادثة تزايداً كلياً فتكون هي كلية بوصول المعارف إليها لا من طريق المحسوسات ، وتكون تلك المعارف الملقاة إليها لوجودها من دار الوحدة وجود ما منه كانت الأجسام من الهيولى والصورة جملة اللتين كان في قوتيهما أن تكون منهما أشياء كثيرة محسوسة معارف كلية معراة من المواد ، مثل « ما لمع في[1] » ذاتها من جهة الله مما فرضه جملة ، فقال تعالى : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة[2] » وقال : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم[3] » وكون ذلك فريضة مجملة غير مفصلة مما يحتاج إلى شرح كيفياتها وكميتها ولميتها مضطرة إلى الفكر في هذه الأمور طلباً للإحاطة بها على توابعها فيفعل فيكون تخيلاً ، والتخيل ينفعل ويفعل طلباً لتحققها ، فيكون حساً يتأثر عنه في الهواء كما كان يتأثر فيها عن الهواء الحامل صور المحسوسات في أشكالها وألوانها عند مصادمة الحواس إياها المماسة بسطحها سطح الهواء الملامس لها صورة منتزعة من موادها ، فتحفظها صورة متمثلة لها خارجها بذاتها وتخاطبها ، كما قال الله تعالى في قصة مريم : « فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا

١ – في ن : فيما لمع
٢ – سورة ٣ آية ٤٣
٣ – سورة ٢ آية ١٨٣

إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً[١] » فهي تراها وغيرها لا يراها ، بكون الملقى إليه ، المفكر الطالب للزيادة على ما علم هي لا غيرها ، فتقوم الموجودات بآثار الحكمة فيها السموات بحركاتها وتراكيبها والكواكب بأنوارها وأحوالها ، والهواء بتموج أجزائه وحركتها ، والماء والأرض بأجزائها ، والمواليد بصورها وأشكالها وأصواتها وأفعالها ، والبشر بخطاب[٢] بعضهم بعضاً ، ناطقة لها ومخاطبة بما ينتهي إليه الأمور عن ذواتها بالثابت فيها من أمر الصنعة تفسيراً لتلك الكليات الملقاة إليها بالوحي، وفتحاً لتلك المغلقات المجملة ، فلا يغرب عنها من الأمور المتوقعة في كمياتها وكيفياتها ولمياتها شيء ، فيصير تمثل الصور لها وحصول المعارف من قبل المحسوسات بنطقها ، وإن كانت ساكتة ، وإن كانت غير عاملة وجهاً آخر من الوحي ، يفسر ما تراءى لها ، وألقي إليها ، بالرتبة الأعلى من الوحي مجرداً في حال اليقظة لا في مادة ، بكون ما لا يقع كذلك من قبيل ما يكون جنوناً ، ومن حال الشيطان على ما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وآله حين طرقه الوحي أولاً راعه ما رآه فجاء إلى خديجة عليها السلام مذعوراً فأخبرها بالقصة ، وأن صورة لم ير مثلها فيما سبق تمثلت له فقال له : اقرأ ، فقال : لست بقاريء ، فقال له ثانياً : اقرأ ، فقال : لست بقاريء ، فقال له ثالثاً ووكزه : « إقرأ باسم ربك الذي خلق[٣] » إلى قوله : « علم الإنسان ما لم يعلم[٤] » فقرأه ، ووجدته قد اصفر وجهه وهو يرتعد فزعاً ، فأخذته ودثرته وذهبت إلى إبن عمها ورقة بن نوفل ، وكان متكهناً حكيماً في العرب ، وأخبرته بالأمر في ذلك فقال : إن كان ذلك حقاً فهو نبوة، والوقت وقت ظهور نبي ، فاعتبري أمره إذا اعتراه هذا العارض بأن تضميه إلى صدرك وتسأليه بأنه هل يراه ، فإن قال نعم ، فأقعديه

---

١ ـ سورة ١٩ آية ١٦
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ سورة ٩٦ آية ١
٤ ـ سورة ٩٦ آية ٥

على فخذك الأيمن واسأليه هل يراه ، فإن قال نعم ، فأقعديه على فخذك الأيسر ، واسأليه هل يراه ، فإن قال نعم فاكشفي رأسك واسأليه هل يراه عند آخر أمره ؟ فإن لم يره فهو نبوة ، وإن رآه فهو عارض شيطان ، فعادت خديجة فما كان إلا هنيهة وقد اعترى النبي صلى الله عليه وآله العارض ، فقال لها[1] مذعوراً : هذا هو قد جاءني ، ففعلت به خديجة ما أمرها ورقة بن نوفل فكان يقول : إنه يرى الصورة المتمثلة له في كل الأحوال إلا لما كشفت خمارها عن رأسها فغطته ودثرته ، فقام النبي صلى الله عليه وآله وقد وعى ما علمه ، فقال : « يا أيها المدثر . قم فانذر[2] » فدعى خديجة إلى قوله : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فأقرت ، وكان ذلك يوم الإثنين ، فلما كان يوم الثلاثاء دعا علي بن أبي طالب إلى الإسلام والإقرار ، فقال له : قل لا إله إلا الله . فقال : لا إله إلا الله ، فقال : قل محمد رسول الله ، يعني نفسه ، فقال : نعم أمهلني لأشاور والدي ، فقال : قد فعلت ، ولكن ذلك أمانة عندك ، فقال علي : أما إذا كان أمانة فإني أقول محمد رسول الله وآمن به ، وعلى ذلك من حصول صورة تخبر عن القوى المعراة بانعكاس الأمر وانقلابه في حصول المعارف لها عن الحالة الأولة باصطيادها إياها من قبيل المحسوسات بفعلها في ذاتها قبولاً للصور المنتزعة من موادها ، وتجديدها وحفظها[3] في ذاتها إلى اصطيادها المعارف بفعلها بالتخيل فيما هو خارجها من الأجسام ، وتأثيرها فيه صورة بذاتها تخيل وتدرك خطابها بأن تفعل النفس من ذلك في ذواتها بذاتها تخيلاً ، فتتصور عنه صورة في ذاتها هي الدليل على صحة المتخيل المتصور على ما عليه الأمر فيما يراد المتخيل[4] معرفته بالتحديد بأن يعكس حده كلياً ، فما تغير بالعكس معناه لم يكن ذلك الحد له حداً صحيحاً ، وإن انعكس وثبت المعنى فهو صحيح مثل قولنا :

١ ـ في ن : لهما
٢ ـ سورة ٧٤ آية ١ ، ٢
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ سقطت في ك

الجسم طويل عريض عميق تحديداً ، فعكسناه فقلنا : وكل طويل عريض عميق الجسم ، فثبت المعنى الأول ولم يختل منه شيء ، وكان صدقاً ، وكان ذلك له حداً ، ومثل قولنا الإنسان حي تحديداً له فعكسناه فقلنا : وكل حي إنسان فكان كذباً ، فليس كل حي إنسان ، فإن الكلب حي وليس بإنسان ، ولو قلنا إن الإنسان حي ناطق منبعث تحديداً له ، فعكسناه فقلنا : وكل منبعث ناطق حي إنسان لكان حقاً لكونه مانعاً دخول ما هو خال من الأمور التي هي حده ، وحافظاً لأوصال ما يجمعه وإياه ذلك ، وهو الناطق بأنه من جهة رب العالمين لا من غيره ، ذلك بأن النفس قد تتخيل من جهة مزاجها ما لا حقيقة له ، كما يعرض للمجانين وأرباب [1] الشيطان ، وقد يتخيل إليها ، على ما ذكرناه ، ما يكون حقيقة للحاصل في الذات لا من قبيل المزاج والمحسوسات ، بل من قبيل المعاني المجردة المدركة بالرتبة الأعلى من الوحي ، وبذلك قد يتبين [2] النبي المؤيد من المجنون ، وعنه يقول أعداء الأنبياء عليهم السلام ، إنهم مجانين لقلة معرفتهم فهي إذا رأت بالرتبة الأعلى من الوحي جملة كلياً انتظرت مجيء تفسيره بوجه آخر من الوحي دون تلك المرتبة ، ولذلك قال الله تعالى : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه [3] » تأديباً أو تعريفاً بأن وجوه الوحي لا من وجه واحد بل أكثر ، ولا تتسرع إلى شرح ما يلقى إليك بالرتبة الأعلى من الوحي كلياً « من قبل أن يقضى إليك وحيه » يقول : إلى أن يأتيك من أمرنا « بوجه آخر منه [4] » ما يكون قوة لك في شرحه وبيانه « وقل رب زدني علماً [5] » يقول : وسل ربك الذي بيده ملكوت كل شيء أن يزيدك علماً بالأمور الإلهية ، وربما توقف عن الأداء انتظار الأمر فيه

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ في ن : بين
٣ ـ سورة ٢٠ آية ١١٤
٤ ـ في ن : « في وجه اخير منه »
٥ ـ سورة ٢٠ آية ١١٤

أخذاً بما أدب في هذه الآية وعرف إلى أن يجيئه أمر ثان ليكون اليقين في الإبرام قائماً ، مثل ما قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس [١] » الذي يدل على نزول الوحي عليه من قبل ما أمر أن يبلغه، وضمن له العصمة فيه بقوله : « يا أيها الرسول » أي يا من مننا عليه بالكمال قبل القيامة فواصلناه بروح القدس وجعلناه رسولاً بين يدي الساعة منبعثاً . « بلغ ما أنزل إليك من ربك » أي بين لتابعيك ما أنزلنا إليك من الوحي مجملاً من فريضة طاعة أولي الأمر بعدك في قولنا : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم [٢] » كما شرحت وبينت غيرها من الفرائض « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » يقول : فإنك إن لم تبين لأتباعك من القائم مقامك بعدك ليكون الأمر محفوظاً بمكانه ، والناس آخذون بعبادتهم بطاعته ، كان مؤدياً إلى اختلال الأمر وانحلال معاقد ما أسسته وقننته [٣] من قوانين العبادة العملية وعموم الأمراض النفسانية فيهم « فما بلغت رسالته » يقول : فكأنك ما قمت بالأمر على وجهه « والله يعصمك من الناس » يقول : وإن كنت تخاف من الناس نكثاً وارتداداً فلا تخف ، فإن العناية قائمة في توفيقك وحفظ الأمة بعدك ، فلا قوة لأحد ممن تخشى التواءه [٤] عليك وعلينا تدبيره ، وعلى ذلك فالنفس المؤيدة بالوحي محتاجة في الإحاطة بكمية الأمور الكلية الملقاة إليها بالرتبة الأعلى من الوحي وكيفياتها ولمياتها ولتعلم تابعيها إلى قيام آثارها من جهة ذوات الكميات والكيفيات واللميات ، هي غير تلك الأمور المدركة بالوحي لتضيء لها طريق المعارف في ذلك كحاجتها بديا في الإحاطة بالمعقولات إلى إنارتها من جهة المعقولات الخارجة هي غير الأمور المحسوسة ، لتكون لها كالضوء في إدراك العين للمحسوسات

---

١ - سورة ٥ آية ٦٨
٢ - سورة ٤ آية ٥٨
٣ - سقطت في ن
٤ - سقطت في ن

– على ما ذكرناه فيما سبق – والإبتداء في ذلك بالمحسوسات والإنتهاء إلى المحسوسات ومثلها في ذلك مثل الحراق الذي هو وإن كان شرر [١] النار الحاصلة فيها ذا نار ونور في ذاته محتاج في إضاءة ما حوله إلى أمر ثان به تصير تلك النار مضيئة ما حولها فتتبين للعين بها الألوان والأشكال على حقيقتها مثل الكبريت وغيرها ؛ وعلى ذلك فالمحسوسات بآثارها ونصبتها وظهور آثار الصنعة فيما تضيء نار الوحي تبين للنفس حقائق المعارف الكلية كالكبريت مثلاً بمثل . هذا فيما يتعلق بكيفية الإتصال والقبول من عالم الوحدة ، وأما الوحي فهو اسم لما يعلم كلياً من غير تفسير وتفصيل وينقسم قسمين : أحدهما ما يعلم لا بواسطة ، والثاني ما يعلم بواسطة محسوسة ، فالذي يعلم لا بواسطة محسوسة هو الذي يكون بعلو الجد فيحصل للنفس بما يجيؤها من نور دار [٢] القدس من جهة الملك المتمثل بشرر النار ، وذلك أعلى المراتب كلها من وجوه المعارف ، وأما الذي يعلم بواسطة محسوسة فينقسم قسمين : أحدهما خاص وهو ما يعلم من جهة تختص بالنفس المبعوثة صورة بادراكها إياها حساً من غير مشاركة غير فيها ، مثل الملك الذي يتمثل لها صورة عن حصول المعاني الكلية المعراة من المواد من خارجها وحياً في الذات على ما ذكرناه ، فتراها بالحس وتخاطبها ، وغيرها لا يراها ولا يحس بها ، وذلك هو الخيال ، وثانيها وهو ما يعلم من وجوه تشترك فيها بالإحساس النفس المؤيدة المبعوثة ، وتنفرد بمعرفة المنطوي فيها من المعالم كلها النفس المبعوثة والمقتفون آثارها ، مثل الذي يعلم من جهة المحسوسات بالموجود فيها من آثار الحكمة والصنعة وأحكامها اللازمة لها والطارئة الناطقة عن ذاتها ، وإن كانت ساكتة المنبئة له ، وإن كانت صامتة المعرفة به ، وإن كانت بها غير عارفة وذلك هو الفتح ، وهذا الوجه ينقسم إلى وجوه كثيرة

١ – في ن : شرارة
٢ – سقطت في ن

كلها كلام يبلغ الجميع ستاً وأربعين وجهاً ، على ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وعلى آله مثل الإشارة والرمز وضرب الأمثال والحظ والإلهام والرؤيا وزجر الطير ، والنصبة والشكل واللون والتركيب وخطابة الألسن والعدد والحركة وكل شيء من أحوال الموجودات في ذاتها جملة حياً كان أو جماداً محمولاً كان أو حاملاً لتمام الوجوه التي جميعها إيحاء من خالقها وصانعها رب العالمين رب السموات والأرض وما بينهما إلى المبعوث المؤيد ، وكلام معه بالتعريض وتعريف[1] إياه من غير تصريح مثل الرؤيا والأمثال ، ويترتب في هذا الوجه البالغون من الحدود وعونهم النفس الزكية ، فيكون بعضهم فيه أغنى ، وبعضهم فيه أفقر بحسب القبول والإخلاص والسعادة المتحققة بهم ، فكل هذه الوجوه المبينة والحد المذكور الجامع لها معارف كلية ومعالم جميلة متضمنة لمعان غير فصيحة ولا ظاهرة ، مثاله من الموجودات الطبيعية مثل البيضة التي هي بالقوة طير بجناحه ومخالبه ومنقاره وريشه ويعلم أنها كائن منها لكن ذلك خفي فيها ولا يظهر للحس إلا بأمور تجري منها مجرى التأويل من الأمثال والرؤيا التي هي ذات معان ظاهرة للحس ، أو مثل ما يراه الرائي من بعيد من تلويح بريق سيف أو حركة ثوب الذي[2] يقع به العلم جملة إن له محركاً هو إنسان . وأن ذلك حق لكن الأمر فيه خفي ولا يعلم أن المحرك زنجي أو تركي أو غيرهما ، ولا أنه ذكر أو أنثى ، ولا أنه راكب أو قائم ، ولا أنه عالم أو جاهل ، ولا أنه وحده أو معه غيره ، وعلى ذلك من أحواله إلا بأمر ثان يجري منه مجرى التأويل الذي يظهر منه معاني الأمثال والرؤيا إما بالقرب من المرئي ليدرك بالحس فيوقف[3] على كيفية الأمر في جميع ذلك أو بإخبار مخبر ، ولن تكمل الإصابة في

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ سقطت في ن

هذه الوجوه كلها المترتب فيها الناس كلهم ولا الإحاطة بها جميعاً إلا من خصه الله تعالى[١] وأكرمه وأيده بالرتبة الأعلى من الوحي ، الذي مثلناه بالشرر الذي يضيء الذات الشريفة بنور القدس المتصل بها من خارجها الجاري منها مجرى الضوء الذي به تبصر العين حقائق الألوان والأشكال ، وهو غاية القوة ، ولا يشاركها في الإحاطة بها غيرها فتقودها إلى اصطياد هذه الوجوه كلها حتى لا يفوتها شيء منها ، وجميع ذلك كالكلام المبين المعروف بأنحائه تستوعبه أقسام ثلاثة بينها الله تعالى في كتابه بقوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء[٢] » ، « ما كان لبشر » يقول : ما كان لمن يصطفى بالبعث في دار الطبيعة ليعلم غيره من أبناء جنسه ودعوته إلى توحيد الله سبحانه رب العالمين وعبادته ممن يخرج إلى الكون من البشر بواسطة الأمور المنصوبة على الأمر المقدر « أن يكلمه الله » الكلام وهو العقل يقول : ما كان لمن ينصب لذلك[٣] ويختار أن يكلمه الله ويجعله عقلاً كاملاً منبعثاً من طريق المخاطبة خطاب البشر بعضهم مع بعض تصريحاً بالجزئيات[٤] التي منها يرتقي إلى معرفة الكليات نفياً أن يكون ذلك بقوله . « ما كان » « إلا وحياً » هو إيجاب ما بين وجهه بعد النفي ، وهو الوحي الذي هو القسم الأول المعروف بالجد ، يقول : بل نعلمه بأن نضيء جوهره بنور القدس فتلمع في ذاته في حال يقظته منه صور هي معارف كلية شبه ما يرى في المنام ويتعلق بالأكوان والأحداث فيما سبق وجوده وانتظر كونه يحتاج فيه إلى أمر ثان به تنفتح جزئياتها ويظهر تفسيرها « أو » حرف تبديل « من وراء حجاب » كالأمثال المضروبة والأمور القائمة المنصوبة للأغراض المعلومة التي هي

١ ـ سقطت في ك
٢ ـ سورة ٤٢ آية ٥١
٣ ـ سقطت في ن
٤ ـ في ن : جزاءات

كالكتابة الدالة للعارف بها على ما يتضمنها من معانيها الناطقة له وإن كانت ساكتة ، والمكلمة له وإن كانت صامتة « أو » حرف تبديل « يرسل رسولاً » وهو القسم الثالث المعروف بالخيال ، أو يعلمه من جهة الخيال الذي يتمثل له بشراً سوياً عن القوة التي واصلته من دار القدس الذي هو الملك ، إما قولاً بالسمع أو تشخصاً برؤية العين . فهذه الثلاثة الوجوه هي التي تجمع جميع وجوه التعليم الإلهي تارة بالأول ، وتارة بالثاني والثالث ، أو الأكثر ، أو بوجه منها بحسب قوته ، فأما القسم الأول الذي هو الوحي الذي يفيده معرفة الأصول ومثلناه بالشرر المعروف بالجد فهو الذي يحصل للمؤيد في اليقظة والإغماء فيدرك أولاً إما بأن يرى في ذاته شخصاً يخاطبه أو يسمع خطاباً لا من شخص مثل هتف هاتف ، فيقف بذلك على ما في الأنفس ويطلع على الإعتقادات ، فيكون ذلك كلياً مثل ما يفرض من إيجاب الصلاة والزكاة جملة بقوله تعالى : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة[١] » التي هي جملة غير مفسرة ، أو كما يرى في المنام الرائي حنطة قد حصلت له ، أو نعلاً الذي يدل على حصول مال له ، أو امرأة جميلة ، فيكون الوقوف على وجه حصول ذلك المال وجهته وكميته ، وتلك المرأة وحالها في قدرها[٢] وجمالها وأخلاقها بشيء آخر يتبع ذلك من معرفة لون النعل وحسنها وكونها ملبوسة أو جديدة ، وكذلك في المال من معرفة الوجه الذي عنه حصل له ذلك المال من صناعة أو من جهة غيره بالهدية ، ومقداره بأنه كان منصوباً معلوم القدر « أو وفرا الذي كل شيء من ذلك على وجه[٣] » فيتضح الأمر ، وفي هذا القسم لا يشارك المبعوث المؤيد في زمانه غيره .

وأما القسم الثاني الذي هو الخطاب من وراء حجاب ، الذي هو الفتح فهو

١ ــ سورة ٤ آية ٧٧
٢ ــ سقطت في ن
٣ ــ في ن : «كل شيء وفر على وجه ذلك»

ما يكون من جهة قيام آثار الصنعة الإلهية في الموجودات ، مثل الخطاب الإلهي بالأمثال ، مثل ما ألقي إليه « مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة [١] » ومثل ما قال الله تعالى : « الله نور السموات والأرض[٢] » وغير ذلك ، ومثل الخطاب الإلهي من جهة ذوات الموجودات بآثار الصنعة التي دل بقول الله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار[٣] » إلى قوله : « فقنا عذاب النار [٤] » على مصير السموات والأرض وما بينهما مخاطبة للمفكر فيها بما فيها من آثار الحكمة لله تعالى ، وعلى معرفة المفكر في ذلك منها خطابها عن ذواتها وإقرارها به تعالى وأنه لم يخلقها عبثاً ، ذلك بأن الموجودات التي يتفكر فيها المتفكر ، التي هي قيام [٥] آثار الصنعة فيها ، كالمخاطب له فيقع منها العلم له بكل شيء بحسب قوته في قبول الضوء الذي يضيء له ذلك ، وأوله إثبات التوحيد الذي يشهد منطقها عن ذاتها بوجود آثار الصنعة فيها والتركيب بأن لها صانعاً واحداً ، ثم إثبات الملائكة السابقين عليها في الوجود الذي يشهد بكونها ناطقة عن ذاتها التي هي جسم بأنه ليس بمبدع فيكون أولاً في الوجود ، بل ما أوجده الله تعالى وابدعه غيره مما سبق عليه فكان له سبباً قريباً في وجوده الذي هو الملك المقرب ، ثم الإثبات بأنها ليست هي الغرض في الحق بكونه لا آخراً في الوجود ، فيكون مثل ما أوجده الله تعالى أولاً ، ثم إثبات مرتبة الأنبياء والرسل من جهة الله تعالى بكون الموجود عنها من البشر فيما يحتاج إليه من مصالحه محتاجاً إلى معلم يعلمه من جهة الله تعالى على ما سبق به الكلام ، وغير ذلك مما يقوده الإحاطة به إلى التزام الواجب والقيام به في طاعة الله فيعلم أن ذلك كله ليس بباطل خلقه ولا على سبيل عبث ولعب وجوده بل أقيمت بحق وحكمة على ما يوجبه تأويل الآية وهو أن حرف « إن » في هذه الآية هو إيجاب لما يتبعه ،

---

١ ـ سورة ١٤ آية ٢٤
٢ ـ سورة ٢٤ آية ٣٥
٣ ـ سورة ٢ آية ١٦٤
٤ ـ سورة ٣ آية ١٩١
٥ ـ سقطت في ن

وقوله: « في خلق السموات والأرض » يقول: إن في إقامة الأنبياء والأوصياء والحدود بينهما الذين كلهم من الدين بمنزلة السموات والأرض ، « واختلاف الليل والنهار » يقول: وثبوت مناسك العبادتين ومعالمهما ظاهراً وباطناً اللتين هما من الدين بمنزلة الليل والنهار ، وبهما يكتسب المؤمن التأييد والخلود في الجنان « لآيات لأولي الألباب » يقول: الأمور[1] يعرف منها أولو البركات الإلهية وتابعوهم وجه مصالح النفس ومفاسدها وكمالها ومناقصها ديناً ودنيا « الذين يذكرون الله[2] » يقول: صفة لأولي الألباب الذين يتبعون أمر الله ويحذرون معاصيه ومناهيه من الناطق وغيره « قياماً وقعوداً[3] » يقول: في حالتي العبادتين الظاهرة عملاً والباطنة علماً « وعلى جنوبهم » يقول: وعلى أحوالهم كلها فيما هو عين العبادة، ولا يفارقون أحكام الله تعالى بل يجعلون أمر الله قائدهم فيذكرونه ويتبعونه « ويتفكرون في خلق السموات والأرض[4] » يقول: ويتأملون ظاهر آثار الصنعة وكيفيتها لتثبت عندهم لميتها في مراتب الحدود القائمة في التعليم والهداية ويتبعونهم « ربنا ما خلقت هذا باطلا[5] » يقول: فإنهم إذا وقفوا بالفكر على الأمور الموجبة في إقامة الغرض من نصب السموات والأرض لإخراج البشر إلى الكون وتأييد الرسل من بينهم الذين يقومون بالتعليم والهداية والدعوة تحققوا وقالوا: ربنا هؤلاء الحدود والرسل ما أقمتهم باطلا ، ولا أرسلتهم عبثاً بل بحق ، وأن لنا لثواباً وعقاباً وجنة وناراً « سبحانك فقنا عذاب النار[6] » ذلك دعاء فأعنا بالإضاءة لنا على اكتساب ما نقي به أنفسنا من الهلاك فلا حول ولا قوة لنا إذن إلا بك . ومثل ما يوجبه تأويل قول الله تعالى: « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها[7] الآية » قوله: « أفلم يسيروا في الأرض » يقول: فهلا نظروا في الدعوة العلمية

---

١ – في ن : امور
٢ – سورة ٣ آية ١٩١
٣ – سورة ٣ آية ١٩١
٤ – سورة ٣ آية ١٩١
٥ – سورة ٣ آية ١٩١
٦ – سورة ٣ آية ١٩١
٧ – سورة ٢٢ آية ٤٦

وما فيها من العلوم التي تستقر عليها العقول ، واعتصموا بولاية أولي التأييد القائمين بحفظها « فتكون لهم قلوب يعقلون بها [١] » يقول : فيكون لهم مؤيدون من السماء هم من البشر كالقلب من البدن فيتعلمون ويستفيدون منهم وبمكانهم فيفقهونهم في العبادة ومعارف التوحيد « أو آذان يسمعون بها [٢] » يقول : أو يكون لهم خلفاء للمؤيدين مثل الحجج إن لم يصلوا إلى المؤيدين يعلمونهم لينالوا من جهتهم معالم أديانهم « فإنها لا تعمى الأبصار [٣] » يقول : فإن المؤيدين الذين [٤] هم بمنزلة أبصار البشر التي بها تحصل لهم المعارف كما قال تعالى: « واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار[٥] » فخصهم بأنهم ذوو أيدي وأبصار من بين البشر ، مع العلم بكون البشر كلهم ذوي أيد وأبصار ، وخلفاؤهم في الدين دونهم الذين هم الحدود فلا تعمى بصائرهم في الهداية إلى الحق فيه « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور [٦] » يقول : لكن لا تختل بصائر المنفردين عن المؤيدين من المترأسين في الدين فيهلكون ويهلكون فلا يبصرون مصالح أديانهم من ذواتهم يحقق ذلك قول الله تعالى : « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم[٧] » فإن المؤمن بإيمانه واعتصامه بولاية المؤيد المقام للهداية له مولى متولي أمره من جهة الله ، والكافر بجحوده وإنكاره مقام المؤيد المقام للتعليم ليس له من يتولى أمره في دين الله الحق ، فيعلمه .

فهذه الوجوه وأمثالها كلها خطاب يوقف منها على المعارف ويستفاد ، وكما يستفاد المعارف من جهة الأجسام العالية من آثار الصنعة، فقد يستفاد من جهة المواليد ، مثل النبات الذي يدل على طبيعته ظاهر خلقة الشجرة وثمرتها وهيئتها في لونها ورائحتها وفي كونها صلبة العود أو رخوة أو حارة أو رطبة

---

١ ــ سورة ٢٢ آية ٤٦
٢ ــ سورة ٢٢ آية ٤٦
٣ ــ سورة ٢٢ آية ٤٦
٤ ــ سقطت في ن
٥ ــ سورة ٣٨ آية ٤٥
٦ ــ سورة ٢٢ آية ٤٦
٧ ــ سورة ٤٧ آية ١١

أو باردة أو يابسة، أو بالعكس أو حلوة أو مرة ، ويدل بخضرته على المـاء الذي يشربه في قلته وكثرته ومن نضرته على جودة التربة التي هي فيهـا فيعرف منه ذلك ، ومثل البشر في خطابه الذي يدل بكلامه وأفعاله على أمور من غير معرفة منه بها ، مثل من يريد أن يتذكر آية من القرآن فلا يذكرها ويرتج عليه ولا يتنبه لها ؛ فيسمع قارئاً يقرأ تلك الآية فيأخذها من غير معرفة القاريء أنه قرأها لهذا المتذكر ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وعلى آله : « رحم الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ؛ ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » . ومثل من كان مخاطباً نفسه في شيء أو متفكراً أو داعياً فيسمع من خطاب غيره ما يكون جواباً لما يفكر به إما بتعليم فبكونه أولاً فيعلم ما ينتهي [1] إليه في ذلك المطلوب المفكر فيه ، ومثل النسور إذا وقعت في موضع وقع العلم بأن هناك ميتة ، وإن لم تر ، والمؤيد الذي قد أضاء له من دار القدس يحوي أمثال ذلك كله مما لا يعلمه غيره .

وأما القسم الثالث الذي هو إرسال [2] رسول يتمثل مثلاً بشراً سوياً ، ويعرف بالخيال هو الذي يكون شرحاً وبياناً كله ، فلا يشارك المؤيد في رؤية ذلك غيره ، وهو الروح الأمين المسمى بجبرائيل . وبالجملة فالمؤيد له من كل شيء يدركه بحسب حظه من المعارف الدينية وما يتعلق بها فلا يفوته شيء ولو حركة بعوضة فما فوقها ، وحاله في رؤية الأشياء وهو يقظان حال الأنفس النائمة المتفردة بذاتها الرائية في المنـام ما يراه رجوعه إلى ذاته فكراً فيما يريده ، وإضاءة من التحف به من نور دار القدس وقيام الصور متمثلة له مخاطبة ، فهي مجيء الوحي اليه ، فإنه في ذلك كله يخاطب الملائكة المقربين ويخاطبونه بكونه مثلهم « في الذات [3] » كالاً وانبعاثاً وإضاءة ، وإذا خاطب

١ ـ في ن : ما اليه ينتهي
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : بالذات

البالغ ذاته فكأنه قد خاطب الحد الأعلى ، وهذه هي الحال التي قد تتعقب ما يجيء به قبل نسخ التنزيل بالوحي ، وانقطاع الوحي لا يكون إلا بنوازع طبيعية تعاند هذه الأمور من قبيل المزاج في أحيان تكون النفس في عالم الطبيعة غير مجردة والأمور عن المزاج في الحكم قائمة ، فيخفى عنه وجه الأمر وصوابه ، ولذلك قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم [١] » فقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي » يقول : ما أيدنا نبياً ولا رسولا بنور القدس إلا يتخيل إليه من قبيل مزاجه الذي عنه وجود نفسه في أوقات ما يكون موجباً أحكام طبيعته فيتمنى ، « ألقى الشيطان في أمنيته » يقول : فيضل بذلك عن الصواب ، كون المزاج مستدعياً ما يوافق أحكام طبيعته مما يوافقه من الأمور التي توجبها رتبة الحسية ، فيزيل الله تعالى ذلك الذي ليس بصواب « بضوء الوحي الذي [٢] » يؤيد المؤيد به فيستدركه « ثم يحكم الله آياته » يقول : فيحكم الله بالإيحاء قول أوليائه الذين هم آياته وعلاماته ، ويفتيهم[٣] مثل ما قال تعالى : « يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول [٤] » الموجب أن يكون الكل لله وللرسول المنسوخ بقوله : « واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ، ولذي القربى واليتامى .. الآية [٥] » لكون الصلاح وانقطاع كلام المعاندين في ذلك لا في الأول الفاتح لأبواب كلام المنافقين ، فالنفس بإضاءة جوهرها بهذه المواد الإلهية تستعلي قادرة على إحضار ما في الوهم وجوده مما توجبه الحكمة ، ليصدمه الحس ويدركه فيفعل أفعالاً تحير البشر ، لأنها هي الإعجاز بانفتاح أبواب المعارف لها ، وإحاطتها بما لا يحيط به غيرها فتطيعها الأجسام كلها بجمعها إياها على الأمور [٦] الموجودة فيها وفاقاً لحصول

---

١ ـ سورة ٢٢ آية ٥٢
٢ ـ في ن : الوحي الذي بضوءه
٣ ـ في ن : وفتاويهم
٤ ـ سورة ٨ آية ١ . في ن : (ويسألونك)
٥ ـ سورة ٨ آية ٤١
٦ ـ سقطت في ن

المطلوب ، فتصير آلة لها فيفعل ما يراه من الأمور التي تقترن بالسياسة الجامعة للسعادة ديناً ودنيا ، فيكون هو لها بمنزلة النفس من البدن الجامع للآلات ، بها تتم أفعالها الظاهرة ولا تتمكن الآلات من مخالفتها ، مثل اليد التي لا تقدر على التأبي عليها في الأخذ والإعطاء ، ومثل العين لا تقدر أن تبصر ولا تهتدي لإدراك إذا أرادت فجازت بها المحسوسات، ومثل الأذن التي هي أبعد انقياداً في الحركة من كل الآلات الظاهرة ، ومثل الرجل ، وإذا أرادت تحريكها لم تمتنع عليها ، فإنها تتحرك ، وكذلك أصابع الرجل ، فيكون فعلها في الأجسام واستخدامها إياها على وجه إذا تعرضت لأمر كانت السموات والأرض وما بينهما مساعدة لها على ما يتم به فعلها مساعدة الهواء في الصيف للقصارين والغسالين والكاغديين على ما يقوم به فعلهم ويتم في نشف ما يعوق عليهم أعمالهم من الرطوبات بسرعة ؛ ثم الحمامين في إحماء الحمامات بأقل وقود وأهون أمر ، بما يحصل لها من بركات الله تعالى واسمه الأعظم الذي عليه يدور قطب النبوة ، وبنوره الذي يلبس تاج القدرة فيظهر منها[١] عن ذلك الأفعال المعجزة القاهرة التي هي نفوذ قوى المواد المتصلة من دار القدس بالنفس المؤيدة من كل جهة في الموجودات وانطياعها انطياع الجسم الثقيل المعجز تحريكه للعالم بما يقيمه من الآلات ليشيله ويقله بأهون أمر ، وانطياع الحديد الثقيل في حركته من ذاته من غير محرك له بما يجاذبه من حجر المغناطيس ، وانطياع الأوجاع في زوالها بالرقى ، وانطراد البق والذباب والجراد[٢] وغيرها بنصب مثلها من المعدنيات على وضع معلوم ، وانقياد الأمر للعالم في إخراج الفراريج من البيض باستخدام من يقوم في حضانتها مقام الدجاجة ، وانطياع آلات البدن التي هي الأبعاض الخارجية للنفس ، وانطياع الأنفس الأبية بالكلام

١ ـ سقطت في ن

٢ ـ سقطت في ن

والخطاب على ما توجبه الحكمة ، وغير ذلك من الأمور الطبيعية الموجودة المستفيضة معرفتها في الناس ، الموجبة بوجودها ما هو أعظم منها ، والعقول عن تحصيلها أعجز ، التي هي كلها تشبيه من الموجودات الطبيعية وأمثلة على ما يكون من الأمور بالقوة الإلهية من جهة النفس المؤيدة بانبساط نورها في الموجودات ، مثل المجيء بالسحاب والرعد والأمطار والصواعق والنار التي يوجبها قول النبي صلى الله عليه وآله حين صرف[١] الأحبار عن المباهلة بقوله : « ولو باهلوني لأضرم الله الوادي عليهم ناراً » . إنه لم يكن خروجه بمن خرج لذلك لأن يبقى الأمر فيمن دعاه إلى المباهلة على مطلوبه فلا يعلم ظاهراً من الصادق ومن الكاذب ، بل لأن يظهر آية يتبين بها أمره في صدقه وكذب غيره بنار يضرمها الله تعالى على مجاحديه[٢] ، كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله ، وإلا فلا فائدة في خروجه للمباهلة لو لم يعلم أن ذلك كائن حقاً ، ومثل النار التي كانت تجيء من السماء لقبول القرابين في الملل المتقدمة ، وكل ذلك أمور خفية لا يظهرها لبصيرة العقل إلا الضوء التأييدي[٣] من دار القدس الذي يواصل المبعوث على أمر قد قدر ، ولذلك صار لا ينال أحد هذه الرتبة باجتهاد منه بل بالمنة المواتية على حكمة مقدرة ، ولأجله كان ما يجري مجرى الشعوذة والسحر من الأفعال والحكم المستكنة في الأمور الطبيعية التي كلها علوم غامضة دقيقة ممكن استفادتها وتحصيلها بالإكتساب والإجتهاد . وفي الجملة فالمشعوذ إذا كان مع كونه في الطبقة الأولى من مراتب النفس ، وكان علمه علماً طبيعياً ممكناً تعلمه واكتسابه فتظهر من أفعاله العجيبة ، وكذلك الساحر ، من غير اتصال منهما بعالم القدس ولا مواصلة ولا ضياء منه لهما ولا سلوك طريق الديانيين ما يجعل

---

١ ـ في ن : فر
٢ ـ في ن : مجاهديه
٣ ـ سقطت في ن

ورق السدر دنانير ودراهم ، ويذبح الحيوان ويحييه بمشهد أولي الحواس الصحيحة بأمورهما يعلمانها ، فليس بعجب ممن يكون مبعوثاً ممنوناً عليه بالضوء الذي تضيء له المعارف كلها فيرتقي إلى أن يظهر بقدرته البارعة الممنوحة له ما هو أعظم من تلك الأمور بضرب[١] أعلى وأشرف ، كما هو من رتبة النفس في الأعلى والأشرف ، لا ، ولا مستنكر بل مستوجب كونه صحيحاً مبدأه ومنتهاه ، فيكون ذلك العلم[٢] كله محفوظاً عند المؤيدين أمناء عليه مهيمنين لا يقربه إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان . فالفرق بين فعل[٣] المؤيد وبين فعل المشعوذ المتنبي أن المعجز الذي هو فعل المبعوث لا يتمكن أحد من إصدار مثله إلى الوجود إلا بنور الهي من دار القدس يواصل ويتعلق ذلك منه بالغير لا بالذات ، والشعوذة التي هي فعل المشعوذ يتمكن من فعلها كل أحد لتعلقها بذاته وبقصده واجتهاده في تعليمها واستفادة معرفتها ، مثل ما كان ابن العميد يتعاطاه وأمثاله . هذا وأعظم المعجزات من الرسل عليهم السلام عندنا كون ما يأتون به عن الله تعالى من الأمور المتضمنة رسوم الشرائع المعقودة بسنن المناسك مناسباً لخلق الله سبحانه موازنا مطابقا ، الذي هو أعظم شهادة ، فإن ذلك هو المعجز الثابت الذي يعجز عنه من كان متنبئاً وإن اجتهد ، وما لا يثبت أثره من الأفعال المظهرة الاعجاز فيرى بعد الوقت الذي أظهر فيه ، فالاعتبار في كونه صحيحاً وأنه من جهة الله تعالى سبحانه وجوده بما جاء به فاعل تلك الأفعال من السنن والمناسك والرسوم والوضائع والكتب[٤] الإلهية المتضمنة الأوامر والنواهي والحلال والحرام والترغيب والترهيب التي متى كانت موازنة لخلق الله تعالى ومطابقة ومقابلة حتى لا تغادر منه شيئاً مما يكون داعياً إلى تقويم النفس وكسبها الفضائل والكمال ،

---

١ ـ سقطت في ن
٢ ـ سقطت في ك
٣ ـ في ن : عقل
٤ ـ سقطت في ن

كانت تلك الأفعال منه صحيحة صادرة عن قوة إلهية وهو مبعوث حقاً فإن المتنبي وإن اجتهد في تعمية أمره وتلبيسه لئلا يعلم أنه منقطع الحبل والعصمة بأن يظهر من الأمور الطبيعية التى ذكرناها ما يعجز فلا يكاد يتم له ذلك ويظهر عجزه في محاكاته فعل الله سبحانه[1] وتعالى في أقواله وأفعاله وما يدعو إليه التي لا يعرفها إلا من أطلعه الله عليها بتأييده فيدل نقصانه على قدرته مثل ما فعل ديصان وابن المقنع خاصة الذي أظهر من الأمور بخراسان من اطلاعه قمراً يضيء في وقت معلوم وغير ذلك مما لم يعاضد أحداً منهم ما دعا إليه بموازنته ولا شيده بمطابقته فيكون دليلاً على ثبوت رتبته في المؤيدين فثبت أنه كان كاذباً مضلاً ، على أن هذه الأفعال بالجملة صادرة عن معرفة النفس لكنها منبعثة في هذه الأفعال عن إحكام مزاجها وله تفعل وتقصد ، وما يكون عن مثل ذلك يوجد فصاحبه بعيد من مواصلة القدس ، ومن مرتبة النفس المبعوثة من دار القدس التي تفعل لذاتها واستحفاظ[2] كمالها لا لمنفعة يوجبها ويستدعيها هواها عن مزاجها ، وذلك كله سعادات تنقسم على ما ذكرنا إلى : ما يكون سعادة دنياوية ويختص السعيد بها بحصول إرادته فيها مثل معاوية ويزيد وأمثالهما ، وسعادة آخرية دينية يختص السعيد بها بحصول مطالبه لها في آخرته مثل عمار بن ياسر وأبي ذر [3] الغفاري رحمة الله عليهما وأمثالهما ، وسعادة جامعة للأمرين يختص السعيد بها بأن يجمع الله له أمره فيهما مثل المؤيد المبعوث الذي يخصه الله بكرامته بكونه غاية في الكمال الذي به تختم الفضائل وبه ترتهن كل المساعد .

هذا وليست فضائل الملائكة التي هي العقول الخارجة في [4] دار القدس

---

١ ــ سقطت في ن
٢ ــ في ن : واحتفاظ
٣ ــ في ن : وابي ذو
٤ ــ في ن : عن

من المبدع والمنبعث الأول وغيرهما من الملائكة القائمة [١] بالتقديس الموجودة أولاً ، هي ما تعد فضائل في دار الطبيعة والإكتساب للمبعوثين [٢] ، فإن تلك الملائكة لا تستحق أن يقال عليها إن لها شجاعة أو عفة أو أمانة أو ورعاً ، أو سخاء أو صدقاً أو عدالة أو غير ذلك من الفضائل ، فإن هذه الأمور للنفس الطبيعية هي الأمور التي بحصولها تنال تلك الفضيلة التي لتلك العقول من التأزل والبقاء والإختصاص بالقربة [٣] ، ولا وجود ما يكون بينها وبين الله سبحانه وتعالى واسطة والمسرة بهذه الحال ، وبكونها عللاً لوجود الأمور الموجودة عنها لا يهتدي إليها فساد ولا استحالة ولا تغير ، وتلك لم تكن في دار الطبيعة ولا كانت لها هذه الأمور ، فنالت بها ما نالها مما خصها وتفرد بها ، ولا وجودها بها فتكون – أعني العقول الخارجة – هي من المسبوقة ، وإنما كانت هذه الأمور معدودة من الفضائل بكونها أسباباً لنيل السعادة التي هي فضيلة تلك الموجودات الأولة الشريفة وأموراً بها تحصل للنفس الأنفة والحمية [٤] فتأبى أن تهلك أو ترذل فتذل ، أو تخص فتسمو إلى ذروة العز طلباً وتعلقاً بحجاب القدرة التي هي المعارف الإلهية اكتساباً على ما ذكرنا في كتابنا المعروف « بتاج العقول » فالمؤيد المبعوث بجمع الفضائل الطبيعية التي هي أسباب في نيل السعادة الأبدية وهو فيها على أمر يكون به على النهاية في جميعها من جودة الفهم والتصور [٥] لما يشار إليه ويوماً ، فضلاً عما يقال له ويعرف به ، ومن جودة الحفظ [٦] لما يراه الخاطر والعين على تباينه ويدركه السمع من الصوت على اختلافه ، ومن جودة الفطنة والذكاء والتوقد فيها إدراكاً بأدنى أمر ودليل يلوح في أمر من الأمور له على وجهه ، ومن جودة الذكر والتخليص [٧] عن المراد إظهاراً

---

١ – في ن : القائمين
٢ – في ن : للبعوثين
٣ – في ك : القرية
٤ – في ن : الحية
٥ – سقطت في ن
٦ – في ن : الحافظة
٧ – في ن : التلخيص

للاسماع بالألفاظ الجامعة للمعاني اللطيفة المقبولة ، ومن جودة العبارة والخطاب والقدرة عليها وعلى الهداية إلى السعادة والأعمال التي بها يكون الكمال ، ومن جودة الأعضاء وسلامتها والقدرة على التأني بمعاناة أمور الحرب [١] ومباشرتها والصبر عليها ، ومن جودة الفطرة والطبع في استفادة المعارف من كل جهة كانت حية عالمة ، أو غير عالمة ولا حية ، بحركاتها وسكونها وأحوالها وخطابها وكلامها ، ومن جودة النحيزة في السلامة والانقياد لكل خير فيكون خالياً من الرذائل التي هي الشره [٢] والطمع والرغبة في المأكول والمشروب والمنكوح زيادة على الحاجة ، واللعب واللهو وعاطلاً في الجملة [٣] من الأمور التي تعوق على النفس سعادتها ، ويكون عظيم النفس كريماً محباً للعدل مبغضاً للظلم والجور مؤثراً لما يعود على النفس منفعته من العبادة كارهاً بالطبع لكل ما يهجن [٤] ويشين ، مقداماً في الأمور جسوراً عليها لا يروعه أمر في جنب ما يراه صواباً بجوهره وقصده ، ذلك كله بأن النار القدسية أضاءت جوهر نفسه فأصبحت في معالي القدس تطلع على ما دونها في عالم الدين وتتعلق بها مصالح النفس في وجودها وسعادتها،مثل الذهب الذي صار بوفور حظه من نور الشمس أشرف الأجسام المعدنية وبه يكون معاش البشر في العالم ومعاملتهم ولا يمشي أمرهم إلا به ، ومثل الحنطة التي هي بكون حظها من الإعتدال أغذى من كل حب فبها يتعلق معاش الأبدان فكان متقدماً على الكل والكل متبع له ، وحاله في أفعاله وأنحائه من دعائه إلى ما يدعو إليه وقيامه فيه القيام الذي لا يتخلله قصور ولا فتور حال يقتضيها كاله الذي جاءه من دار القدس ليكون كذلك على أمور سابقة تقديراً هي تنساق [٥] على نظامها إلى الغرض تتميا ، ولذلك كان معصوماً لا يظهر منه أمر منكر

١ ـ في ك : الحروب
٢ ـ في ن : الشراهة
٣ ـ في ك : الجلبة
٤ ـ سقطت في ك
٥ ـ سقطت في ن

ومن يكون بهذه المنزلة من الوجود لا يكون إلا تاماً مؤيداً فاضلاً ، ولا يجتمع معه فيكون تابعاً له وخادماً إلا كل فاضل ، ولا ينفرد عن جملته فيكون معانداً له ومناوئاً إلا كل رذل [1] خبيث عاهر ؛ ذلك بأن المناسب بما ناسبه به يشابهه ويؤالفه [2] ، والمخالف له بما خالفه فيه يباعده فيخالفه ، وإذا كان الأصل المخدوم المتبوع على ذلك خيراً ، فأتباعه الموالفون له أخيار ، وبالضد مخالفوه ؛ وكذلك المطيفون بالسعيد المبعوث ومن حوله من الأصحاب المختصين به خزان سره وأبواب حكمته ومن يحتاج إليهم في إقامة أمر الله تعالى ونهيه [3] لا يتجاوز عددهم اثني عشر بكونهم في وجودهم له كالاثني عشر في الموجودات من العالم الكبير والصغير لها ، وكذلك كان لكل نبي مبعوث هذا العدد ؛ لموسى عليه السلام اثنا عشر نقيباً ، ولعيسى عليه السلام اثنا عشر نقيباً حوارياً ، ولمحمد صلى الله عليه وآله اثنا عشر صاحباً ، ولآدم ونوح وابراهيم من قبل كذلك لكل واحد منهم اثنا عشر حملة علمه ، والقائمون بأمره ، والقابلون أنوار حكمته ، ولكل منهم درجة ومنزلة وحق لا ينكر ، وأعلاهم درجة وأقربهم اليه رتبة من كان منهم أكثر تشابها به وأكثر مناسبة فيما خصه الله تعالى من الفضائل ، وأكثر قبولاً لأمره ونهيه ، وأكثر اهتزازاً لما سره في أمره وساءه وأوفر حظاً مما له ، والأولى [4] بمقامه بالخلافة عنه وبالنص عليه في ذلك من كان في هذه المنزلة ، فيكون جامعاً لتلك الأمور بتهذيبه من جهته واستفادته منه ما يتم به أمره في رياضة الأمة وسياستها بعده حكيما عالماً بما جاء به من الملة وأحكامها « حافظاً له [5] » على سننها على كثرتها ، تابعاً له فيما أمر ونهى وغير مخالف ، جيد الرأي والروية والقوة في أمور الحرب ومباشرتها ، جيد

---

١ ـ في ن : راذل
٢ ـ سقطت في ن
٣ ـ في ن : وشيهته
٤ ـ في ك : الاولة
٥ ـ في ك : حفظا على

التأني في الأمور الحوادث ، داعياً إلى قانون الأصل بجودة الهداية ، مبيناً ما كان مجملا من أقواله ، دالا على الحكمة مما كان منه من أفعاله ، كاشفاً عن وجه العلوم المستكنة في شرائعه ومناسك ملته ، معلماً [١] ذلك للطالبين من أمته ، قاضياً للحق فيها صابراً في حفظ نظام أمره على ما ساءه وعلى ما سره ، قائماً في كل ما يتعلق به ، مثل القمر دون الشمس رتبة في عالم الجسم الذي هو وإن كان مثل غيره كوكباً فليس في الفلك مثله في قبول نور الشمس وقيامه مقامها عند غيبتها في كل ما يتعلق بها من إخراج المواليد في [٢] دار الطبيعة إلى الكون ، ولا أشبه بها منه ، ولا أثبت قدما في حفظ مقامها في الإضاءة وإصداره [٣] الأفعال ؛ والفضة دون الذهب التي عليها يدور قطب معائش [٤] البشر بعده ، وهي أشبه به في العز والثمن من غيرها من المعادن ، وتقوم مقامه عند عدمه لكونها به أشبه ومن طبيعته أقرب ، ولذلك اختار محمد صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب صلى الله عليه بعده للقيام ، فنص عليه وسلم أمر أمته اليه لكونه عالياً [٥] في كل الأحوال متقدماً عليهم ، فكانت مرتبته بعده عليه السلام مرتبة الخلافة التي هي القيام مقامه في كل ما كان متعلقاً به في أمر الدعوة العملية في إتمام الأمر فيما فوض اليه من أمر الدعوة العلمية التي بينها النبي صلى الله عليه وآله بقوله: « أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » ثم القائمون مقامها في حفظ دعوتيها العلمية والعملية وهم الائمة عليهم السلام ، ولكل تأييد من السماء ، ويختص كل سابع منهم بقوة لا تنكر ، وتأييد من السماء لا يستحقر ، بموازنته عدداً شريفاً ، فيكون متمما لدور صغير في الدور الكبير الذي هو دور النطقاء صلوات الله عليهم المبعوثين يجري في

١ ـ في ن : معلا
٢ ـ في ن : عن
٣ ـ في ن : واصدار
٤ ـ في ك : معاش
٥ ـ في ك : عليا

مرتبته – التي هي القيام بحفظ العبادتين ظاهراً وباطناً ، وارثا مقام النبي صلى الله عليه والأساس منهما ، وإن كان غير مواصل بالوحي الأعلى التي هي مرتبة المبعوثين – مجرى الأساس القائم مقام المبعوث المؤيد الموفر حظه من البركات القدسية على ما بينه الله تعالى في كتابه بقوله : « الله نور السموات والارض ..[١] الآية » . « الله نور السموات والارض » يقول: إن الله تعالى هو خالق السموات والأرض ومنورهما بآثار صنعته وبارع حكمته ليخرج إلى الكون بتأثيرها وفعلها ما كان في الحكمة أن يوجد من المواليد الطبيعية ، مؤيد رسله وحدوده الذين جعلهم من دينه بمنزلة السموات والأرض ، ومدهم بفيض بركاته لتحصل بمكانهم وتعليمهم وهدايتهم المواليد الروحانية « مثل نوره » يقول : مثل ما أيد الله تعالى به النبي صلوات الله عليه وآله من « نور كلمته [٢] » وأفاض عليه من بركات وحدته ، وكان أصلاً في معارفه ووحياً « كمشكاة فيها مصباح » المشكاة الكوة ، يقول تعليماً وتشبيهاً وتفهيماً : كما جعله الناطق مادة وخزانة للمعارف الإلهية من الكتاب والشريعة والمناسك الوضعية التي هي كالخزائن للمعاني والمعالم فيها يقول : هذه الأمور التي هي كالخزائن « فيها مصباح » يقول : تتضمن معاني ومعارف إلهية هي من أنوار الملكوت وإن كانت لا تعرف بذاتها « المصباح في زجاجة » المصباح مثل على العلوم الإلهية والزجاجة على الأئمة والأتماء ، يقول : وتلك المعاني والمعارف التي هي الأنوار القدسية محيط بها الأئمة والأتماء القائمون بها [٣] ويجمعونها ويحفظونها ولا يفارقونها فتضيء ذواتهم بها وذوات غيرهم من أتباعهم الطالبين لها ، إحاطة القنديل بالمصباح من جهة كونه فيه ، ونفوذ النور في أجزاء الزجاج [٤] للقنديل وإضاءته لما حوله « الزجاجة كأنها كوكب دري [٥] » الكوكب الدري على الوصي يقول والأئمة والأتماء عليهم السلام

١ – سورة ٢٤ آية ٣٥
٢ – في ن : انوار كلامه
٣ – سقطت في ك
٤ – في ن : زجاج
٥ – سورة ٢٤ آية ٣٥

في فكرها في هذه الأمور القدسية ونظرها واستنباطها المعارف الدينية والحكم النبوية وإحاطتها بها والرجوع فيها فيما يشتبه وجهه كالأساس في استجابة ما كان في الدعوتين إنفتاحاً له ظاهراً وباطناً من الحكم والأمثال والوضائع الممثلة من السماء والأرض في قوله تعالى : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان [١] .. الآية » فيخاطبها الكتاب والوضائع ويكلمها ، وإن كانت ساكتة وصامتة لا ينغلق عليها شيء منها بل ينفتح لها وتقف على علم الأولين والآخرين الذي نزل على محمد عليه السلام « يوقد من شجرة مباركة [٢] » الشجرة المباركة هي على النبي صلى الله عليه وآله هذه صفة الكوكب الدري ووجه نوره يقول: إن الأئمة والأتماء في إحاطتهم بالمعارف كالأساس الذي تعلمه وتوقد نار علمه من استنباط المعارف من وضائع الشجرة المباركة التي هي الناطق المبارك الممنون عليه بنار التأييد المضيئة له المعالم كلها فلا يتأخرون في ذلك عنه ، وإن كانوا لا كالأساس رتبة « زيتونة » يقول : ذلك بأنهم بمثابة الزيتونة التي هي ثمرة تلك الشجرة « لا شرقية ولا غربية » يقول: فلا هم في رتبة الوصاية التي لها الدعوة الباطنة فتكون غربية مثلها بل شرقية وغربية جمعاً بقيامهم مقامها [٣] وحفظهم مكانها في التابعين لها ولهم في جميعهم وقيامهم بذلك مرتبتان هما الممثل بالشرق والغرب المأول عليها «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار » الزيت ما يخرج من الزيتون من دهنه مثل على الكلام والفوائد التي هي تؤخذ عن الأئمة صلوات الله عليهم يقول: تكاد معرفتهم وكلامهم في إفادتهم وتعليمهم وهدايتهم التي تخرج منهم لفظاً وإن لم تكن عن الوصي المشبه بالنار تشبه معرفة كلام أولى الوحي « نور على نور » يقول : تفتح منه أنوار وعلوم زيادة على زيادة « يهدي الله لنوره من يشاء [٤] » يقول : وكل منهم في زمانه قائم مقام الله بقيامه مقام النبي الذي هو القائم مقام الله يهدي إلى بركات الله وعلم توحيده وما فيه النجاة لمن أخلص نيته في الله وعبادته ويشاء ذلك

---

١ ـ سورة ٤١ آية ١١
٢ ـ سورة ٢٤ آية ٣٥
٣ ـ في ن : مقامهم
٤ ـ سورة ٢٤ آية ٣٥

ويؤثره ولذلك يقوم مقامه « ويضرب الله الأمثال للناس [١] » يقول : وهذا القائم مقام الله ومقام رسوله عليه السلام يقيم له خلفاء في الجزائر يدعون الناس إلى الله سبحانه وعبادته ومعرفة ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله و « الله بكل شيء عليم » من أمور الدين وأمور الملة وأحكامها وما فيه من النجاة عليم خبير لا يشتبه عليه شيء منه فهم يقومون في أدوارهم الصغيرة بالهداية والتعليم في حفظ الأمة والكتاب والشريعة في كل زمان كما قال : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد [٢] » بحسب الإستطاعة وبما يمتد إليهم من التأييد ويتم لهم من جهة الزمان بالمساعدة إلى أن تتكامل سبعة خاتمة لأدوار سبعة ، فيكون الدور الكبير بها تاماً على ما ذكرناه ، وعلى ذلك كله الأدوار السبعة وبحكمه قال تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع[٣] » إلى قوله : « ونراه قريباً [٤] » يقول : كثر تعجب الذين يكفرون بحدود الله وآياته ممن ينذرهم من العذاب من جهة صاحب الدور السابع الذي هو اليوم الآخر عند تكامل الأدوار واقع بالكافرين الذين سقم اعتقادهم في توحيد الله تعالى وعبادته فيكفرون بأوامر الله تعالى وحدوده فيحصلوا فيه وينفذ فيهم حكمه وفي من سبق من الأولين والآخرين « ليس له دافع من الله » يقول : ما لصاحب الدور السابع مانع يمنعه بما قام فيه من إمضاء حكم الله بأمر الله « ذي المعارج » يقول : الله الذي له حدود يقومون بالهداية والتعليم كالمعارج لتابعيهم إلى ملكوته والوسائل إلى نيل رحمته مثل الأنبياء المؤيدين والحاوين للفضائل والأنوار ومن ذرأ الله تعالى من الأولين والآخرين « تعرج الملائكة والروح[٥] » يقول : ترتقي أنت يا محمد وحدود دورك وصاحب الدور السابع الذي هو الجامع للأدوار « في يوم » يقول : في دور كان عدد الحدود فيه من أولهم إلى آخرهم الذي سماهم « الروح » فقال : « يوم يقوم الروح

---

١ – سورة ٢٤ آية ٣٥
٢ – سورة ١٣ آية ٨
٣ – سورة ٧٠ آية ١ ، ٢
٤ – سورة ٧٠ آية ٨
٥ – سورة ٧٠ آية ٥

والملائكة صفاً [١] » وهو صاحب القيامة خمسين حداً منهم ، هم أصحاب الأسابيع في الأدوار السبعة ، سبعة في سبعة ، والجامع لشملهم مما تعدون أي ممن تعدونهم متمين لأدوارهم الصغار في الأدوار الكبار « فاصبر صبراً جميلاً [٢] » يقول : راع المقصود من الحكمة واصبر على ما أنت بصدده وأثبت لنصب أعلام العبادة وتمهيد أحكام السعادة « إنهم يرونه بعيداً[٣] » يقول : إن هؤلاء وأمثالهم ممن لا يعلمون ولا يتصلون فيتعلمون يحسبون أن ما تنذر به هو بعيد لا يكون « ونراه قريباً [٤] » يقول : ونحن بعلمنا أنه كائن نراه قريباً لا يتأخر .

ولكل منهم بحسب موازناتهم للأعداد الشريفة مقام تظهر فيه أفعال شريفة ، مثل الرابع الخاتم للدور الرابع الموازي من الأنبياء أرباب الأدوار الكبار موسى عليه السلام ، المقابل من الأجسام العالية السيارة الشمس ، المضاهي من أيام العليل اليوم الرابع الذي هو البحران الصغير الذي يظهر في زمانه من القوة الإلهية ما لم يكن لغيره ، ومثل السابع الخاتم للدور الصغير إلى الدور الكبير السادس جميعاً الذي يفعل في العالم ما هو الموعود به عند انتهاء الأمر في قوانين الشرع إلى الإختلال ، وفي معاقد الدين والحلال والحرام إلى إنحلال ، وعموم الفساد بكثرة أهل البدع والإختلاف على ما أخبر الله تعالى عنه في كتابه الكريم بقوله : « يوم تكون السماء كالمنهل . وتكون الجبال كالعهن [٥] » الآية « السماء » على الدعوة الظاهرة وأهلها « والجبال » على الدعوة الباطنة وأهلها ، يقول إخباراً : إن أمور الدعوة الظاهرة الشرعية العملية بكثرة الأضداد والإختلاف والرؤساء فيها تضعف فيكون مطالعها مظلمة كالمهل المفسر بعكر الزيت ، وأن أمور الدعوة الباطنة العلمية بكثرة المنافقين واللاعبين بالدين تهن وتختل كالعهن المفسر بالصوف المصبوغ ، وعند

١ ـ سورة ٧٨ آية ٣٨
٢ ـ سورة ٧٠ آية ٦
٣ ـ سورة ٧٠ آية ٧
٤ ـ سورة ٧٠ آية ٨
٥ ـ سورة ٧٠ آية ٨ ، ٩

انتهاء الأمر يكون التغيير من تحقيق آثار الأبالسة ومنعها من عقد الرياسات بأنواع المنع قتلاً ونفياً وسبياً وحبساً . ورد الأمور إلى قوانينها الأولة الخالصة من سنن المبتدعين والضالين كما قال علي عليه السلام في بعض خطبه : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد » يقول تحقيقاً لما نورده : إنه لو كانت الأئمة والأتماء في الدور قد انقرضوا ولم يبق منهم أحد إلا واحد لبعث الله عليهم من يسقيهم كأساً مصبرة حتى يتمنوا أن أكون فيهم وأن أشفع لهم عنده ، وحتى يقول القائل من قريش : لو كان هذا « من قريش لرحمنا [١] » وقال في موضع آخر : « كأني أنظر إلى دينكم مولياً يبصبص بذنبه ليس بأيديكم منه شيء حتى يرده الله إليكم على يد رجل مني » وهو الوقت المعلوم الذي اليه تنتهي أيام الأبالسة في عقد الرياسات والتضليل فتبطل . قال الله تعالى عن ابليس لعنة الله عليه : « رب أنظرني إلى يوم يبعثون . قال فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم [٢] » فقوله: « رب » تأويلا على الناطق الذي جعله الله رباً لمن في دوره ومن تبعه في أمره ونهيه ، وإبليس على الأضداد والمترأسين الذين يضلون الناس ويصدونهم عن اتباع أولياء الله ، وأولهم في الدور من كان بمثابة العجل الذي قدمه بنو إسرائيل في دور موسى عليه السلام معرفة فاغتروا بخواره ، والتابعون له من بعده،وقوله:«رب أنظرني» موجب أنه لما علم أن الأمر قد فاته فيما كان يتمناه من أن يكون مولى معتمداً عليه في الوزارة والقيام بأمر الوصاية بإظهار الناطق أمر الوصي في هذه الرتبة تغيرت نيته واعتقاده ، وتحقق أنه لا يخفي على الناطق أمره مع توبيخه إياه ، وصاحبه دفعه على ما نراه من الإحتواء على الأمر بعده بما أعلمه الله في الآية بقوله : « وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً [٣] » إلى قوله : « والملائكة بعد ذلك ظهير [٤] » فخشي أن يظهر النبي أمره منعاً عن اتباعه وقبول قوله اعتباراً بما كان يفعله النبي صلى الله عليه

١ – في ن : في قريش رحمنا
٢ – سورة ١٥ آية ٣٨ ، ٣٩
٣ – سورة ٦٦ آية ٣
٤ – سورة ٦٦ آية ٥

وآله في الملة من الأمر بالشيء والنهي عن ضده جميعاً فيفتضح بعد أن كان قد بشر قومه وعشيرته أنه هو المقدم من دون غيره ، فتمنى أنه لو ترك أمره على مطاويه لما حرم تلك الرتبة ولم يؤهل لها ، فسأل النبي الإنظار فيما وعد به من قبل ، مما كان أحد الذنوب المغتفرة للنبي ليكون له ذكراً إلى يوم القيامة عوضاً عما حرم من رتبة الوزارة فلا يضيع سعيه وخدمته وذلك قوله تعالى: « إلى يوم يبعثون [١] » فعلم النبي صلى الله عليه وآله أن الذي قدر سيكون، ولن يكون إلا ما جرى به القلم الذي توجبه الحكمة ، وأن انتهاء أمر القائمين في الأمر بعده للأمور والأخبار من الله إلى الوقت المعلوم فيه أن تكون النفس الزكية ، وهو تمام الدور ، ففعل فعل غيره من الأنبياء من الأخذ بالعفو والأمر بالمعروف وإمضاء الأمر فيما سهل وتركه فيما صعب لمن يجيء من بعده ، علماً منه أنه إن فعل أو لم يفعل فلا بد من قيام القائمين ووقوع الخلاف والإختلاف بعده بقلة مساعدة الزمان ، وأعلمه أن ذكره يبقى إلى يوم الوقت المعلوم حتى يكون إلى أيام ظهور القائم عليه السلام ، فيوم لفظة غير معرفة هو على الخاتم للدور الكبير السادس ، كأنه يقول : أيامك وأيام أتباعك في عقد الرياسة والمخالفة ممتدة إلى يوم الحد الأول من الدور السابع الذي هو الوقت المعلوم في استفاضة التأييد في الحدود ، وتعليم الأمور، كالبحران الذي هو الوقت المعلوم في ظهور قوة نفس العليل وفعلها وتغييرها أمره ، وعلى رأسه تظهر القوة فيؤثر كل قائم منهم بالأمر تأثيراً يظهر مناره ويبقى في الناس آثاره بسطاً لمعالم الشريعة وأعلامها وتمييزاً لكلمة التوحيد وأحكامها ، وطياً عن القلوب ذكر الأبالسة المضلين ومذاهبهم وسننهم التي دونوها كما طووا ذكر أولياء الله القائمين مقامه عن قلوب الأمة على طول المدة والايام ، وقلة مساعدة الزمان لأولياء الله تعالى على الثبات فضلا عن التغيير والإلزام ، وهو اليوم الذي وعد الله تعالى به بقوله:« يوم نطوي السماء

---

١ - سورة ٢٣ آية ١٠١

كطي السجل للكتب[١] » يقول : إن ذلك الحد الذي هو من أيام الله تعالى لا كما قال : « وذكرهم بأيام الله [٢] » الذي يرد الأمور إلى قوانينها الأولة في أيام الناطق ، ويطوي ذكر أئمة الضلال الذين هم كالسماء العالية على ما دونها كما طووا ذكر أئمة الحق من قلوب الأمة بالغلبة واليد . وقال تعالى : « يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين[٣] » إلى قوله : « هباء منثوراً [٤] » « يوم يرون الملائكة [٥] » إشارة إلى ما يكون في الدور السابع ، يقول : إن الملائكة الذين هم أصحاب الدعوة الذين هم كالملائكة في الآخرة القائمين بالعبادتين يوبخون المقصرين والتاركين أمر الله تعالى على تعلقهم من أديانهم بما تعلقوا به فيمنعونهم عن أن يكونوا من أهل الجنة المستجيبين إلى إقامة الطاعات « ويقولون حجراً محجوراً » يقول : إنهم يعلمونهم أنه محظور عليهم بإغلاقهم باب التوبة من أن يكونوا من المؤمنين « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءاً منثوراً [٦] » يقول : وأنهم يجعلون مباني أمورهم ومذاهبهم المؤسسة على قضايا أهوائهم وإرادتهم منقوضة منسوخة لا يقدرون على إثباتها بحجة ولا يزالون ينتقلون إلى أن ينقضي العدد الذي بمثله يتم الدور ، فيظهر الله تعالى النفس الزكية التي هي خاتمة للأدوار صغيرها وكبيرها وحاوية للأنوار متقدمها ومتأخرها وهو اليوم الآخر المبشر به المأمور [٧] بالإقرار به والإيقان بمجيئه ، وهو في السعادة أسعد السعداء ممن تقدم وتأخر باجتماع الأمور له ظاهراً وباطناً ، فيتم الله على يديه من الأمر في خلقه ما لم يتم على يدي أحد من المؤيدين قبله بكونه مجمعاً للأنوار الفائضة من دار القدس وموجوداً على سابق تقدير من حكيم عليم ، طالما تحركت الأجسام العالية لاجله وفعلت فيما دونها بسببه ووطدت ونظرت

---

١ – سورة ٢١ آية ١٠٤
٢ – سورة ١٤ آية ٥
٣ – سورة ٢٥ آية ٢٢
٤ – سورة ٢٥ آية ٢٣
٥ – سورة ٢٥ آية ٢٢
٦ – سورة ٢٥ آية ٢٣ في ن : (هباءا)
٧ – في ن : الامر

الأنفس المؤيـــدة له وعملت فيه فترافعت ، فيسري روح القدس علماً في الأنفس بمجردهـــا علواً وبمشوبها سفلا فيكون تماماً للخلق الجديد ـ على ما ذكرنا في باب البعث ـ ويتمكن من العـــالم وأهله تمكناً إلهياً فيفعل في ذلك أفعالا بانطياع الموجودات له لو جاز أن يكون من الطبيعيات مثلاً إلهياً لكان هو سلام الله عليه وتعالى الله علواً كبيراً عن أن يناسبه شيء من مخترعاته ، ولا إله إلا هو بحكمه على الإعتقادات واطلاعه على مـــا في الأنفس والإرادات ، « فينطاع الخلق له [١] » شرقاً وغرباً . كما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله « إن ليلة القدر تفتح أبواب السماء في ساعة منها ، ويمتليء العالم نوراً ويسجد الشجر والحجر والحيطان والجبال لله تعالى » فلا يبقى أحد إلا ويطيعه ويكون على أهل الشر محنة تجتاح ، ولأهل الخير منحة بها قلوب المخلصين ترتاح ، قال الله تعالى : « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله[٢] » إلى قولـــه : « تمر مر السحاب [٣] » ذلك إشارة إلى صاحب القيامة الذي هو خاتم الأدوار كلهـــا بالقوة الإلهية فيجمع الله به الصور « ففزع من في السموات ومن في الأرض[٤] » يقول : فيعم أهل الظاهر والباطن الفزع والجزع والخوف والهيبة باشتباه الأمر عليهم « إلا من شاء الله [٥] » يقول : إلا مـــن عرفه الله أمره وخبره باتصاله بأوليائه وأتباعه ، فشاء أن يكون من المؤمنين ما يشاء الله « وكل أتوه داخرين [٦] » يقول : الكل من موالف ومخالف وجبـــار وقوي وضعيف على وجه الارض يذعن له ويطيـع ، أراد أو لم يرد « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب[٧] » يقول وكل جبار يحسب أنه ممتنع عن الطاعة ومقيم على أمره يطيع له طاعة أصحاب الجزائر وأرباب التأييد والدعوة الإلهية « صنع الله الذي أتقن كل شيء[٨] » يقول : من حكمة

---

١ ـ في ك : فينصاع له الخلف
٢ ـ سورة ٢٧ آية ٨٧
٣ ـ سورة ٢٧ آية ٨٨
٤ ـ سورة ٢٧ آية ٨٦ في ن : (ومن الارض)
٥ ـ سورة ٢٧ آية ٨٧
٦ ـ سورة ٢٧ آية ٨٧
٧ ـ سورة ٢٧ آية ٨٨
٨ ـ سورة ٢٧ آية ٨٨

الله تعالى في اجتماع نفس تنطاع له السموات وما فوقها في معونتها وحدها على قدر بباهر أوامره التي هي العقول الخارجة « إنه خبير بما تفعلون [١] » يقول لانه عليم بما يكون ، وكيف يكون ؟ فيعم الخلق بمكانه الفزع فيصيرون حيارى لما يرونه من أمره ، قال الله تعالى : « يا أيهـــا الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم [٢] » إلى قوله : « ولكن عذاب الله شديد [٣] » يـا أيها الناس ، إنذار من النبي صلوات الله عليه وآله عن الله تعالى للكافة ممن كان في زمانه وممن كان يجيء إلى الكون بعده إلى يوم القيامة ، يقول : يا من مَنَّ الله تعالى عليكم بالوجود في عالم الطبيعة وجعلني رسولاً إليكم فتتبعوني على ما أدعوكم اليه مـن عبادته وتوحيده « اتقوا ربكم [٤] » المتقون هم الـذين يجمعون بين العبادتين ، يقول : أجمعوا بين عبادة العمل وبين عبادة العلم اللتين جئت بمعالمها وسننها ، وقننتها في عبادة ربكم الذي خلقـكم « إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيمٌ [٥] » يقول : افعلوا ذلـكم فإن الذي يحدث ويظهر في المقيمين منكم في الوجود والسابقين في البرزخ من جهة صاحب القيامـــة صولة وعظمة وكبرياء وقهراً وعزاً وجبروتاً أمر عظيم تتزلزل بكم الأرض بمن عليها من عزته وتحركها بقوته « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت [٦] » يقول : حين يحصل في الوجود عند تمـام الدور يشتغل كل من الدعاة والحدود بنفسه فيقفون عن التعليم والتبصير اشتغال المتزلزل به الأرض بنفسه عـن كل أمره ، والمرضعة عـن إرضاع الولد من شدة الهـول والفزع والتحير الذي يأخذهم « وتضع كل ذات حمـــل حملها [٧] » يقول : ويتبرأ كل ممـن هو في دعوته ويفاصله ، فينشغل عنه ولا يهـــتم بتربيته وتعليمه تبرى الحبالى مما في بطونهن من الأولاد بالوضـــع عند الفزع تاماً كان أم ناقصاً . « وترى الناس

١ ــ سورة ٢٧ آية ٨٨
٢ ــ سورة ٢٢ آية ١
٣ ــ سورة ٢٢ آية ٢
٤ ــ سورة ٢٢ آية ١
٥ ــ سورة ٢٢ آية ١
٦ ــ سورة ٢٢ آية ٢
٧ ــ سورة ٢٢ آية ٢

سكارى [١] » يقول : الجماعة في ذلك الوقت لا يعلمون ما يراد منهم كالسكارى الذين لا يعلمون ما يكون منهم . « وما هم بسكارى [٢] » يقول : وأما الذين منهم قد جمعوا العبادتين وقاموا بأحكامها في عبادة الله تعالى فليسوا ممن لا يعلمون ، وقد علموا وأخبروا في الأزمان الخالية باتصالهم بأولياء الله . « ولكن عذاب الله شديد [٣] » يقول : ولكن ما قد عم بهيبته النافذة في اللحوم والجلود هو حيرة عظيمة منذرة بقوة الله تعالى ومصداق وعده ووعيده ، فتقوم القيامة بذلك فتزلزل الأرض الطبيعية بأن تظهر ما في ضمنها من المعادن والكنوز كما ذكر وتكثر الخيرات ، والأرض الدينية بأن تظهر الودائع العلمية المذكورة في الشرائع وتعم العلوم والسعادات فتحصل العلوم قائمة بالفعل بكثرة أهلها . والجهل قائماً بالقوة لقلة أهله على ما ذكرناه في كتاب « الرياض وميدان العقل » ويلحق المتأخر بالأول لحوق الزارع المتأخر زرعه بما زرع في أول الوقت ، ويصير الكل علماء . قال تعالى : « يوماً يجعل الولدان شيباً [٤] » يقول : ذلك اليوم يجعل من كانت منزلته في العلوم بمنزلة الصبيان علماء بمنزلة المشايخ بتجاربهم ومعارفهم ، ويجمع الخلق فيحاسبهم على أديانهم واعتقاداتهم ، ويوبخهم على ما في أيديهم من كتب الأنبياء وكلامهم ، وعلى تركهم أحكامهم وأمرهم ونهيهم ويظهر الكل منهم ، كما قال الله تعالى : « ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون [٥] » فتبيض وجوه أهل العبادتين ، كما قال الله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة [٦] » إلى قوله : « فاقرة » فيحكم لأهل النار بالعذاب ، ولأهل الجنة بالفوز وسرعة الحساب ، ثم يفارق العالم بجميع الأولين والآخرين . وقد خلق الله خلقاً جديداً روحانياً قائماً بذاته مسبحاً مقدساً ، ذاته هيولاني ، وفعله قدساني ، فيحصل في دار القدس مجرداً من ضيق الأجسام ، متخلصاً إلى

١ ـ سورة ٢٢ آية ٢
٢ ـ سورة ٢٢ آية ٢
٣ ـ سورة ٢٢ آية ٢
٤ ـ سورة ٧٣ آية ١٧
٥ ـ سورة ٩ آية ٩٥
٦ ـ سورة ٧٥ آية ٢٢ ، ٢٣

المقصد الحق بمن في جملته وزمرته « إن المتقين في جنات ونهر . في مقعد صدق عند مليك مقتدر [١] » فعندها يغلق الباب كما قال عيسى عليه السلام في الانجيل ضرباً للمثل في ذلك بأن « من كان معه دهن وسراج يقعد على طريق العروس انتظاراً لاجتيازه فيكون في جملته إذا اجتاز الدار المزينة المجموعة فيها الخيرات ، ومن لم يكن معه الدهن طلبه هو ممن معه فلا يدفعون إليه شيئاً فيقولون له: ارجع إلى دارك واحمل دهنك فيذهب ، ويجيء العروس ويدخل داره مع الحاضرين المستظهرين ويغلق بابه ، ويحصل برّاً من لم يكن معه الدهن حاسراً نادماً يتمنى وأني له مراده كما قال الله تعالى: « أنظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً[٢]... إلى قوله : « وظاهره من قبله العذاب [٣] » فلا تبقى أرض ولا سماء ولا كوكب ولا هواء ولا نار ولا ماء ولا مواليد دين إلا وجهه الكريم الدائم الباقي . قال الله تعالى : « إذا السماء انفطرت [٤] » قالوا في التفسير : انشقت ، يقول : تبطل أحكام الشرائع « وإذا الكواكب انتثرت [٥] » يقول : تبطل مقامات الحدود في دين الله . « وإذا البحار فجرت[٦] » يقول : وتظهر السنن المتقدمة في الأديان ويقام ذكر حدود الله في دينه وعلومهم بالتأويل عن الشرائع . « وإذا القبور بعثرت[٧] » يقول : وتظهر الحكم والعلوم في العالم وتكثر الخيرات . « علمت نفس ما قدمت وأخرت[٨] » يقول : إذا كان ذلك وقام حكم الإعتقادات بالفعل فحينئذ تعلم النفس ما فعلت من خير وشر وتحس بالضرر فيما فعلت من تأخير الفضلاء وتقديم المفضولين . وقال تعالى : « إذا الشمس كورت » يقول : تذهب آثار شرائع الأنبياء التي هي كالضوء من الشمس « وإذا النجوم انكدرت[٩] » قالوا في التفسير : تسقط النجوم على وجه الأرض

---

١ ـ سورة ٥٤ آية ٥٤ ، ٥٥
٢ ـ سورة ٥٧ آية ١٣
٣ ـ سورة ٥٧ آية ١٣
٤ ـ سورة ٨٢ آية ١
٥ ـ سورة ٨٢ آية ٢
٦ ـ سورة ٨٢ آية ٣
٧ ـ سورة ٨٢ آية ٤
٨ ـ سورة ٨٢ آية ٥
٩ ـ سورة ٨١ آية ٢

حتى لا يبقى نجم في السماء إلا وهو على وجه الأرض ، يقول : تسقط مراتب الحدود حتى لا يبقى لها أثر بالمشفع[١] وإزالة الرسم بقيام القيامة. « وإذا الجبال سيرت[٢] » يقول : استخدم الجبارين في الأرض فيكون كلهم طائعين لصاحب القيامة « وإذا العشار عطلت[٣] » يقول : وأبطل التعليم بإزالة الحدود من رتبهم ، « وإذا الوحوش حشرت[٤] » يقول : وجمع جميع من على وجه الأرض على الطاعة فيكون كلهم تحت الأمر « وإذا البحار سجرت[٥] » يقول : وأقيمت حدود ظاهر الشريعة وأعيدت إلى ما كان محذوفاً عنها من كلام المبتدعين والأبالسة ، وذلك يكون في الوقت المعلوم وأمثاله في الدور السابع . « وإذا النفوس زوجت[٦] » يقول : وجمع كل إلى قرينه وشبيهه من المنافقين والمجرمين. « وإذا المؤودة سئلت . بأي ذنب قتلت[٧] » وسئلوا بأي حجة أخر من أخر من حدود الله عن مراتبهم وقدم عليهم غيرهم . « وإذا الصحف نشرت[٨] » يقول : وأظهرت مساويء المذاهب والإعتقادات . « وإذا السماء كشطت[٩] » يقول : وذكر أئمة الضلال من القلوب بإبطال دورهم وانتهاء الأمر إلى يوم القيامة وانقضاء الأدوار ويصير الأمر للواحد القهار ، « وإذا الجحيم سعرت[١٠] » يقول : أقيمت آية وعيد الله للمعاندين لأمره من جهة صاحب القيامة ، « وإذا الجنة أزلفت[١١] » يقول : أقيمت مواعيد الله للمتقين[١٢] في الدنيا والآخرة ، « علمت نفس ما أحضرت[١٣] » يقول : حينئذ تعلم الأنفس حقائق ما جاءت

---

١ – في ن : الشفع
٢ – سورة ٨١ آية ٣
٣ – سورة ٨١ آية ٤
٤ – سورة ٨١ آية ٥
٥ – سورة ٨١ آية ٦
٦ – سورة ٨١ آية ٧
٧ – سورة ٨١ آية ٨ ، ٩
٨ – سورة ٨١ آية ١٠
٩ – سورة ٨١ آية ١١
١٠ – سورة ٨١ آية ١٢
١١ – سورة ٨١ آية ١٤
١٢ – في ن : للتقنين
١٣ – سورة ٨١ آية ١٥

به الرسل ويبقى الموحدون ما دامت السموات والأرض ، ولا تزال تنحل عنهم على مضي الأيام المعالم الدينية إلى ألا يبقى شيء فيرجع العلم إلى القوة لعدم أهله ، ويظهر الجهل بكثرة أهله ، ويظلم العالم بوحشية الجهل ، كما قال الله تعالى : « لابثين فيها أحقاباً[١] » إلى قوله : « وغساقا » ثم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد على ما تقتضيه حكمته ، وهذه الأمور كلها له بكونها نهاية ثانية للموجودات التي نهايتها الأولى الإبداع الذي هو المبدع الذي هو الموجود الأول ـ على ما ذكرناه فيما سبق ـ وكانت متصلة بها تماماً للخلق وغاية انتهت إليها الأمور والصورة في الكل .

وإذ قد أتينا على ما وعدنا به في أول كتابنا فنقول : ضلت العقول التابعة لمزاجها ، المتابعة أحكام ذواتها فيما حاولت معرفته من أمور آخرتها بغير دليل من جهة الله تعالى ، بردها الحق فيه ضلال الفلاسفة عن حق المعاملين بالنفس ومراتبها ، وكيفية ارتقائها من منزلتها الحسية إلى رتبتها الناطقة باستبدادهم بآرائهم ، وتخيلهم أن ما ينظرونه حق لاقتصارهم على العلم بما في كتبهم الخمسة من المنطقيات ، والطبيعيات ، والتعليميات ، والتمهر في طلب المقدمات التي بها تصاد الأمور الخفية من دون إلزام النفس العمل ، وما يكسبها العادات الجميلة الحسنة الخلقية ، وضلال غيرهم[٢] من المعتزلة وأمثالهم ، وأين يبلغون هم وأمثالهم من السعادة والعمل ؟ الذي عليه المعول في نقل الأنفس من رتبتها الحسية إلى رتبة الملائكة لتكون سعيدة ، وبه يمكن ويتم قلب رذائلها فضائل ، على ما ذكرنا في كتابنا المعروف (بتاج العقول) وهم جاحدون له ومقصرون فيه ، وكافرون به ، ولقد بين الله تعالى خسارة من يؤمن ببعض

---

١ ـ سورة ٧٨ آية ٢٣
٢ ـ في ن : سواهم

الكتاب ويكفر ببعض ، فقال تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا[١] الآية » « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » جامع لما يتعلق بالعبادة الظاهرة ، وهو بعض ، وما يتعلق بالعبادة الباطنة وهو بعض يقول : على طريق السؤال والأستفهام توبيخاً وملامة ؛ تؤمنون بما يوجبه كتاب الله تعالى من العبادتين اللتين بهما يتم كال النفس وسعادتها ، وتعملون البعض وهو الظاهر من العبادة عملا أو الباطن من العبادة علماً ، وتحققونه وتحافظون عليه ، ثم تكفرون بالبعض ، يقول : وتتركون أحكام البعض الأخير وهو الباطن من العبادة علماً ، أو الظاهر من العبادة عملا « فما جزاء من يفعل ذلك إلا خزي في الحياة الدنيا [٢] » يقول : وما ثمرة ما تفعلونه من ذلك من التزام أحكام البعض ورفض البعض في عبادتكم إلا النقص في التقوى وخلو النفس من سعادتها وحصولها في شقاوتها ، « ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب [٣] » يقول : ويكون حالها عند تكامل الأدوار أسوأ حال ، ويصل إليها يوم البعث حين ينفخ في الصور أشد الحسرة والندامة على التفريط في عبادة الله تعالى حق عبادته ، تتمنى الشفاعة وأنى لها ذلك ، وقد خرجت أحكام الملة إلى الفعل « وما الله بغافل عما تعملون [٤] » يقول : وما كان [٥] الحدود القائمون مقام الله تعالى في الخلق الجديد بالذين يتغافلون عن الإلزام أبداً ، والحث والتعليم إيجاباً للحجة « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة [٦] » صفة المقتصرين من العبادتين على عبادة واحدة ، ولا يجمعون بينهما ولا يقومون بأحكامهما ، يقول : إن الذين تقدم وصفهم ممن يؤمن بالبعض ويكفر بالبعض مثل النواصب وأمثالهم من أهل الملة إيمانا بالعبادة الظاهرة عملا ، وكفراً بالعبادة الباطنة علماً ،

---

١ ـ سورة ٢ آية ٨٥
٢ ـ سورة ٢ آية ٨٥
٣ ـ سورة ٢ آية ٨٥ في ن : (تردون)
٤ ـ سورة ٢ آية ٨٥
٥ ـ في ن : لكون
٦ ـ سورة ٢ آية ٨٦

والفلاسفة والغلاة إيماناً بالعبادة الباطنة علماً ، وكفراً بالعبادة الظاهرة عملا ، وأشباههم . أولئك الذين باعوا آخرتهم بتركهم قبول قول أوليـــاء الله وحدوده بما تخيلوه في دنياهم ، واعتمدوا عقولهم ، ولم يتبعوا أولياء الله تعالى للهداية إلى طريق الرشاد في الخلاص ، ولم يقبلوا على العبادة الباطنة كما أقبلوا على العبادة الظاهرة ، ولا على العبادة الظاهرة كما أقبلوا على العبـــادة الباطنة « فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون [1] » يقول : ولا تفارقهم الآلام والحسرات . ولا هم ممن يتخلصون مما قد تمكن من أنفسهم ونشأوا عليه من الإعتقادات السقيمة .

وكيف تتم سعادة النفس وقد جهلت العلم والعمل جميعاً وهي خالية من محاسن أحدهما أو كليهما بنقضها أحكامها واستهانتها بشرائطها وأعلامها ، وإخلالها بطاعة من يهدي إلى الحق المبين ، وهل المقتصر على العبادة الظاهرة المصلحة لأمر النفس في منعها هواها وسلبها ما تناسب به البهائم مـن جهة مزاجها برأيه وهواه محيط بمعرفة التوحيد والمبادىء من الموجودات ؟ وبدء الخلق والنهاية التي فيها كمالها وتمامها ، ولما عرف ولا قرأ ولا علم ؟ وهـــل يكون العارف بأن السخاء هو التوسط بين التقتير والتبذير والشجاعة هي التوسط بين الإحجام والتهور في الإقدام سخياً وشجاعاً ؟ ولما فعل من ذلك شيئاً . كلا إن العقول القائمة بالقوة لا تقوم بالفعل إلا بالباعث الهادي من جهة الله تعالى المؤيد التام القائم بالكمال والفعل مثل نبينا محمد صلى الله عليه وآله والقائمين مقامه في الهداية والتعليم . وأن سعاداتها لا تتم إلا باستفادة ما تعمله وتعلمه منهم . وأن تعلم وتعتقد في توحيدها أن المتعلق به الموجودات اسم ليس له في الموجودات لا صورة ولا صفة ولا أمر مـــن الأمور ، فتكون للعقول بها وصلة إلى الإحاطة به ، بحسب تصورها فإن كل متصور ومنبيء عنه بلغة من اللغات فهو خلقه وفعله تعالى وتكبر فإذا قصد أحدنا الإخبار

١ – سورة ٢ آية ٨٦

عنه بما يحسب أنه دقق ونظر وفكر وتوهم وقدر كان ذلك الشيء الذي يحسبه تاماً كافياً في الإخبار عنه تعالى منقلباً إلى صفة ما هو داخل في الموجودات التي هي مخترعة محدثة ، كانقلاب ما يراد به الإعراب عن الهمزة التي ليست لها صورة في اللغة ، إما إلى الألف أو الواو أو الياء التي هي من اللغة ومبانيها، وهذه جملة وراءها تفصيل يحيط بها من كان أخانا حقاً .

فسبحان من عدمت العقول ما تجعله صفة له ، ولا إله إلا هــو رب العرش العظيم . وعند ذلك نختم الكتاب بالحمد لله رب العالمين وصلاته على رسوله سيد المرسلين وعترته الطاهرين وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير .

كان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك لسيدنا حجة العراقين الشيخ العظيم ، والفيلسوف الحكيم ، قدس الله سره ونفعنا ببركته ، أحمد حميد الدين الكرماني (قس) في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٠٩٣ من هجرة نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، الناسخ العبد الفقير ، والمذنب الكبير ، والمقصر الكثير لله تعالى ، خــادم اعتاب محمد وعلي وآلهما والأئمة الطاهرين أجمعين، علي بن الحسين بن الشيخ محمود، اليماني الأصل، النجراني المنبع، والمقيم في حيدر آباد الدكن في بلاد الهند .

ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ،

والمولى الغفور الرحيم ، نفعنا الله

ببركات إمام عصرنا وزماننا .